BnF Gallica

ABD ALLH IBN UMAR AL-BAYW. Anwr al-tanzl wa-asrr al-tawl (Coran XVIII-XXVI, 140).

Source gallica.bnf.fr / Bibliothèque nationale de France

BnF Gallica

ABD ALLH IBN UMAR AL-BAYW. Anwr al-tanzl wa-asrr al-tawl (Coran XVIII-XXVI, 140).. XVIe siècle.

1/ Les contenus accessibles sur le site Gallica sont pour la plupart des reproductions numériques d'oeuvres tombées dans le domaine public provenant des collections de la BnF. Leur réutilisation s'inscrit dans le cadre de la loi n°78-753 du 17 juillet 1978 :
- La réutilisation non commerciale de ces contenus est libre et gratuite dans le respect de la législation en vigueur et notamment du maintien de la mention de source.
- La réutilisation commerciale de ces contenus est payante et fait l'objet d'une licence. Est entendue par réutilisation commerciale la revente de contenus sous forme de produits élaborés ou de fourniture de service.

CLIQUER ICI POUR ACCÉDER AUX TARIFS ET À LA LICENCE

2/ Les contenus de Gallica sont la propriété de la BnF au sens de l'article L.2112-1 du code général de la propriété des personnes publiques.

3/ Quelques contenus sont soumis à un régime de réutilisation particulier. Il s'agit :

- des reproductions de documents protégés par un droit d'auteur appartenant à un tiers. Ces documents ne peuvent être réutilisés, sauf dans le cadre de la copie privée, sans l'autorisation préalable du titulaire des droits.
- des reproductions de documents conservés dans les bibliothèques ou autres institutions partenaires. Ceux-ci sont signalés par la mention Source gallica.BnF.fr / Bibliothèque municipale de ... (ou autre partenaire). L'utilisateur est invité à s'informer auprès de ces bibliothèques de leurs conditions de réutilisation.

4/ Gallica constitue une base de données, dont la BnF est le producteur, protégée au sens des articles L341-1 et suivants du code de la propriété intellectuelle.

5/ Les présentes conditions d'utilisation des contenus de Gallica sont régies par la loi française. En cas de réutilisation prévue dans un autre pays, il appartient à chaque utilisateur de vérifier la conformité de son projet avec le droit de ce pays.

6/ L'utilisateur s'engage à respecter les présentes conditions d'utilisation ainsi que la législation en vigueur, notamment en matière de propriété intellectuelle. En cas de non respect de ces dispositions, il est notamment passible d'une amende prévue par la loi du 17 juillet 1978.

7/ Pour obtenir un document de Gallica en haute définition, contacter
utilisationcommerciale@bnf.fr.

Source gallica.bnf.fr / Bibliothèque nationale de France

Volume de 88 Feuillets

28 Août 1872.

ARABE
634

۲۲۰

Ar. 470. ~~467~~ 8

Arab. 253.

470

Fragmentum commentorii Arabici in Alcoranum authore Cadhi Al Bedhaoui, incipit a capitulo 18 dicto Alkehef sive speluncæ quod absolutum non est

سورة الكهف

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله المنزه عن كل شائبة نقص القادر على كل ما يريد الرحمن الذي عم بنواله سائر مخلوقاته
الرحيم الذي اختص الصالحين من عباده بالسعادة من مراده لما كان مقصود التي قبلها الدلالة
على ان القران قيم لا عوج فيه بتمام الانتظام في النفع الانفع الاول ودل على ذلك بانه ساق
المسلمين لهم من القصص احسن سورة وكشف عن مخبآت الفناء ابدع كشف المعجزة لكرما خلقته
من بدايع الحكم وغرايب المعاني فاخبر عمن ادعى له سبحانه ولدا وختمها بمثل ذلك من وصف الكتاب
والتوحيد النافي لعتبور العقد دون لزاوغيره جعل اعتبارا من العمل الصالح ابتداء هذه بالكشف
عما اغرب من تلك القصص لانه ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من اياتنا عجبا
بسياق غير ما تقدم في ما مضى من السور وعن زيادات لم تذكر الا فيها مع عدم المخالفة لما مضى
تأسيسا لان كلماته لا تنفد وعجائبه لا تعد ولا تنقضي وانه لو كان من عند غيره لاختلف من ان اهلها
سادة الموحدين وقادة المخلصين المتقين الذين عملوا الصالحات وفقوا المشركين وشهدوا ذلك اللبس
فرحمهم بعضهم بعضا وهذا معنى ما قال الطيبي هو بناء التي اتم على نفسه وكلهم ممن سعى اليهود
لا امروا قريشا بالسؤال عن اصحاب الكهف وذي القرنين بعثا الاصحاب عيشي فوتي واماهم
فيعتقدون انهم الى بعد وان مثالى ويكون الناس في اوائل على دين واحد يعتقدونها لوحدة
التوحيد الاتي بيانه وذكر على وجه مستلزم في الترجمة للعاقل وقدرته على البعث
وبدائها فقصة موسى خرق له العادة في الولد للخضر وجه مبين انه لا احتاجه الا فاق جلسا او معه
ميزان خلفه فيما تعسر عليه فعلا او تعذر وكان تقريع قصته اولى لاجل التبكيت بعلم طلبا مزيد
العلم وقتل ابنه يحيى عليهما السلام واشارة الحال العمل الصالح الموسوس على التوحيد فيما من
لاجابة الدعاء وان كان فيه خرق العادة وتثنية بامر من نسبوه اليه وافتروه عليه وعتقدوا انه
على وجه معرب عن شانه غاية الاعراب مبين فيه وجه الصواب متمما لتبكيت اليهود للامر
البعث بالسؤال بالاشارة الى قصة زكريا ويحيى عليهما السلام والدعاء عليها المسيح الذي
بالتوراة وهم لا يستطيعون ان يدعوه انهم اخص الناس به وقد فرق امره وحاشاها دالاندار
على البعث في اخر التوراة في اخر السفر الاول ان يعقوب عليه السلام اخبر بوفاته وقال
لبنيه اجتمعوا الى فانبئكم ما هو كائن لكم من امركم في اخر الايام اجتمعوا واسمعوا ابا بني
يعقوب انصتوا الاسرائيل ابيكم ... دالكم تعترف اخوتك ...

اليه بما بين الفاتحة والانعام التي هي سورة الايجاد الاول من السور الاربع واشير الى بقية العمر
وهو زمان التكليف بما بين الانعام وهذه السورة من السور التي ذكر فيها مصارع الاولين واخبار
الماضين تحذيرا من مثل احوالهم لمن نسج على منوالهم واشير الى مهلة البرزخ الذي يكون بانقطاع
العلائق باجتماع الخلايق لاجل التجلي في رداء العظمة والكشف البليغ عن نفوذ الكلمة والتجلي بالحكم
باستقرار الفريقين في دار النعيم او غار الجحيم ذاكرا فيها بين هذه وبين سبحان من امر البعث كثرة
بينت فيما مضى حتى صدر بعضها به وبناها عليه كسورتي الانبياء اقترب للناس حسابهم والحج ان
زلزلة الساعة شيء عظيم ولما لم يكن بين البعث وما بعده مهلة لشيء من ذلك عقب سورة
الايجاد الثاني بسورة الابقاء الثاني من غير فاصل ولا حاجز ولا حايل والله اعلم ولما وصف
الكتاب بما له من العظمة في جميع ما مضى من اوصافه من الحكمة والاحكام والتفصيل والبيان
والحقية والاخراج من الظلمات الى النور والجمع لكل معنى والتبيان لكل شيء اتبعه ذكر فايدته فقال
لينذر باسا شديدا كاينا من لدنه لمن خالف امره من عذاب الدنيا والاخرة كوقعة بدر وغيرها ويبشر
المؤمنين اي الراسخين في هذا الوصف الذين يعملون الصالحات وهي ما امر به خالصا له ان لهم
اجرا حسنا حال كونهم ماكثين فيه ابدا بلا انقطاع اصلا فجمعت هاتان الايتان جميع معاني
الكتاب فانه لا يكون كذلك الا وقد جمع ايضا جميع شرايع الدين وامر المعاش وامر المعاد وما
يغنيهم فعله او تركه او اعتقاده وما يتبع ذلك وذلك هو القيم اي المستقيم في نفسه المقيم
لغيره ولما كان الغالب على الانسان المخالفة للاوامر لما جبل عليه من النقايص كان الانذار اهم
فاعاده ذاكرا فيه بعض المتعلق المحذوف من الاية التي قبلها تبكيتا لليهود المضلين لهؤلاء
العرب ولمن قال بمقالتهم فقال وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا وهم بعض اليهود والنصارى
والعرب ثم استانف معللا في جواب من كانه قال ما لهم خصوا بهذا الوعيد الشديد فقال ما
لهم به من علم اصلا ولا لابائهم الذين هم يخبطون بتقليدهم تنبيها على انه لا يحل لاحد
ان يقول على الله ما لا علم له به ولا سيما في اصول الدين ثم هول امر ذلك بقوله كبرت كلمة
اي كلمتهم هذه كلمة تخرج من افواههم اي لم يكفهم خطورها في نفوسهم وترددها في صدورهم
وتفكرهم فيها حتى تكلموا بها ثم بين انه كلام لا علم لهم بذلك لا علم لاحد به اصلا لانه لا وجود له ان يقولون
الا كذبا اي قولا لا حقيقة له بوجه من الوجوه وقال ابن الزبير في برهانه من الثابت المشهور
ارسال قريش الى يهود بالمدينة يسألونهم عن امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجابت يهود بسؤاله عن
ثلاث فان اجابكم فهو نبي وان عجز فالرجل متقول فروا فيه رايكم وهي الروح وفتية
ذهبوا في الدهر وهم اهل الكهف وعن رجل طواف بلغ مشارق الارض ومغاربها فانزل الله سبحانه عليه
جواب السؤال في سورة الاسراء ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي الاية واستفتح تعالى
... وذكر قصة ... الكهف ... وما انزل بقريش وكفار العرب من الباس يوم بدر وعام الفتح
... وما منحهم الله من النعيم الدائم وانذار المعتدين القائلين بالولد من النصارى
... في قولهم ان يقولون الا كذبا وتسلية نبي الله صلى الله عليه وسلم في امر جميعه فلعلك

باخع نفسك لا يهمو النحت لا ي اعظم التمام واحسن التيام الي ذكر ما سال عنه الكفار من امر
الفتية ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من اياتنا عجبا ثم تستطيق الاي قصتهم والبحث
امرهم والمتصوف خبرهم ثم ذكر سبحانه امر ذي القرنين وطوافه وانتهى امره فقال ويسلونك
عن ذي القرنين الايات وقد فصلت بين القصتين مواعظ وايات مستجدة على اتم ارتباط
واجل اتساق ومن جملتها قصة الرجلين وجنتي احدهما وحسن الجنتين وما بينهما وكفر صاحبهما
واغتراره وهما من بني اسرايل ولهما قصة وقد افصحت هذه الاي منها باغترار احدهما بما لديه
وركونه الى توهم البقا وتعويل صاحبه على ما عند ربه ورجوعه اليه والتهاما امر بعد المحاورة
الواقعة في الايات بينهما الي ازالة ما تخيل المفتون بقاه ورجع ذلك كان لم يكن ولم يبق بيده الا
الندم ولا صح له من جنتيه بعد عظيم تلك البهجة سوى التلاشي والعدم وهذه حال من ركن الى
ما سوى المالك ومن كل شي لا وجهه سبحنه وتعالى فان وقال انما الحيوة الدنيا لعب ولهو فغروا
الى الله ثم اعقب ذلك بضرب مثل الحيوة الدنيا لمن اعتبر واستبصر واعقب تلك الايات بقصة
موسى والخضر عليهما الصلاة والسلام الى تمامها وفي كل ذلك من تاديب بني اسرايل وتقريعهم وتوبيخ
مرتكبهم في توقفهم عن الايمان وتعنيفهم في توهمهم عند فتواهم لكفار قريش بسواله عليه الصلاة
والسلام عن القصص الثلاث ان قد حازوا العلم وانفردوا بالوقوف على ما لا يعلمه غيرهم لجا جواب
قريش بما يرغم الجميع ويقطع دابرهم وفي ذكر قصة موسى والخضر اشارة لهم لو عقلوا وتحريك
لمن سبقت له منهم السعادة وتنبيه لكل موفق في تسليم الاحاطة لمن هو العليم الخبير وبعد
تقريعهم وتوبيخهم بما اشير اليه عاد الكلام الى بقية سوالهم فقال ويسلونك عن ذي القرنين
الى اخر القصة وليس بسط هذه القصص من مقصودنا وقد حصل ما اردناه ولم يبق الا السوال
عن وجه انفصال جوابهم ووقوعه في السورتين مع ان السوال واحد وهذا ليس من شرطنا
فلننسأ بحول الله الى موضعه ان قدر به انتهى ولما كان صلى الله عليه وسلم شديد الحرص على ايمانهم
شفقة عليهم وغيرة على المقام الالهي الذي ملي قلبه تعظيما له خفض عليه سبحنه بقوله فلعلك باخع
اي فتسبب عن توليهم هذا المباين جدا لما تريد لهم الموجب لاعراضهم عنك انك تشغلوا انت اوعق
براك على تلك الحالة من اتباعك من ان تكون باخعا اي قاتلا نفسك من شدة الوجد على اثارهم
حين تولوا عن اجابتك ان لم يومنوا بهذا الحديث العظيم اسفا منك على ذلك ولا اسف اشد
ثم بين علة ارشاده الى الاعراض عنهم بغير التبليغ بانهم لم يخرجوا عن مراده سبحنه فقال
لا تعقد لكن لانا جعلنا ما على الارض من الحيوان والمعدن والنبات زينة لها بان جعلناه
والبحابة النفوس لنبلوهم اي نعاملهم معاملة المختبر ايهم احسن عملا فيصير ما
ظاهرا بالفعل تقام به عليهم الحجة على ما يتعارفونه بينهم بان من اظهر موافقة الامر
جاز المثوبة ومن اجترا على مخالفة الامر بما ابتغاه منها استحق العقوبة ولما كا
الحقيقة الحيوة الدنيا من اللهو واللعب ظاهرا لموافقته لما طبعت عليه النفوس
يحتج الى التنبيه عليه باكثر من لفظ الزينة ولما كان دعا وها الى الزهد فيها ولا

3

والاستدلال بها على تمام علم صانعها وشمول قدرته على اعادة الخلايق كما ابتداهم وغير ذلك خفيا
لكونه مستورا عن العقول بهوى النفوس نبه عليه بقوله وانا لجاعلون ما عليها اي بما لنا من العظمة
صعيدا اي ترابا بان نهلك جميع تلك الزينة بازالة اخضرارها فيبطل فيزول الماء من استيلا
التراب عليها ثم نسلط عليها الشمس والرياح فيرد ها بذلك الى اصلها ترابا جرزا اي بائرا
لا ينبت شيا بطبعه ولما كان من المشاهد اعادة النبات باذن الله بانزال الماء عليه الى صورة
النباتية التي هي الدليل على احيا الموتى مرة بعد مرة ما دامت كالامر موجودة على هذه الصورة طوى
ذكر ذلك سترا لهذا البرهان المنير عن الاغبيا المشغولين بالظواهر على منه بحثه بطهر به لاولي
البصاير ولما كان هذا من العجايب التي تتضال عندها العجايب والغرايب التي تخضع لديها الغرايب
وان صارت مالوفة بكثرة التكرار والتجلي على الابصار هذا الطالة من الايات التي تزيد على العد
ولا تحصى بحد من خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار وتسخير الشمس والقمر والكواكب
وغير ذلك حقر اية الكهف وان كانت من اعجب العجب لاضمحلالها في جنب ذلك لان الشي
اذا كان كذلك كثر الفه فلم يعد عجبا فنبه على ذلك بقوله ام حسبت اي اعلمت ان هذا وغيره
من عجايب قدرتنا ام حسبت ان اصحاب الكهف اي الغار الواسع المنقور في الجبل كالبيت
والرقيم اي القرية او الجبل كانوا هم فقط من اياتنا عجبا والواقع انهم وان كانوا من العجايب
ليسوا بعجب بالنسبة الى كثرة اياتنا بالنسبة الى هذا العجب النباتي الذي اعرضتم عنه بالفكر
له من كثرة تكرره فيكم فانه سبحنه اخرج نبات الارض على تباين اجناسه واختلاف الوانه وانواعه
وتضاد طبايعه من مادة واحدة تهتز بالتنوع تبهج الناظرين وترزق المتاملين ثم يوقفه ثم
يرده باليبس والتفرق الى التراب فيختلط به حتى لا تميز عن بقية التراب ثم يرسل الماء فيختلط
بمحتى بالتراب فيخرج اخضر بانعا يهتز بالنمو على احسن ما كان وهكذا كل سنة فلا شك
اعجب حالا ممن حفظت اجسامهم مدة عن التغير ثم ردت ارواحهم فيها وقد كان في سالف الدهر
يعتر بعض الناس اكثر من مقدار ما لبثوا وهذا الكهف قيل هو في جبال مدينة طرطوس وهو المشهور
وقال ابو حيان قيل هو في الروم وقيل هو في الشام وقيل في الاندلس قال وفي جهة غرناطة
بقرب قرية لوشة كهف فيه موتى ومعهم كلب رمة واكثرهم قد انجرد لحمه وبعضهم متماسك
وقد مضت القرون ولم نجد من عرف شانهم ويزعم ناس انهم اهل الكهف ونقل عن ابن عطية قال
دخلت اليهم سنة اربع وخمسماية فرايتهم بهذه الحالة عليهم مسجد وقريب منهم بناء رومي
يسمى الرقيم وهو في فلاة من الارض وباعلى حضرة غرناطة مما يلي القبلة اثار مدينة قديمة يقال
لها مدينة دقيوس ونقل ابو حيان عن ابيه انه حين كان بالاندلس كان الناس يزورون
هذا الكهف ويذكرون انهم يغلطون في عددهم اذا عدوهم وان معهم كلبا قال واما ما
ذكر من مدينة دقيوس التي بقبلي غرناطة فقد مررت عليها مرارا لا تحصى قال ويترجح
ان اصحاب الكهف بالاندلس انتهى ملخصا قلت وفيه نظر والذي يرجح المشهور ما نقل
البغوي وغيره عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال غزونا مع معوية بحر الروم فمررنا بالكهف

الذي فيه اصحاب الكهف فإن معويه لم يصل الى بلاد الاندلس والله اعلم ولما صغّر امرهم
بالنسبة الى جليل اياته وعظيم بيّناته وغريب مصنوعاته لخص قصتهم التي عدّوها عجبا وتركوا
الاستبصار على وحدانية الواحد القهار بما هو العجب العجيب والنبأ الغريب فقال اذ اوى اي
اي كانوا على هذه الصفة حين اووا ولكنه ابرز الضمير لبيان انهم شبان ليسوا بكثيري العدد
وليست لهم اسنان استفادوا بها من التجارب والتعلم ما اهتدوا اليه من الدين والدنيا ولا
كثرة حفظوا بها ممن يودّ بهم ايقاظا ورقودا فقال الفتية وهم اصحاب الكهف المسؤول عنهم
والشبان اقبل للحق واهدى للسبيل من الشيوخ الى الكهف المقارب لقريتهم فرارا بدينهم
كما اويت انت والصديق الى غار ثور فرارا بدينكما فقالوا عقب استقرارهم فيه ربنا اتنا
ولما كانت الموجودات كما مضى عن الحرالّي في ال عمران على ثلاث رتب جليّات جارية على
قوانين العادات وعليّات خارقة للمطّردات وخفيّات مستغربة في الامور الخارقات طلبوا
اعلاها فقالوا من لدنك اي من مستبطن الامور التي عندك ومستغربها رحمة وهيّئ لنا من امرنا
رشدا لا جرم صارت قصتهم على حسب ما اجابهم ربهم بديعة الشان فريدة في الزمان يتحدّث بها
في سائر البلدان في كل حين واوان ولما اجابهم سبحانه عبّر عن ذلك بقوله فضربنا اي عقب
هذا القول وبسببه على اذانهم اي سددناها وامسكناها عن السمع وكان اصله ضربنا
عليها حجابا بنوم ثقيل في الكهف اي المعهود سنين عددا متكاثرة ثم بعثناهم انبهناهم
من ذلك النوم لنعلم على مشاهدة الغير كما كنا نعلم غيبا اي الحزبين هم او من عثر عليهم
من اهل زمانهم احصى لما لبثوا امدا اي وقع احصاؤه لمدة لبثهم ولما كان الحزبان
معاهم ومن خالفهم متنازعين في الجهل بحسابه وكان اليهود الذين امروا قريشا
بالسؤال عن امرهم متشككين في الدين لا يعلمون امرهم على الحقيقة نبّه على ذلك بقوله
جوابا لمن كانه قال ايهما احصاه نحن نقص عليك اي تقال ولما اخبر سبحانه عن
مسئلة قريش الثانية وهي قصة اهل الكهف مجملا لها بعض الاجمال بعد اجمال الجواب عن
المسئلة الاولى وهي الروح كان السامع جديرا بان تستشرف نفسه الى بيان الامر من ذلك
فيضيق صدره خشية الاقتصار على ما وقع من ذلك من الاخبار فقال جوابا لمن كانه قال
أكذلك لا يعاد نحن نقص عليك على وجه التفصيل نبأهم بالحق وليس احد غيرنا يقصه
ملتبسا بالحق لا زيادة ولا نقص فكانه قيل ما كان نبأهم فقال انهم فتية اي شبان امنوا
بربهم المحسن اليهم الناظر في مصالحهم الذي تفرّد بخلقهم ورزقهم وهداهم بما وهب لهم من
اصل الفطرة من العقول الجليلة النافعة ولما دل على الاحسان باسم الرب وكان من فعله
معهم ما لا يخفى التفت الى مقام العظمة فقال وزدناهم بعد ان امنوا هدى بما قذفنا في
قلوبهم من المعارف وشرحنا له صدورهم من المواهب التي حملتهم على ارتكاب المصاعب ولا
والزهد في الدنيا والانقطاع اليه وربطنا على قلوبهم فصار ما فيها من القوى مجتمعا غير مبدّد
فكانت حالهم في الجلوة كحالهم في الخلوة اذ قاموا في ذلك الجيل الكافرين بين يدي طاغيتهم

من الناس

دقيانوس فقالوا مخالفين لهم ربنا الذي يستحق ان نفرده بالعبادة لتفرده بتدبيرنا هو
رب السموات والارض اي لم نتخذ غيره لن ندعوا من دونه الها بعد ان ثبت عجز كل من سواه ولو
لقد قلنا اذن اي اذا دعونا من دونه غيره شططا اي قولا ذا بُعد عن الحق جدا ثم شرعوا يستدلون
على كونه شططا بانه لا دليل عليه ويجوز ان يكون من مقالهم لولا ذلك عرض لهم الشيطان بشبهة التقليد
فقالوا مجيبين عنها هؤلاء قومنا اي الذين كانوا اسنّ منا واجلّ في الدنيا اتخذوا من دونه الهة
اشركوهم معه لشبهة واهية استغواهم بها الشيطان ثم استانفوا على طريق التخصيص
ما ينبه على انهم من حين عبادتهم والى الان لم يأتوا على ذلك بدليل فقالوا لولا اي هلا يأتون
عليهم بسلطان اي دليل بيّن مثل ما اتينا نحن على تفرد معبودنا بالادلة الظاهرة
والبراهين الباهرة فان مثل هذا الامر لا يقنع فيه بدون ذلك وقد جمعنا الادلة كلها في الاستدلال
على تفرد الله باستحقاقه للعبادة بانه تفرد بخلق الوجود فتسبب عن عجزهم عن دليل انهم اظلم
الظالمين فتجاهلهم الكذب على ملك الملوك ومالك الملك فلذلك قالوا فمن اظلم ممن افترى اي تعمد
على الله كذبا ولما استدلوا على معتقدهم وعلموا سفه من خالفهم وهم قوم لا يتذاكرون لهم عقابا ومنهم
ملكهم وقلتهم تسبب عن ذكرهم حجتهم بعثهم بصلح لهم دينهم فقالوا اومن شاء الله منهم واذ اعتزلتموهم اي
قومكم وما اي واعتزلتم ما يعبدون الا الله وهذا دليل على انهم انما كانوا يشركون ويجوز ان يكونوا
سموا الانقياد ذكرها للمشيئة والخضوع بزعمهم قضيته عبادة فاووا وانضدوا الفعل العامل في اذ
الى الكهف اي الغار الذي في الجبل ينشر لكم ربكم الذي لم يزل يحسن اليكم من رحمته ما يكفيكم
به المهم من امركم ويهيئ لكم من امركم الذي من شانه ان يهمكم مرفقا ترتفقون به وهذا الجزم
من اثار الربط على قلوبهم بما علموا من قدرته على كل شيء وحمايته من لاذ به ولجأ اليه وعبده وتوكل
عليه ففعلوا ذلك ففعل الله ما رجوه فيه فجعل لهم احسن مرفق بان انامهم ثم اقامهم بعد مضي قرون
ومرور دهور وهدى بهم الجبل الذي اقامهم فيه وترى لو رايت كهفهم الشمس اذا طلعت تزاور
اي تمايل عن كهفهم بتقلص شعاعها بارتفاعها ذات اليمين اذا انت مستقبل القبلة وانت
متوجه اليه فيصيبهم من حرها ما يمنع عنهم التعفن ويمنع سقف الكهف شدة الحرارة المفسدة في
بقية النهار واذا غربت تقرضهم اي تعدل في مسيرها عنهم ذات الشمال كذلك ليلا تضرهم شدة
الحرارة ويصيبهم من نافعها مثل ما كان عند الطلوع فتحرر بذلك ان باب الغار مقابل لبنات
نعش وان الجبل الذي هم فيه شمالي مكة ومادة قرض وليس لها الا هذا التركيب تدور على
القطع ويلزمه الميل عن الشيء والعدول والازورار عنه قرضت الشيء بالفتح اقرضه بالكسر قطعته
بالمقراض او بغيره لانك اذا وصلته اليه فقد جاذيته فاذا قطعته تجاوزته فانحرفت عنه
والقرض قول الشعر خاصة لانه شيء من الكلام يشبهه فهو مقطوع منه مائل عنه خصوصه
من الميزان وهل مررت بمكان كذا فتقول قرضته ذات اليمين ليلا اي كان عن يميني والقرض
ما تعطيه من المال لتقضاه لانك قطعته من مالك والقرض بالكسر لغة فيه عن الكسائي ولـ
والقرض ما سلف من احسان او اساءة على التشبيه والتقريض المدح والذم لانه تمييز المتكلم فيه

تميزا ظاهرا وهما يتقارضان كذا اي ان كلا منهما مقرض لصاحبه وموف له على ما اقرضه والمقارضة
المضاربة لان صاحب المال قطع من ماله والعامل قطع من عمله حصة لهذا المال وقرض فلان
الرباط اذا مات لانه اذا انقطعت حياته انقطع كل رباط له في الدنيا وجا فلان وقد قرض
رباطه اذا جا مجهودا قد اشرف على الموت كانه اطلق عليه ذلك للمقاربة والمقارضة المشاتمة
لقطعها العرض وما بين المتشاتمين ولا قتراض الاغتياب من ذلك ومن القرض ايضا لان من
اغتاب اغتيب وقرض بالكسر اذا زال من شي الى شي لانه يوصل الثاني قطع الاول وقرض اذا
مات والمقارض الزرع القليل اما للازالة على الضد من الكثير او تشبيها بمواضع لا تتقال البئر القليلة
الماء فان المقارض ايضا المواضع التي تحتاج المستقي الى ان يقرض منها الماء اي يغرف اي يرحل
الدلو في البير فيملاها لقلة الماء لانها مواضع قطع الما برفعه عن البير والمقارض ايضا الجرار
الكبار كانها لكبرها وقطعها كثيرا من الماء التي قطعت دون الصغار وما عليه قرارض اي ما يقرض
عنه العيون فيستره لتعدل عنه العيون لعدم نفوذها الى جلده والقرض في السير هو ان تعدل
عن الشي في مسيرك فاذا عدلت عنه فقد قرضته والمصدر القرض واصله من القطع وابن قريض
كمنبر دويبة تقتل الحمام كانها سميت لقطعها حياة الحمام وقرض البعير جرته مضغها فهي قريض لتقطيعها
بالمضغ ولقطعها من بطنه بردها الى حنكه للمضغ ولما بين تعالى انه حفظهم من حر الشمس
بين انه انعشهم بروح الهوا والطفهم بسعة الموضع في فضا الغار فقال وهم في فجوة منه
اي في وسط الكهف ومتسعه لها ولما شرح هذا الامر الغريب والنبا العجيب وصل به
نتيجته فقال ذلك اي المذكور من هدايتهم وما دبروا لانفسهم وما دبر لهم من هذا الغار المستقبل
للنسيم الطيب المصون عن كل موذ وما حقق به رجاهم مما لا يقدر عليه سواه من ايات الله
وان كان اذا قيس الى هذا القران القيم وغيره مما خصت به هذه الامة كان يسيرا ولما
كان انفرادهم بالهدى عن اهل ذلك القرن كلهم عجبا وصل به ما اذا تومل زال العجب فقال
من يهد الله بخلق الهداية في قلبه للنظر في اياته التي لا تعد والانتفاع بها فهو المهتدي
في اي زمان كان ومن يضلل فلن تجد له اصلا من دونه وليا مرشدا فحاله يرى الايات بعينه
ويسمعها باذنه ويحسها بجميع حواسه ولا يعلم انها ايات فضلا عن ان يتعبر بها ويغتنم بها
ولما انبه سبحانه هذا التنبيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتحذيرا ان تبخع نفسه عطف
على ما مضى بقية امرهم فقال وتحسبهم ايقاظا لانفتاح اعينهم للهوا ليكون ابقى لها ولكثرة
حركاتهم وهم رقود ونقلبهم في حال نومهم تقليبا كثيرا بحسب ما ينفعهم كما يكون للنايم
ذات اليمين منهم وذات الشمال لينال روح النسيم جميع ابدانهم ولا يتاثر ما يلي الارض منها
بطول المكث وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد اي باب الكهف كما هي عادة الكلاب وذكر
هذا الكلب على طول الابد من ثمرة بركة صحبة الاخيار ولما كان هذا مشوقا الى رويتهم
وصل به ما يكف عنه بقوله لو اطلعت عليهم وهم على تلك الحالة لوليت منهم فرارا حال
وقوع بصرك عليهم ولملئت منهم رعبا لما البسهم الله من الهيبة وجعل لهم من الجلالة تدبيرا

منها اراد منهم وكذلك اي فعلنا بهم هذا من اياتنا ومثل ما فعلناه بهم بعثناهم ليتساءلوا بينهم
اي عن احوالهم في نومهم ويقظتهم ليعلم انه لا علم لاحد غيرنا ولا قدرة لاحد سوانا وان قدرتنا
تامة وعلمنا شامل فليتخذوا ذلك من انكر قدرتنا على البعث وسال اليهود العرب البغضا
عن نبيه القريب الحبيب الذي اتاهم بالايات واراهم البينات فان كانوا ينتصحون اليهود
فليسالوهم عما قصصنا من هذه القصة فان اعترفوا به لزمهم جميعا الايمان والرجوع عن
الغي والعدوان وان لم يومنوا علم قطعا انه لا يومن الا من اردنا هدايته بالايات البينات
كاهل الكهف وغيرهم لا بانزال الايات المقترحات ولما كان المقام مقتضيا لان يقال
ما كان تساولهم اجيب بقوله قال قائل منهم كم لبثتم نايمين من ليلة او يوم ثم وصل به في
ذلك الاسلوب ايضا قوله قالوا لبثنا يوما او بعض يوم كما تظنون انتم عند قيامكم من القبور
ان لبثتم الا قليلا لانه لا فرق بين صديق وزنديق في الجهل بما غيبه الله فكانه قيل على اي شي
استقر امرهم في ذلك فاجيب بانهم ردوا الامر الى الله بقوله قالوا اي قال بعضهم وواقق به
الباقون لما عندهم من التحابب في الله والتوافق فيه فهم في الحقيقة اخوان الصفا وخلان
الالفة والوفا ربكم المحسن اليكم اعلم بما لبثتم فابعثوا اي فتسبب عن اسناد العلم الى العلم ان
يقال اتركوا الخوض في هذا واشتغلوا بما ينفعكم ان ابعثوا احدكم بورقكم اي فضتكم هذه الى المدينة
التي خرجتم منها وهي طرسوس فلينظر ايها ازكى اي اظهر طعاما فليأتكم برزق منه لنا كل
وليتلطف في التخفي بامره حتى لا يتفطنوا له ولا يشعرن هذا المبعوث منكم في هذا الامر
بكم احدا ان فطنوا له فتنصوا عليه وما دة ورق بجميع تراكيبها الخمسة عشر قد تقدم في
سورة سبحان وغيرها انها تدور على الجمع فالورق مثلثة وككتف وجبل الدراهم المضروبة تشبيها
بالورق في الشكل وفي الجمال وبها جمع حال الانسان والوراق الكثير الدراهم وهو ايضا
موري الكتب وحرفته الوراقة وما زلت منك موارقا اي قريبا مدانيا اي كالذي يساجلك
في قطاف الورق من شجرة واحدة فهو يا خذ من ناحية وانت من اخرى والمداناة اول الجمع
والورق محركة جمال الدنيا وبهجتها لانها تجمع الوانا وانواعا ولعل منه الورقة قال في مختصر
العين انها سواد في غبرة كحمامة ورقا اي منه وفي القاموس والاورق من الابل ما في لونه بياض
الى سواد ورأى رجل الغول على جمل اورق من الابل ما في لونه بياض فقال جاء بام الربيق على
اريق اي بالداهية العظيمة صغر الاورق كسويد في اسود والاصل وريق فقلبت واوه همزة
والاورق ايضا الرماد وعام لا مطر فيه واللبن ثلثاه ما كل ذلك جامع للونين فاكثر والورق
محركة ايضا من الكتاب والشجر معروف لانك لا تكاد تجد واحدة منه على لون واحد ولانه
يجمع الواحدة منه الى الاخرى ويجمع معظم ما يحمله قال في مختصر العين والورق ادم رقاق منه ورق
المصحف والورق ايضا الخبط لانها لما كانت الابل تعلفه كان هو الورق لا غير والورق
الحي من كل حيوان لان الحيوة هي الجمال وبها جماع الاسود لان الورق دليل على حيوة الحي من الشجر
فهو من اطلاق اسم الدال على المدلول والورق ايضا ما استدار من الدم على الارض او ما سقط

من الجراحة لان الاستدارة اجمع الاشكال وهو تشبيه بورق الشجر في الشكل والورق المال من ابل ودراهم وغيرها لان جماع حياة الانسان وكمالها بذلك كما ان كمال حياة الشجر بالورق والرعي المال من الحيوان الورق والورق حسن القوم وجمالهم لانه يجمع امرهم ويجمع اليهم غيرهم والورق من القوم احداثهم او الضعاف من الفتيان تشبيه بالورق لانه لا يقيم غالبا اكثر من عام ولانه ضعيف في نفسه وضعيف النفع بالنسبة الى الثمر والورقة بجاء الخسيس والكريم ضد للنظر تارة الى كونه نافعا للرعي ودالا على الجود الحسن والى كونه غير مقصود بالذات اخرى او رجل ورق وامراة ورقة خسيسان اي لا ثمرة لها ومن ذلك اورق الصائد اذا لم فاخطا اي لم يقع على غير الورق اي لم تحصل له ثمرة بل وقع على شجرة غير مثمرة وكذا اورق القوم اخفقوا في حاجتهم اي رجعوا بلا ثمرة ومن ذلك ايضا اورقوا كثر لهم دراهمهم ضد هذا بالنظر الى ان الورق جمال الشجر وحياته والتجارة مورقة للمال مجلبة اي مكثرة ومنه قول القارئ من دبوانه هذا رجل مورق له دراهم المورق الذي لا شي له ضد وانه تارة يكون للايجاب والصيرورة نحو اغد البعير وتارة للسلب نحو اشكيته والايراق كتاب وقت خروج الورق من الشجر وشجرة ورقة ووريقة كثيرة الورق والوارقة الشجرة الخضراء الورق الحسنة والوراق كسحاب خضرة الارض من الحشيش وليس من الورق في شي وذلك ان تلك الخضرة لا تخلو عن لون اخر والورقة كعجة اول نبات النصي والصليان وهما نباتان افضل مراعي الابل لانها سبب جمع المال للرعي والرقة الارض التي يصيبها المطر في الصفرية اي اول الخريف او في القيظ فتنبت فتكون خضرا كان ذلك النبات يكون اقل خضرة من نبات الربيع ويكون اختلاطه بغيره من الالوان اكثر مما في الربيع وفي القوس ورقة بالفتح عيب والورقا الدنية من اجل ان الورق الخالي عن الثمر تقل الرغبة في شجره وهو دون المثمر ولان الورق مختلط اللون والاختلاط في كل شي عيب بالنسبة الى الخالص وتورقت الناقة اكلت الورق وقار الرجل يقور مشى على اطراف قدميه لئلا يسمع صوتهما لان فاعل ذلك جدير بالوصول الى ما اراد ما يجمع شمله ومنه قار الصيد ختله لان اهل الخداع اولى بالظفر ولا ترى الاسود فصلا تصاد الا رغبة عن احذرها وقار الشي قطعه من وسطه خرقا مستديرا كقوره لان الثوب يصير بذلك الخرق يجمع ما يراد منه والاستدارة اجمع الاشكال كما سلف والقوارة كثمامة ما قور من الثوب وغيره او يخص بالاديم وما قطعت من جوانب الشي والشي الذي قطع من جوانبه ضد وهو من تسمية موضع الشي باسمه والقارة الجبل الصغير الصلب المنقطع عن الجبال لشدة اجتماع اجزايه بالصلابة واجتماعه في نفسه بانقطاعه عن غيره مما لو خالطه لفرقه ولم يعرف حاله على ما هو والقارة الصخرة والعظيمة والارض ذات الحجارة السود لاجتماعها في نفسها بتميزها عن غيرها بتلك الحجارة ودار قوراء واسعة تشبيها بقوارة الثوب ولانها كلما اتسعت كانت اجمع والقارة الابل والقطيع الضخم منها والاقورار تشنج الجلد وانحنا الصلب هزالا وكبرا لان كلا من التشنج والانحنا اجتماع والاقورار الضمر لان الضامر اجتمعت اجزاوه

6

والاقورار التشنج ضد لان السمين جمع اللحم والشحم والاقورار ذهاب نبات الارض لانها تصير بذلك قورا فتصير اجدر بان تسع الجموع ويمكن ان يكون الاقورار كله من السلب لا ما اللين والقور التلق الحديث او ما زرع من عامه لانه يليس فيجمع البدن ولقيت منه الاقورين بكسر الراء والاقوريات اي الدواهي القاطعة تشبيها بما قور من الثوب فهي للسلب والقور كركع العين لان محلها يشبه القوارة والمقور كمعظم المطلي بالقطران لاجتماع اجزايه بذلك واقتار احتاج اي صار اهلا لان يجمع وتقور الليل تهور اي مضى من القطع وتقورت الحية تلفت اي تجمعت والقار شجر مر كانه الذي تطلى به السفن وهذا اقير من هذا اشد مرارة ولان المرارة تجمع اللهوات عند الذوق والقارة قبيلة لان ابن الشداخ اراد ان يفرقهم فقال شاعرهم دعونا قارة لا تجفلونا فنجفل مثل اجفال الظليم فسموا القارة بهذا وكانوا رماة وفي المثل قد انصف القارة من راماها والرقوة فويق الدعص من الرمل ويقال رقوة بلا هاء لانه مجتمع الكثير من الرمل والجمع من يطلب الاشراف على الاماكن البعيدة بالعلو عليه لترويح النفس ولتسهل الموقوف ولما نهوا رسولهم عن الاشعار بهم عللوا ذلك فقالوا انهم اي اهل المدينة ان يظهروا عليكم يرجموكم اي يقتلوكم ان استمسكتم بدينكم او يعيدوكم في ملتهم ان ايشركم ولن تفلحوا اذا اي اذا عدتم فيها ابدا اي فبعثوا احدهم فنظر الازكى وتلطف في الامر ولم يشعر بهم احدا من المخالفين وانما اشعر بهم الملك لما راه موافقا لهم في الدين لانه لم يبق النهي عنه وكذلك اي فعلنا بهم ذلك الامر الربط على قلوبهم والستر لاخبارهم والحماية من الظالمين والحفظ لاجسامهم على مر الزمان وتعاقب الحدثان ومثل ما فعلنا بهم ذلك اعثرنا اي اظهرنا اهل البلد عليهم ليعلموا اي اهل البلد بعد ان كان حصل لبعضهم شك في حشر الاجساد ان وعد الله بالبعث حق لان قيامهم بعد نومهم ثلاث مائة وتسع سنين مع خرق العادة بحفظ ابدانهم عن الفنا من غير اكل ولا شرب مثل قيام من مات بجسمه الذي كان سواء على ان مطلق النوم دال على ذلك كما قال بعض العارفين علمك باليقظة بعد النوم علم بالبعث بعد الموت والبرزخ واحد غير ان للروح بالجسم في النوم تعلق لا يكون بالموت وتستيقظ على ما نمت عليه كذلك تبعث على ما مت عليه وان اي وليعلموا ان الساعة لا ريب فيها مبينا انها ليست موضع ريب اصلا لما قام عليها من ادلة العقل المؤيد في كل عصر بقواطع النقل ثم بين ان هذا الاعثار اتاهم بعلم نافع حال تجاذب وتنازع فقال اذ اي ليعلموا ذلك الايقان ان يتنازعون اي اهل المدينة ولما كان التنازع في الغالب انما يكون بين الاجانب وكان تنازع هو لا مقصورا عليهم كان لاهم بيانه محله فقدمه فقال بينهم امرهم اي امر انفسهم في الحشر فقايل يقول تحشر الارواح مجرده وقايل باجسادها او امر الفتية فقايل يقول ناموا ... وناس يقولون لا ندري من امرهم غير ان الله اراد هذا بهم فقالوا اي فتسبب عن هذا الاعثار او التنازع ان قال اكثرهم ابنوا عليهم على كل حال بنيانا يحفظهم واتركوا التنازع فيهم ثم عللوا ذلك بقولهم ربهم اعلم بهم ان كانوا صالحين اولا واما انتم فلا طريق لكم الى علم ذلك ثم استانف على طريق الجواب لمن كانه قال ماذا فعلوا فقال قال الذين غلبوا على امرهم اي ظهروا

عليه وعلموا انهم اناس صالحون فروا بدينهم من الكفار ويجوز وهو احسن ان يكون الضمير لاهل
البلد او للغالبين عليهم اشارة الى ان الروسا منهم واهل القوة كانوا اصلحهم ايماء الى ان الله
تعالى اصلح بهم اهل ذلك الزمان لنتخذن عليهم ذلك البنيان الذي اتفقنا عليه مسجدا وهذا دليل
على انهم حين ظهروا عليهم وكلموهم اماتهم الله تعالى بعد ان علموا ان لهم مدة طويلة لا يعيش
مثلها احد في ذلك الزمان وقبل ان يستقصوا جميع امرهم ومن قصتهم ترغيب في الهجرة
ولما ذكر تعالى تنازع اوليك الذين هداهم الله بهذه الكرامة ضمة من علم قريشا ان تسئل
النبي صلى الله عليه وسلم عنهم في الفضول الذي ليس لهم اليه سبيل ولا يظفرون فيه بدليل
فقال سيقولون اي بعد اعترافهم بما قصصت عليك من نبأهم ثلثة اشخاص رابعهم
كلبهم ولا علم لهم بذلك ويقولون اي ويقولون ايضا خمسة سادسهم كلبهم ولما تغير
قولهم حسن جدا قوله رجما بالغيب اي بالامر الغايب عنهم الذي لا اطلاع لهم عليه بوجه ويقولون
ايضا دليلا على انه لا علم لهم بذلك سبعة وثامنهم كلبهم فلما ظهر كالشمس انه لا علم لهم بذلك كان
كانه قيل ماذا يقال لهم فقيل قل ربي اعلم بعدتهم التي لا زيادة فيها ولا نقص فكان كانه قيل قد فهم
من صيغة أعلم ان ثم من الخلق من يعلم امرهم فقيل ما يعلمهم الا قليل من الخلق فلا اي فتسبب
عن ذلك ان نقول لك على سبيل البت الداخل تحت النهي عن قفو ما ليس لك به علم لا تمار فيهم
احدا ممن يتكلم بغير ما اخبرتك به الا مراء ظاهرا اذ لنه ولا تفعل فعل من الرجم بالغيب
ولا تستفت فيهم اي اهل الكهف منهم اي من الذين يدعون العلم من شيء او غيرهم احدا ولما
كان نهيه عن استفتايهم موجبا لقصر همته على ربه سبحنه فكان من المعلوم انه اذا سئل
عن شيء التفتت نفسه الى تعرفه من قبله فربما قال لما يعلم من احاطة علم الله سبحنه وكرمه
لديه ساخبركم به غدا كما وقع من هذه القصص علمه الله ما يقول في كل امر مستقبل يعزم
عليه بقوله ولا تقولن لشيء اي لا شيئا جليلها وحقيرها عزمت على فعله عزما صادقا
من غير تردد وان كنت عند نفسك في غاية القدرة عليه اني فاعل ذلك الشيء غدا اي فيما
يستقبل الا قولا كاينا معه ان يشاء الله اي مقرونا بمشيئته سبحنه تعظيما لله ان يقطع شيء
دونه واعترافا بانه لا حول ولا قوة الا به ولما كان النسيان من شأن الانسان وهو غير
مواخذ به قال واذكر ربك اي المحسن اليك برفع المواخذة حال النسيان اذا نسيت الاستثناء
بالاستعانة والتوكل عليه وتفويض الامر كله اليه بان تقول ان شا الله ونحوها في اي وقت
تذكرت واخرج الطبراني في معجمه الاوسط في ترجمة محمد بن الحرث الجبيلي بضم
الجيم وفتح الموحدة عن ابن عباس رضي الله عنهما ان هذا خاص برسول الله صلى الله عليه وسلم
وليس لاحد منا ان يستثني الا بصلة اليمين ثم عطف على ما افهمه الكلام وهو فقل اذا نسيت
اني فاعل ذلك غدا ان شا الله ونحو ذلك من التعليق بالمشية المؤذن بانه لا حول ولا قوة الا بالله
ولا مشية لاحد معه قوله وقل عسى ان يهدين ربي لاقرب المحسن الي لاقرب اي الاشد قربا
من هذا اي الذي عزمت على فعله ونسيت الاستثناء فيه فقضاه الله ولم يواخذني او فاتني

بذلك الوصف بالاحسان فكانه قيل فما لهم فقال اوليك العالو الرتبة لهم جنات عدن
اي اقامة فكانه قيل ما لهم فيها فقيل تجري من تحتهم اي تحت منازلهم الانهار فكانه
قيل ثم ماذا فقيل يحلون فيها من اساور جمع اسورة جمع سوار من ذهب اي ذهب
ويلبسون ثيابا خضرا ثم وصفها بقوله من سندس وهو مارق من الديباج واستبرق وهو
ما غلظ منه ثم استانف الوصف عن حال جلوسهم فيها فقال متكئين فيها على الارائك
اي الاسرة ثم مدح هذا فقال نعم الثواب اي هو ولو لم يكن لها وصف غير ما سمعتم فكيف ولها
من الاوصاف ما لا يعلمه حق علمه الا الله تعالى والى ذلك اشار اليه بقوله وحسنت مرتفقا
ولما كان انما محط حال المشركين العاجل وكان قد تقدم قولهم او يكون لك جنة من
نخيل وعنب الاية وقوله انا جعلنا ما على الارض زينة لها الاية وقوله في حق فقرا المومنين الذين
تقدم ذكرهم ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا الاية واستنزال ان حشرهم بان جنات المومنين
عظيم حسنها من جهة الارتفاق عطف على قوله وقل الحق من ربكم واضرب لهم اي لهولاء
والمتجبرين الذين يستكبرون على المومنين ويطلبون طردهم لضعفهم وفقرهم مثلا لما اتاهم الله
من زينة الحيوة الدنيا فاعتمدوا عليه وركنوا اليه ولم يشكروا من اتاهم اياه عليه بل اداهم الى الافتخار
والتكبر على من زوى ذلك عنه اكراما له وصيانة عنه رجلين فكانه قيل ما مثلهما فقيل جعلنا
لاحدهما جنتين على اي وضع من الاوضاع كانتا ومن جملة الاوضاع ان تكون احديهما في
السهل والاخرى في الجبل لبعد عموم عاهة لهما لانها امان برد او حر من اعناب لانها من
اشجار البلاد الباردة وتصبر على الحر وحففناهما بنخل لانها من اشجار البلاد الحارة
وتصبر على البرد وجعلنا بينهما اي ارض الجنتين زرعا لتعم شمول الافة للكل لان زمان
الزرع ومكانه غير زمان اثمار الشجر المقدم ومكانه ولما كان الشجر قد يكون فاسدا
من جهة ارضه نفى ذلك بقوله جوابا لمن كانه قال ما حال ارضها النتيجة كلتا
الجنتين المذكورتين آتت اكلها كاملا غير منسوب شيء منها الى الرداءة وهو معنى ولم تظلم منه
شيئا ولما كان الشجر ربما اضر به دوامه قلة السقي قال وفجرنا خلالهما نهرا لتدوم طراوة
الارض وتستغني عن المطر عند القحط ثم زاد في مدحه هذا الرجل فبين ان له غيرها بين الجنتين
والزرع بقوله وكان له اي صاحب الجنتين ثمر اي مال مثمر غير ما تقدم كثير فقال لصاحبه
وهو اي صاحب الجنان يحاوره اي يراجعه الكلام انا اكثر منك مالا لما ترى من جناني
وثماري واعز نفرا لان ذلك لازم لكثرة المال ودخل جنته وحده لارادة الجلس وهو ظالم
لنفسه بالاعتماد على ماله والاعراض عن ربه ثم استانف قوله قال ما اظن ان تبيد اي تهلك
هذه ابدا ثم زاد في الطغيان والبطر بقصر النظر على الحاضر فقال وما اظن الساعة قايمة
استلذاذا بما هو فيه واخلادا اليه واعتمادا عليه ولين رددت الى ربي المحسن الي في هذه
الدار في الساعة على تقدير قيامها الذي يستبعده فرضه اداة الشك لاجدن خيرا منها اي هذه الجنة
منقلبا لانه ما اعطاني ذلك الا باستحقاق وهو وهو شيء لا ينفك عني في الدارين فكانه قيل ان هذا

لئن عدا داليهم حيث قصر النظر على الجزئيات ولم يجوز ان يكون الحد التحويل استدراجا
فما قال له الاخر فقيل قال له صاحبه وهو ابي وذلك الصاحب يحاوره الفريق منكرا عليه
بالذي خلقك من تراب بخلق اصلك ثم من نطفة متولدة من غذائه اصلها تراب ثم سواك
بعد ان اولاك رجلا حيث تغيبت اعادته لم ابتدا خلقهم على هذا الوجه تكذيبا للرسل
واستقصارا للقدرة ولم يثبت لها في الاعادة ما ثبت لها بعملك في الابتدا ثم لم تجوزها
بعد القطع بالنفي الا على سبيل الغرض باداة الشك وهي من دعائم اصول الدين الذي لا
يقنع فيه الا بالقطع ولما انكر على صاحبه اخبر عن اعتقاده بما يضاد اعتقاد صاحبه
فقال لكنا هو الله ربي وحده لم يحسن الي خلقا ورزقا احد غيره هذا اعتقادي في الماضي
والحال ولا اشرك بربي المحسن الي في عبادتي احدا كما لم يشاركه في احسانه الي احد
فان الكل خلقه وعبيده ولا يكون العبد شريكا للرب ولما كان المومنون على طريق الانبيا
في ارادة الخير والارشاد الى سبل النجاة وعدم الحقد على احد بشر اسلفه وجهل قدمه
قال له مصرحا بالتعليم بعد ان لوح له بما ذكره عن نفسه مما يجب عليه ولولا اذ دخلت
جنتك فلنت مايدل على تفويضك الامر فيها وفي غيرها الى الله كما تقدم الارشاد اليه في اية
ولا تقولن لشيء تاركا للافتخار بها ومستحضرا لان الذي وهبكها قادر على سلبك اياها
ليعود ذلك الى التوحيد وعدم الشرك فلا تفرح بها ولا بغيرها مما يفنى لانه لا ينبغي
الفرح الا بما يومن عليه الزوال ما شاء الله كان لا ما تشاء انت ولا غيرك ثم علل ذلك بقوله لا قوة الا بالله
الا بالله ولما قدم ما يجب عليه في نفسه منبها به لصاحبه ثم ما يجب عليه من التصريح
بالارشاد في اسلوب مقرر ان الامر كله لله لا شيء لاحد غيره انتج قوله ان ترني انا المفتخر
بماله علي انا اقل منك مالا وولدا اي من جهة المال والولد الذي هو اعز نفرا الانسان فعسى
ربي المحسن الي ان يوتيني من خزاين رزقه خيرا من جنتك فيحسن الي بالغنى كما احسن الي
بالفقر المفتقر الى التوحيد المنتج للسعادة ويرسل عليها اي جنتك حسبانا اي مرامي من الصواعق
من السما فتصبح بعد كونها قرة للعين بما تهتز به من الاشجار والزروع صعيدا زلقا ارضا
ملسا باستيصال نباتها فلا ينبت فيها نبات ولا تثبت فيها قدم او يصبح ماوها غورا وصفا
بالمصدر لانه ابلغ فلن تستطيع انت له طلبا فاستجيب لهذا الرجل المومن واحيط بثمره
اي الرجل المشرك كله فاستوصل هلاكا كما في السهل منه وما في الجبال وما يصبر منه على البرد
والحر وما لا يصبر فاصبح يقلب كفيه ندما ويضرب احديهما على الاخرى تحسرا على ما انفق فيها
لعمارتها ونمايها وهي خاوية اي ساقطة على عروشها اي دعايمها التي كانت تحملها فسقطت على
الارض وسقطت هي فوقها ويقول تمنيا لرد ما فات لحيرته وذهول عقله ودهشته يا ليتني
لم اشرك بربي احدا كما قال له صاحبه فندم حيث لم ينفعه الندم على ما فرط في الماضي لاجل
ما فاته لا حرصا على الايمان لحصول الفوز في العقبى لقصور عقله ووقوفه مع المحسوسات
المشاهدات ولم تكن له فئة اي جماعة من نفره الذين اعتز بهم ولا من غيرهم ينصرونه

وقع فيه من دون الله اي بغير عون منه وما كان هو منتصرا بنفسه بل ليس الامر في ذلك
الا لله وحده ولما انتج هذا المثل قطعا انه لا امر لغير الله المرجو لنصر اوليايه بعد ذلهم
ولاغنايهم بعد فقرهم ولاذلال اعدايه بعد عزهم وكبرهم وافقارهم بعد اغنايهم
وجبرهم وان غيره انما هو كالخيال لا حقيقة له صرح بذلك في قوله هنالك اي في مثل هذه
الشدايد العظيمة الولاية اي النصرة على فراق الفتح والسلطان على الكسر لله الحق الثابت
الذي لا يحول يوما ولا يزول ولا يغفل ساعة ولا ينام تنبيها على ان فزعهم في مثل هذه الازمات
اليه دون غيره برهان قاطع على انه الحق وما سواه باطل وان الفخر بالعرض الزايل من اجهل
الجهل وان المومنين لا يغنيهم فقرهم ولا يسوغ طردهم لاجله وانه يوشك ان يعود فقرهم
غنى وضعفهم قوة ولما علم من ذلك انه اخذ بايدي عبيده الابرار وعلى ايدي عصاته
الاشرار قال هو خير ثوابا لمن اثابه وخير عقبا اي عاقبة لمن ثوابه لا وليايه خير ثواب وعقباه
خير عقبى ولما اتم المثل لدنياهم الخاصة بهم التي ابطرتهم فكانت سبب اشقايهم وهم يحسبون
انها عين اسعادهم ضرب لدار الدنيا العامة لجميع الناس فقال واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا في نموها
ونضرتها واختيالها للنفوس ببهجتها واستيلايها على الاهوا بزهرتها واخداعها لذوي الشهوات
بزينتها ثم اضمحلالها وسرعة زوالها افرح ما كانوا بها وارغب ما كانوا فيها مرة بعد اخرى
على مر الايام وكر الشهور وتوالي الاعوام وتعاقب الدهور بحيث نادت على نفسها بالتحذير منها والتنفير
عنها للعاقل اللبيب والكيس الفطن رغبة الى الباقي الذي يدوم سروره ويبقى نعيمه وحبوره
وذلك المثل كما انزلناه بعظمتنا واقتدارنا بعد تغيير الارض وجفاف ما فيها وزواله وتقلعه
كما تشاهدونه واستيصاله وقال من السما تنبيها على بليغ القدرة في امساكه في العلو وانزاله
في وقت الحاجة على الوجه النافع فاختلط اي فتعقب وتسبب عن انزاله انه اختلط به نبات
الارض في بطنها فيما سقاه بالتخمير والصنع الذي لا يقدر عليه سوانا حتى اخرجناه من الارض
اخضر يهتز على الوان مختلفة ومقادير متفاوتة ثم ايبسناه فاصبح هشيما مكسرا تذروه
اي تفرقه الرياح حتى يصير عاقليلا كانه بقدرة الله لم يكن وكان الله على كل شي من ذلك وغيره
انشا وافنا واعادة مقتدرا ازلا وابدا فلا تظنوا ان ما تشاهدونه من تلك رنقا ومن ذلك وبدا ولما
تبين بهذين المثلين وغيرهما ان الدنيا التي اوردت اهلها الموارد واحلتهم اودية المعاطب
سريعة الزوال وشيكة الارتحال مع كثرة الانكاد ودوام الاكدار من الكد والتعب والخوف
والنصب فهي جديرة لذلك بالزهد فيها والرغبة عنها قال تعالى المال والبنون وهما اجل
ما في هذه الدار من متاعها زينة الحيوة الدنيا التي لو عاش الانسان جميع ايامها لكان حقيقا له
لصيرورة ما هو فيه منها الى زوال بالاعراض عنها والبغض لها وانتم تعلمون ما في تحصيلها
من التعب وما لهما بعد الحصول من سرعة العطب والباقيات الصالحات التي رغبنا فيها بقولنا
لنبلوهم ايهم احسن عملا وما بعده خير ولما كان اهم ما الى من حصل النقا يسر لكفايته من
يحفظه له لوقت حاجته قال عند ربك الجليل المواهب العالي المراتب من المال والبنين في

العاجل والاجل ثوابا وخير املا لان ثوابها الى بقا واملها كل ساعة في تحقق وعلو وارتفاع
ولما كان الخزي والصغار اعظم شي ترهبه النفوس الكبار لاسيما اذا اعظم الجمع واشتد الامر
فكيف اذا انضم اليه الفقر فكيف اذا صاحبهما الجبر وكان يوم الحشر يوما تجمع فيه الخلايق
جميع الخلايق فهو باحقية المشهود وتظهر فيه العظمة فهو محل المرهوب عقب ذكر الجزاء
ذكره لانه اعظم يوم يظهر فيه فقال عاطفا على واضرب ويوم اي واذكر لهم يوم نسير الجبال
عن وجه الارض بعواصف القدرة كما يستثير نبات الارض بعد ان صار هشيما بالرياح فترى الجبال
تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب وترى الارض بكمالها بارزة لا غار فيها ولا صدع ولا جبل
ولا نبت ولا شجر ولا ظل والحال انا قد حشرناهم بتلك الصيحة الى الموقف الذي تنكشف
فيه المخبآت وتظهر الفضايح والمغيبات ويقع الحساب فيه على النقير والقطمير والنافذ
فيه البصر فينظرون ويسمعون زلازل الجبال عند زوالها وقعاقع الابنية والاشجار في هدها
وتباين اوصالها وفنايها بعد عظيم مرآها واضمحلالها فلم نغادر اي نترك منهم احدا
لانه لا ذهول ولا عجز وعرضوا على ربك المحسن اليك برفع اوليايك وخفض اعدايك
صفا لاتساع الارض والمسابقة الى دار العرض اذ لاشي واصغر واطوعه واحقر
يقال لهم تنبيها على مقام العظمة لقد جيتمونا احياء سويين حفاة عراة غرلا كما خلقناكم
اول مرة منعزلين من كل شي كنتم تجمعونه وتفاخرون به منقادين مذعنين فتقولون هذا
ما وعد الرحمن وصدق المرسلون فيقال لكم بل زعمتم اي ادعيتم جهلا بعظمتنا ان لن نجعل لكم
موعدا تجمعكم فيه هذا الجمع ووضع بعد العرض المستعقب للجمع الكتاب المضبوط فيه
دقايق الاعمال وجلايلها على وجه بين لا يخفى على قارى ولا يغيب شي منه فترى المجرمين
لتقدم عينك منهم لشانيهم لاجل بعدها مشفقين مما فيه من قبايح اعمالهم وسيي افعالهم
واقوالهم ويقولون يا ويلتنا كناية عن انه لا نديم لهم الا ذاك الا الهلاك ما لهذا الكتاب
على غير حال الكتب في الدنيا لا يغادر صغيرة من اعمالنا ولما كان لهم اثبات جميع الصغاير
بدا وابها وصرحوا بكبايرا وان كان اثبات الصغاير يفهمها تاكيدا لان المقام للتهويل وتعظيم
التفجع فقالوا ولا كبيرة الا احصاها ولما كان الاحصا قد لا يستلزم اطلاع صاحب
الكتاب عليه نفي ذلك بقوله ووجدوا ما عملوا حاضرا كتابة وجزا من غير ان يظلمهم سبحانه
او يظلم من ما دونهم فيه ولا يظلم ربك احدا منهم ولا من غيرهم في كتاب ولا عقاب ولا ثواب
بل يجازي الاعدا بما يستحقون تعذيبا لهم وتنعيما لاوليايه الذين عادوهم فيه للعدل
بينهم روى الامام احمد في المسند عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما انه سافر الى عبد الله بن
انيس رضي الله عنه مسيرة شهر فاستاذن عليه فخرج يطا ثوبه فاعتنقني واعتنقته
قلت حديث بلغني عنك انك سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم في القصاص فخشيت ان
تموت قبل ان اسمعه فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الله عز وجل الناس او قال
العباد حفاة عراة غرلا بهما قال ليس معهم شي ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعد

كما يسمعه من قرب انا الملك انا الديان لا ينبغي لاحد من اهل النار ان يدخل
النار وله عند احد من اهل الجنة حق ولا ينبغي لاحد من اهل الجنة ان يدخل الجنة وله عند احد
من اهل النار حق حتى اقصه منه حتى اللطمة قال قلنا كيف وانما ناتي الله حفاة عراة بهما
قال بالحسنات والسيات ولما ذكر البعث وختمه بالعدل المثمر اعطا كل احد ما يستحقه
اتبعه ابتدا الخلق الذي هو دليله في سياق مذكر بولايته الموجبة للاقبال عليه وعداوة
الشيطان الموجبة للادبار عنه منبها لما قابلوا به عدله فيهم وفي عدوهم من الظلم فقال
عاطفا على واضرب واذ اي واذكر لهم اذ قلنا للملايكة الذين هم اطوع شي لاوامرنا
وابليس فيهم قال ابن كثير وذلك انه كان قد توسم بافعال الملايكة وتشبه بهم وتعبد
وتنسك فلهذا دخل في خطابهم وعصى بالمخالفة اسجدوا لادم ابيهم تعظيما لما عليه يجب عليهم
شكرنا به فسجدوا كلهم الا ابليس فكانه قيل ماله لم يسجد فقيل كان اي لانه كان من الجن
المخلوقين من نار ولعل النار لما كانت نيرة وان كانت نورانيتها مشوبة بكدورة واحراق
عد من الملايكة لاجتماع العنصرين في مطلق النور مع ما كان غلب عليه من العبادة فقد
روى مسلم في صحيحه عن عايشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقت الملايكة
من نور وخلق الجان وفي رواية ابليس من مارج من نار وخلق ادم مما وصف لكم ولما
كان اكثر الجن مفسدا رجوعا الى الاصل الذي هو النار المحرقة لما لاصقها المفسدة له سبب
فسقه عن كونه منهم فقال ففسق اي خرج يقال فسقت الفارة من جحرها اذا خرجت منه
للعيث والفساد عن امر ربه اي ثار رايكم اذ تكبر عليه فطرده من اجلكم فلا تستنوا
به في الافتخار والتكبر على الضعفا ثم سبب عن هذا ما هو جدير بالانكار فقال افتتخذونه اي ابعتق
باستحقاره لكم فيطرده لاجلكم تتخذونه وذريته شركا لي اوليا لكم من دوني توالونه ولكم المنفصل
عليكم وهم لكم عدو ولما كان هذا الفعل اجدر شي بالذم وصل به قوله بيس للظالمين بدلا ابرز
هذا الضمير لتعليق الفعل بالوصف فقال للظالمين بدلا اذا استبدلوا ابن لبيس له شي من الامر وهم
لهم عدو بمن له الامر كله وهو لهم ولي ولما كان الشريك لا يستاثر بفعل امر عظيم في المشترك
فيه من غير علم الشريك قال معللا للذم على هذا الظلم بما يدل على حقارتهم عن هذه الرتبة ما اشهدتهم
اي ابليس وذريته خلق السموات والارض نوعا من انواع الاشهاد ولا خلق انفسهم اشارة الى انهم
مخلوقون وانه لا يصح في عقل عاقل ان يكون مخلوق شريكا لخالقه اصلا وما كنت متخذهم هكذا
الاصل ولكنه ابرز ارشادا الى ان المضل لا يستحق ذلك لانه مع عدم نفعه يضر فقال متخذ المضلين عضدا
اشارة الى انه لا يؤسف على فوات احد فان من علم الله فيه خيرا اسمعه ومن لم يسمعه فهو
مضل ليس اهلا لنصرة الدين ولما اقام البرهان القاطع على بعد رتبتهم عن المنزلة التي اجلوهم
بها من الشرك اتبعه التعريف بانهم مع عدم نفعهم لهم في الدنيا يتخلون عنهم في الاخرة
احوج ما يكونون اليهم تخييبا لظنهم انهم يقربونهم الى الله زلفى فقال عاطفا على اذ قلنا
ويوم اي واذكر يوم يقول الله لهم تهكما بهم نادوا شركاي الذين زعمتم انهم شركا فدعوهم

تماديا في الجهل والضلال فلم يستجيبوا لهم اي لم يطلبوا ويريدوا ان يجيبوهم اعراضا
عنهم استهانة بهم واشتغالا بانفسهم فضلا عن ان يعينوهم وجعلنا بينهم اي بين المشركين
والشركاء موبقا اي فاصلا حايلا بينهم مهلكا قويا عميقا ثابتا حفيظا لا ينفذ عنه منهم احد
واني فسر بعبد لك لانه مثل قوله تعالى فزيلنا بينهم اي بالقلوب اي جعلنا ما كان بينهم من
الوصلة عداوة ومثل قوله ربنا هؤلاء الذين اضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار هؤلاء الذين
كنا ندعوا من دونك ونحوه لان معنى ذلك كله انه يتبدل ما كان بينهم من الود في الدنيا والوصلة
ببغض وقطيعة كما قال تعالى حكاية ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا وان
كل فريق يطلب للاخر الهلاك فاقتضى ذلك اجتماع الكل فيه هذا ما يرشد اليه المعنى من ايات
الكتاب ونقل ابن كثير عن عبد الله بن عمرو انه قال هو واد عميق فرق به يوم القيمة بين اهل
الهدى واهل الضلالة وقال الحسن البصري عداوة واما اخذه من اللفظ فلان مادة
وبق يايية وواوية مهموزة وغير مهموزة ولها احد عشر تركيبا واحد يائي بقي وستة
واوية قبو قوب بقو بوق وقب وبق واربعة مهموزة قبأ بأق قأب باق ابق كلها تدور
على الجمع وخصوص تركيب وبق يدور على الحايل بين شيئين ويلزمه القوة والثبات
والحفظ والهلاك قوة او فعلا لان من حيل بينه وبين شي فقد هلك بفقد ذلك الشي
بالفعل ان كان الحايل موتا وبالقوة ان كان غيره يقال قبا الشي جمعه باصابعه والبناء
رفعه والزعفران جناه والقباء بالقصر نبت لانه سبب الاجتماع لرعيه والانتفاع به وهو يجمع
ايضا والقبا تقويس الشي لانه اقرب الى اجتماع بعض اجزايه والتقبو انضمام ما بين
الشفتين ومنه القبا من الثبات وقبا ءه تقبية عباء اي جمعه حتى صار كانه في مكان مقبو
وقبي عليه تقبية عدا عليه في امر لانه كان كانه اوقعه في حفرة والثوب جعل منه قباء وتقبى
القباء لبسه وزيدا اتاه من قفاه لان من يريد ذلك احد في حفرة كذلك باتيه مخاتلة وتقبى
الشي صار كالقبة وامراة قابية تلقط العصفر وتجمعه والقابياء اللئيم لانه بنا مبالغة
فيدل على كثرة الجمع والحرص اللازمين للؤم وبنوا قابياء المجتمعون لشرب الخمر لانها حالة
تظهر لؤم اللئام وقبا بالضم ويذكر ويقصر موضع قرب المدينة الشريفة وموضع بين مكة
والبصرة والقبي استخفى وقفي قوسين وقبا قوسين كقاب قوسين والمقبي الكثير التجهيز
كانه جمع لنفسه منه بالراحة ما صار كالبنا والقبابة المفازة لانها تجمع ما فيها كما تجمع القبة
والقبا والوقبة ما فيها وقبس مهموزة قبا الطعام يجمع اكله ومن الشراب امتلأ والقباة
حشيشة ترعى لان المال يجتمع على رعيها ومن الواوي قاب الارض يقوبها وقوبها حفر فيها
شبه التقوير لان الدايرة اجمع ما يكون لغيرها وفي نفسها لانه لا زوايا فيها فاصلة وقوبت
للارض اثرت حكا فيها والقوبة ما يظهر في الجسد ويخرج عليه لانه يكون غالبا على هيئة
الدايرة وتقوب جلده تقلع عنه الجرب وانحلق عنه الشعر امام للازالة واما لان اثارة
تكون كالدوائر وقوب الشي قلعه من اصله لان اثره اذا انقلع يكون حفرا مستديرا وتقوب

والقبي

فاختفى في غار حراء وارسل الى من يجيره ثم ارسل حتى اجاره المطعم بن عدي ولبس السلاح هو ومن اطاعه
وادخله صلى الله عليه وسلم حتى طاف بالبيت ثم قضى سبحانه ان قتل المطعم في بدر كافرا بعدما اجتهد في النبي صلى الله عليه وسلم في
سلامته ولا يصابه انه لا يقبل ليعلم انه سبحانه مختار في عموم رحمته وخصوصها لئلا يأيس عاص او يامن
طايع ثم اذا علا امرهم عن الوسط صاعدا قوي كما تشير اليه العين فصار بين الشدة والرخاوة وفيه انفتاح
بشهرة مع استفال في بعض الامر كما كان حاله صلى الله عليه وسلم عند مبايعة الانصار رضوان الله عليهم واما
اخر امرهم فهو وان كان فيه نوع من الضعف وضرب من الرخاوة واللين كما كان في غزوة حنين والطايف
فانه يعقبه قوة عظيمة بالاطباق واستعلاء واشتهار بهما لاافاق كما يشير اليه الصفير هذا في اهل الله عامة
المذكورين في هذه السورة وغيرهم واما ما يخص عيسى عليه السلام الذي هو صورة سورتها ومطلع اشارتها
فجعل الحروف اللسانية من هذه الحروف اغلبها ثلاثة احرف منها اشارة الى ان ابرهيم عليه السلام بما اعطي
في نفسه وفي ذريته ولسان الصدق المذكور به هو لسان هذا الوجود حقيقة وخليل الموسى عليه السلام
وان دولة الدين عيسى عليه السلام من اعيانهم هي وسط هذا الوجود حقيقة وخيار فموسى عليه السلام
اول اصحاب شرايعهم بمنزلة القاف التي هي من اقصى اللسان وله حظ كبير منها فانه من اجله قتل ابنا بني اسرائيل
وولد في سنة القتل وكان سبب هجرته وابتدا سيره الى الله تعالى قتلة القبطي وقرب نجيا ومن صفاتها الجهر والشدة
والشدة والانفتاح والاستعلاء والقلقلة وهو عريق في كل من جهات ذلك وداود عليه السلام ثاني ذوي كتبهم
بمنزلة الهمزة التي هي ابعد من مخرج الهاء احدى هذه الحروف وهو اول من جمع من بني اسرائيل بين الملك والنبوة
وله حظ من صفاتها الجهر والشدة والانفتاح بما كان فيه من الملك والظهور والنصر على الاعداء وعجايب المقدور
وله حظ من وصفها بالاستفال في اول امره وفي اخره بما كان من بكايه ونواحه وتواضعه واخباته لربه وصلاحه
فالكاف هنا اشارة الى ان عيسى عليه السلام هو ثاني الشارعين في الوجود والهاء عبارة عن انه
من عقب داود عليهما السلام وكل منهما له حظ من صفات الحرف المشير اليه الدال عليه والصاد التي هي من طرف
اللسان وهي خاتمة هذه الحروف اشارة بما فيها من الاطباق والمشير الى تطبيق الرسالة لجميع الوجود ومن الاستعلاء
المشير الى نهاية العظمة والصفير المشير الى غاية الانتشار والشهرة الى محمد صلى الله عليه وسلم والى مقرر دينه
ومجدده عيسى عليه السلام وتشير الكاف ايضا بما فيها من الصفات الى ان اول امر عيسى عليه السلام يكون فيه
مع الشدة ضعف ثم تشير ايضا الهاء التي هي من اقصى الحلق الى ان امره يبطن بعد ذلك الظهور ويخفى
بارتفاعه الى السماء ويدل الاستفال على انه قريبه الى السفلى وهو كذلك فانه في الثانية بعد لا له رتبة الكاف والها
في مخرجيها وتشير الياء بجهرها الى ظهوره بنزوله وتدل بكونها من وسط اللسان على تمكنه في امره وباعتلالها
على شي في ذلك وهو ضعف الاتباع وحصرهم في ذلك الوقت وتدل بانفتاحها ورخاوتها على ظهوره على الدجال
في اوليك القوم الذين قد جهدهم البلا عند نزوله وسهم الضر قبل حلوله وتبليغ غلبه الانتهى لعلها
الى امر ياجوج وماجوج لما يوجبه الله اليه اني اخرجت عبادا لي لا يدان لاحد بهم فحرز عبادي الى الطور
وتدل العين بكونها من وسط الحلق على انحصارهم وتجهرها على انه لا سبيل للعدو عليهم ولا وصول بوجه
اليهم وبما فيها من البينية والاستفال على جهدهم مع حسن العاقبة وتبشر بما فيها من الانفتاح بحصول
الفتح الذي لا يصرونه فتح وتدل الصاد بمخرجها على القوة الزايدة وبالهمس والرخاوة على انها قوة لا بطش

فيها وبالاطباق والاشتمال على عموم الدين جميع الناس وبالتصغير على انه ليس وراء ذلك الا النفخ في الصور
لعموم الهلاك لكل موجود مفطور ثم لبعثرة القبور وتحصيل ما في الصدور وكل هذا من ترتيب سنته سبحانه
في المصطفين من عباده على هذا النحو البديع وترتيب هذه الحروف على هذا النظم الدال عليه دال على القدرة
التامه والعلم الشامل والحكمة الباهره رحمهم سبحانه بان نكبهم طريق الجابرين التي اوصلتهم الى الفسوق وجنبهم
سنن المستكبرين التي تلجي ولابد الى الشقوة فجعل قصرهم في لواء انكسار وكسرهم في جوامع انتصار وجعلهم
من فخامة داعية تجر الى بذخ وعلو واستكبار ومن رقة ثابتة تحمل على ذل وسفول وصغار فلقد انطبق الاسمان
على المسمي واخذ نحي غاية الاتضاح في امرهم وتحقا كبير الله المنزه عن كل شايبة نقص القادر على كل ما يريد
الرحمن الذي عم نواله ساير مخلوقاته الرحيم الذي اختص الصالحين من عباده بما يسعد من مراده
لما كان مقصود التي قبلها الدلاله على ان القران قيم لا عوج فيه وبه تمام الانتظام في نعمة الايجاد الاول
ودل على ذلك بانه ساق المسول عنه من القصص احسن سوق وكشف عن مخباته القناع ابدع كشف
الي غير ذلك مما خلله به من بدايع الحكم وغرايب المعاني فاضحة لمن ادعى لله سبحانه ولدا وختمها بمثل ذلك
من وصف الكتاب والتوحيد النافي لقبول الشهد بولد او غيره بكل اعتبار والعمل الصالح ابتدا هذه بالكشف
عن اغرب من تلك القصص تصديقا لاية ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من اياتنا عجبا باي غيرها
تقدم في ما مضي من السور وجزييات لم تبذل الا فيها مع عدم المخالفة لما مضي تاييد الان كلامه لا
تنفد عجايبه لا تحد ولا تعد وانه لو كان من عند غيره لاختلف مع ان اهلها سادة الموحدين وقادة
المصلحين المتقين وكلهم ممن يعتقد اليهود لامرون لقريش بالسوال عن اصحاب الكهف وذي القرنين تعنتا
لما من عدا عيسي فواضح واما عيسي فيعتقدون انه ما اتي بعد وانه سياتي ويكون الناس في ايامه على دين
واحد تصديقا لوعد التوراة الاتي بيانه وذلك على وجه مستلزم في اكثرها تنزهه تعالى عن الولد وقدرته
على البعث وبدا بقصة من خرق له العادة في الولد على وجه مبين انه لا يحتاج الا في ايجاد شيا
او معنى يريد ان يخلقه فيما تعسر عليه فعله او تعذر وكان تقديم قصته اولي لان التبكيت به اعظم
لمباشرتهم لقتله وقتل ابنه يحيي عليهما السلام واشارة الى ان الهدى الصالح المؤسس على التوحيد خاص لا يختاج
الدعا وان كان فيه خرق العادة ونعم من نسبوه اليه وافتروا عليه وقصدوا قتله على وجه مغرب عن شانه غاية
الاعراب متبين فيه وجه الصواب متمما لتبكيت اليهود الامرين لقريش بالتعنت بالسوال بالاشارة الى قتل
زكريا ويحيي عليهما السلام وادعا صلب المسيح الذي بشرت به التوراة وهم الان ينتظرونه ويدعون انهم
اخص الناس به وقذف امه وحاشاها دالا بذلك على القدرة على البعث قال في التوراة في اخر السفر الاول
ان يعقوب عليه السلام اخبر بقرب وفاته وقال لبنيه اجتمعوا الي فابين لكم ما هو كاين من امركم في اخر الايام
اجتمعوا واسمعوا يا بني يعقوب انصتوا لاسرايل ابيكم ثم قال يا يهودا لك تعترف اخوتك تعالى يدك
على رقاب اعدايك وليسجد لك بنو ابيك شبل الليث يهودا كما انه خلص ابني من القتل ربض وجثم
مثل الضرغام ومثل شبل الليث من ذا يقيمه عن فريسته لا يزول القضيب من ال يهودا الا يقدم سبط يهودا
تملكا مسلطا والخاذ نبيا مرسلا حتى ياتي الذي له الملك وفي نسخة الكل واياه تنتظر الشعوب
يربط بالحبلة جحشه عيناه اشد شهولة من الخمر واسنانه اشد بياضا من اللبن هذا نصه وعند اليهود

سفر م

والتي علي

١١

انه المسيح ويسمونه مع ذلك المنتظر والمهدي وعندهم انه ينصرهم ويخلصهم مما هم فيه من الذل فقلت
لبعضهم اشهد انه المسيح بن مريم الذي اتى وتبعه النصارى وعاديتموه حتى رفعه الله فقال الذي في التوراة
انه يكون له الكل وعيسى ما كان له ذلك فقلت انه يكون له الكل حين ينزل تابعا لدينا من حيث انه لا يقبل الا
الاسلام فيظهر اهل الاسلام على اتباعه عليه وتسعد به منكم من يتبعه ويزول عنه الذل وهذا الاتي من كلام
التوراة فانه لم يقيد ذلك بساعة اتيانه فلم يقبل ذلك ثم انه اتي يوما بكتاب من كتبهم فيه شرح الانبيا
فقال من الكلام في البشاير المتعلقة بالمسيح ولا يبعد ان يعد ولا سرايل ثم يختفي ثم يظهر فيكون له الكل فقلت
اطعني واسلم فتفكر ثم قال حتى يريد الله وقال الامام ابو جعفر بن الزبير في برهانه لما قال تعالى ام حسبت
ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من اياتنا عجبا ثم اورد خبرهم وخبر الرجلين وموسى والخضر وقصة ذي القرنين
اتبع سبحانه ذلك بقصص تضمنت من العجايب ما هو اشد عجبا واخفى سببا فافتتح سورة مريم بيحيي بن زكريا
وبشارة زكريا به بعد الشيخوخة وقطع الرجا وعقم الزوج حتى سال زكريا مستفهما ومتعجبا ان يكون
لي غلام وكانت امراتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا فاجابه تعالى بان ذلك عليه هين ولنجعله اية
للناس وامرا هذا اعجب القصص المتقدمة فكانه قد قيل ام حسبت يا محمد ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا
من اياتنا عجبا بل اعجب من خبرهم وخبر من ذكر ما هو اعجب واغرب واوضح اية وهو قصة زكريا في ابنه يحيي عليهما السلام
وقصة عيسى عليه السلام وقد خلقتك من قبل ولم تك شيا ثم اتبع سبحانه بشارة زكريا بيحيي واتيانها الحكم صبيا
ثم بذكر مريم وابنها عليهما السلام وتعلقت الاي بعد الى انقضا السورة انتهى ولما كانت هذه السورة
تالية للسورة الواصفة للكتاب الذي هو نعمة الابقا الاول بالاستقامة التالية الفاتحة بالاحرف المقطعة
كما افتتح السورة التي تلي ام الكتاب الداعية الى الصراط المستقيم والواصفة الكتاب بالهدى الضامن له
للاستقامة والتي تلي واصفته ذيلت بالانعام المشيرين الى نعمة الايجاد الاول فتح بكهيعص وهي خمسة احرف
على عددها مع تلك السور وهي جامعة النعم وواصفة الكتاب وذات النعمة الاولى وذات النعمة الثانية كما افتتحت
الاعراف التالية لذات النعمة الاولى باربعة على عددها مع ما قبلها من الام الجامعة والواصفة وذات النعمة
الاولى وكما افتتحت العمران التالية للواصفة بثلاثة على عددها مع الام والواصفة ذكر اي هذا الذي نتلوه
عليكم ذكر رحمة ربك المحسن اليك بالتاييد بكشف الغوامض واظهار الخبا عبده منصوب برحمة لانها
مصدر مبني على التا لانها دالة على المصدر زكريا بن ماثان والرحمة منه سبحانه المعونة والاجابة والايصال الى المراد
ونحو ذلك من ثمرات الرحمة المنصبة الى العباد اذ نادى ظرف الرحمة ربه ولما قدم تشريفه بالذكر والرحمة
والاختصاص بالاضافة اليه فدل ذلك على كمال القرب قال ندا خفيا اي كما يفعل المحب القريب مع حبيبه المقبل
عليه في قصد خطاب السر الجامع بين شرف المناجاة ولذاذة الانفراد بالخلوة فاعلم سبحانه عليه لانه يعلم السر
واخفى فكانه قيل ما ذلك الندا فقيل قال رب بحذف الاداة للدلالة على غاية القرب اني وهن اي ضعف جدا
العظم مني اي هو اقوى ما في بدني فكيف بغيره واشتعل الراس اي مني شيبا ولم اكن فيما مضي قط مع صغر السن
بدعايك رب شقيا فاجرني في هذه المرة ايضا على عوايد فضلك وان كان ما ادعو به في غاية البعد في العادة لكنك
فعلت مع ابرهيم مثله ثم عطف على ان وهن قوله واني خفت الموالي الذين لا قارب ان يسيئوا الخلافة من وراي اي
بعد موتي وكانت امراتي عاقرا لا تلد فهب لي اي فتسبب عن شيخوختي وضعفي وتعويدك لي بالاجابة وخوفي

من سوء خلافة اقاربي وبأسي عن الولد عادة بعقم امراتي وبلوغي من الكبر حداً لا يرجا الا من معه ان اقول لك يا قادرا على كل شي هب لي من لدنك اي من الامور المستبطنة المستغربة التي عندك لم تجرها على مناهج العادات والاسباب المطردات لاحد من جهة سبب ... لك عندي معدومة وقد تقدم في ال عمران لذلك مزيد بيان وليا من صلبي بدلالة ذرية في ال عمران الاخرى يرثني اي جميع ما انا فيه من العلم والنبوة والعمل ويرث زيادة على ذلك من ال يعقوب جد ابناها خصصتهم به من المنح وفضلتهم به من النعم من محاسن الاخلاق و... الشيم وخص اسم يعقوب اقتدا به نفسه اذ قال ليوسف عليهما السلام ويتم نعمته عليك وعلى ال يعقوب ولان اخبار ... على الاشباه كانهم وكانت قد غلبت عليهم الاحداث واستشكل القاضي العضد في الفوايد الغياثية كون يرث على قراءة الرفع صفة بانه يلزم عليه عدم اجابة دعايه عليه السلام لان يحيى عليه السلام قتل في حياته ولا يكون وارثا اذا تخلف بعده وقد قال تعالى فاستجبنا له ووهبنا له يحيى قال فيجعل استينافيا ... حينيذ لا تخلف ظنه عليه السلام هلا نقل لي عنه وان اجله عن ذلك لانه لا يلزم تخلف دعايه ولا بجوز ... مقامه باخلاف ظنه لان الاخبار عن قتله قبله ان كان عن النبي صلى الله عليه وسلم وصح السند كان تسمية العلم الذي اخذ عنه في ... مجاز مرسلا باعتبار ما يؤول اليه من اجله لا ينامع جواز ان يكون بحجه ... عليه السلام من العلماء ورثة الانبيا ولا شك انه من ضرورة نقل العلم حياة ... عنه و... من تسميته وارثا حال الاخذ هذا اذا صح ان يحيى عليه السلام مات قبل زكريا عليه السلام وحيث ... عنه اي عجزت عن تتبع افعال الموالي بنفسي في حال الكبر وخفت سوء فعلهم اذا خرجوا ... وغابوا عني فهب لي ولدا يكون متصفا بصفاتي في كل زمان ساله وان لم يصح موته قبله بالطريق المذكور لم يصح اصلا ويلتفت الى عدم ...شا فان التواريخ القديمة انما هي عن اليهود فهي لا شي مع ان البغوي نقل في اول سورة بني اسرايل ما يقتضي موت زكريا قبل يحيى عليهما السلام فانه قال اخر من بعث الله فيهم من انبياهم زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام وكانوا من بيت ال داود عليه السلام فمات زكريا عليه السلام وقيل قتل فلما رفع الله عيسى عليه السلام من بين اظهرهم وقتلوا يحيى عليه السلام انبعث الله عليهم ملكا من ملوك بابل يقال له خردوس فسار اليهم باهل بابل حتى دخل عليهم الشام فلما ظهر عليهم امر راسا من روس جنوده يدعي بيوزردان صاحب القتل فقال ان كنت قد حلفت بالهي لين انا ظهرت على اهل بيت المقدس لاقتلنهم حتى يسيل دماوهم في وسط عسكري الا ان لا اجد احدا اقتله فامر ان يقتلهم حتى يبلغ ذلك منهم وان بيوزردان دخل بيت المقدس فقام في البقعة التي كانوا يقربون فيها قربانا ثم وجد فيها دما يغلي فقال يا بني اسرايل ما شان هذا الدم يغلي قالوا هذا دم قربان لنا قربناه فلم يقبل منا فقال ما صدقتموني قالوا لو كان كاول زماننا لتقبل منا ولكن قد انقطع منا الملك والوحي فلذلك لم يتقبل منا فذبح منهم بيوزردان على ذلك الدم سبعماية وسبعين زوجا من روسهم فلم يهدا فاتي بسبع ماية غلام من غلمانهم فذبحهم على الدم فلم يهدا فامر بسبعة الاف من شيبهم وازواجهم فذبحهم على الدم فلم يبرد فلما راى بيوزردان ان الدم لا يهدا قال لهم يا بني اسرايل ويلكم اصدقوني واصبروا على امر ربكم فقد طال ما ملكتم الارض تفعلون فيها ما شيتم قبل ان لا اترك منكم نافخ نار انثى ولا ذكرا الا قتلته فلما راوا الجهد وشدة القتل صدقوا الخبر فقالوا ان هذا دم نبي كان ينهانا عن امور كثيرة من سخط الله

على السلام

12

فلو اطعناه فيها لكان ارشد لنا وكان يخبرنا بامركم فلم نصدقه فقتلناه فهذا دمه فقال لهم بيوزردان ما كان اسمه قالوا يحيى بن زكريا قال الان صدقتموني بمثل هذا ينتقم منكم ربكم فلما راى بيوزردان انهم صدقوه خر ساجدا وقال لمن حوله اغلقوا ابواب المدينة واخرجوا من كان هاهنا من جيش خردوس وخلا في بني اسرايل ثم قال يا يحيى بن زكريا قد علم ربي وربك ما قد اصاب قومك من اجلك وما قتل منهم فاهدا باذن الله قبل ان لا ابقي من قومك احدا فهدا الدم باذن الله ورفع بيوزردان عنهم القتل وقال امنت بما امنت به بنوا اسرايل وايقنت انه لا رب غيره وقال لنبي اسرايل ان خردوس امرني ان اقتل منكم حتى يسيل دماوكم وسط عسكره واني لست استطيع ان اعصيه قالوا له افعل ما امرت به فامرهم فحفروا خندقا وامر باموالهم من الخيل والبغال والحمير والابل والبقر والغنم فذبحها حتى سال الدم في العسكر وامر بالقتلى الذين قتلوا قبل ذلك فطرحوا على ما قتل من مواشيهم فلم يظن خردوس الا ان ما في الخندق من بني اسرايل فلما بلغ الدم عسكره ارسل الى بيوزردان ان ارفع عنهم القتل ثم انصرف الى بابل وقد افنى بني اسرايل او كاد فهذا كما ترى ظاهر في ان يحيى تخلف بعد ابيه عليهما السلام وكذا ما تقدم في ال عمران عن الانجيل في قصة ولادته ولما ختم دعاءه بقوله واجعله رب رضيا اي ذا رضا حتى يلقاك على ذلك قيل في جواب من كانه قال ماذا قال له ربه الذي احسن الظن به يا زكريا انا نبشرك اجابة لدعايك بغلام اسمه يحيى ثم وصفه بما يحرق به ان حتى شرفه بان ادخله هذا الاسم فقال لم نجعل له فيما مضى من قبل سميا فكانه قيل ما قال في جواب هذه البشارة العظمى فقيل قال عالما بصدقها طالبا لتاكيدها والتلذذ بترديدها وهل ذلك من امراته او غيرها وهل اذا كان منها فهل يكونان على حالتهما من الكبر او بعد عودها عن طايش وانحلال رب اني اي من اين يكون لي غلام يولد لي اي والحال انه كانت امراتي اذ كانت شابة عاقرا غير قابلة للولد عادة فكيف وهي وقد اسنت وقد بلغت انا من الكبر عتيا اي امرا متجاوزا الحد هو غاية في الكبر ما بعدها غاية وقد حصل من ذلك من يبس الاعضا ونحولها ما امتنع في العادة من حصول الولد قال البغوي في ال عمران وقال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما كان ابن عشرين وماية سنة وكانت امراته بنت ثمان وتسعين سنة وقال الرازي في اللوامع ان هذا على الاستخبار ايعطيه الله الولد بتلك الحال ام بقلبه شابا والله تعالى في كل شي تدبيران احدهما المعروف الذي يسلكه الناس من توجيه الاسباب الى المسببات والاخر متعلق بالقدرة المحضة ولا يعرفه الا اهل الاستبصار انتهى قال كذلك اي الامر كما قلته بقوله قال ربك الذي عودك بالاحسان هو علي هين لا فرق عندي بينه وبين غيره وقد خلقتك اي قدرتك من قبل اي قبل وجودك ولم اي والحال انك لم تك شيا ثم ابرزتك على ما انت عليه حين اردت فتحقق بهذا انه من امراتك العاقر في حال كونكما شيخين ثم قبل جواب من كانه قال ما قال بعد علمه بذلك قال رب اجعل لي على ذلك اية تدلني على وقوعه قال ايتك على وقوع ذلك ان لا تكلم الناس اي لا تقدر على كلامهم ثلاث ليال اي حال كونك سويا من غير خرس ولا مرض ولا حبسة عن مطلق الكلام بل تناجي ربك فيها بتسبيحه وتحميده وتلاوة كتابه وكلما اردت من مثل ذلك ولكنه ...عدي الناس من الملايكة وغيرهم من صالح عباد الله فخرج عقب اعلام الله له بذلك على قومه من المحراب الذي كان فيه وهو صدر الهيكل واشرف ما فيه وهو منطلق اللسان بذكر الله محتبسه عن كلام الناس فاوحى اليهم اي اشار بشفتيه من غير نطق قال الامام ابو الحسن الرماني في ال عمران الرمز الايماء بالشفتين وقد يستعمل في الايماء بالحاجبين والعينين واليدين والاول اغلب قال واصله الحركة وسبقه الى ذلك

الامام ابو جعفر بن جرير الطبري فقال واما الرمز فان الاغلب من معانيه عند العرب الايماء بالشفتين وقد
يستعمل احيانا بالحاجبين والعينين احيانا وذلك عند كثير منهم وقد يقال من الخفي من الكلام الذي مثل الهمس
بخفض الصوت ثم نقل ان المراد به هنا تحريك الشفتين عن مجاهد انتهى وهو ظاهر ايضا في الوحي لانه مطلق
الاشارة والكتابة والكلام الخفي فيجوز ان يكون وحيه بكل منها لا يقدر على غير ذلك في مخاطبته للناس
فاذا توجه الى مناجاة ربه سبحانه انطلق احسن انطلاق ان سبحوا الله تعالى بكرة وعشيا فحملت امرأته
كما قلنا فولدت ولدا فسماه يحيى كما بشرناه به فكبر حتى ميز فقلنا يا يحيى خذ الكتاب اي التوراة بقوة ولما
كانت السورة لا يستقل بامرها ويقوى على حملها الا عند استحكام العقل ببلوغ الاشد وكان التطويق
على امرها قبل ذلك من العظمة بمكان دل عليها بالنون في قوله واتيناه الحكم اي النبوة صبيا وايتيناه
حنانا اي رحمة وهيبة ووقارا ورقة قلب ورزقا وبركة من لدنا بلا واسطة تعليم ولا تجربة وزكاة
اي طهارة في بدنه تفيض على افعاله واقواله وكان تقيا خوافا لله تعالى وبرا اي واسع الاخلاق بوالديه ولم
يكن جبارا عليهما ولا على غيرهما ثم قيل بقوله عصيا اشارة الى انه يفعل فعل الجبارين من الغلظة والقتل
والبطش بمن يستحق ذلك كما قال تعالى لخاتم النبيين صلى الله عليه وسلم جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم
فكان مطيعا لله قائما بحقوقه وحقوق عباده على ما ينبغي فهنيئا له ما اعطاه من هذه الخلال القاضية له
بالكمال وسلام اي سلام عليه منا يوم ولد من كل سوء يلحق بالولادة وما بعدها في شيء من مراتبه
ويوم يموت من كرب الموت وما بعده ولعله نكر السلام ويوم يبعث من كل ما يخاف بعد ذلك حيا
حياة هي الحياة للانتفاع بها اجابة لدعوة ابيه في ان يكون رضيا اخرج الطبراني عن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل بني ادم يلقى الله يوم القيمة بذنب وقد اذنبه
يعذبه عليه ان شاء او يرحمه الا يحيى بن زكريا عليهما السلام فانه كان سيدا وحصورا ونبيا من الصالحين
واهوى النبي صلى الله عليه وسلم الى قذاة من الارض فاخذها وقال ذكره مثل هذه القذاة قال الهيثمي فيه
حجاج بن سليمان الرعيني وثقه ابن حبان وغيره وضعفه ابو زرعة وغيره وبقية رجاله ثقات واخرجه
ايضا عن عبد الله بن عمرو وابن عباس رضي الله عنهم لكن ليس فيه ذكر الذكر ولفظ ابن عباس رضي الله عنهما
كنت في حلقة في المسجد نتذاكر فضايل الانبياء فذكرنا حتى قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ينبغي ان يكون
احد خيرا من يحيى بن زكريا قلنا يا رسول الله كيف ذاك قال الم تسمعوا الله كيف نعته في القران يا يحيى
خذ الكتاب الى قوله حيا مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين لم يعمل سيئة ولم
يهم بها ورواه ايضا البزار وفيه علي بن زيد بن جدعان ضعفه الجمهور وقد وثق وبقية رجاله ثقات
واشار سبحانه بالتنقل في هذه الاطوار الى موضع الرد على من ادعى لله ولدا من حيث ان ذلك قاض على
الولد والوالد والوالدة بغنيه وعلى ابيه بالحاجة وذلك مانع لكل من الولد والوالدين الصلاحية لرتبة
الالهية المنزهة عن الحاجة ولما كان حاصل القصة انه ولدا خرجه الله تعالى عن سبب هو
في ضعفه قريب من العدم اما من جهته فلبلوغه الى حد من السن وحال في المزاج لا يقبل حركة الجماع
عادة واما من جهة زوجته فلزيادة تمامها بالسن بلوغها الى نحو ذلك السن بكونها عاقرا لم تقبل حملا قط
اتبعه بقصة هي اغرب من قصته بكونها ليس فيها الا سبب واحد وهو المراة وعدم فيها سبب الذكورية

اصلا اشارة الى انه تعالى يخلق ما يشاء تارة بسبب قوي وتارة بسبب ضعيف وتارة بلا سبب ومن كان كذلك
كان مستغنيا عن الولد ولما كان على اليهود الامر بالسؤال تعنتا عن قصص اصحاب الكهف وذي القرنين لان
ينصحوا العرب بالاعلام بان دينهم باطل لشركهم فلم يفعلوا كما تواجد به من بالتبكيت وكانت قصة زكريا
اعظم في تبكيتهم بما شرعوا لقتله وقتل ولده يحيى عليهما السلام قدمها في الذكر ولما كانت قصة عيسى
عليه السلام اغرب اشار الى ذلك بتغيير السياق فقال واذكر بلفظ الامر في الكتاب مريم ابنة عمران
خالة يحيى كما في الصحيح من حديث انس بن مالك عن مالك بن صعصعة الانصاري رضي الله عنهما فوجد بني
الاسرائيل خلصت فاذا انا بيحيى وعيسى وهما ابنا خالة اذا اي اذكر ما اتفق لها حين انتبذت اي اعتزلت من
اهلها مكانا شرقيا عن مكانهم فاتخذت من دونهم لا نفرادها للاغتسال او غيره حجابا يسترها فارسلنا اليها
روحنا جبريل عليه السلام لتعجيل بما يريد الله بها من الكرامة بولادة عيسى عليه السلام من غير اب بلا بشبه على
الامر وتشعب به الفكر فتمثل لها بشرا سويا اي تشبه وهو روحاني بصورة الجسماني بشرا سويا
في خلقه في حسن الشكل لئلا تشتد نفرتها منه ثم اخرج القصة مخرج الاستيناف فقال قالت اني اعوذ بالرحمن
ربي الذي رحمته عامة لجميع عباده في الدنيا والاخرة وله بنا خصوصية في اسباغ الرحمة واتمام النعمة
منك ولما تفرست فيه بما انار الله من بصيرتها واصفى من سريرتها التقوى الهته وهيجته للعمل بمضمون
هذه الاستعاذة بقولها ان كنت تقيا قال جبريل عليه السلام مجيبا لها بما معناه اني لست ممن تخشين انما انا
رسول ربك اي فانا متصف بما ذكرت وزيادة الرسالة وعبر باسم الرب المقتضي للاحسان لطفا بها ولان
هذه السورة مصدرة بالرحمة ومن اعظم مقاصدها تعداد النعم على خلص عباده لاهب بامره اوليهب هو لك وقدم
المتعلق بشوقها الى المفعول ليكون اوقع في النفس ثم يتبعه معترضا بما هو الكريم بحيثية واقعه في باب البشرى وانسب
لمقصود السورة مع انه لا يناسب ما ذكر في العمران بقوله غلاما اي ولدا ذكرا في غاية القوة والرجولية زكيا
طاهرا من كل ما يدنس البشر ناميا على الخير والبركة قالت مريم انى اي من اين وكيف يكون لي غلام الله ولم يمسسني بشر
بنكاح اصلا حلالا ولا غيره بشبهة ولا غيرها وما هنا لها هذا الامر اذاها الحال الى غاية الاسراع في القاء
ما تريد من المعاني لعلها تستريح مما تصورته فضاق عليها المقام بما وجدت حتى بحذف النون من كان فقالت
ولم اك ولما كان المولود يستر من يلده وكان التعبير عنه بما هو من مادة البغي دالا على غاية الكمال في الرجولية
المقتضي لغاية القوة في امر النكاح نفت ان يكون فيها شيء من ذلك فقالت بغيا اي ذات بغي اي فجور قال كذلك القول
القول الذي قلته لك يكون ولما كان لسان الحال قايلا كيف يكون بغير سبب اجاب بقوله قال ولما بنيت
هذه السورة على الرحمة واللطف والاحسان بعبادة الرحمن عبر باسم الرب الذي صدرت به بخلاف سورة التوحيد
ال عمران المصدرة بالاسم الاعظم فقال ربك هو علي اي وحدك لا يقدر عليه احد غيري هين خصصناك
به لم يكن بشر قبلك ولما كان ذلك من اعظم الخوارق نبه عليه بالنون في قوله عطفا على ما قدرته مما
افهمه السياق ولنجعله اية للناس علي كمال قدرتنا على البعث اذ الابن الاية في يحيى وبه تمام القسمة
الرباعية في خلق البشر فانه اوجد من انثى بلا ذكر وحوا من ذكر بلا انثى وادم لا من ذكر ولا انثى وبقية
اولاده من ذكر وانثى معا ورحمة منا لمن امن به في اول زمانه ولاكثر الخلق بالايمان والنجاة من المحن في اخر
زمانه وكان ذلك كله امرا مقضيا هو في غاية السهولة لا مانع منه اصلا فنفخ في درعها فوصل النفخ الى

جوفها لحملته فانتبذت به اي فاعتزلت وهو في بطنها مكانا قصيا اي بعيدا واشار الى قرب الولادة من الحمل
بفاء التعقيب في قوله فأجاءها اي فاتى بها والجأها المخاض وهو تحرك الولد في بطنها للولادة الى جذع النخلة
وهو ما برز منها من الارض ولم يبلغ الاغصان وكان تعريفها لانه لم يكن في تلك البلاد الباردة غيرها فكانت
كالعلم لها من العجب ان النخل من اقل الاشجار صبرا على البرد ولعلها الجئت اليها دون غيرها من الاشياء
على كثرتها لمناسبة حال النخلة لها لانها لا تحمل الا بالالقاح من ذكور النخل فحملها بمجرد هزها انسب شي
لاتيانها بولد من غير والد فكيف اذا كان ذلك في غير وقته فكيف اذا كانت يابسة مع ما لها في ذلك من المنافع
بالاستناد اليها والاعتماد عليها وغير ذلك ولما كان ذلك امرا صعبا عليها جدا كان كانه قيل ياليت
شعري ما كان حالها فقيل قالت لما حصل عندها من خوف العار ياليتني مت قبل هذا الامر وكنت نسيا اي
شيئا من شانه ان ينسى منسيا لا يعقل لا يخطر على بال فولدته فناداها من تحتها وهو عيسى عليه السلام
الا تحزني قال الرازي في اللوامع والاصح ان مدة حملها له وولادته ساعة لانه كان مبدعا ولم يكن من نطفة
تدور على ادوار الخلقة انتهى ونقله ابن كثير عن ابن عباس رضي الله عنهما ويؤيده انه لم ينقل في كتاب ولا عن نبينا
صلى الله عليه وسلم انهم انكروا عليها زمن الحمل ولو علموا به لانكروه ولو انكروه لنقل كما نقل انكار الولادة ولما انكروا الولادة
فكانها قالت لم لا احزن فقال قد جعل ربك المحسن اليك تحتك سريا جدولا من الماء اية لك تطيب نفسك و
وهزي اليك اي اوقعي الهز وهو جذب بتحريك ولما كان المقصود التهويل لصرف فكرها عما دهمها من الهم
جعله قاصرا فكانها قالت ما اهز اذ لم يكن في الجذع ما يتوقع نفعه بهزه فقال مصرحا بالمهزوز بجذع النخلة
التي انت تحتها مع يبسها وكون الوقت ليس وقت حملها فكانها قالت ولم ذا فقال تساقط عليك من اعلاها
رطبا جنيا طريا اية اخرى عظيمة تطيب النفس وتذهب بالحزن وتدل على البراءة هزت فتساقط الرطب
فتبيل لها فكلي اي فتسبب عن الانعام عليك بالماء والرطب ان يقال لك كلي من الرطب واشربي من ماء السري
وقري اي استقري عينا بالنوم فان المهموم لا ينام والعين لا تستقر ما دامت يقظى وهو كناية عن طيب النفس
وتأهلها لان تنام فاما ترين يا مريم من البشر احدا ينكر عليك فقولي لذلك المنكر جوابا له اني نذرت للرحمن
اي الذي عمت رحمته فادخلني بها على ضعفي وخصني بما رايته من الخوارق صوما اي صمتا فلن اي فتسبب
عن النذر اني لن اكلم اليوم انسيا فان كلامي يقبل الرد والجدال له ولكن يتكلم عني المولود الذي كلامه لا يقبل الدفع
واما انا فلا اكلم الا الملائكة او الخالق بالتسبيح والتقديس وسائر انواع الذكر فاتت اي فلما سمعت هذا
الكلام استقل قلبها وزال حزنها واتت به اي بعيسى قومها تحمله فكانه قيل فما قالوا لها فقيل قالوا لها
ما هذا التعجب بما تراه شيئا فريا قطيعا منكرا يا اخت هرون في زهده وورعه وعفته ما كان ابوك
عمران امرء سوء ليقول نزعك عرق منه وما كانت امك بغيا فانتنا شي بها فاشارت امتثالا لما امرت
اليه اي عيسى ليكلموه فيجيب عنها قالوا كيف نكلم يا مريم من كان في المهد اي قبيل اشارتك صبيا
لم يبلغ سن الكلام والتعبير كان بدل على انه حين الاشارة اليه لم يتجاوز جهرا ان يكلموه بل حين سمع
المحاورة وعتب الاشارة بدا انه قول خارق لعادة الرضعا فلما كانت هذه الحالة مؤذنة بذلك استانف قوله
قال اي واصفا نفسه بما ينافي اوصاف الخاين فقال اني عبد الله اشار الى الاعتقاد الصحيح فيه
وانه لا يستعبده شيطان ولا هوى اتاني الكتاب اي التوراة ولا يخل على صغر سني وجعلني نبيا تتبيني

بما يريد فانبيكم به وجعلني مباركا بانواع البركات اينما في اي مكان كنت فيه ولما سبق علمه سبحانه
ان تدعى في عيسى الالهية امر ان يقول واوصاني بالصلاة له طهرة للنفس والزكاة طهرة للمال فعلا في نفسي
وامرا لغيري ما دمت حيا ليكون ذلك حجة على من اطراه لانه لا شبهة في ان من يصلي لاله ليس باله
وبرا اي وجعلني برا اي واسع الخلق طاهرا بوالدتي التي اكرمها الله باحصان الفرج والحبل من غير
ذكر ولم يجعلني جبارا شقيا بان افعل فعل الجبارين بغير استحقاق وانما افعل ذلك بمن يستحق وفيه اشارة
الى ان التجبر المذموم فعل اولاد الزنا وذلك انه يستشعر ما عنده من النقص فيريد ان يجبره بتجبره ثم
اخبر بما له من الله من الكرامة الدائمة مشيرا الى انه لا يضره عدو والى انه عبد لا يصلح ان يكون الها
والى البعث فقال والسلام اي جنسه علي فلا يقدر احد على ضري يوم ولدت ومن لم يولد لا يكون
الها ويوم اموت كذلك اموت كامل البدن والدين لا يقدر احد على انتقاصهما مني كائنا من كان ويوم
ابعث حيا يوم القيمة كما تقدم في يحيى عليه السلام اشارة الى انه في البشرية مثله سواء لم يفارقه اصلا
الا في كونه من غير ذكر واذا كان جنس السلام عليه كان اللعن على اعدائه فهو بشارة لمن صدقه فاتبعه ونذارة
لمن كذبه ولما كان في ذلك من اقوال عيسى واحواله المنادية بالحاجة للتنقل في اطوار غيره من البشر
اعظم البيان عن تعيين عما ادعى فيه النصارى من الالهية واليهود من انه لغير رشده نبه على ذلك مشيرا
اليه باداة البعد فقال ذلك اي العظيم الشان العلي الرتبة الذي هذه احواله واقواله البعيدة عن صفة الاله
عيسى بن مريم لا ولد لله فحذفها ليس لغيرها فيه بنوة اصلا وهي من اولاد ادم فهو كذلك ثم عظم هذا البيان تعظيما اخر
فقال قول اي هو اي نسبته الى مريم فقط قول الحق اي الذي يطابقه الواقع او يكون القول عيسى
لنفسه كما اطلق عليه في غير هذا الموضع كلمة من تسمية المسبب باسم السبب ثم عجب من ضلالهم فيه بقوله
الذي فيه يمترون اي يشكون ويجادلون ثم دل على كونه حقا في كونه ابن مريم لا غيرها بقوله ردا على من ضل
ما كان لله الغني عن كل شي ان يتخذ ولما كان المقام يقتضي النفي العام اكده بمن فقال من ولد ولما كان
اتخاذ الولد من النقائص اشار الى ذلك بالتنزيه العام بقوله سبحانه اي تنزه عن كل نقص من احتاج الى
ولد او غيره ثم علل ذلك بقوله اذا قضى امرا اي امر كان فانما يقول له كن اي يريده ويعلق قدرته به فيكون
من غير حاجة الى شي اصلا فكيف ينسب الى الاحتياج الى الاحبال والايلاد والتربية شيئا فشيئا ولما
كان لسان الحال ناطقا عن عيسى عليه السلام بان يقول وقد قضاني الله فكنت كما اراد فانا عبد الله ورسوله
فاعتقدوا ذلك ولا تعتقدوا سواه من الاباطيل عطف عليه قوله وان الله ربي وربكم المحسن الى كل منا بالخلق
والرزق لا فرق بيننا في اصل ذلك فاعبدوه وحده لتفرده بالاحسان كما اعبده ولما كان اشتراك الخلائق
في عبادة الخالق بجهد القلب والجوارح علما وعملا اعدل الاشياء اشار الى ذلك بقوله هذا اي الذي امرتكم به
صراط مستقيم لانا بذلنا الحق لاهله بالاعتقاد الحق والعمل الصالح ولم يفضل احد منا فيه على صاحبه ولما
كان المنهج القويم بحيث يكون سببا للاجتماع عند كل صحيح المزاج عجب منهم في استمرار غير ذلك منه فقال
فاختلف اي فتسبب عن هذا السبب للاجتماع انه اختلف الاحزاب الكثيرون من بينهم اي بني اسرايل
المخاطبين بذلك خاصة لم يكن فيهم فرقة من غيرهم في هذه المقالة القويمة التي لا ينبغي لمن له ادنى مسكة ان يتوقف
في قبولها فمنهم من علم انه الحق فاتبعه ولم يحد عن صوابها ومنهم من ابعد في الضلال عنها بنسبته الى شي او هو منها و

عن قتادة انه اجتمع اربعة من احبار بني اسرايل يعقوب ونسطور وملكا واسرايل فقال يعقوب عيسى هو الله
نزل الى الارض فقال بهذا الثالثة واتبعه اليعقوبية وقال نسطور عيسى ابن الله فكذبه الاثنان واتبعه
النسطورية وقال ملكا عيسى احد ثلاثة الله اله ومريم اله وعيسى اله فكذبه الرابع واتبعه طايفة
وقال اسرايل عيسى عبد الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه فاتبعه فريق من بني اسرايل ثم اقتتل
الاربعة فغلب المومنون وقتلوا وظهرت اليعقوبية على الجميع ذكر معناه ابو حيان وابن كثير ورواه
عن عبد الرزاق عن معمر عن قتادة فويل اي فتسبب عن اختلافهم انا نقول ويل للذين كفروا منهم من
مشهد يوم عظيم في جمعه وما فيه من الاهوال والقوارع ولما كان ذلك المشهد عظيم الجمع شديد
الزحام مستوي الارض بعيد الارجا كان حاله مقتضيا لان لا يطلعوا على غير ما يليهم من اهواله فقال
في جواب من يقول وما عسى ان يسمعوا او يبصروا فيه اسمع بهم وابصر اي ما اشد سمعهم وما انفذ
بصرهم يوم ياتوننا سامعين لكل هوايله مبصرين لساير احواله فيطلعون بذلك على جميع ما ادى
عمله في الدنيا الى ضرهم في ذلك اليوم وجميع ما كان ينفعهم لو عملوه فيندمون حيث لا ينفعهم الندم
ويتمنون المحال من الرجوع الى الدنيا ونحوه ليتداركوا فلا يجابون الى ذلك بل يسلك بهم في كل ما يوذيهم
ويهلكهم ويرديهم فيكونون بسلوك ذلك وهم يعلمون ضرره عميا وبكما وصما لانهم لا ينتفعون بمداركهم
كما كانوا في الدنيا كذلك لكنهم وانما اظهر فقال لكن الظالمون تنبيها على الوصف الذي اجلهم ذلك المحل اليوم
في ضلال مبين لا يسمعون ولا يبصرون ولما كان هذا الذي تقدم انذارا بذلك المشهد كان التقدير
انذرهم ذلك المشهد وما يسمعونه فيه ويبصرونه وانذرهم يوم الحسرة نفسه في ذلك المشهد
العظيم يوم تزل القدم ولا ينفع الندم اذ اي حين او لانه قضي الامر اي امرهم وفرغ منه وقطعا انه
لا بد من كونهم فيه وهم حال من انذرهم اي والحال انهم في غفلة عما قضينا من امرهم لا شعور لهم
بشي منه بل يظنون ان الدهر هكذا حياة وموت بلا اخر وهم لا يومنون بانه لا بد من كونه وفي
الصحيح ما يدل على ان يوم الحسرة حين يذبح الموت فقد روى مسلم عن ابي سعيد رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاء بالموت يوم القيمة كانه كبش املح فيقال يا اهل الجنة هل تعرفون
هذا فيشرئبون وينظرون ويقولون نعم هذا الموت ويقال يا اهل النار هل تعرفون هذا فيشرئبون
وينظرون ويقولون نعم هذا الموت فيومر به فيذبح ثم يقال يا اهل الجنة خلود فلا موت ويا اهل النار خلود
فلا موت ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية فذلك قوله وانذرهم يوم الحسرة الاية واما الغفلة
ففي الدنيا وروى ابن حبان في صحيحه عن النبي صلى الله عليه وسلم اذ قضي الامر وهم في غفلة قال في الدنيا قال
المنذري وهو في مسلم بمعناه في اخر حديث ولما كان الارث هو حوز الشي بعد موت اهله وكان سبحانه
قد قضى بموت الخلايق اجمعين وانه يبقى وحده عبر عن ذلك بالارث مقررا به مضمون الكلام السابق فقال
انا نحن نرث الارض فلا ندع بها عامرا ومن عليها بان نسلبهم جميع ما في ايديهم والينا لا الى غيرنا يرجعون
بعد الموت ولما ذم الضالين في امر المسيح وعلق تهديدهم بوصف دخل فيه مشركو العرب
فانذرهم بصريح تكذيبهم بالبعث وعيرهم بانهم لسوء اعمالهم كالمكذبين به وختم ذلك بانه الوارث
وكان ابرهيم عليه السلام لكثرة اولاده من العرب والروم واهل الكتابين وارثا لاكثر اهل الارض وكان

سأل زكريا في هبة الولد على كبر سنه وعقم زوجه اتبع ذلك قوله واذكر في الكتاب ابرهيم اعظم ابايكم
الذي نهى اباه عن الشرك يا من يكفرون تقليد الاباء ثم علل تشريفه بذكره له بقوله انه كان صديقا
نبيا وهو اعظم الانبيا بعد محمد على جميعهم افضل الصلاة والسلام ولما تكفل ما تقدم من هذه السورة
بنفي الشريك بعيد كونه ولدا اتبع ذلك من قصته ما ينفي مطلق الشرك لتقتدي به اولاده في ذلك
اذ كانوا يقلدون الاباء وليس في ابايهم مثله فقال اذ قال لابيه هاديا له من تيه الضلال يا ابت
ولما كان العاقل لا يفعل فعلا الا لثمرة نبهه على عقم فعله بقوله لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر اي
ليس عنده قابلية لشي من هذين الوصفين ليرى ما انت فيه من خدمته او يجيبك اذا ناديته حالا او مالا
ولا يغني عنك شيا من الاغنا ولما نبهه على ان ما يعبده لا يستحق العبادة بل لا يجوز عبادته لنقصه
مطلقا ثم نقصه عن عابده ولن يكون المعبود دون العابد اصلا وكان اقل ما يصل اليه بذلك مقام
الحيرة نبهه على انه اهل الهداية فقال مكررا الوصف المذكر بالعطف والود يا ابت اني قد جاني
من المعبود الحق من العلم ما لم ياتك منه فاتبعني اي فتسبب عن ذلك اني اقول لك وجوبا على النهي
عن المنكر ونصيحة لما لك علي من الحق اتبعني اهدك صراطا سويا لا عوج فيه ولما بين انه لا
نفع فيما يعبده ونبهه على الوصف المقتضي لوجوب الاقتدا به بين له ما في عبادة معبوده من الضر
فقال يا ابت لا تعبد الشيطان البعيد من كل خير فان الاصنام ليس لها دعوة اصلا والله تعالى
قد حرم عبادة غيره مطلقا على لسان كل ولي له فتعين ان يكون الامر بذلك الشيطان فكان هو
المعبود بعبادتها في الحقيقة ثم علل هذا النهي فقال ان الشيطان البعيد من كل خير كان للرحمن
المنعم بجميع النعم القادر على سلبها عصيا بالقوة من حين خلق وبالفعل من حيث امر بالسجود لابيك
ادم فابى فهو عدو لله وله والمطيع للعاصي لشي عاص لذلك الشي لان صديق العدو عدو فلما تبين له
انه بذلك عاص للمنعم خوفه من ازالته نعمته فقال يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب
من الرحمن لعصيانك اياه فتكون اي فيتسبب عن ذلك ان تكون للشيطان وحده وليا فلا تكون لك نصرة
اصلا فلما وصل الى هذا الحد من البيان كان كانه قيل ماذا كان جوابه فقيل قال مقابلا لذلك الادب
العظيم والحكمة العظيمة البالغة الناشية عن لطافة العلم بغاية الفظاظة الناشية عن كثافة الجهل
منكرا عليه في جميع ما قال بانكار ما بعثه عليه من تحقير الهته اراغب انت عن الهتي فقال
انت وقال عن الهتي باضافتها الى نفسه فقط اشارة الى مبالغته في تعظيمها والرغبة عن الشي تركه
عمدا ثم ناداه باسمه لا بلفظ البنوة المذكر بالشفقة والعطف زيادة في الاشارة الى المقاطعة
ولوازمها فقال يا ابرهيم ثم استانف قوله مقسما لين لم تنته عما انت عليه لارجمنك اي لاقتلنك
فان ذلك جزاء المخالفة في الدين فاحذرني ولا تتعرض لذلك مني واهجرني اي ابعد عني مليا اي
زمانا طويلا وفي ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتاسية فيما كان يلقى من الاذى ويقاسي من
قومه من العنا باعظم ابايه واقربهم به شبها قال ابرهيم عليه السلام مقابلا لما كان منه من طيش الجهل
بما يحق لمثله من رزانة العلم سلام عليك اي انت سالم مني ما لم اومر فيك بشي ثم استانف قوله ساستغفر لك
ربي المحسن الي بان اطلب لك منه غفران ذنوبك بان يوفقك للاسلام الجاب لما قبله لان هذا كان

فقال ان يعلم انه عدو لله تخلّق بشفاعته بدليل عدم جزمه بعذابه في قوله اني اخاف ان يمسك ثم علل
اقدامه على ذلك اشارة الى انه مقام خطر له من الادلال لما له من مزيد القرب فقال انه كان بي
في جميع احوالي حفيا مبالغا في اكرامي مرة بعد مرة وكرة اثر كرة ثم عطف على وعظه بالاحسان وعلى
ما سال فيه من الهجرة فقال واعتزلكم جميعا بترك بلادكم وما تدعون اي تعبدون من دون الله ولم يقيد
الاعتزال بزمن بل اشار الى انهم ما داموا على هذا الدين فهو معتزل لهم وادعوا اي اعبد ربي وحده
لاستحقاقه ذلك بتفرده بالاحسان الخ ثم دعا لنفسه بما نبههم به على خيبة مسعاهم فقال
عسى ان لا اكون بدعاء ربي المتفرد بالاحسان اليّ شقيا كما كنتم انتم اشقيا بعبادة ما عبدتموه و
[illegible] اي من ابيه ومعاشريه ماراي عزم على نشر شقة النوى مختارا للغربة في البلاد على غربة الاضداد
فكان كما قال الامام ابو سليمان الخطابي * وما غربة الانسان في شقة النوى * ولكنها والله في عدم الشكل *
واني غريب بين بُسْت واهلها * وان كان فيها اسرتي وبها اهلي * وحققوا ما عزم عليه
فبين سبحانه تحقيق رجائه واجابة دعائه فقال فلما اعتزلهم اي بالهجرة الى الارض المقدسة وما يعبدون من دون الله
الجامع لجميع معاني العظمة الذي لا تنبغي العبادة لغيره وهبنا له كما هو الشان في كل من ترك شيا لله اسحق ولدا له
لصلبه من زوجته العاقر العقيم بعد تجاوزها سن الياس واخذه هو في السن الى حد لا يولد لمثله ويعقوب
ولدا لاسحق وخصهما بالذكر لانه [illegible] بعد موته بخلافته واما اسمعيل عليه السلام فكان
الله سبحانه هو المتولي لتربيته بعد نقله رضيعا الى المسجد الحرام واحيا به تلك المشاعر العظام ثم صرح بما
وهب لاولاده جزاء على هجرته فقال وكلا اي منهما جعلنا نبيا كما جعلنا ابرهيم عليه السلام نبيا ووهبنا لهم
كلهم من رحمتنا بالبركة في الاموال والاولاد واجابة الدعا واللطف في القضا وجعلنا لهم لسان صدق عليا اي
ثناء صادقا رفيع القدر [illegible] به ويثني عليهم من جميع اهل الملل على كر الاعصار ومر الليل والنهار وفي ذلك
ترغيب في الهجرة ثانيا بعدما رغب فيها بقصة اهل الكهف اولا واشار اليها بقوله في سبحن وقل رب ادخلني مدخل
صدق الاية ولما كان موسى اول من نوه الله باسمائهم على لسانه في التوراة واظهر مجدهم وشهر
مناقبهم وتوارث ذلك ابناؤهم منه حتى شاع امرهم وذاع وملا الاسماع قطارا في الاقطار حتى عم البراري
والبحار عقب ذكرهم بذكره فقال واذكر في الكتاب موسى اي الذي انقذ الله به بني اسرايل من العبودية
والذل حتى تمكنوا من اظهار اثار ابائهم وكان موافقا لابيه ابرهيم عليهما السلام في ان كلا منهما اراد ملك زمانه
الذي ادعى الربوبية قتله خوفا على ملكه منه فانجاه الله منه وامر موسى اعجب لانه سبحانه انجاه من الذبح
بالذبائح ثم علل ذكره له بقوله انه كان مخلصا لله تعالى في توحيده وجميع اعماله لان الله اخلصه له
وكان رسولا الى بني اسرايل والقبط نبيا ينبئه الله بما يريد من وحيه لينبئ به المرسل اليهم فصار الاخبار
بالنبوة عنه مرتين احدهما في ضمن رسولا والاخرى صريحا وعطف على ذلك دليله الدال على ما صدرت
به السورة من الرحمة فرحمه بتأنيسه وتخشيته وتاهيل عزبته بتلذيذه بالخطاب واعطائه الكتاب
فقال وناديناه من جانب الطور اي جبل الطور الجانب الايمن فاتيناه هنالك حين كان متوجها الى
مصر بانه رسولنا ثم واعدناه اليه بعد اغراق ال فرعون فكان لبني اسرايل به من العجايب في رحمتهم بانزال
الكتاب والالذاذ بالخطاب من جوف السحاب وفي اماتتهم لما طلبوا الرويه ثم احيائهم وغير ذلك ما يجل

عن الوصف على ما هو مذكور في التوراة وتقدم كثير منه في هذا الكتاب بعرق بناه تعريف تشريف نجيا
تخبر من امرنا بلا واسطة ووهبنا له من رحمتنا لما سالنا اخاه اي معاضدة اخيه هرون حال كونه
نبيا شددنا به ازره وقوينا به امره وكان خلفه في قومه عند ذهابه الى ساحة المناجاة ومع ذلك
فاشركوا اي صورة عجل فلا تعجب من غرورهم للعرب مع ما شرفهم الله به [illegible] ولما كان
اسمعيل عليه السلام هو الذي ساعد اباه ابرهيم عليه السلام في بناء البيت الذي كان من الافعال
التي ابرّ الله بها ذكرهم وشهر امرهم وكان موافقا لموسى عليه السلام في ظهور اية الماء الذي به حياة
كل شي وان كانت اية موسى عليه السلام انقضت بانقضائه وابنته هو باقية الى ان يرث الله الارض
ومن عليها وهي التي كانت سبب حياته ومادتها ببركته افضل مياه الارض وجعل سبحانه اية الماء التي
اظهرها له بسبب حفظه من الجن والانس والوحش وبئرا بالمقصد اشارة الى انه سبحانه يحيي بولده
محمد صلى الله عليه وسلم الذي غذاه بذلك الماء وربّاه به عند ذلك البيت الى ان اصطفاه برسالته لحسدته
اليهود وأمرتْ بالنعت عليه ما لم يحيي بغيره ويجعله قطب الوجود كما خصه بالبيت الذي هو كذلك
قطب الوجود ويشفي به من داء الجهل ويغني به من مرير الفقر كما جعل ماء زمزم طعام طعم وشفاء سقم
وكان صلى الله عليه وسلم اخرص شيء قد زهرهم واعظمهم من اعلى ذكرهم عقب ذلك بذكره فقال واذكر
في الكتاب اباك اسمعيل بن ابرهيم عليهما السلام ثم علل ذكره والتنويه بقدره بقوله انه كان صادق الوعد
لمعونة الله له على ذلك بسبب انه لا يعد وعدا الا مقرونا بالاستثنا كما قال لابيه حين اخبره بامر
ذبحه ستجدني ان شاء الله من الصابرين ~~فكن انت كذلك~~ ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله
وكان رسولا نبيا نبأه الله تعالى باخباره وارسله الى اهل تلك البراري بدين ابيه ابرهيم عليهما السلام
فاحياها الله به بنوره كاحيائه الناشي عن روح العلم ووصفه بالرسالة زيادة على وصف اخيه اسحق عليهما
السلام وفي صحيح مسلم ان الله اصطفى من ولد ابرهيم اسمعيل وكان يامر اهله بالصلاة التي هي طهرة البدن
وقرة العين وخير العون على جميع المآرب والزكوة التي هي طهرة المال كما اوصى الله بذلك جميع الانبيا عليهم
السلام وتقدم في هذه السورة انه سبحانه اوصى بذلك عيسى عليه السلام وكان عند ربه مرضيا فاقتد انت
به فانه من اجل ابائك لتجمع بين طهارة القول والبدن والمال فتنال رتبة الرضى ولما كان اسمعيل عليه
السلام قد رفع ~~وكان ادريس عليه السلام اول من اتخذ السلاح وقاتل الكفار~~ بالسكنى في جبال الى اعلى مكان في الارض
رتبة وكان اول نبي رمي بالسهام وكان ادريس عليه السلام اول من اتخذ السلاح وقاتل الكفار واول من نظر في علم
النجوم وخط بالقلم وخاط الثياب وكان اغربهم قصة واعجبهم امرا واقدمهم زمانا ختم به القصص تاييدا
لهذا النبي الكريم بما يخبر به من القصص التي هي اغرب ما [illegible] بالنعت فيه واشارة الى ان الله تعالى
يؤتي اتباعه من علوم ادريس الارضية والسماوية ما يستحق ان يحفظ بالخط ويودع بطون الكتب
لضيق الصدور عن حفظه ما لم تؤته امة من الامم وانه يجمع شملهم ترهيبا للمتعنتين بانهم ان لم ينتهوا
وضع فيهم السلاح كما فعل ادريس عليه السلام بكفار زمانه فقال واذكر في الكتاب ادريس اي الذي هو
ابعد ممن تعنتكم اليهود زمانا واخفى منهم شانا وهو جد ابي نوح عليه السلام واسمه خنوخ بمهملة
ونون واخرى معجمة انه كان صديقا اي صادقا في افعاله واقواله ومصدقا بما اتاه الله من اياته

وعلى ألسنة الملائكة نبيا ينبئه الله تعالى بما يوحيه اليه فينبئ به الناس الذين ارسل اليهم ورفعناه
جزاء منا له على تقواه واحسانه مكانا عليا اي الجنة او السماء الرابعة وهي التي راه النبي صلى الله عليه وسلم
بها ليلة الاسراء قال ابن قتيبة في المعارف وفي التوراة ان حنوخ احسن قدام الله فرفعه اليه انتهى وفي
نسخة بترجمة التوراة وقابلنا مع بعض فضلاء الربانيين من اليهود على ترجمة سعيد الفيومي بالمعنى
ما نصه وكانت جميع حياة حنوخ ثلث مائة وخمسا وستين سنة فارضى حنوخ الله ففقد لان الله غيبه وفي
نسخة اخرى لان الله قبله وفي اخرى لان الله اخذه وهو قريب مما قال ابن قتيبة لان اصل الكلام عبراني
وانما نقله الى العربي المترجمون فكل ترجم على قدر فهمه من ذلك اللسان ويؤيد ان المراد الجنة ما في
مجمع الزوائد للحافظ نور الدين الهيثمي عن معجمي الطبراني الاوسط والاصغر ان لم يكن موضوعا حدثنا
محمد بن واسط ثنا ابرهيم بن عبد الله بن خالد المصيصي ثنا حجاج بن محمد عن ابي غسان محمد بن مطرف
عن زيد بن اسلم عن عبيد الله بن ابي رافع عن ام سلمة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان ادريس عليه السلام كان صديقا لملك الموت فساله ان يريه الجنة والنار فصعد بادريس فاراه النار
ففزع منها وكاد يغشى عليه فالتف عليه ملك الموت بجناحه فقال ملك الموت اليس قد رايتها قال بلى
ولم ار كاليوم قط ثم انطلق به حتى اراه الجنة فدخلها فقال له ملك الموت انطلق قد رايتها قال الى اين
قال ملك الموت حيث كنت قال ادريس لا والله لا اخرج منها بعد اذ دخلتها فقيل لملك الموت اليس انت
ادخلته وانه ليس لاحد دخلها ان يخرج منها وقال لا يروى عن ام سلمة الا بهذا الاسناد قال
الحافظ نور الدين ابرهيم المصيصي متروك قلت وفي لسان الميزان لتلميذه شيخنا حافظ العصر
ابن حجر عن الذهبي انه كذاب وعن ابن حبان انه كان يسرق الحديث اي يدلس تدليس التسوية
وفي تفسير البغوي عن وهب قريب من هذا وفيه انه سال ملك الموت ان يقبض روحه ويردها بعد
ساعة فاوحى الله اليه ان يفعل وفيه انه احتج في امتناعه من الخروج بان كل نفس ذائقة الموت
وقد ذاقه وانه لا بد من ورود النار وقد وردها وانه ليس حد يخرج من الجنة فاوحى الله الى ملك الموت
باذني دخل الجنة يعني فخل سبيله فهو حي هناك وفي تفسير البغوي ايضا عن كعب وغيره ان ادريس
عليه السلام مشى ذات يوم في حاجة فاصابه وهج الشمس فقال يا رب فكيف عن يحملها اللهم خفف عنه من ثقلها
فخفف عنه فسال ربه عن السبب فاخبره فسال ان يكون بينهما خلة فاتاه فسال له ادريس ان يسال ملك
الموت في ان يوخر اجله فقال لا يوخر نفسا اذا جاء اجلها وانا مكلمه فرفع ادريس عليه السلام فوضعه
عند مطلع الشمس ثم اتى ملك الموت فكلمه فقال ليس ذلك الي ولكن ان احببت اعلمته اجله فيتقدم في نفسه
قال ثم نظر في ديوانه فقال انك كلمتني في انسان ما اراه يموت ابدا قال وكيف قال لا اجده يموت الا
عند مطلع الشمس قال فاني اتيتك وتركته هناك قال انطلق فلا اراك تجده الا وقد مات فوالله ما بقي من
اجل ادريس عليه السلام شي فرجع الملك فوجده ميتا ومن جيد المناسبات ان اسمعيل وادريس عليهما السلام
اشتركا في البيان بالقلم واللسان فاسمعيل عليه السلام اول من اجاد التبيان باللسان وادريس عليه السلام
اول من اعرب الخطاب بالكتاب فقد روى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال اول من فتق لسانه بهذه العربية اسمعيل عليه السلام ولاحمد عن ابي ذر رضي الله عنه ان

النبي صلى الله عليه وسلم قال اول من خط بالقلم ادريس عليه السلام ولما انقضى كشف هذه الاخبار
العلية المقدار الجليلة الاسرار شرع سبحانه يمدح اهلها باشرف نسبهم ويذكر اكمل سببهم فقال
اولئك اي العالو الرتب الشرفاء النسب الذين انعم الله عليهم بما خصهم من مزيد القرب اليه وعظيم المنزلة
لديه من النبيين اي المصطفين للنبوة الذين انبأهم الله بدقايق الحكم وانبأوا الناس بجلايل الكلم والقيم
بظاهر الشيم من ذرية ادم صفيّنا ابي البشر الذي خلقه الله من التراب بيده واسجد له ملايكته وادريس
اجمعهم بذلك ولما كان في انجاء نوح عليه السلام واغراق قومه من القدرة الباهرة ما لا يخفى نبه عليه
بنون العظمة في قوله وممن حملنا مع نوح صفينا اول رسول ارسلناه بعد افتراق اهل الارض واشراكهم
من خلص العباد واهل الرشاد وابراهيم اقربهم الى ذلك ومن ذرية ابرهيم خليلنا واسمعيل واسحق
اولا هم بذلك ثم يعقوب واسرايل صفينا وهم الباقون موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى بن مريم
بنت داود على جميعهم افضل الصلاة والسلام وممن هدينا الى اقوم الطرق واجتبينا اي فعلنا بهم فعل
من يتخير الشي وينتقيه بان اسبغنا عليهم من النعم ما يجل عن الوصف ولما ذكر ما حباهم به ذكر
ما تسبب عن ذلك فقال اذا تتلى عليهم ايات الرحمن العام النعم خروا سجدا للمنعم عليهم واحسانه
اليهم وبكيا خوفا منه وشوقا اليه فوصفهم بترعة الخشوع من ذكر الله الناشي عن دوام الخضوع لله
والناشي عنه الاسراع بالسجود في حالة البكا وجعلهما حالتين لعراقة التجلي بمعاني كل منهما على انفراده
وعبر بالاسم في كل من السجود والبكاء اشارة الى ان خوفهم دايم كما ان خضوعهم دايم لعظمة الكبير الجليل
لان تلك الحضرة لا تغيب عنهم اصلا وان حصر عن البكا فلقتا بغير لمن اراد ان يسلوا اليه ليوصلوه الى قربه من رتبتهم
بحسن عشرتهم على تفاوت المراتب وتباين المطالب وحذف ذكر الاذقان لئلا لنا كالتقدم في سبحن على
نوع دهشة فهي وان اعلت صاحبها عن لم يبلغ حالة دون مقام الراسخين في حضرة الجلال لانهم مع كونهم
في الذروة من مقام الخوف في اعلى درجات الكمال من حضور الفكر وانشراح الصدر للتلقي واردات الحق
والقاميا الى الخلق انظر الى ثبات الصديق رضي الله عنه لخلق مقامه عن غيره عند وفاة النبي صلى الله عليه وسلم
مع انه اوفاهم من المحبة مشربا واصفاهم موردا واوفرهم حزنا واكثرهم غما حتى انه اعتراه لذلك
مرض النحيل حتى مات به وجدا واسفا ولما كان من المقاصد العظيمة تبكيت اليهود لانهم اهل الكتاب
وعندهم من علوم الانبيا ما ليس عند العرب وقد استرشدهم العرب واستنصحوهم فقد كان وجب الواجبات
عليهم محض النصح لهم فابدى سبحانه من تبكيتهم ما تقدم الى ان ختمه بان جميع الانبيا كانوا لله سجدا ولا تبرع
خضعا عقب ذلك بتوبيخ هم اعظم داخل فيه وهو اشد مما تقدم لمن خان الله ورسله فقال فخلف من بعدهم
اي بعد هولا الاصفيا سريعا خلف هم في غاية الرداءة اضاعوا الصلوة الناهية عن الفحشا والمنكر التي
هي طهرة الابدان وعصمة الاديان واعظم الاعمال بتركها او تاخيرها عن وقتها او الاخلال بحدودها
فكانوا لما سواها اضيع فاطلمت قلوبهم فاعرضوا عن داعي العقل واتبعوا الشهوات التي توجب العار في
الدنيا والنار في الاخرة فلا يقربونها من يستحق ان يعد بين الرجال من تغيير احكام الكتاب وتبديل ما فيه مما
يخالف الاهوا كالرجم في الزنا وتحريم الرشا والربا ونحو ذلك واعظمه كتم البشارة بالنبي العربي الذي هو
من ولد اسمعيل فسوف يلقون بعد طول المهلة جزاء فعلهم هذا غيا اي ضلالا عظيما فلا يزالون في عمى

عن طريق الرشاد لا يستطيعون اليه سبيلا وهم على بصيرة من انهم على خطا وضلال ولكنهم مقهورون
على ذلك بما زين لهم مبينه حتى صارت لهم فيه اتم رغبة ولو يزل سبحنه يسند رجهم بالنعم الى ان قطعوا
بالظفر والغلبة حتى انا بجميع الامم سطوات الحق فاخذوا على غرة ولا انكا من لا اخذ على هذه الصفة بعد توطين
النفس على العز وهو من ذلك قوله ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما وصما مع قوله اسمع بهم وابصر
وجزاء من كان هذا ديدنه في الدنيا والاخرة معروف لكل من له ادنى بصيرة انه العار ثم النار وايضا فان من
ضل اخطا طريق الفلاح من الجنة وعيرها فخاب ومن خاب فقد هلك قال ابو علي الجبائي والغي هو الخيبة في اللغة
انتهى ونحوذان يراد بالغي الضلال اما من قولهم اغويته وزن انقيته اي نهلكه واما من تسمية الشي باسم ما يلزمه
ولما اخبر تعالى عنهم بالخيبة فتح لهم باب التوبة وحداهم الى غسل هذه الحوبة بقوله الا من تاب اي مما
هو عليه من الضلال بايثار سفساف الاعمال على اوصاف الكمال وامن بما اخبر عليه به الهدى وعمل
بعد ايمانه تصديقا له صالحا من الصلوات والزكوات وغيرها فاولئك العالو الهمم الطاهرو الشيم
يدخلون الجنة التي وعد المتقون ولا يظلمون شيا من اعمالهم ثم وصفها بقوله جنات عدن
اي اقامة لا ظعن عنها بوجه من الوجوه التي وعد الرحمن الشامل النعم عباده الذين هو ارحم
بهم من الوالدة بولدها وعبر عنهم بوصف العبودية للاشعار بالتحنن وعدا كاينا بالغيب الذي
لا اطلاع لهم عليه اصلا الا من قبلنا فامنوا به فاستحقوا ذلك بفضله سبحنه على ايمانهم بالغيب
ولما كان من شان الوعود الغايبة على ما يتعارفه الناس بينهم احتمال عدم الوقوع بين ان
وعده ليس كذلك بقوله انه كان وعده ماتيا اي مقصودا بالفعل فلا بد من وقوعه فهو كقوله تعالى
ان كان وعد ربنا لمفعولا ولما كانت الجنة دار الحق وكان الكلام شي لذوي الاقدار الباطل وكان
اقل ما يتكلم منه سماعه نفى ذلك عنها على ابلغ وجه فقال لا يسمعون فيها لغوا اي شيا تما من الباطل
من كل وجه قال الا اي لكن سلاما لا عطب معه واورد على صورة الاستثنا من باب
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتايب وعسى ان يراد باللغو مطلق
الكلام قال في القاموس لغا لغوا تكلم اي لا يسمعون فيها كلاما الا كلاما يدل على السلامة ولا
يسمعون شيا يدل على عطب احد منهم ولا عطب شي فيها ولما كان الرزق من اسباب السلامة
قال ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا لا يحتاجون الى طلبه في وقت من الاوقات وفي تفسير عبد الرزاق
عن مجاهد وليس فيها بكرة ولا عشي لكنهم يوتون به على ما كانوا يشتهون في الدنيا اي انهم
خوطبوا بما يعرفون ولما بانت بهذه الاوصاف دار الباطل اشار الى علو رتبتها وما هو
سببها بقوله تلك الجنة باداة البعد لعلو قدرها وعظم امرها التي نورث اي نعطي عطا الارث
الذي لا نكد فيه ولا كدر ولا استرجاع من عبادنا الذين اخلصناهم لنا فخلصوا عن الشرك نية
وعملا من كان تقيا اي مبالغا في التقوى فهو في غاية الخوف منا لا ستحضاره انه عبد قال
الرازي في اللوامع وما تقرب احد الى ربه بشي ازين عليه من ملازمة العبودية واظهار الافتقار
والعبد يكون ذليلا باوصافه عزيزا باوصاف الحق تعالى انتهى وذلك اشارة الى ان شيا يرثها
التقوى ولما كرر سبحنه الوصف بالتقوى في هذه السورة ثلاث مرات وختمه بانه سبب للمقصود

بالذات وهو الراحة الدايمة بالوراثة لدار الخلد على وجه الاقامة المستمرة وصفة الملك الذي لا كدر فيه
بوجه ولا تخلف عن مراد انتجه ما بعده اشارة الى ما تنال به التقوى وهو الوقوف مع الامر مراقبة للامر عطفا
على وبالحق انزلناه لانه لما كان الحق العلم واتى بان جميع سورة الكهف شارحة لمسالتين من مسايل قريش
وبعض سورة سبحن شارح للثالثة ولطول الفصل صدرت قصة ذي القرنين بقوله ويسلونك الاما
بعطفها على مسالة الروح المصدرة بمثل ذلك وجات سورة مريم كاشفة تبكيتا لاهل الكتاب الكاتمين
للحق عن اغرب من تلك القصص واقدم زمانا واعظم شانا من اخبار الانبيا المذكورين وعن اسرع التبدل
بعدهم باضاعة الصلاة واتباع الشهوات فثبت بذلك ان هذا كله مرتب للاجابة سوا لهم وانه كلام
الله قطعا اذ لو كان من عند النبي صلى الله عليه وسلم ما وعدهم الاجابة في الغد الا وهو قادر عليها لما هو معلوم
قطعا من رزانة عقله وغزارة فطنته ومتانة رايه ولو قدر على ذلك ما تركهم يتكلمون في عرضه بما
الموت اسهل منه لما علم منه من الشهامة والانفة والبعد عما يقرب الشين وبان بذلك ان الله سبحنه عز
شانه ما اجل امر الروح ولا اخر الاجابة خمس عشرة ليلة او اقل او اكثر من عجز ولا جهل وثبت بذلك
كله وبما تجرى من صنعه لاهل الكهف ولذي القرنين وفي ولادة يحيى وعيسى واسحق عليهم السلام
تمام قدرته المستلزم لكمال علمه وكان الاخبار عن ذلك مطابقا للواقع الذي ثبت بعضه بالنقل الصحيح
وبعضه بادلة العقل القاطعة حقق مضمون قوله تعالى وبالحق انزلناه وبالحق نزل وان هذا الكتاب قيم
لا عوج فيه فعطف عليه الجواب عن قول النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام لقد ابطات علي يا جبريل
حتى ساءت ظنا يحصل ما ذكر في اسباب النزول فقال على لسان جبريل عليه السلام وما نتنزل اي انا ولا
احد من الملايكة ولا غيره الا بامر ربك المحسن اليك لئلا يقع في بعض الاوهام انه حق في نفسه ولكنه نزل
بغير امره سبحنه ووقع الخطاب مقترنا بالوصف المفهم لمزيد الاكرام تطييبا لقلبه صلى الله عليه وسلم واشارة الى انه
محسن اليه ولفظ التنزل مشير الى الاكرام اذ هو التردد مرة بعد مرة ولا يكون الا لذلك لان النزول
للعذاب يقضي به الامر في مثل لمح البصر وكان هذا عقب ذكر الجنة بذكر الجنة كما كان المعطوف عليه
عقب فاذا جا وعد الاخرة وكما كان ختام مسايلهم بذكر الاخرة في قوله فاذا جا وعد ربي جعله دكا
الى اخر السورة ليكون ذلك اشد تنبيها للبعث واعظم تاكيدا وان استطلت هذا العطف مع بعد ما بين
المعطوف والمعطوف عليه واستعظمته واستنكرته لذلك واستبعدته فقل لما كشفت هذه السورة
عن هذه القصص الغريبة وكان المتعنتون ربما قالوا نريد ان يخبرنا هذا الذي ينزل عليك بجميع انبا
الاقدمين واخبار الماضين قال جوابا عن ذلك ان قيل ما نزلنا عليك باخبارهم الا بامر ربك وما نتنزل
فيما يات ايضا الا بامر ربك ثم علل ذلك بقوله له ما بين ايدينا اي من المكان والزمان وما فيهما وما خلفنا من ذلك وما
بين ذلك وهو نحن والمكان والزمان الذي نحن بهما وما فوقه وتحته ونحن نعلم ذلك ونعمل على حسب ما نعلم فلا
نتصرف في ملكه الا بامره وما كان ربك نسيا اي ذا نسيان لشي من الاشيا فيترك تفصيل امر الروح ويوخر
الجواب عن الوقت الذي وعد تم فيه نسيانا شي من ذلك عليه ولا ينسى ما يصلحك فيحتاج الى مذكر به ولا
ينسى احدا منا فيتنزل في وقت ينسبا نه له بل هو دايم الاطلاع على حركاتنا وسكناتنا فنحن له في غاية المراقبة
وهو سبحنه يصرفنا بحسب الحكمة في كل وقت تقتضيه حكمته لا يكون شي من ذلك الا في الوقت الذي حده

له واراد فيه ولا يخرج شي من الاشيا وان دق عن مراده وهذه الاية معرفة بالحق انزلناه وقل لين اجتمعت
الانس والجن مثل قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات الا بتين في سورة هود عليه السلام على ما قدمته في
بيانه غير ان ما جمع هناك فصل هنا في اول الجواب عن اسئلتهم باية قل لين اجتمعت واثنايهم باية وبالحق
انزلناه وابتدوا بهذه الاية لتكون الايات رابطة على هذه الاجوبة وتوابعها وضابطة لها كالشهب والحرس
الشديد بالنسبة الي السما فلا يبغيها متعنت من جهة من جهاتها كيدا الا رد خاسئا ولا يرميها بقادح
الا كان رميه خاطئا ولما وصف سبحانه وتعالى بنفوذ الامر واتساع العلم على وجه يثبت به ما
اخبر به عن الجنة ثبت امر البعث اتم ذلك ما يقرر على وجه اصرح منه واعم فقال رب السموات
والارض اللتين نحن من جملة ما فيهما من عباده وما بينهما منا ومن غيرنا من الاحيا وغيرها فاعبده
بالمراقبة الدايمة علي ما ينبغي له من مثلك واصطبر علي كل ما ينبغي الاصطبار عليه لذلك لعبادته اي اجعلها
فانها لا تكون الا عن مجاهدة شديدة ثم علل ذلك بقوله هل تعلم له سميا اي متصفا بوصف من اوصافه
اتصافا حقيقيا او مسمي باسمه العلم الواقع موقعها فانه لا مماثل له حتى ولا في مجرد الاسم وايراده صورة
الاستفهام كالدعوى بدليلها ولما تبين بذلك وبما ذكر في هاتين السورتين مما سالوا عنه ومن غيره
شمول علمه وتمام قدرته لا سيما في ايجاد البشر تارة من التراب وتارة من ذكر وانثى في حكم العدم وتارة
من انثى بلا ذكر وثبت ذلك كله فانكشفت الشبهة وتضالت موجبات المرية وانقمعت مخيلات الفتن
عجب منهم في انكارهم البعث وهم يشاهدون ما ذكر من قدرته وعلمه عاطفا على التعجب في قولهم
وقالوا ايذا كنا تعجبا اشد من ذلك فقال ويقول بلفظ المضارع المؤذن بالتجدد بعد هذا البيان
المقتضي حتما لاعتقاد البعث فضلا عن انكاره مرة من المرات المخبر عنها بصيغة الماضي فكيف بالمداومة
على ذلك المشار اليها بصيغة المضارع الانسان الذي خلقناه ولم يك شيا وما فضلناه به من
العقل ونصبنا له من الدلايل منكرا مستبعدا ايذا ما مت ثم دل على شدة استبعاده لذلك بقوله
لسوف اخرج حيا اي بعد طول الرقاد وتفتت الاجزاء ثم قابل انكاره الباطل بانكار هو الحق فقال
عاطفا على يقول اولا يذكر الانسان اي المجترئ بهذا الانكار انا خلقناه من قبل اي من قبل جداله
هذا بما لنا من القدرة والعظمة ولما كان المقام للتحقيق بكونه عدما اعدم من التعبير عن ذلك ما امكن
اعلامه وهو النون لتناسب العبارة المعتبر فقال ولم يك شيا اصلا وانما مقتضي ذلك قادر على اعادته
ولما كان انكار المهدد بشي لقدرة عليه المهدد دهيا لا ان يحققه له مقسما عليه قال تعالى مؤكدا
بالغضب عليهم بالاعراض عنهم مخاطبا لنبيه صلى الله عليه وسلم فوربك المحسن اليك بالانتقام منهم ولما
كان الانكار للبعث يلزم منه الاحتقار اتى بنون العظمة واستمر في هذا التجلي بهذا المظهر الي خروجه
هذا اليوم فقال لنحشرنهم بعد البعث والشياطين الذين اضلوهم ثم لنحضرنهم حول جهنم الذي هم
بها مكذبون حال كونهم جثيا على الركب من هول المطلع وشدة الذل مستوفزين بما يؤمروا المبادرة الي
امتثال الاوامر ثم لننزعن من كل شيعة اي فرقة مرتبطة بمذهب واحد ايهم اشد على الرحمن الذي
غمرهم بالاحسان عتيا اي تكبرا متجاوزا للحد انتزاعا يعلم به اهل الموقف انه اقل من القليل وهي
امر من الغفيل وان له سبحانه مع صفة الرحمة التي غمرهم احسانها وبرها صفات اخرى من الجلال

والكبريا والجبروت والانتقام ثم وعزتنا لنحن لشمول علمنا وكمال عظمتنا اعلم بالذين هم اولى بها جهنم
صليا وبالذين هم اولى بكل طبقة من دركاتها من جميع الخلق من المنتزعين وغيرهم فلا يظن بنا انا نضع
احدا في غير دركته او غير طبقته من دركته وعطف عليه اعلاما بما اداة البعد مقرونة بنون العظمة تهويلا
للمقام وتعظيما للامر لا مستبعدا دهرلة ولما كان ابوابهذا الاعلام المؤكد بالاقسام من ذي الجلال والاكرام
جديرين باصغا الافهام الي ما يوجه اليها من الكلام التفت الي مقام الخطاب اتمامًا للعموم فقال وان
اي وما منكم احد الا واردها اي جهنم كان هذا الورود على ربك الموجد لك حتما مقضيا قال
الرازي في اللوامع ما من مومن الا الانبيا الا وقد تلطخ بخلق سو ولا ينال السعادة الحقيقية الا بعد
تنقيته وتخليصه من ذلك انما يكون بالنار ولما كان الخلاص منها بعد ذلك مستبعدا قال
مشيرا اليه باداة البعد ثم ننجي الذين اتقوا اي كانوا متقين منها ونذر الظالمين الذين وضعوا الاشيا
في غير مواضعها فكانوا في افعالهم خابطين كالاعمى فيها جثيا كما كانوا لا يهتدوا الي وجه يخلصون
به منها ولما كان هذا جديرا بالقبول لقيام الادلة على كمال قدرة قايله وتنزهه عن اخلاف القول
لانه من صفات النقص قال معجبا من منكري عاطفا على قوله ويقول الانسان واذا تتلى عليهم اياتنا حال كونها
بينات لا مرية فيها قال الذين كفروا باياتنا ربهم البينة للذين امنوا اعراضا عن الاستدلال بالايات
ووجوه دلالتها البينات بالاقبال على هذه الشبهة الواهية وهي المفاخرة بالمكاثرة في الدنيا من قولهم
اي الفريقين نحن ام انتم خير مقاما اي موضع قيام او اقامة واحسن نديا مجمعا ومتحدثا باعتبار ما في كل
من الرجال وما لهم من الزي والاموال ويجعلون ذلك الامتحان بالانعام والاحسان دليلا على رضى
الرحمن مع التكذيب والكفران ويغفلون عن ان في ذلك مع التكذيب بالبعث تكذيبا بما يشاهدونه منا
من القدرة على العذاب باحلال النقم وسلب النعم ولو شينا لاهلكناهم وسلبنا جميع ما يفتخرون به
وكم اهلكنا قبلهم من قرن شاهدوا ديارهم واثارهم هم اي اهل تلك القرون احسن من هولا
اثاثا اي امتعة وريا اي منظرا فكانه قيل فما يقال لهم فقال قل لهم هذا الذي افتخرتم به لا
يدل على حسن الحال في الاخرة بل على عكس ذلك فقد جرت عادته سبحانه انه من كان في الضلالة منكم
يبسط له في الدنيا وطيب عيشه فيها ونعم بانواع الملاذ وتجبر عن ذلك لا يكاد يتخلف عن غير من حكم بالزامه
المسكنة من اليهود بلام الامر في قوله فليمدد له واشار الي التجلي لهم بصفة الاحسان بقوله الرحمن اي العام
الامتنان مدا في العاجلة بالبسط في الاثار والسعة في الديار والطول في الاعمار وانفاقها فيما يستلذ
من اوزار الكفار فيما لهم من خيار وتجارب وتمام لمن له استبصار ولا نزال نمد له استدراجا حتى اذا راوا
اي كل من كفر بالله وان ادعوا انهم بها مقتدون وبها مستبصرون ما يوعدون من قبل الله اما العذاب
في الدنيا بايدي المومنين او غيرهم او في البرزخ واما الساعة التي هم بها مكذبون وعن الاستعداد لها
معرضون ولا شي يشبه اهوالها وخزيها ونكالها فسيعلمون اذا راوا ذلك من هو شر مكانا واضعف
جندا اهم او المومنون ولما كان هذا كونه استدراجا زيادة في الضلال قابله بقوله ويزيد الله
وعبر باسم العلم اشارة الي التجلي لهم بجميع الصفات التي ليعرفوه حق معرفته الذين اهتدوا هدى
عوضا مما زوي عنهم من الدنيا لكرامتهم عنده ما بسطه للضال لهوانه عليه واشار الي انه مثل ما خذل

اولئك بالنوال وفوزهم بالمحاسن الاعمال فقال والباقيات ثم وصفها احترازا من افعال اهل الضلال
بقوله الصالحات اي من الطاعات والمعارف التي شرحت لها الصدور فانارت بها القلوب وتخلصت من
احباط الذنوب فاوصلت الى علام الغيوب خير عند ربك مما متع به الكفرة ومتّدوا به على تقدير التنزل
الى تسميته خيرا ثم بين جهة خيريتها هذا بقوله ثوابا اي من جهة الثواب وخير مردا اي من جهة
العاقبة يوم الحسرة ولما تضمن هذا من التهديد بذلك اليوم ما يقطع القلوب فيوجب الاقبال
على ما ينجي منه عجب من حال من كفر به سوتخاله منكرا عليه عاطفا على ما ارشد اليه السياق فقال افرايت
اي ارايت الذي يعرض عن هذا اليوم فرايت الذي زاد على ذلك بان كفر بآياتنا الدالات على عظمتنا
بالدلالات البينات وقال جراة منه وجهلا اوتيا لسانه لا هو الامر ذلك اليوم وهتك استار
مقالا لهم وبين وهبا تسبب عن ذلك التعجب ممن يقول لأوتين الى الساعة على تقدير قيامها
مالا وولدا فلم يكفه في جهله تجهيز القادر حتى ضم اليه اقدار العاجز ولما كان ما ادعاه لا علم
به الا باحد امرين لا علم له بواحد منهما انكر عليه قوله ذلك بقوله اطلع الغيب الذي هو غائب عن كل مخلوق
ام اتخذ عند الرحمن العام الرحمة بالانعام على الطائع والانتقام من العاصي ثوابا للطائع عهدا عاهده
عليه ليقف سبحانه فيه عند قوله ولما كان كل من الامرين اطلاع الغيب واتخاذ العهد وكذا ما
ادعاه لنفسه وما يلزم عن اتخاذ العهد من القرب منتفيا قال كلا اي لم يقع شي من هذين الامرين
ولا يكون ما ادعاه ولما كان النفي هنا عن الواحد منهما للنفي عما فوقه الكفر به ولما رد ذلك استاف
الجواب لسوال من كانه قال فما ذا يكون له بقوله سنكتب ما يقول اي نحفظه عليه حفظ من يكتبه لنوبخه
به ونعذبه عليه ونمد له من العذاب مدا باستدراجه باسبابه من كثرة النعم من الاموال والاولاد المحببة
له في الدنيا المعينة له فيها بالكفر في جحوده والمخاصمة عليها الموجبة له التمادي في الكفر وتزهق انفسهم
وهم كافرون ونرثه بموته عن جميع ذلك ثم ابدل من ضميره قوله ما يقول اي من المال والولد فنحول
بينه وبينهم بعد البعث كما فعلنا بالموت بحيلولة الوارث بين الموروث وبين الموروث عنه ويأتينا
في القيامة فردا لا قدرة له على مال ولا ولد فلا عزة له ولا قوة بشي منهما روى البخاري في التفسير
عن خباب رضي الله عنه قال كنت قينا بمكة فعملت للعاصي بن وايل السهمي سيفا فجيت اتقاضاه فقال
لا اعطيك حتى تكفر بمحمد قلت لا اكفر بمحمد حتى يميتك الله ثم يحييك وفي رواية حتى تموت ثم تبعث قال
واني لمبعوث من بعد الموت قلت نعم قال فذرني حتى اموت ثم ابعث فسوف اوتى مالا وولدا فاقضيك
فنزلت هذه الاية افرايت الذي الى قوله فردا ولما اخبر تعالى ان هذا الكافر ياتيه على صفة الذل
قال معجبا منهم عاطفا على قوله ويقول الانسان واتخذوا اي الكفار وجمع لان نفي العز عن الواحد
قد لا يقتضي نفيه عما زاد من دون الله وقد تبين لهم انه لا كفوله الهة ليكونوا لهم اي الكافرين
عزا ولما بين انه لا يجيره مال ولا ولد وكان نفع الاوثان دون ذلك بلا شك نفاه بقوله
كلا باداة الردع لان ذلك طلب للعز من معدن الذل من الصمم العبيد الذين من اعتز بهم ذل
فانهم مجبولون على الحاجة ومن طلب العز للدنيا طلبه من العبيد لا محالة فانحطت قطعا لتناهيهم
على النقص الى ترك الحق واتباع الباطل فكانت عاقبة امره الذل وان طال المدى فان الله تعالى ابى ان

امهال المخذول الى ان ينتهي في خذلانه الى ان يستحق لباس الذل لقربه من سخطه ذلك بما يكون منهم يوم
البعث فقال سيكفرون اي الالهة بعبادتهم فيقولون ما كنتم ايانا تعبدون اذ تبرا الذين اتبعوا
من الذين اتبعوا ويكونون عليهم اي الكفرة ضدا وكذا يفعل الكفار مع شركائهم ويقولون والله ربنا
ما كنا مشركين فتقع بينهم العداوة كما قال تعالى ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا
ولما كان من المستبعد عندهم جواز رجوعهم عنهم فضلا عن كفرهم بهم دل على وقوعه بما يشاهد
منهم من الافعال المنافية لرزانة الحلم الناشية عن وقار العلم فقال الم تر انا ارسلنا الشياطين الذين
خلقناهم من النار على الكافرين تؤزهم ازا اي تحركهم تحريكا شديدا وتزعجهم في المعاصي والدنايا التي
لا يشكون في قبحها وعظيم شناعتها وهم اشد الناس عيبا لها عليها وذما لمرتكبها ازعاجا عظيما بحيث
يكونون في تقلبهم ذلك مثل الماء الذي يغلي في القدر ومثل الشرر المتطاير الذي هو اشد شي منافاة لطبع الطين
وملاءمة لطبع النار فلما ثبت بذلك المدعى تسبب عنه النهي عما اتصفوا به من خفة التسفه وطيش الجهل
فقال فلا تعجل عليهم بشي مما تريد به الراحة منهم ولما كانت مراقبة ايامهم للانسان لعدها في الحركات والسكنات
اكبر شافي للولي ومفرح واعظم غايظ للعدو ومزعج ومخيف وممقلق علل ذلك بقوله انما نعد لهم بما لنا لهم
وادرار النعم عليهم عدا لانفاسهم فما فوقها لا نغفل عنهم بوجه فاذا جا اجلهم الذي ضربناه لهم محونا اثارهم واخلينا
منهم ديارهم ثم لا يمكنهم ان يفوتونا فاصبر فما اردنا باملائنا لهم الا اشقاهم وازدادهم لا تنعيمهم واعلاهم فهو من
تعار الموصوف على صفته افرادا ولما بين ما لاجال الكافرين في اهتمامهم ودليله انجعه بوقته فقال يوم اي يكونون
بعبادتهم يوم نحشر المتقين ولما تقدمت سورة النعم العامة النحل واتبعت سورة النعم الخاصة بالمحسنين
وبعض العامة مثل ولقد كرمنا بني ادم الاسرا ثم سورة النعم الخاصة بالصالحين الكهف وهذه كان الى الرحمن
فذكر الاسم الدال على عموم الرحمة وكرر في هذه السورة تكريرا دل على ما فهمته ومما يؤيد ذلك افتتاح النحل
بنعمة البيان على هذا الانسان الذي عبر عنه بالخصيم وختام هذه بالقوم اللد من حيث رد مقطع هذه التركات
بالنظر الى النعم شيا واحدا على مطلعها وفدا اي قادمين في اسراع ورفعة وعلا ولما ذكر ما يدل على
كرامة اوليائه اتبعه ما يدل على اهانة اعدائه فقال ونسوق المجرمين كما تساق البهائم بعنف سوقا عنيفا من مجاحيتنا
الى جهنم وردا اي عطاشا لا يملكون الشفاعة اي لا يملك احد من القسمين ان يشفع ولا يشفع فيه الا من اتخذ
اي كلف نفسه واجتهد في ان اخذ عند الرحمن عهدا بما وفقه له من الطاعات التي وعد عليها ان يشفع
او ان يشفع فيه ولما ابطل مطلق الشفعا وكان الولد اقرب شفيع وكان من ادعاه له ولدا ابطل دعواهم فيه
لينتفي كل شفيع خاص وعام فينتفي كل عز راموه بشفاعة الهتهم وغيرها فقال عاطفا على قوله واتخذوا من دون
الله الهة تجاسرهم وقالوا اتخذ الرحمن اي الذي لا نعم غيره فكل احد محتاج اليه وهو غني عن كل احد ولدا مع قيام
الادلة على استحالته عليه سبحانه نفى الالتفات الى خطابهم باشد الانكار ايماء الى تناهي الغضب فقال لقد
اي وعزتي لقد جيتم شيا ادا اي عظيما ثقيلا منكرا ثم بين ثقله بقوله تكاد السموات على احكامها يتفطرن منه
اي من هذا الشي الاد وتنشق الارض على تحتها وتخر الجبال على صلابتها هدا لاجل ان دعوا للرحمن الذي كل ما سواه
نعمة منه ولدا وما ينبغي اي ما يصح ولا يتصور للرحمن ان يتخذ ولدا لانه غير محتاج الى الولد بوجه ومع ذلك
فهو محال لان الولد لا يكون الا مجانسا للوالد ولا شي من النعم بمجانس للمنعم المطلق الموجد لكل ما سواه فمن دعا له

ولدا فقد جعله كبعض خلقه واخرجه عن استحقاق هذا الاسم ثم اقام الدليل على غناه عن ذلك
واستحالته عليه وبيان الرحمانية فهدم بذلك الكفر مطلق الشريك بعد ما هدم الكفر بخصوص الولد
فقال ان كل من في السموات والارض الذين ادعوا انهم ولد وغيرهم الا اتي الرحمن العام بالاحسان
اي منقادا له في كل حالة وكل وقت عبدا مسخرا مقهورا فكيف يكون العبد ابنا او شريكا ولما
كان من المستبعد معرفة الخلايق كلهم اتبعه بقوله لقد اي والله لقد احصاهم كلهم احاطة بهم
وعدهم عدا قبل خلقهم من جميع جهات العدد ولوازمها فلم يوجد ولم يولد ولم يعدم ولم ينصب احد منهم
الا في حينه الذي علم له وكلهم اي وكل واحد منهم اتيه يوم القيمة بعد بعثه من الموت فردا على
صفة الذل موروثا ماله وولده الذي كنا اعطيناه في الدنيا فوقا له وعزا لانه لا موجود غيره يقدر
على حراسة نفسه من الفنا فهو لا شك في قبضته فكيف يتصور في بال او يقع في خيال ان يكون
شي من ذلك له ولدا او معه شريكا ولما عم بهذا الحكم الطايع والعاصي وكان ذلك محزنا لاهل الطاعة
باستشعار الذل في الدارين تحركت النفس الى معرفة ما افادتهم الطاعة فاستانف الجواب لذلك مبشرا
لهم بقوله ان الذين امنوا وعملوا تصديقا لادعاهم الايمان الاعمال الصالحات سيجعل تحقيقا عما قليل
عند بيعة العقبة لهم الرحمن الذي خصهم بالرضي بعد ان عمهم بالنعمة جزاء على انقيادهم له لانه كان ايتا
باختيارهم واما برضاهم ودا اي في قلوب العباد دالا على ما لهم عنده من الود والمراد والله اعلم انه لا
يجعل بعضهم في قلب احد من عباده عليهم اجتبوا لان الود كما قال الامام ابو الحسن الحرالي خلو عن ارادة
المكروه وسياتي ان شا الله تعالى في سورة الروم ما يزيد ذلك وضوحا روى الشيخان وغيرهما عن ابي هريرة
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله اذا احب عبدا دعا جبريل فقال يا جبريل اني احب فلانا
فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في اهل السما ان الله يحب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السما ثم يوضع له القبول في الارض
وان الله اذا ابغض عبدا دعا جبريل فقال يا جبريل اني ابغض فلانا فابغضه فيبغضه جبريل ثم ينادي في اهل السما
ان الله يبغض فلانا فابغضوه فيبغضه اهل السما ثم توضع له البغضا في الارض ولما كان انزال هذا القول
الثقيل ثم تيسيره حفظا وعملا سببا لما جعل لاهل الطاعة في الدنيا من الود بما لهم من التحلي والتزين
بالصالحات والتحلي والتصون من السيات الدال على ما لهم عنده مولاهم من عظيم العز والقرب وكان
التقدير والذين كفروا ليكسبنهم الجبار بغضا وذلا فاخبر كلام العزيز بما له بشارة ونذارة قال
فانما يسرناه اي هذا القران الذي عجز عن معارضته الانس والجان والكتاب القيم والوحي الذي لا يبدل
له بسبب انزالنا اياه بلسانك هذا العربي المبين العذب الرصين لتبشر به المتقين وهم الذين يجعلون
بينهم وبين ما يسخط الله وقاية فلا يبطلون حقا ولا يحقون باطلا ومتى حصلت لهم هفوة بادروا
الرجوع عنها بالمتاب بما لهم عندنا من العز الذي هو ثمرة الود المدلول عليه بما لهم منه في الدنيا لئلا يغترهم
به بان ننزل فيه ما يوهم تسويتهم باهل المعصية في ذل الدارين وتنذر به قوما لدا اشدا في الخصومة
يريدون العز بما لهم عندنا من الذل والهوان الناشي عن المقت المسبب عن مساوي الاعمال وانا
نهلكهم ان لم يرجعوا عن لددهم والالد هو الذي يتمادى في غيه ولا يرجع لدليل ويركب في عناد الحق
ما يقدر عليه من الشر ولا يكون هذا الا ممن يحتقر من يخاصمه ويريد ان يجعل الحق باطلا تكبرا عن قبوله

21

فينطبق عليه ما رواه مسلم في الايمان من صحيحه وابو داود في اللباس من سننه والترمذي في البر من
جامعه وابن ماجة في السنة من سننه عن ابن مسعود رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا
يدخل الجنة احد في قلبه مثقال حبة من كبر فقال رجل ان الرجل يحب ان يكون ثوبه حسنا ونعله
حسنة فقال ان الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط وفي رواية وغمص الناس وكلاهما بمعنى الاحتقار
ومن كان هذا سبيله مرن على ذلك ومرد عليه فكان جديرا بان يركبه الله ابطال الباطل الكفر عند الموت
فيحرم عليه الجنة فانه من يرتع حول الحمى يوشك ان يواقعه ساصرف عن اياتي الذين يتكبرون في
الارض بغير الحق الاية فيا ذل من تكبر على الحق ويا عز من تشرف بالذل للحق والعز على الباطل ولعمري
لقد اجرى الله عادته ولن تجد لسنته تحويلا ان من تعود الجراة في الباطل كان ذليلا في الحق واليه
يشير قوله تعالى في وصف احبابه اذلة على المومنين اعزة على الكافرين ولما كان التقدير
بعدما ارشد اليه السياق من مفعول ينذر فانا قادرون على اهلاكهم وجميع ما نريد منهم عطف
عليه قوله وكم اهلكنا قبلهم من قرن كانوا اشد منهم شدة واكثر عدة واوثق عدة فلم يبق الا
سماع اخبارهم ومشاهدة اثارهم ثم قال تصويرا لحالهم وتقريرا للمضمون ما مضى من ما لهم هل تحس
منهم من احد بتبصر او لمس او تسمع لهم ركزا اي صوتا خفيا فضلا عن ان يكون لهم جليا فقد
ختمت السورة بما بديت به من الرحمة لاوليائه والود لاصفيائه والنقمة للذين خلفوا بعدهم
من اعدائه والله الموفق سورة طه مقصودها الاعلام بامهال المدعوين والترفق بهم الى ان يكونوا
اكثر الامم زيادة في شرف داعيهم صلى الله عليه وسلم وعلى هذا المقصد الشريف دل اسمها بطريق
الرمز والاشارة ليتنبه اهل الفطنة والبصارة وذلك بما في اولها من الحروف المقطعة وذلك
انه لما كان ختام سورة مريم حاملا على الخوف من ان تهلك امته صلى الله عليه وسلم قبل ظهور امره
الذي امره الله به واشتهار دعوته لقلة من امن به منهم ابتدا هذه بالطاء اشارة بمخرجها
الذي هو من راس اللسان واصول الثنيتين العليتين الى قوة امره وانتشاره وعلوه وكثرة
اتباعه لان هذا المخرج اكثر المخارج حروفا واشدها حركة واوسعها انتشارا وبما فيها من
صفات الجهر والاطباق والاستعلا والقلقلة الى انقلاب ما هو فيه من الاسرار جهرا وما
هو فيه من الرقة فخامة لانها من حروف التفخيم وانه يستعلي امره وينتشر ذكره حتى يطبق جميع
الوجود ويقلقل سائر الامم ولكن يكون ذلك بما تشير اليه الها بمخرجها من اقصى الحلق على حد
بعيد من طرف اللسان موطول كبير وتمادٍ كثير وبما فيها من صفات الهمس والرخاوة والانفتاح
والاستفال والخفا مع مخافته وضعف كبير وهدو وخفا عظيم ومقاساة شدايد كبار مع نوع فخامة
واشتهار وهو وان كان شيئا يسيرا يغلب هذا الضعف كله وان كان قويا شديدا وقراءة الامالة
لها تشير الى شدة الضعف وقراءة التفخيم وهي لاكثر القراء مشيرة الى فخامة القدر وقوة الاثر بما لها من
الانفتاح وان روعي انه ليس كذلك انه يعاف ملك بني الاصفر وان كان معنى الحرفين يا رجل فهو اشارة الى
قوته وعلو قدره والخاسة ذكره وانتشار اتباعه وعموم امره وان كانا اشارة الى وطء الارض فهو الاحجة الى قوة التمكن
وعظيم القدرة ونفوذ التثبت حتى تصير كلها ملكا له ولاتباعه وسلكا لامرائه واشياعه والله اعلم وذكر ابن الفران في تاريخه

هجرة الحبشة كانت في السنة الثامنة من المبعث في الظاهر على ما ياتي في اسلام عمر رضي الله عنه ان نزول هذه السورة
او اولها كان قريب هجرة الحبشة فيكون نسخه قد رمزله صلى الله عليه وسلم على ما هو الذي يحادثه الاحباب من مزج
الخطاب بعد ذلك الطاي ان وهن الكفار الوهن الشديد يقع في السنة التاسعة من نزولها وذلك ان غزوة
بدر الموعد في سنة اربع من الهجرة وبعد دا سهما الى ان الفتح الاول يكون في السنة الحادية عشرة من نزولها
وذلك في عمرة الحديبية في ذي القعدة سنة ست من الهجرة عند نزول سورة الفتح ورمزله بعد د سمي الهاء
الى ان مبدأ النصرة بالهجرة في السنة الخامسة من نزولها وبعد دا سمها الى ان النصرة بالفعل تقع في السنة السابعة
من نزولها وذلك في غزوة بدر الكبرى في السنة الثانية من الهجرة وبعد دحرفي اسمها لا بعد اسمها الى انه
في السنة الثالثة عشرة من نزولها يكون الفتح الاكبر بالاستعلاء على مكة المشرفة الذي كان سببا قريبا للاستعلاء
على جميع الارض وذلك في اواخرها في رمضان سنة ثمان من الهجرة وكان تمامه بفتح الطائف بارسال وفدهم واسلامهم
وهدم طاغيتهم في سنة تسع وهي السنة الرابعة عشرة وبعدد اسمها الى ان تطبيق الارض بالاسلام
يكون في السنة الثامنة عشرة من نزولها وذلك بخلافة عمر رضي الله عنه في السنة الثالثة عشرة من
الهجرة والله اعلم بسم الله الواسع الحكم التام القدرة الرحمن الذي استوى في اصل نعمته جميع خلقه الرحيم
الذي اتم النعمة على اهل توفيقه ولطفه طه كهذه السورة والتي قبلها من اقدم السور المكية قال ابن هشام
في تهذيب السيرة قال ابن اسحق حدثني محمد بن مسلم الزهري عن ابي بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام
المخزومي عن ام سلمة بنت ابي امية بن المغيرة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قال قالت لما نزلنا بارض
الحبشة جاورنا بها خير جار النجاشي امنا على ديننا وعبدنا الله تعالى لا نؤذى ولا نسمع شيا نكرهه
فلما بلغ ذلك قريشا ائتمروا بينهم فذكر ارسالهم اليه بهدايا ليردهم اليهم وان بطارقته كلموه في ذلك
وانه ابى حتى يسمع كلامهم وانه طلبهم فاجمع امرهم على ان يقولوا الحق كائنا فيه ما كان فدخلوا وقد دعا
النجاشي اساقفته فنشروا مصاحفهم حوله فقال لهم ما هذا الدين الذي فارقتم به قومكم ولم تدخلوا
به في دين احد من هذه الملل قالت فكان الذي كلمه جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه فقال ايها الملك كنا
قوما اهل جاهلية نعبد الاصنام وناكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الارحام ونسيء الجوار وياكل
القوي الضعيف فكنا على ذلك حتى بعث الله الينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وامانته وعفافه
فدعانا الى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن واباؤنا من دونه من الحجارة والاوثان وامرنا بصدق
واداء الامانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزور واكل
مال اليتيم وقذف المحصنة وامرنا ان نعبد الله ولا نشرك به شيا وامرنا بالصلاة والزكاة والصيام فعدد عليه
امور الاسلام فصدقناه وآمنا به فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا الى عبادة الاوثان
فلما قهرونا وظلمونا خرجنا الى بلادك واخترناك على من سواك ورجونا ان لا نظلم عندك ايها الملك فقال له
النجاشي هل معك مما جاء به عن الله شيء فقال له جعفر نعم فقال له النجاشي اقراه فقرا عليه صدرا من كهيعص فبكى النجاشي حتى اخضل لحيته وبكا
اساقفته حتى اخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلي عليهم ثم قال النجاشي ان هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة
واحدة ثم ذكر تامينه لهم ورد هدايا قريش ورسلهم خائبين وقال ابن هشام وقال ابن اسحق
فحدثني عبد الرحمن بن الحرث بن عبد الله بن عياش بن ابي ربيعة عن عبد العزيز بن عبد الله بن عامر

بن ربيعة عن امه ام عبد الله بنت ابي حثمة رضي الله عنها قالت والله انا لنترحل الى ارض الحبشة وقد
ذهب عامر رضي الله عنه في بعض حاجاتنا اذ اقبل عمر بن الخطاب حتى وقف علي وهو على شركه وكنا
نلقى منه البلاء اذى لنا وشدة علينا فقال انه للانطلاق يا ام عبد الله قلت نعم والله لنخرجن في ارض
الله اذ يتمونا وقهرتمونا حتى يجعل الله لنا مخرجا فقال صحبكم الله ورايت له رقة لم اكن اراها ثم انصرف
وقد احزنه فيما ارى خروجنا فجاء عامر رضي الله عنه بحاجته تلك فقلت له يا ابا عبد الله لو رايت عمر
آنفا ورقته وحزنه علينا قال اطمعت في اسلامه قلت نعم قال لا يسلم الذي رايت حتى يسلم حمار الخطاب
يأسا منه لما كان يرى من غلظته وقسوته عن الاسلام قال ابن اسحق وكان اسلام عمر فيما بلغني ان اخته
فاطمة بنت الخطاب وكانت عند سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل رضي الله عنهم وكانت قد اسلمت واسلم
زوجها سعيد بن زيد وهم مستخفون باسلامهم من عمر وكان نعيم بن عبد الله النحام رجل من قومه بني
عدي بن كعب قد اسلم رضي الله عنه وكان ايضا يستخفي باسلامه فرقا من قومه وكان خباب بن الارت رضي الله عنهم
يختلف الى فاطمة بنت الخطاب رضي الله عنها يقريها القران فخرج عمر يوما متوشحا سيفه يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم
ورهطا من اصحابه رضي الله عنهم قد ذكروا له انهم قد اجتمعوا في بيت عند الصفا وهم قريب من اربعين ما بين رجال
ونساء ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه حمزة بن المطلب وابو بكر بن ابي قحافة الصديق وعلي بن ابي طالب
في رجال من المسلمين رضي الله عنهم اجمعين ممن كان اقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ولم يخرج فيمن خرج
الى ارض الحبشة فلقيه نعيم بن عبد الله رضي الله عنه فقال اين تريد يا عمر قال اريد محمدا هذا الصابي الذي
فرق امر قريش وسفه احلامها وعاب دينها وسب الهتها فاقتله فقال له نعيم رضي الله عنه والله لقد غرتك
نفسك من نفسك يا عمر اترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على الارض وقد قتلت محمدا افلا ترجع الى اهل بيتك فتقيم
امرهم قال واي اهل بيتي قال ختنك وابن عمك سعيد بن زيد بن عمرو واختك فاطمة بنت الخطاب فقد والله
اسلما وتابعا محمدا على دينه فعليك بهما فرجع عمر عامدا الى اخته وختنه وعندهما خباب بن الارت رضي الله عنهم
معه صحيفة فيها طه يقريها اياها فلما سمعوا حس عمر تغيب خباب بن الارت رضي الله عنه في مخدع لهم او في بعض البيت
واخذت فاطمة بنت الخطاب رضي الله عنها الصحيفة فجعلتها تحت فخذها وقد سمع عمر حين دنا الى البيت قراة خباب
عليهما فلما دخل قال ما هذه الهينمة التي سمعت قالا له ما سمعت شيا قال بلى والله لقد اخبرت انكما تابعتما محمدا على
دينه وبطش بختنه سعيد بن زيد فقامت اليه اخته فاطمة بنت الخطاب لتكفه عن زوجها فضربها فشجها فلما
فعل ذلك قالت له اخته وختنه رضي الله عنهما نعم قد اسلمنا وامنا بالله ورسوله فاصنع ما بدا لك ولما راى عمر
ما باخته من الدم ندم على ما صنع فارعوى وقال لاخته اعطيني هذه الصحيفة التي سمعتكم تقرؤن آنفا انظر ما هذا
الذي جاء به محمد وكان عمر كاتبا فلما قال ذلك قالت له اخته انا نخشاك عليها قال لا تخافي وحلف لها بالهته ليردنها
اذا قراها اليها فلما قال ذلك طمعت في اسلامه فقالت له يا اخي انك نجس على شركك وانه لا يمسها
الا الطاهر فقام عمر فاغتسل فاعطته الصحيفة وفيها طه فقراها فلما قرا منها صدرا قال ما احسن هذا الكلام واكرمه
فلما سمع ذلك خباب رضي الله عنه خرج اليه فقال له يا عمر والله اني لارجو ان يكون الله قد خصك بدعوة نبيه
صلى الله عليه وسلم فاني سمعته امس وهو يقول اللهم ايد الاسلام بابي الحكم بن هشام او بعمر بن الخطاب فالله الله
يا عمر فقال له عمر عند ذلك فدلني يا خباب على محمد حتى آتيه فاسلم فقال له خباب هو في بيت عند الصفا معه فيه نفر

من اصحابه فاخذ عمر سيفه فتوشحه ثم عمد الي رسول الله صلي الله عليه وسلم واصحابه فضرب عليهم الباب فلما سمعوا صوته قام رجل من اصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم فنظر من خلل الباب فراه متوشحا السيف فرجع الي رسول الله صلي الله عليه وسلم وهو فزع فقال يا رسول الله هذا عمر بن الخطاب متوشحا السيف فقال حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه فاذن له فان كان جا يريد خيرا بذلناه له وان كان جا يريد شرا قتلناه بسيفه فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم ايذن له فاذن له الرجل ونهض اليه رسول الله صلي الله عليه وسلم حتي لقيه في الحجرة فاخذ بحجزته او بمجمع ردايه ثم جبذه جبذة شديدة وقال ما جا بك يا ابن الخطاب فوالله ما اري ان تنتهي حتي ينزل الله بك قارعة فقال عمر يا رسول الله جيتك لاومن بالله وبرسوله وبما جا من عند الله فكبر رسول الله صلي الله عليه وسلم تكبيرة عرف اهل البيت من اصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم ان عمر قد اسلم فتفرق اصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم من مكانهم وقد عزوا في انفسهم حين اسلم عمر مع اسلام حمزة رضي الله عنهما وعرفوا انهما سيمنعان رسول الله صلي الله عليه وسلم وينتصفون بهما من عدوهم فهذا حديث الرواة من اهل المدينة عن اسلام عمر رضي الله عنه حين اسلم قال ابن اسحق وحدثني نافع مولي عبد الله بن عمر عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال لما اسلم عمر قال اي قريش انقل للحديث فقيل له جميل بن معمر الجمحي فغدا عليه قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وغدوت اتبع اثره وانظر ما يفعل وانا غلام اعقل كل ما رايت حتي جاه فقال له اعلمت يا جميل اني اسلمت ودخلت في دين محمد قال فوالله ما راجعه حتي قام يجر رداءه واتبعه عمر رضي الله عنه واتبعت ابي حتي اذا قام علي باب المسجد صرخ باعلي صوته يا معشر قريش وهم في انديتهم حول الكعبة الا ان ابن الخطاب قد صبا قال يقول عمر رضي الله عنه من خلفه كذب ولكني قد اسلمت وشهدت ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله وثاروا اليه فما برح يقاتلهم ويقاتلونه حتي قامت الشمس علي روسهم قال وطلح فقعد وقاموا علي راسه وهو يقول افعلوا ما بدا لكم فاحلف بالله ان لو كنا ثلثماية رجل لقد تركناها لكم او تركتموها لنا قال فبينما هم علي ذلك اذ اقبل شيخ من قريش عليه حلة حبرة وقميص موشي حتي وقف عليهم فقال ما شانكم قالوا صبا عمر قال فمه رجل اختار لنفسه امرا فماذا تريدون اترون بني عدي بن كعب يسلمون لكم صاحبهم هكذا عن الرجل قال فوالله لكانما كانوا ثوبا كشط عنه وفي الروض الانف للامام ابي القسم السهيلي ان يونس روي عن ابن اسحق ان عمر قال حين اسلم رضي الله عنه

الحمد لله ذي المن الذي وجبت • له علينا ايادي ما لها غير
وقد بدانا فكذبنا فقال لنا • صدق الحديث نبي عنده الخبر
وقد ظلمت ابنة الخطاب ثم هدي • ربي عشية قالوا قد صبا عمر
وقد ندمت علي ما كان من زلل • بظلمها حين تتلي عندها السور
لما دعت ربها ذا العرش جاهدة • والدمع من عينها عجلان يبتدر
ايقنت ان الذي تدعو خالقها • فكاد يسبقني من عبرة درر
فقلت اشهد ان الله خالقنا • وان احمد فينا اليوم مشتهر
نبي صدق اتي بالحق من ثقة • وافي الامانة ما في عوده خور

اذا تقرر هذا علم ان المقصود من السورة كما تقدم تشريف هذا النبي صلي الله عليه وسلم باعلامه بالرفق

باسه ولا قبال بغلبهم حتي يملاوا الارض كثرة وتامينهم من ان يستاصلوا بعذاب وبانه يموت نبيهم قبلهم كما وقع للهالكين من قوم نوح وهود ومن بعدهم وذلك انه سبحانه لما ختم تلك باهلاك القرون وابانة تلك الامم بعدما نذار القوم اللد ولم يختم سورة من السور الماضية بمثل ذلك كان ذلك ربما افهم انه قد انقضت مدتهم وحل بوارهم وانه لا يومن منهم لما هم فيه من اللدد والامر تدارس فيحصل بذلك من الغم والحزن ما لا يعلم قدره الا الله لان الامر كان في ابتدايه ولم يسلم منهم الا نفر يسير جدا فسكن سبحانه الروع بقوله ما انزلنا عليك القران اي الجامع لكل خير والدافع لكل ضير الذي يسرناه بلسانك لتشقي اي بكونك من اول المرسلين تابعا بعدها باستيصال قومك وشقايهم بانذارك الا اي لكن انزلناه تذكرة لمن يخشي ممن اشرنا في اخر التي قبلها الي بشارته اجمالا اي انه سيكون فيهم من المتقين من يبين سبب كثرته اعجاز هذا القران ودوامه وما فيه من الحجج المنار اليه بالتعبير بالقران لجمعه لما في الكتب السالفة من الاحكام اصولا وفروعا والمواعظ والرقايق والمعارف والاداب واخبار الاولين والاخرين ومصالح الدارين لان كثرة الامة علي قدر جلالة الكتاب والتعبير عن لكن بالا لتمن بابه ولا عيب فيه عن ان سمي فيهم من فلول من قراع الكتايب واشار بالمصدر الجاري علي غير الفعل في قوله تنزيلا الي انه يتمهل عليهم ترفقا بهم ولا ينزل هذا القران الا تدريجا ازالة لشبههم وشرحا لصدورهم وتسكينا لنفوسهم ومد الملق البركة فيهم بتردد الملايكة الكرام اليهم كما انه لم ينزل عليهم عذابا صيهم الكفار بغتة بما في الصحف الاولي بل ارسل اليهم رسولا لييلا يقولوا ربنا لولا كما اقتضته حكمته وتمت به كلمته ولما كان رجوعهم الي الدين علي ما يشاهد منهم من الشدة والانفة والشماخة التي سماها الله بها قوما لدا في غاية البعد شرع سبحانه يذكر بقدرته اشارة الي ان القلوب بيده يقلبها كيف شا كما صورها كيف شا وان شانه الرفق والاناة فقال ملتفتا من التكلم الي الغيبة ليدل علي ما اقتضته النون من العظمة ممن خلق الارض المنخفضة والسموات العلي في ستة ايام ولو شا كان في لحظة ولما كان القادر قد لا يكون ملكا قال دالا علي ملكه الرحمن مفتتحا بالوصف المفيض للنعم العامة للطايع والعاصي علي العرش الحاوي لذلك كله استوي لخاطب العباد بما يفهمونه من قولهم فلان استوي اي جلس معتدلا علي سرير الملك وان لم يكن هناك سرير ولا كون عليه اصلا هذا اوضح هذه العبارة كما ان اوضح قوله عليه الصلاة والسلام الذي رواه مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ان قلوب القلوب بين اصبعين من اصابع الله يقلبها كيف شا انه سبحانه عظيم القدرة علي ذلك وهو عليه يسير خفيف كخفته علي من هذا حاله وليس المراد ان هناك اصبعا اصلا نبه علي ذلك حجة الاسلام الغزالي وكما كان الملك قد لا يكون مالكا قال له ما في السموات اي كله من عاقل وغيره وما في الارض جميعه وما بينهما اي السموات والارض وما تحت الثري ولما كان الملك قد لا يعلم اقصي ملكه كما يعلم احوال ادناه لا سيما اذا كان واسعا اعلم انه سبحانه بخلاف ذلك فقال حاثا علي مراقبته والاخلاص له وان تجهر بالقول اي بهذا للبشارة والقران والنذارة او بغيره بانه عالم به وغير محتاج الي الجهر فانه يعلم السر وهو ما تناجي به الاثنان مخافتة واخفي من ذلك وهو ما في الضماير مما تخيلته الافكار ولم يبرز الي الخارج وغيره من الغيب الذي لم يعلمه غيره تعالي بوجه من الوجوه ولما

كان من هو بهذه الاوصاف ربما ظن ان له منازعا نفى ذلك بقوله الله معتنيا بالاسم الاعظم الحاوي
لصفات الكبر وغيرها لا اله الا هو ثم علل ذلك بقوله له اي وحده الاسما الحسنى اي صفات الكمال
التي لا يصح ولا يتصور ان يشوبها نقص ما بل هو متصف بها دايما اتصافا حقيقيا لا يمكن انفكاكه كما
يكون لغيره من الاتصاف ببعض المحاسن في بعض الاحايين ثم يعجز عنه في وقت اخر او بالنسبة
الى زمان اخر ولما اتبع ذلك قصة موسى مصدرة باستفهام مقترن بواو عطف ارشد ذلك الى
ان المعنى هل تعلم له سميا اي متصفا باوصافه او بشي منها له بذلك الوصف مثل فعله ولما كان الجواب
قطعا لا ثبت ان لا متصف بشي من اوصافه فعطف على هذا المقدر قصة موسى عليه السلام او يقول
الله برهان على ما ذكرناك به في هذه الايات انا نريد ما هو علينا يسير عما للناس القدرة التامة
والعلم الشامل من اسعادك في الارض بتكثير اتباعك وتقطع القصة شاهدا محسوسا على ما له
من الاتصاف بما انتفى عن غيره من الاسما الحسنى ولا سيما ما ذكرها من الاتصاف بتمام القدرة
والتفرد بالعظمة وانه يعطي هذا المصطفى بانزال هذا الذكر عليه وايصاله منه اليه النصر على
الملوك وساير الاضداد والتمكين في اقطار البلاد وكثرة الاتباع واعزاز الاشياع والانصار والرزا
وغير ذلك بمقدار ما بين ابتدا امرهما من التفاوت فان ابتدا امر موسى عليه السلام انه اتى النار
ليقتبس اهله منها نارا او يجد عندها هدى فنح بذلك من هدى الدارين والنصر على الاعدا كما
هنا سيقص هنا ما نح وهذا النبي الكريم كان ابتدا امره انه يذهب الى غار حرا فيتعبد الليالي
ذوات العدد ويتزود لذلك اجتذابا من الحق له قبل النبوة بمدد تدريبا له وتقوية لقلبه فاتته
النبوة وهو في مضمارها سايرا اي اوجها بجزمه صاير بل طاير وموسى عليه السلام راى حين اتته النبوة
اية العصى واليد ومحمد صلى الله عليه وسلم كان قبل النبوة لا يمر بحجر ولا شجر الا سلم عليه كما نقله ابن اسحق
في السيرة وروى مسلم وغيره عن جابر بن سمرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اني لاعرف
حجرا كان يسلم علي قبل ان ابعث فقال تعالى وهل اتاك حديث موسى ايثارا بذكر ما في هذه السورة
من سياق قصته مما اجمل منها في سورة مريم ومقررا بما نظمه في اساليبها ما تقدم انه مقصد السورة
من انه يسعده ولا يشقيه ويعتزه في جميع شانه باعزاز علي اهل بلاده بعد اخراجهم له كما اعز موسى
عليه السلام على من خرج من بلادهم خايفا يترقب ترغيبا في الهجرة ثالثا بعد ما رغب فيها اولا بقصة اصحاب
الكهف وثانيا بقصة ابيه ابرهيم عليه السلام وانه يعلي قومه على جميع اهل الارض وينقذهم به بعد ضعفهم
من كل شي ويغني فقرهم ويجعلهم ملوك الارض ويذل جبابرتها ويحلهم من علم شقاوته منهم كما فعل
بقوم موسى واشارا بما جاء موسى عليه السلام على يد عدوه والقايه المحبة عليه وهداية السحرة دون
فرعون وقومه وعبادة بني اسرايل العجل بعد ما راوا من الايات والنعم ثم رجوعهم عنها الى عظيم
قدرته على التصرف في القلوب لمن كان يبخع نفسه لكفرهم بهذا الحديث اسفا وكذا ما في قصة ادم عليه السلام
من قوله فنسي ولم نجد له عزما وقوله ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى ولعله اشار بقوله واحلل عقدة من
لساني الى ما انزل الله به عليه من تيسير هذا الذكر بلسانه وارشد بدعا موسى عليه السلام بشرح الصدر
وتيسير الامر وطلب وزير من اهله الى الدعا بمثل ذلك حتى دعا المنزل عليه هذا القران بان يؤيد الله الدين

باحد الرجلين فايده باعظم وزير عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما مضى هذا الى تمام ما اشتمل عليه سياق
قصة موسى عليه السلام هنا انما هو لتبكيت اليهود على تعليمهم قريشا ان يسالوا النبي صلى الله عليه وسلم عن الروح
وما ذكر معها من دقايق من امر قصة نبيهم صلى الله عليه وسلم لا يعلمها احد منهم او لا احد اقهم منها ان الموعد
كان يوم الزينة ومنها ايمان السحرة ايمانا كاملا ومنها تصليبهم في جذوع النخل ومنها القا السامري
لاثر الرسول فاني لم ار احدا من اليهود يعرف ذلك واخبرني بعض فضلايهم انه لا ذكر لذلك عندهم
وقال الامام ابو جعفر بن الزبير في برهانه لما ذكر سبحانه قصة ابرهيم عليه السلام وما منحه
واعطاه وقصص الانبيا بعده بما خصهم به واعقب ذلك بقوله تعالى اولئك الذين انعم الله عليهم من
النبيين من ذرية ادم وكان ظاهر الكلام تخصيص هولا بهذه المناصب العلية والدرجات المنيفة
الجليلة لا سيما وقد اتبع ذلك بقوله فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون
غيا كان هذا مظنة اشفاق وخوف فاتبعه تعالى بملاطفة نبيه صلى الله عليه وسلم ملاطفة المحبوب المقرب
المجتبى فقال ما انزلنا عليك القران لتشقى وايضا فقد ختمت سورة مريم بقوله وكم اهلكنا قبلهم من قرن
هل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا بعد قوله وتنذر به قوما لدا وقد راى عليه الصلاة والسلام
من تاخر قريش عن الاسلام ولددها ما اوجب اشفاقه وخوفه عليهم ولا شك انه عليه الصلاة والسلام
يحزنه تاخرهم نعم ولذلك قيل له فلا تحزن عليهم فكانه عليه الصلاة والسلام ظن ان سيكتب عليهم المقصود
من استجابتهم او ينقطع الرجا من ايمانهم فيطول العنا والمشقة فبشره سبحانه بقوله ما انزلنا عليك
القران لتشقى فلا عليك من لددهم ولا توقفهم فسيجيب من انطوى على الخشية اذا ذكر وحرك للنظر
في ايات الله كما قيل له في موضع اخر فلا يحزنك قولهم ثم اتبع ذلك سبحانه تعريفا وتانيسا بقوله الرحمن
على العرش استوى الى اول قصص موسى عليه السلام فعلم سبحانه ان الكل خلقه وملكه وتحت قهره
وقبضته لا يشذ شي عن ملكه فاذا شا هداية من وفقه لم يصعب امره ثم اتبع ذلك بقصة موسى
عليه السلام وما كان منه في القايه صغيرا في اليم وما جرى بعد ذلك من عجيب الصنع وهلاك فرعون
وظهور بني اسرايل وكل هذا مما يوكد القصد المتقدم وهذا الوجه الثاني اولى من الاول والله اعلم انتهى
اذ راى نارا وهو راجع من بلاد مدين فقال لاهله امكثوا اي مكانكم واتركوا ما انتم عليه من السير
ثم علل امره بقوله اني انست اي ابصرت في هذا الظلام نارا فكانه قيل فكان ماذا فقال معبرا باداة
الترجي لتخصيصه الخبر الذي عبر به في النمل بالهدى لعلي اتيكم اي اتي ان جيتكم منها بقبس
اي بشعلة من النار فيها جمرة تعين على برد هذه الليلة او اجد على مكان النار هدى اهتدي به من
الطريق كانت قد خفيت عليهم فلما اتاها نودي من الهادي الذي لا هادي غيره ثم بين النداء بقوله
يا موسى ولما كان المقام للتعريف بالايادي تلطف فقال اني انا ربك اي المحسن اليك بالخلق والرزق
وغيرهما من مصالح الدارين فاخلع نعليك كما يفعل بحضرات الملوك ادبا ثم علل بما يرشد الى انه تعالى
لا يحويه مكان ولا يجري عليه زمان فقال انك بالواد المقدس اي المطهر عن كل ما لا يليق بافنية
الملوك ثم فسره بقوله طوى ولما كان المعنى فاني اخترتك تشريفا له من بين البقاع لما جاءك
عطف عليه قوله وانا اخترتك اي للنبوة فاستمع اي انصت ملقيا سمعك متهلا قلبك للسماع لما يوحى

اي يقال لك مني سرا مستورا عن غيرك سماعة وان كان في غاية الجهر كما يفعل الحبيب مع حبيبه من صيانة
حديثهما عن ثالث مما تحمل له من الخلوة اعلاما بعلو قدره وفخامة امره ثم فسر الموحى باول الواجبات
وهو معرفة الله تعالى فقال انني انا الله فذكر الاسم العلم لان هذا مقام سماع الانسب للملطوف به بعد
التعرف اليه بالاكرام الاقامة في مقام الجلال ولما كان هذا الاسم العلم جامعا لجميع معاني الاسماء
الحسنى التي علاك عن ان تتصف بها او بشي منها حق الاتصاف غيره تعالى حسن تعقيبه بقوله لا اله الا انا
ولما تسبب عن ذلك وجوب افراده بالعبادة قال فاعبدني ثم خص من بين العبادات معدن الانس
والخلوة واية الخضوع والمراقبة وروح الدين فقال واقم الصلوة اي التي اضاعها خلوف السوء اشارة الى
انها المقصود بالذات من الدين لانها اعلى شرايعه لانها حاملة على المراقبة بما فيها من دوام الذكر والاعراض
عن كل سوى وذلك معنى لذكري وذلك انسب الاشيا لمقام الجلال بل هي الجامعة لمظهري الجمال والجلال
ثم علل الامر بالعبادة بانه لم يخلق الخلق سدى بل لا بد من ايجادهم ثم بعثهم لاظهار العظمة ونصب موازين
العدل فقال ان الساعة اتية اي لا ريب في اتيانها لما اعظم بالحث على الطاعة ولما كان ربما زحقيقة
الشي مع اخفا شخصه ووقته وجميع احواله موجبا في الغالب لنسيانه والاعراض عنه فكان غير بعيد من
اخفايه اصلا وراسا قال مشيرا الى هذا المعنى اكاد اخفيها فلا يتطرق لاحد بكون لغتة ما من لحظة الا
وهي صالحة للترقب ثم بين سبب الاتيان بها بقوله لتجزى كل نفس بما تسعى ولما كانت بما تقدم
في حكم المنسي عند اغلب الناس قال فلا يصدنك عنها اي عن ادامة ذكرها للتشمير في الاستعداد
لها من لا يومن بها باعراضه عنها وحمله غيره على ذلك بتزيينه لما اوتي من المتاع الموجب للتكاثر المثمر
لاختلال القلب بالمباهاة والمفاخرة فان من انصد عن ذلك غير بعيد الحال ممن كذب بها ثم قسم بين العلة
في التكذيب بها والكسل عن التشمير لها بقوله واتبع هواه فكان حاله حال البهايم التي لا عقل لها تنفر
عن مثل حاله ثم اعظم التحذير بقوله فتردى اي فتهلك اشارة الى ان من ترك المراقبة لحظة حاد
عن الدليل هلك ولما كان المقام مرشدا الى ان يقال ما جوابك يا موسى عما سمعت وكان تعالى عالما
بانه بادر الى الجواب بالطاعة في كل ما تقدم طوى هذا المقال مومئا اليه بان عطف عليه قوله
وما تلك بيمينك يا موسى مريدا بعد تانيسه بسواله عما هو اعلم به منه اقامة البينة لديه بما يكون
دليلا على الساعة من سرعة القدرة على ايجاد ما لم يكن ليزداد بذلك ايمانا ويتثبت من رسل اليهم
قال هي عصاي ثم وصل به مستانسا بلذيذ المخاطبة قوله اتوكا عليها اي اذا اعييت او عرض لي ما يحوجني
الى ذلك من زلق او هبوط او صعود او ظلام ونحو ذلك ثم ثنى بعد ذلك مصلحة نفسه بامر رعيته فقال
واهش اي اخبط الورق وفي لسان ... لعبد الرحمن بن القسم عن الامام مالك والهش ان يضع الرجل
المحجن في الغصن ثم يحركه حتى يسقط ورقه وثمره ولا يكسر العود فهذا الهش ولا يخبط قال وكذا قال
ميمون بن مهران وقال ابو حيان والاصل في هذه المادة الرخاوة يقال رجل هش بها على غنمي ولما
كان اكثر اهل ذلك الزمان خاف التطويل على الملك فقطع على نفسه ما هو فيه من لذة المخاطبة كما قيل
اجلس على البساط واياك والانبساط فقال مجملا ولي فيها مارب اي حاجات اخرى تاركا للتفصيل
فكانه قيل فماذا قيل له فقيل قال القها اي العصا يا موسى فالقاها اي فتسبب عن هذا الامر المطاع انه

القاها ولم يتلعثم فاذا هي اي الحال حية عظيمة جدا يطلق عليها لعظمها اسم الثعبان تسعى سعيا خفيفا لطيفا
عليها لا جليلها اسم الجان ولما كان ذلك امرا مخيفا قال خذها ولا تخف مشيرا الى انه خاف منها ثم علل
له النهي عن الخوف بقوله سنعيدها سيرتها اي طريقتها الاولى من كونها عصى فهذه اية بينة على ان الذي
تخاطبك هو ربك الذي له الاسما الحسنى واضمم يدك من جيبك الذي يخرج منه عنقك الى جناحك
اي جنبك تنضم واخرجها تخرج فالاية من باب الاحتباك والجناح اليد والعضد والابط والجانب قاله في القاموس
فلا يعارض هذا ما في القصص لانه اطلق الجناح هناك على اليد وهي احق به وهنا على الجنب الذي هو موضعها
تسمية للمحل باسم الحال بيضاء بياضا يتعجب منه من غير سوء اي مرض لا برص ولا غيره حال كونها اية اخرى
افعل ما امرتك به من القاء العصى وضم اليد او فعلنا ذلك من احالة العصى ولون اليد ومن هنا ذاتيك لمناجاتك
لنريك في جميع ايام نبوتك من اياتنا الكبرى لتثبت بذلك جنانك ويزداد ايقانك فكانه قيل لماذا
يفعل بي هذا فقيل لنرسلك الى بعض المهمات اذهب الى فرعون اي لترده عن عتوه ثم علل الارسال اليه
بقوله انه طغى اي تجاوز حده من العبودية فادعى الربوبية واشار الى ما حصل له من الضيق من ذلك كما صرح
به في سورة الشعرا بقوله قال رب اشرح اي وسع لي صدري للاقدام على ذلك والى استصعابه بقوله
ويسر لي امري والى استعجازه نفسه عن الابانة لهم عن المراد بقوله واحلل عقدة من لساني اي مما فيه من
الحبسة عن الاتيان بجميع المقاصد من الجمرة التي وضعها في فيه وهو عند فرعون يفقهوا قولي والى اعتنائه
صعوبة المقام مع ذلك بطلب التاييد بنصير يتمم امره في قوله واجعل لي وزيرا اي ملجا يحمل عني الثقل
من اهلي لانه اوثق لكونه اشفق ثم ابدل منه قوله هرون وبينه بقوله اخي اي لانه اجدر اهلي بتمام
مناصرتي اشدد به ازري اي قوتي واشركه في امري اي النبوة ولما افهم سواله هذا ان له فيه اغراضا
ايثارا لانها ليست مقصودة له لا يعود على نفسه بذكر العلة الحقيقية فقال كي نسبحك كثيرا فافهم عن
ان المراد بالمعاضدة انما هو لتمهيد الطريق اليه ولما كان التسبيح ذكرا خاصا للوجه بالتنزيه الذي
اعلاه التوحيد اتبعه العام فقال ونذكرك اي بالتسبيح والتحميد كثيرا ثم علل طلبه لاخيه لاجل
هذا الغرض بقوله انك كنت بنا بصيرا قبل الاقامة في هذا الامر في انك جعلتنا على ما يلايم ذكرك وشكرك
وكل ذلك تدريب لمن انزل عليه هذا الذكر على مثله وتذكير بنعمه بتيسيره بلسانه ليزداد شكرا وذكرا
ولما تم ذلك كان موضع توقع الجواب فاتبعه قوله قال قد اوتيت سولك اي ما سالته يا موسى من
حل عقده لسانك وغير ذلك ولو شيت لم افعل ذلك ولكني فعلته منة مني عليك ولما كان انجاوه من يد فرعون
حيث ولد في السنة التي يذبح فيها الابنا بيد فرعون وفي بيته امرا اعظم التفت الى مقام العظمة مذكرا له
بذلك اعلاما بانه ينجيه منه الان كما انجاه في ذلك الزمان ويزيده بزيادة السن والنبوة خيرا فيجعل عزه
في هلاكه كما جعل اذ ذاك عزه في وجوده فقال ولقد مننا عليك فضلا منا مرة اخرى غير هذه ثم ذكر
وقت المنة فقال اذ اوحينا الى امك اي بالالهام ما يستحق ان يوحى به ثم فسره بقوله ان اقذفيه
اي القي ابنك في التابوت وهو الصندوق وهو فعلوت من التوب وقال الحرالي هو وعا ما يعز قدره والقذف
مجاز عن المسارعة الى التخلية من غير تمهل لشي اصلا اشارة الى انه فعل مضمون السلامة كيفما كان
فاقذفيه اي عقب ذلك بتابوته في اليم اي البحر وهو النيل ولما كانت سلامته في البحر من

العجايب لتعرضه للغرق لتقلب الريح للتابوت او بكسره في بعض الجذر او غيره او بجريه مستقيما
مع اقوى جرية من الماء الى البحر الملح وغير ذلك من الافات اشار الى تجشيم تحجيبه بلام الامر في
قوله فليلقه اليم بالساحل الى جانب البيت الذي الفعل كله هربا من شر صاحبه وهو فرعون وهو
المراد بقوله ياخذه عدو لي وعدو له ونبه على محل العجب باعادة لفظ العدو في قوله وعدو له فانه طن عادي
بني اسرايل بالتذبيح الا من اجله والقيت عليك محبة مني اي عظيمة ثم زاد الامر في تعظيمها ايضاحا
بقوله مني اي ليحبك كل من راك لما جبلتك عليه من الخلال الجميلة والشيم الحميدة لتكون اهلا
لما ارسلك له ولتصنع اي تربى على عيني اي مستعليا على حافظك غير مستخفي في تربيتك
من احد ولا يخفى علي منه وانا حافظ لك حفظ من يلاحظ الشي بعينه لا يغيب عنها فكان
كلما اردته فلما راك هذا العدو احبك وطلب لك المراضع فلما لم تقبل واحدة منهن بالغ في
الطلب كل ذلك امضا لامري وايقافا لامره به نفسه لا بغيره ليزداد العجب من احكام السبب
ثم ذكر ظرف التحبيب فقال اذ تمشي اختك فتقول بعد اذ راتك لال فرعون هل ادلكم على من يكفله
ناصحا له فقالوا نعم فرجعناك اي فتسبب عن قولها هذا ان رجعناك الى امك حين دلتهم عليها
كي تقر عينها وترينك امنة عليك غير خايفة ظاهرة غير مستخفية ولا تحزن بفراقك او بعدم
تربيتها لك وبذلها الجهد في نفعك وقتلت نفسا بعد ان صرت رجلا من القبط دفاعا عن رجل من
قومك فظلت ... واراد وا قتلك فنجيناك من الغم الذي كان لك وقد نالك بقتله خوفا من جريرته
بان اخرجناك مهاجرا الى ارض مدين وفتناك فتونا اي خلصناك من محنة بعد محنة مرة
بعد مرة فلبثت سنين اي كثيرة في اهل مدين مقيما عند نبينا شعيب عليه السلام يربيك
باداته وصاهرته على ابنته ثم جيت اي الان على قدر اي وقت قدرته في الازل لتكليمك
لك وهو بلوغ الاشد ولا ستوا وارسالك الى فرعون لا متقدما فيه ولا متاخرا يا موسي الذي ذبح ابناء
بني اسرايل خوفا منك يا موسي واصطنعتك اي ربيتك صنايع المعروف لنفسي اي لتفعل من مرضاتي
في تمهيد شرايعي وانفاذ اوامري ما يفعله من يصنع للنفس من غير مشارك فلما تمهد ذلك كله بعد علم
نتيجة الحلال في قوله اذهب انت لما تقدم امري لك به واخوك لما سالت بايا بي التي اريتك وغيرها مما
اظهره على يديك ولا تنيا اي تفترا في ذكري الذي تقدم انك جعلته غاية دعايك اي لتكن مع
مع كونه ظرفا محيطا بجميع امرك في غاية الاجتهاد فيه واحضار القلب له وليكن اكثر ما يكون عند لقاء
فرعون ان عبدي كل عبدي للذي يذكرني عند لقاء قرينه ثم بين المذهوب اليه بقوله اذهبا
الى فرعون ثم علل الارسال بقوله انه طغى ثم امرهما بما ينبغي لكل امر بالمعروف من الاخذ بالاحسن
فالاحسن والاسهل فالاسهل فقال فقولا له قولا لينا ليلا يبقي له حجة ولا تقبل له معذرة لعله
يتذكر ما مر له من تطوير الله له في اطوار مختلفة وحمله فيها بكرمه على ما لم يقدر على الخلاص منه بحيلة فيعلم
بذلك ان الله ربه وانه قادر على ما يريد منه فيرجع عن غيه او يخشى اي او يصل الى حال من يخاف
عاقبة قولكما ومعنى الترجي ان يكون حاله حال من يرجى منه ذلك لانها من ثمرة اللين في الدعاء جري الكلام

وهذا وامثاله على ما يتعارفه العامة في مجاري ...تهم وجاء القران على لغتهم وعلى ما يعنون فالمراد اذهبا انتما
على رجاءكما وطمعكما ومبلغكما من العلم وليس لهما اكثر من ذا ما لم يعلما واما علم الله تعالى فقد اتى من وراء
ما يكون قاله سيبويه في باب من النكرة يجري مجرى ما فيه الالف واللام من المصادر والاسماء ولما
كان فرعون في غاية الجبروت وكان حاله حال من يقتلهما الا ان يمنعهما الله واراد اعلامنا بكون من
ذلك قالا ربنا اي ايها المحسن الينا اننا نخاف لما هو فيه من المكنة ان يفرط اي يعجل علينا بالعقوبة قبل
اتمام البلاغ او ان يطغى فيتجاوز الى اعظم مما هو فيه من الاستكبار قال لا تخافا ثم علل ذلك بما هو
مناط النصرة والحياطة للولي والاهلاك للعدو فقال انني معكما لا اغيب كما يغيب الملوك اذا ارسلوا
رسلهم اسمع واري لا يخفى علي شي من حال رسولي ولا من حال عدوي وانما تعلمان من قدرتي ما لا يعلمه
غيركما ولما تمهد ذلك تسبب عنه تعليمهما ما يقولان فقال فاتياه فقولا اي له انا ولما كان الشيم
على معنى المواز... ههنا كما تقدم مطلوبا ثنى فقال رسولا ربك الذي رباك فاحسن تربيتك بعد ان اوجدك
من العدم اشارة الى تحقيره بانه من جملة عبيد مرسليهما تكذيبا له في ادعاء الربوبية فارسل معنا عبيده
بني اسرايل ليعبدوه فانه لا يستحق العبادة غيره ولا تعذبهم بما تعذبهم به من الاستخدام والتذبيح
ثم علل دعوى الرسالة بما يثبتها فقال قد جيناك باية من ربك موجبة لقبول ما ادعيناه من
العصي واليد وغيرهما فاسلم تسلم وفي تكرير مخاطبته بذلك تاكيد لتبكيته في ادعا الربوبية
ونسبته الى الكفران للاحسان فسلام عليك خاصة ان قبلت هدي الله والسلام اي جنسه على
جميع من اتبع الهدي عامة واذا كان هذا الجنس عليهم كان من المعلوم ان العطب على غيرهم فالمعنى ان
ابيت عذبت ابدا اي لانا قد اوحي الينا من ربنا ان العذاب على كل من كذب وتولى وفي صرف الكلام
عنه تنبيه على انه ضال مكذب ولما كان التقدير فاتياه فقالا انا رسولا ربك الى اخر ما امرا
به وتضمن قولهما ان لهما ربا له القدرة التامة والعلم الشامل فتسبب عنه سواله عن تعيينه قال فمن
اي سمعت قولكما فمن ربكما الذي ارسلكما ولم يقل ربي تحيلة عن سوا النظر وصرفا للكلام عن الوجه
المرجح لحزبه ولما كان موسى عليه السلام هو الاصل في ذلك افرده بقوله يا موسى قال له موسى ...
ربنا الذي اعطى كل شي مما تراه في الوجود خلقه اي ما هو عليه مما هو به اليق من الصورة والشكل والمقدار
واللون والطبع وغير ذلك مما يفوت الحصر ويجل عن الوصف ولما كان في افاضة الروح من الجلالة
والعظم ما يضمحل عنده غيره من المفاوتة اشار الى ذلك بحرف التراخي فقال ثم هدى اي كل حيوان
منه مما زجه فيها العاقل وغيره الى جميع منافعه فيسعى لها ومضاره فيحذرها فثبت بهذه المفاوتة
والمفاضلة مع اتحاد نسبة الكل الى الفاعل انه واحد مختار وان ذلك لو كان بالطبيعة المستندة
الى النجوم او غيرها كما كان يعتقده فرعون وغيره لم يكن هذا التفاوت ولما لم يكن لاحد بالطعن
في هذا الجواب قبل لانه لا زلل فيه ولا خلل صرف الكلام عنه الى شي يتسع فيه المجال
ولا يقوم عليه دليل فيمكن فيه التركيب قال فما اي تسبب عما تضمن هذا من نسبة ربكما الى
العلم بكل موجود اني اقول لك ما بال اي خبر القرون الاولى وهو وان كان حيلة وهي من امارات
الانقطاع عن اتيانه فعل راسخ القدم في المكر والخداع ولما فهم عنه موسى عليه السلام ما اراد ان

يرتب على الخوض في ذلك مما لا طايل تحته من الرد والمطاولة قال فاطعاله عنه علمها عند ربي ولما
كانت عادة المخلوقين اثبات الاخبار في الكتب وكان تعالى قد وكل بعباده من ملايكته من يضبط ذلك
قال مخاطبا لهم بما يعرفون من احوالهم في كتاب ولما كان ربي وقرني وهم واهمان الكتاب
لا يكون الا خوفا من نسيان الشي او الجهل بالتوصل اليه مع ذكر عينه نفي ذلك بقوله لا يضل
ربي ولا ينسى وفي ذلك اشارة الى تبكيت اليهود بان نبوة النبي ان كان يتوقف على ان يخبر النبي
عن كل ما يسل عنه لزم ان يتوقفوا في نبوة نبيهم ابرهيم عليه السلام لانه لم يخبر فرعون عما سأله
عنه من امر القرون ثم وصل بذلك ما كان فيه قبل من الدليل القطاع عن وصف الصانع واختياره
فقال الذي جعل لكم ايها الخلايق الارض اي اكثرها مهادا تفترشونها وجعل بعضها جبالا لا يعكر
القرار عليها وبعضها رخوا تسوخ فيه الاقدام وبعضها جلدا الى غير ذلك مما تشاهدونه من الاختلاف وسلك
لكم فيها سبلا في اراضي سهلة وحزنة وهيا لكم فيها من المنافع من المياه والمراعي ما يسهل ذلك وجعل فيها
ما لا يمكن استطراقه اصلا مع ان نسبة الكل الى الطبيعة واحدة فلولا ان الفاعل واحد مختار لم يكن التفاوت
وعلى هذا النظام البديع وانزل من السما ماء تشاهدونه واحدا في الطعم واللون ولما كان ما ينشا عنه ادل
على العظمة واجلى للناظر واظهر للعقول استغرق صلى الله عليه وسلم في بحار الجلال فاستحضر ان الآمر بهذا
الكلام هو المتكلم به في الحقيقة فانبا عن نفسه وعن جميع الاكوان فعبر عن ذلك بقوله فاخرجنا به ازواجا اي
اصنافا من نبات شتى اي مختلفة جدا في الالوان والمقادير والمنافع والطبايع والطعوم ثم اشار الى
تفصيل ما فيها من الحكمة بقوله كلوا اي ما دبرناه لكم بحكمته منها وارعوا انعامكم ما احكمه لها ولا يصلح لكم
لكم وقد دلت على هذه الاوصاف على تحققه سبحنه قطعا بانه لا يضل ولا ينسى من حيث انه تعالى ابدع هذا
العالم شاملا لكل ما يحتاجه من فيه لما خلقهم له من السفر اليه والعرض عليه في جميع تقلباتهم على خلافها وتباين
اصنافها وتباعد اوصافها وعلى كثرتهم وتباين امزجتهم ولم يدعه ناقصا من شي من ذلك بخلاف غيره فانه
لو عمل شيا واجتهد كل الاجتهاد في تكميله فلا بد ان يظهر له فيه نقص ويصير يسعى في ازالته وتتابعه وتناول
كل هذا البرهان القويم دالا على العليم الحكيم قال منبها على انتشار انواره وجلالة مقداره ان في ذلك اي الانسا
على هذه الوجوه المختلفة لآيات على منشئه لاولي النهى اي العقول التي من شانها ان تنهى صاحبها عن الغي
ومن عمي عن ذلك فلا عقل له اصلا لان عقله لم ينفعه وما لا ينفع في حكم العدم وذكر ابن كثير هنا ما عزاه
ابن اسحق في السيرة لزيد بن عمرو بن نفيل وابن هشام لامية ابن ابي الصلت

وانت الذي من فضل من ورحمة • بعثت الى موسى رسولا مناديا
فقلت الا يا اذهب وهرون فادعوا • الى الله فرعون الذي كان باغيا
فقولا له آانت سويت هذه • بلا وتد حتى استقلت كما هيا
وقولا له آانت رفعت هذه • بلا عمد ارفق اذن بك بانيا
وقولا له آانت سويت وسطها • منيرا اذا ما جنه الليل هاديا
وقولا له من يخرج الشمس بكرة • فيصبح ما مست من الزرع ضاحيا
وقولا له من ينبت الحب في الثرى • فيخرج منه البقل يهتز رابيا

ولما اخبر سبحنه عما خلق في الارض من المنافع الدالة على تمام علمه وباهر قدرته على وجه دال على حصول القدرة
على البعث وصل بذلك قوله منها خلقناكم اي اذ اخرجناكم منها في النشاة الاولى وفيها نعيدكم بالموت فتصيرون
ترابا كما كنتم ومنها نخرجكم يوم البعث تارة اخرى كما بداناكم مثل ما فعلنا في النبات سواء فقد علم ان هذا فعل الواحد
المختار لا فعل الطبايع فمن جعلكم احياء من شي ليس له اصل في الحيوانية اصلا وكرر ردكم الى ما كنتم عليه قبل الحياة
ترابا لا روح فيه ولا ما يشبهها فلا ريب انه قادر على ذلك قادر على ان يخرجكم منها احياء كما ابتدا ذلك بل الاعادة اهون
في مجاري العادة ولما كان ما ذكر على غاية من الوضوح لا لبس وراها مطمع فكان المعنى ان فرعون هذا
الذي ذكرنا لكم من اياتنا وعينه وكان المقام لتعظيم القدرة عطف عليه قوله ولقد اريناه اي بالعصى واليد
وغيرها اياتنا كلها لا نه قد رعلى مثل ذلك فهو قادر على غيره من امثاله من خوارق العادات لان الممكنات
بالنسبة الى قدرته على حد سوا لا سيما والذي ذكر انها ثلث الايات كما سيوما اليه ان شا الله تعالى
في سورة الانبيا فكذب اي بها وابى اي ان يرسل بني اسرايل وهذا ابلغ من تعديد ما ذكر في الشراف
فكانه قيل كيف صنع في تكذيبه وابايه فقيل قال حين لم يجد مطعنا مخيلا للنبط بما يثيرهم حمية لا نفسهم
لانه علم حقيقة ما جاء به موسى وظهورة وتقبل العقول له فخاف ان يتبعه الناس ويتركوه ويوهن في
نفسه وهنا عظيما بما مسل كلا انه مفردة ومركبة يعرف مقدارها اجيتنا لتخرجنا من ارضنا هذه التي
نحن مالكوها بسحرك يا موسى تخيل الى اتباعك ان ذلك سحر فكان ذلك من مانع القوم من عاد بهم في الضلال
صارفا لهم عن اتباع ما راوا من البيان ثم وصل به بالفا السببية قوله فلناتينك بسحر مثله تاكيدا لما خيل
به ثم اظهر النصفة والعدل ايضا في الربط قومه فقال فاجعل بيننا وبينك موعدا اي من الزمان والمكان
لا نخلفه اي لا نجعله خلفنا نحن ولا انت بان نقعد عن اتيانه ولما كان كل من الزمان والمكان
لا ينفك عن الاخر قال مكانا واثر ذكر المكان لاجل وصفه بقوله سوى اي عدلا بيننا لا يجرج على واحد
منا في قصده ازيد من حرج الاخر فانظر هذا الكلام الذي زوقه وصنعه ونمقه فاوقف به قومه عن
السعادة واستمر بقعدهم بامثاله حتى اوردهم البحر فاغرقهم ثم في غمرات النار احرقهم فعلى الكيس
الفطن ان ينقد الاقوال والافعال والحوا طر والاحوال ويعرضها على محك الشرع الكتاب والسنة فما
وافق لزمه وما لا تركه ولما كان نجمع سرورهم الذي اعتادوه حاويا لهذه الاغراض زمانا
ومكانا وغيرها قال موعدكم اي الموصوف يوم الزينة الذي اعتدتم الاجتماع فيه في المكان الذي
اعتدتموه فاثر هنا ذكر الزمان وان كان يتضمن المكان لما فيه من عادة الجمع كما اشرقيها نقدم المكان
لوصفه بالعدل وان يحشر الناس ضحى ليستقبل النهار من اوله فيكون اظهر لما يعمل واشهر جلي ولا
يات الليل الا وقد قضي الامر وعرف المحق من المبطل وانتم اجمع ما تكونون واهرع فتولى فرعون
عن موسى الى تهيئة ما يريد من الكيد بعد توليه عن الانقياد للامر الله فجمع كيده الذي دبره على موكب
بجمع من يحصل بهم الكيد وهم السحرة حشرهم من كل اوب وكان اهل مصر سحرا اهل الارض واكثرهم
ساحرا وكانوا في ذلك الزمان اشد اعتنا بالسحر وامهر ما كانوا واكثر ثم اتى للميعاد الذي وقع القرار
عليه بمن حشره من السحرة والجنود ومن تبعهم من الناس مع توفر الدواعي على الاتيان للعيد والنظر
الى تلك المغالبة التي لم يكن مثلها قال لهم موسى حين راى اجتماعهم ناصحا لهم ويلكم يا ايها الناس

الذين خلقكم اسه لعبادته لا تفتروا اي لا تتعمدوا على الله كذبا بجعلكم اياته العظام الثابتة سحرا لا حقيقة
له وادعايكم ان ما تخيلون به حق وليس بخيال فيسحتكم اي يهلككم قال الرازي واصله الاستيصال
بعذاب اي عظيم تظهر به خيبتكم وقد خاب كل من افترى اي تعمد كذبا على الله او على غيره فلما زعموا
اي تجاذب السحرة امرهم بينهم لما سمعوا هذا الكلام علما منهم بانه لا يقدر ان يواجه فرعون بمثله في جميع
جنوده واتباعه ثم يسلم منه الا من ايده الله معه واسروا النجوى لئلا يظهر فرعون واتباعهم على عوارهم في
اختلافهم الذي اقتضاه لفظ التنازع فكانه قيل ما قالوا حين انتهى تنازعهم فقيل قالوا اي السحرة
بعد النظر واجالة الراي بما خيلهم به فرعون تملقا منه وتقربا اليه بما ينفر الناس عن موسى وهرون
عليهما السلام ان هذين اي موسى وهرون وقرئ هذان بالالف على لغة من يجعل الف المثنى لازما في
كل حال قال ابو حيان وهي لغة لطوائف من العرب بني الحرث بن كعب وبعض كنانة وخثعم وزبيد
وبني العنبر وبني الهجيم ومراد وعذرة لساحران لا شك في ذلك منهما يريدان ان يخرجاكم ايها الناس
من ارضكم هذه التي الفتموها وهي وطنكم خلفا عن سلف بسحرهما الذي اظهراه لكم وغيركم ويذهبا بطريقتكم
هذه السحرية التي تعبتم في تمهيدها وافنيتم فيها اسلافكم اعمارهم حتى بلغ امرها الغاية المثلى اي التي
هي اشل الطرق فيكونا اكثر بما يظهرانه منها عند الناس منكم ويبطل ما لكم بذلك من الارزاق والحظة
عند الخاص والعام وغير ذلك من الاغراض فاجمعوا كيدكم ولا تختلفوا فتضعفوا ثم ايتوا الى لقاء موسى وهرون
عليهما السلام صفا اي متسابقين متساويين في السباق ليستولي امركم عليهما فتفلحوا وقد افلح اليوم في هذا الجمع
الذي ما اجتمع مثله قط من استعلى اي غلب ووجد علوه اي فعلوا ما تقدم وتواصفوا فلما اتوا قالوا اي
السحرة متادبين لانه ليبتني القول مع الخصم ان لم ينفع لم يضر يا موسى اما ان تلقي ما معك مما تناظرنا به
اولا واما ان نكون اي نحن اول من القى ما نعده قال اي موسى لا القي انا اولا بل القوا انتم اولا فانتهزوا
الفرصة لان ذلك كان مراده هو بما افهموه من تغيير السياق والتصريح بالاول فالقوا فاذا حبالهم وعصيهم
التي القوها يخيل اليه وهو صفيا من سحرهم الذي كانوا قد فاقوا فيه اهل الارض انها لشدة اضطرابها تسعى
سعيا واذا كان هذا حاله مع انه اثبت الناس بصرا وانفذهم بصيرة فما ظنك بغيره فاوجس اي
اضمر حقيقته او وقع واحسا اي خاطرا وضميرا ولما كان المقام لعظمه الخوارق على يديه فكان ربما
تهم انه اوقعه في نفس احد غيره كان المقام للاهتمام بتقديم المتعلق فقال لذلك لا لمراعاة الفواصل في
نفسه خيفة موسى مثل ما خاف من عصاه اول ما راها لذلك على ما هو طبع البشر فلما لا تخف من شيء من
امرهم ثم علل ذلك بقوله انك انت الاعلى وجد لك لا غيرك والق ما في يمينك من هذه العصي التي فلما لك لو
ما شرفناك بالمناجاة وما تلك بيمينك يا موسى لم اريناك منها ما اريناك تلقف ما صنعوا ثم علل ذلك بقوله
انما صنعوا كيد ساحر اي لا حقيقة له ولا ثبات لهم لا يفلحون ولا يفلح الساحر اي هذا الجنس حيث اتى فانه
انما يفعل ما لا حقيقة له فامتثل ما امر به ربه من القاء عصاه فكان ما وعده به سبحانه من تلقفها لما صنعوا
من غير ان يظهر عليها زيادة في حجم ولا عظم مع ان حبالهم وعصيهم كانت شيئا كثيرا فعلم كل من راى ذلك
حقيته وبطلان فعل السحرة فبادر السحرة منهم اي الخضوع لامر الله ساجدين مبادرة من كانه القاه غيره
احد على وجهه ولذلك قال تعالى فالقي السحرة اي فالقاهم ما راوا من امر الله سجدا على وجوههم فكان قايلا

قال هذا افعلهم فما قالوا فقيل قالوا امنا اي صدقنا ولما كان سياق هذه السورة مقتضيا التقديم هرون
عليه السلام قال برب هرون وموسى بشارة للنبي صلى الله عليه وسلم بانه سبحانه لا يشقيه بهذا القران بل
يهدي الناس به ويتم لهم امره فيجعل العرب على شماخة اذلاء ذلي لوزرايه وانصاره وخلفايه وان كانوا
اضعف الناس وقبايلهم اقل القبايل مع ما في ذلك من الدليل على صدق اعانهم وخلوصهم اذ عانهم بتقديم
الوزير المترجم ترقيا في درج المعرفة ممن اوصل ذلك اليهم الى من ارسله بذلك ثم الى من ارسله شكرا للمنعمين
بالتدريج لا يشكر الله من لا يشكر الناس وهذا ما اوجب تقديمه هنا لا لهذا فقط وذكروا اسم الرب
اشارة الى انه سبحانه احسن اليهما باعلاء شانهما على السحرة وعلى من كانوا يقرون له بالربوبية وهو فرعون
الذي لم يغن عنهم شيئا فكانوا اول النهار سحرة واخره شهدا بررة وهذه الاية في امثالها من
اي هذه السورة وغيرها مما تقدم فيه ما يتبادر ان حقه التاخير وبالعكس ان حمل من المعاني دقيقة هي التي
حملت بعض من لم يرسخ الى ان يقول ان القران يراعي الفواصل كما يتكلف بلغا العرب السجع وتبعه جمع
من المتاخرين تقليدا وقد ذكرت عاب النبي صلى الله عليه وسلم ذلك حين قال اسجع كسجع الجاهلية او قال الكهان
وقد علم ما ذكرته ان المعنى الذي بنيت عليه السورة ما كان ينتظم الا بتقديم هرون وبيسر ذلك انه
قال هنا انا رسولا وفي الشعراء رسول وقد قال الامام فخر الدين الرازي كما حكاه الشيخ ابو حيان
في سورة فاطر من النهر لا يقال في شيء من القران انه قدم او اخر لاجل السجع لان معجزة القران ليست
في مجرد اللفظ بل فيه وفي المعنى وقال القاضي ابو بكر الباقلاني في كتابه اعجاز القران ذهب اصحابنا
كلهم الى نفي السجع من القران وذكره ابو الحسن الاشعري في غير موضع من كتبه ثم رد على المخالف بان
قال والذي يقدرونه انه سجع فهو وهم لانه قد يكون الكلام على مثال السجع وان لم يكن سجعا لان السجع
يتبع المعنى فيه اللفظ الذي يودي السجع وليس كذلك ما اتفق مما هو في تقدير السجع من القران لان اللفظ
يقع فيه تابعا للمعنى وفصل بين ان ينتظم الكلام في نفسه بالفاظه التي تودي المعنى المقصود فيه وبين
ان يكون المعنى منتظما دون اللفظ ومتى ارتبط المعنى بالسجع كان افادة السجع كافادة غيره ومتى انتظم
المعنى بنفسه دون السجع كان مستجلبا لتحسين الكلام دون تصحيح المعنى ثم اشتد رحمه الله في ذلك باشيا نفيسة
اطال فيها واجاد رحمه الله وقد تقدم في اخر سورة براءة ما ينفع جدا في هذا المرام ولما كان موسى هو
المقصود بالارسال قال اي فرعون للسحرة منكرا عليهم امنتم اي بالله اي مصدقين لموسى قبل ان
اذن لكم في ذلك ايهاما بانه سياذن فيه ليقف الناس عن المبادرة الى الاتباع بين خوف العقوبة ورجا الاذن ثم استانف قوله مخيلا لاتباعه صدا لهم عن الاقتدا بهم انه لكبيركم اي في العلم
الذي علمكم السحر اي فلم تتبعوه لظهور الحق بل لارادتكم شيا من المكر وافقتموه عليه قبل حضوركم في هذا
الموطن وهذا على عادته في تخييل اتباعه بما يعوقهم عن اتباع الحق ولما خيلهم شرع يزيدهم تحيرا
بتهديد السحرة فقال فلاقطعن ايديكم على سبيل التوزيع وارجلكم اي من كل يدا ورجلا من خلاف
فاذا قطعت اليد اليمنى قطعت الرجل اليسرى ولاصلبنكم في جذوع النخل تبشيعا لقتلكم ردعا لامثالكم
ولتعلمن ايَّنا انا او رب موسى الذي قال ان اوحي الينا ان العذاب على من كذب وتولى اشد عذابا وابقى
ولما علموا ما خيل به على عقول الضعفا بتهويلهم قالوا لن نوثرك اي بالاتباع لنسلم من عذابك

عذابك الزايل علي ما جانا من البينات التي عاينا ها وعلمنا انه لا يقدر احد علي مضاهاتها ولما بدااو ابدل
علي الخالق من الفعل الخارق ترقوا الي ذكره بعد معرفته بفعله اشارة الي علي تدبره فقالوا والذي اي ولا
نوثرك بالاتباع علي الذي فطرنا اي ابتدا خلقنا اشارة الي شمول ربوبية الله تعالي لهم وله ولجميع الناس
وتنبيها علي عجز محتقر من استخفه وفي جميع اقوالهم هذه من تعظيم الله تعالي عبارة واشارة وتحقير فرعون
امر عظيم ولما تسبب عن ذلك انهم لا يبالون به علما بان كلما فعله فهو باذن الله قالوا فاقض اي فاصنع
في حكمك ما انت قاض ثم عللوا ذلك بقولهم انما تقضي اي تصنع بنا ما تريد هذه الحياة الدنيا اي
انما حكمك علي الجسد خاصة فهي ساعة تعقب راحة ونحن لا نخاف الا من يحكم علي الروح وان فني الجسد فذلك
هو الشديد بدا العذاب الدائم الجزاء بالثواب او العقاب ثم عللوا تعظيمهم لله واستهانتهم بفرعون بقولهم
انا امنا بربنا اي المحسن الينا طول اعمارنا مع اساتنا بالكفر وغيره ليغفر لنا خطايانا التي قابلنا بها احسانه
ثم خصوا بعد العموم فقالوا وما اكرهتنا عليه من السحر لنعارض به المعجزة فانه كان لا ينبغي لنا عصيانك
فيه لان الله احق بان يتقي والله خير جزا منك فيما وعدتنا به وابقي ثوابا وعقابا والظاهر ان الله تعالي
سلمهم من فرعون ويرسده قوله تعالي انتما ومن اتبعكما الغالبون قاله ابو حيان ثم عللوا هذا الامر الحتم بقولهم
انه من يات ربه مجرما اي قاطعا ما امر به ان يوصل فان له جهنم دار الاهانة لا يموت فيها ولا ابدا مع
شدة عذابها بخلاف عذابك الذي اذا اشتد امات فزال سريعا وان خف لم يخف وكان اخف الموت وان
طال ولا يحيي فيها حياة ينتفع بها ومن ياته مومنا اي مصدقا به قد ضم الي ذلك تصديقا لايمانه انه
عمل الصالحات التي امر سبحانه بها فاولئك لهم الدرجات العلي التي لا نسبة لدرجاتك التي لا صحة
وعدتناها منها ثم بينوها بقولهم جنات عدن اي اعدت للاقامة وهيئت فيها اسبابها تجري
من تحتها الانهار اي من تحت غرفها واسرتها وارضها فلا يراد موضع منها الا ان يجري فيه نهر لا جري نهر
بين بقوله خالدين فيها ان اهلها هيئوا ايضا للاقامة ذلك الجزا العظيم والنعيم المقيم جزا الموصوفين
لتزكيتهم انفسهم وذلك جزا كل من تزكي اي طهر نفسه بما ذكر من الايمان والاعمال الصالحة وفي هذا
تسلية للصحابة رضوان الله عليهم فيما كان يفعل بهم عند نزول هذه السورة اذ كانوا مستضعفين ولما
بين سبحانه استكبار فرعون المدعي في قوله فكذب وابي وختمه سبحانه بانه يهلك العاصي كائنا من كان وينجي
الطايع اتبع ذلك شاهدا محسوسا عليه كفيلا ببيان انه لم يغن عن فرعون شي من قوته والاستكبار
فقال عاطفا علي ولقد اريناه اياتنا ولقد اوحينا الي موسي غير مكترثين بشي من اقوال فرعون ولا افعاله
ان اسر بعبادي اي بني اسرايل الذين ابي فرعون ان يطلقهم او يكف عنهم العذاب فاقصد بهم ناحية
بحر القلزم فاضرب لهم ولما كان ضرب البحر بالعصي سببا لوجود الطريق الموصوفة اوقع الفعل عليها
فقال طريقا في البحر يبسا حال كونها او كونك لا تخاف والمراد بها الجنس فانه كان لكل سبط طريق دركا
من طغيانه او حابس من العدو ولما كان الدرك مشتركا بين اللحاق والتبعة اتبعه بقوله ولا تخشي
اي شيا غير ذلك اصلا انفاذا للامر وانفاذا لمن ارسلتك لاستنقاذهم وسوقه علي هذا الوجه
من اظهار القدرة والاستهانة بالمعاند مع كبريائه وشكيمته استدلالا لشهود يا علي ما ذكر اول السورة
من شمول القدرة واحاطة العلم للبشارة باظهار هذا الدين بكثرة الاتباع واباده الخصوم والاضداد

برد الاضداد وجعل بغضهم ودا وان كانوا في مساق الدا ثم اتبع ذلك قوله فاتبعهم اي بني اسرايل علي ذلهم
وضعفهم فرعون بجنوده علي كثرتهم وقوتهم وعلوهم وعزتهم فغشيهم اي فرعون وقومه من اليم اي البحر
ما غشيهم اي امر لا تحتمل العقول وصفه حق وصفه فاهلك اولهم واخرهم وقطع دابرهم لم يبق منهم
احدا وما شاكت احدا من عبادنا المستضعفين شوكة واضل فرعون علي تجبره قومه وما هدي اي
اثبات الفعل لا يفيد العموم نفي ضده ليفيده مع كونه اوكد واوقع في النفس واروع لها فقال وما هدي اي
ما وقع منه شي من الهداية لا لنفسه ولا لغيره وعند فهم الدليل الشهودي علي تمام القدرة علي انجا
الطايع واهلاك العاصي ولما كان هذا موجبا للتشوف الي ما وقع لبني اسرايل بعد قال تعالي شافيا
لهذا الغليل اقبلنا علي بني اسرايل مخاطبين بما مضي وما ياتي فقيلنا يا بني اسرايل قد انجيناكم بقدرتنا الباهرة
من عدوكم الذي كنتم تحقرون شيا عنده وواعدناكم كلكم كما مضي في البقرة عن نص التوراة للحضول بحضرتنا
والاعتزاز بمواطن رحمتنا جانب الطور الايمن اي الذي علي ايمانكم في توجهكم هذا الذي وجوهكم فيه
الي بيت ابيكم ابرهيم عليه السلام ونزلنا عليكم بعد انزال هذا الكتاب في هذه المواعدة لا نحاش ابدا لكم
المن والسلوي لا بقا اشباحكم فيدا بالانجا والتمكين من العبادة ثم اتبعه بنعمة الكتاب الدال عليها ثم
بالرزق المقوي كلوا من طيبات ما رزقناكم الذي ذلك ومن غيره ولا تطغوا فيه بالادخار الي غد في غير يوم
الجمعة ولا بغير ذلك من البطر واغفال الشكر بصرفه في غير الطاعة فيحل عليكم غضبي فتهلكوا لذلك وكل
من يحلل عليه غضبي منكم ومن غيركم فقد هوي اي كان حاله حال من سقط من علو ولما كان الانسان
محل الزلل وان اجتهد رجاه بقوله واني لغفار اي ستار باسبال ذيل العفو لمن تاب اي رجع عن
ذنوبه من الشرك وما يقاربه وامن بكل ما يجب الايمان به وعمل صالحا تصديقا لايمانه ولما كانت
الانسان محل الزلل وان اجتهد رجاه بقوله ولم يكن الغفار رتبه للاستمرار علي الاستقامة في غاية العلو عبر
عنها باداة التراخي فقال ثم اهتدي اي استمر علي العمل الصالح متحريا به ايقاعه علي حسب امرنا وعلي اقرب
الوجوه المرضية لنا له الي ذلك غاية التوجه كما تدل عليه صيغة افتعل وكان لما رتب الله سبحانه منازل
قوم موسي عليه السلام عامة والسبعين المختارين منهم في الجبل كما مضي عن نص التوراة في سورة البقرة
وواعد الكلام بعد ثلاثين ليلة لم يعين له اولها وكانه لاشتياقه الي المحاورة اي من التعرف اليه بمقام
الجلال لم يتوقف علي خصوص اذن من الله تعالي في اول وقت الاتيان اكتفا بمطلق الامر السابق في الميعاد
فتعجل بعشرة ايام عن الوقت الذي علم الله ان الكلام يقع فيه بعد الثلاثين التي ضربها لذلك وامر موسي عليه السلام
قومه عند نهوضه وتقدم اليهم في اتباعه والكون في اثره للحلول في الاماكن التي حدها الله لهم وامر النقيب
المختار بمثل ذلك وكانهم لما مضي تلبثوا الماكانوا وامن مقام الجلال فلما مضت الثلاثون بعد ذهاب
موسي لم يكن الي الوقت الذي اراد الله ان تكون المناجاة فيه فزاده عشرا فظن بنو اسرايل الظنون
في تلك العشرة ووقع لهم ما وقع من اتخاذ العجل ولما كان ذلك والله اعلم بما كان كان موسي عليه السلام قيل فاتي
موسي لميعادنا مبادرا لما عنده من الشوق الي ذلك المقام الشريف وتاخر مجي قومه عن الاتيان
معه فقلنا ما اخر قومك عن الاتيان معك وما اعجلك في المجي عن قومك وان كنت بادرت مبادرة
المبالغ في الاسترضا اما علمت ان حدود الملوك لا ينبغي تجاوزها بتقدم ولا تاخر يا موسي فهلا اتيتم جملة

وانتظرتم امرا جديدا بخصوص الوقت الذي استخلفتكم فيه قال موسي ظنا منه انهم اسرعوا وراءه هم اولاء
اي هم في القرب بحيث يشارا اليهم كاينين علي اثري الا اسبقهم الا بشي جرت العادة في التسبق بمثله بين
الرفاق وهذا بناءه علي ما كان عهد اليهم واكد فيه عليهم ثم اعتذر عن فعله فقال وعجلت انا بالمبادرة
اليك رب اي المصارع في اصلاح شاني ... لي لترضي عني رضي اعظم مما كان قال الرب سبحانه فانا
اي قد تسبب عن عجلتك عنهم انا قد فتنا قومك ... بعدك اي خالطناهم بامر من امرنا خالطه
ليخالفهم عما عهد تم عليه وكان ذلك سبب الفتنة ... بسببه لا انا زدنا في اخر المدة بمقدار
ما تعجلته به في اولها فلما تاخر رجوعك اليهم حصل لهم الفتون فضلوا عن جماعات الظنون واضلهم
السامري عن طريق الرشد روي النسائي في التفسير من سننه وابو يعلي في مسنده وابن جرير
وابن ابي حاتم في تفسيرهما عن ابن عباس رضي الله عنهما في حديث الفتون ان موسي عليه السلام لما وعده
ربه ان يكلمه استخلف علي قومه اخاه هرون عليه السلام واجلهم ثلاثين يوما وذهب فصام ليلها
ونهارها ثم كره ان يكلم ربه وريح فمه متغير فمضغ شيا من نبات الارض فقال له ربه اوما علمت ان
ريح الصايم اطيب من ريح المسك ارجع فصم عشرا فلما راي قوم موسي انه لم يرجع اليهم ساءهم
ذلك وكان هرون قد خطبهم وقال انكم خرجتم من مصر ولقوم فرعون عندكم عواري وودايع
ولكم فيها مثل ذلك وانا اري ان تحتسبوا ما لكم عندهم ولا احل لكم وديعة استودعتموها ولا عارية
ولسنا برادين اليهم شيا من ذلك ولا ممسكيه لا نفسنا فحفر حفيرا وامر كل قوم عندهم من ذلك
من متاع او حلية ان يقذفوه في ذلك الحفير ثم اوقد عليه النار فاحرقه فقال لا يكون لنا ولا لهم وكان
السامري من قوم يعبدون البقر جيران لبني اسرائيل ولم يكن من بني اسرائيل فاحتمل مع موسي وبني اسرائيل
حين احتملوا فقضي له ان راي اثرا فقبض منه قبضة فمر بهرون فقال له هرون عليه السلام يا سامري الا تلقي ما في يدك
وهو قابض عليه لا يراه احد طوال ذلك اليوم فقال هذه قبضة من اثر الرسول الذي جاوز بكم البحر ولا القيها
لشي الا ان تدعو الله اذا القيتها ان يكون ما اريد فالقاها ودعا له هرون فقال اريد ان يكون عجلا فاجتمع ما
كان في الحفرة من متاع وحلية او نحاس او حديد فصار عجلا اجوف ليس فيه روح له خوار قال ابن عباس
رضي الله عنهما لا والله ما كان له صوت قط انما كانت الريح تدخل في دبره فتخرج من فيه فكان ذلك الصوت من ذلك
فتفرق بنوا اسرائيل فرقا فقالت فرقة يا سامري ما هذا وانت اعلم به قال هذا ربكم ولكن موسي اضل الطريق
فقالت فرقة لا نكذب بهذا حتي يرجع الينا موسي فان كان ربنا لم نكن ضيعناه وعجزنا فيه حين رايناه وان لم
يكن ربنا فانا نتبع قول موسي وقالت فرقة هذا عمل الشيطان وليس بربنا ولن نومن به ولا نصدق واشربت فرقة
في قلوبهم الصدق بما قال السامري في العجل واعلنوا التكذيب به الحديث فرجع موسي لما اخبره به بذلك
الي قومه غضبان اسفا اي شديد الحزن والغضب قال لقومه لما رجع اليهم مستعطفا لهم يا قوم وانكر عليهم
بقوله الم يعدكم ربكم الذي طال احسانه اليكم وعدا حسنا ولما جرت العادة بان طول الزمان ناقض
للعزايم مغير للعهود كما قال ابو العلا احمد بن سليمن المعري ❁ لا انسينك ان طال الزمان بنا وكم حبيب تمادي
وكان عليه افضل الصلاة والسلام قريب العهد بهم انكر طول العهد بقوله افطال عليكم العهد اي فتغيركم
عما فارقتكم عليه كما يعتري اهل الرذايل ولا انحلال في العزايم لضعف العقول وقلة التدبر ام اردتم بالنقض

مع قرب العهد وذكر الميثاق ان يحل عليكم غضب من ربكم المحسن اليكم اي وكلا الامرين لم يكن اما الاول
فواضح واما الثاني فلا يظن باحد ارادته والحاصل انه يقول انكم فعلتم ما لا يفعله عاقل فاخلفتم اي فتسبب عن
فعلكم ذلك ان اخلفتم موعدي في اجلال الله ولا تياني الي الموضع الذي ضربه لكم لكلامه لي وانزال كتابه علي
احسانا اليكم واقبالا عليكم وكانه اضاف الموعد اليه ادبا مع الله واعظاما له قالوا لم يكن شي من ذلك ولما
كان المقصود من هذا السياق كله اظهار عظيم القدرة عبر عن ذلك بقوله ما اخلفنا موعدك بملكنا اي لقد
صدقت فيما قلت ولكنا لم نفعل ذلك ونحن نملك امرنا وهذا اشارة الي انه تعالي هو المتصرف في القلوب فهو
قادر علي ان يرد كفار قريش والعرب من بعد عناد هم ولدد هم وفساد هم ولكنا حملنا اوزارا اي اثقالا
من النقدين هي اسباب الاثام كما تقدم في الاعراف ان الله امرهم في التوراة ان يستعيروها من القبط
ويحرقوها وكان هذا ما كان خيانة في ذلك الشرع وان الله اباح لهم ذلك في القبط خاصة من زينة القوم
الذين لم يكن يعرف قوما غيرهم وغيرهم ليس حقيقا باطلاق هذا اللفظ عليه وهم القبط فسولت لنا انفسنا
ان نقذفها في النار وتوفرت الدواعي علي ذلك واشتدت بحيث لم نتمالك فقذفناها فكذلك اي فتعقب
هذا انه مثل ذلك الالقا القي السامري وهو لصيق انضم اليهم من قبط مصر التي ما كان معه اما من الحلي واما
من اثر الرسول كما ياتي ولان القاه كان اخرا ولما كان خروج التمثال عقب القايه بحيل كان يعرف
في ذلك فقيل فاخرج لهم ولما كان شديد الشبه للعجول قيل عجلا وقدم قوله جسدا المحرق ان
تحليته صورة لا معني علي قوله له خوار لئلا يسبق الي وهم انه حي فيتم عليه لمحة علي اعتقادا دائبا طل فقالوا
اي فتسبب عن ان السامري قال فتابعه عليه من اسرع في الفتنة هذا مشيرين الي العجل الذي هو علي صورة
ما هو مثل في الغباوة الهكم واله موسي فنسي موضعه فذهب يطلبه في مكان غيره او نسي ان يذكر لكم ولما
كان هذا سببا للانكار علي من قال هذا قال افلا يرون اي الا لوا ذلك فتسبب عن قولهم عما هو عن رويته ان
اي انه لا يرجع اليهم قولا ولا انه لا يكون ابكم ولا يملك لهم ضرا فيخافونه كما كانوا يخافون فرعون فيقولوا
ذلك خوفا من ضره ولا نفعا فيقولوا ذلك رجاء له ولما كان الذنب مع العلم ابشع والضلال بعد البيان
اشنع قال عاطفا علي قوله قال يا قوم الم يعدكم ولقد قال لهم هرون من قبل اي من قبل رجوع موسي
مستعطفا لهم يا قوم انما فتنتم اي اختبرتم في صحة ايمانكم وصدقكم فيه وثباتكم عليه به اي بهذا التمثال
في اخراجه لكم علي هذه الهيئة الخارقة للعادة وان ربكم الرحمن وحده الذي فضله عام ونعمته شاملة فلبس
علي بر ولا فاجر نعمه الا وهي منه قبل ان يوجد العجل وهو كذلك بعده ومن رحمته قبول التوبة فخافوا
نزع نعمه بمعصيته وارجوا اسباغها بطاعته فاتبعوني في الرجوع اليه واطيعوا امري في دوام الشرف
بالخضوع لربه ودوام الاقبال عليه يدفع عنكم ضيره ويفض عليكم خيره ولما كان هذا موضع ان يسال
عن جوابهم لهذا الامر الواضح الذي لا غبار عليه قيل قالوا بفظاظة وجمود لن نبرح عليه اي علي هذا العجل
عاكفين اي مستديرين مجتمعين حتي يرجع الينا موسي فلا نعلم فهموا به وكان معظمهم قد ضل فلم يكن معه
من يقوي بهم علي قتال مجاهدتهم الكافرين فلا يفيد ذلك شيا ويقتل بعضهم فيحمي له اخرون من ذوي
رحمه الاقربين فتصير بين بني اسرائيل فرقة يتعذر ضم شتاتها وتلافي دهائها وكانوا قد غيوا الرجوع برجوع
موسي عليه السلام مع انه لم يامره بجهاد من ضل انما قال له واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين فراي من الاصلاح

اعني الهم الى ان ياتي فيها ذكر ما قال هرون عليه السلام لتفتت النفس الى علم ما قال له موسى عليه السلام لانه
خليفته عليهم مع كونه راسًا في نفسه فدفع هذا التوهم بقوله قال اي موسى يا هرون انت نبي الله واخي ووزيري
وخليفتي فانت اولى الناس بان الومه واحقهم بان اعاتبه ما منعك اذ رايتهم ضلوا عن طريق الهدى واتبعوا سبيل
الردى من اتباعي في سيرتي فيهم من الاخذ على يد الظالم طوعا او كرها اتباعا لا تزيغ فيه عما نهجته لك بوجه من
الوجوه شيا من زيغ وعبر عن هذا التاكيد بزيادة لا من قوله الا تتبعني كما تقدم غير مرة ان النافي اذا زيد في كلام
كان نافيا لضد مضمونه فيفيد اثباتا للمضمون ونفيا لضده فيكون ذلك في غاية التاكيد افعصيت اي تسببت عن اتباعي
فتسبب عن ذلك انك عصيت امري واخذ بلحيته وبراسه يجره اليه غضبا لله تعالى فكانه قيل ما قال له فقيل قال
مجيبا له مستعطفا بذكر الاول وطن ضمهما بعد نفخ الروح مع ما له من الرقة والشفقة يا ابن ام فذكرها لانها
يسوها ما يسوه لا تاخذ بلحيتي ولا براسي اي بشعري ثم علل ذلك بقوله اني خشيت ان تقول ان اشتددت عليهم حتى
يصل الامر الى القتال فرقت بين بني اسرائيل بفعلك هذا الذي لم تجد شيا لقلة من كان معك وضعفهم عن ردهم
ولم ترقب قولي اخلفني في قومي واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين ولم تتدارك ردهم ولو ادى الامر الى السيف وهذا
كما كان النبي صلى الله عليه وسلم ماسورا بالصفح والحلم والمدافعة باللين عند ضعف الناصر وقلة المعين فلما فرغ من
نصيحته اقرب الناس اليه واحقهم بنصيحته وحفظه على الهدى اذ كان راس الهداة تسبب عن ذلك انه
قال لراس اهل الضلال معرضا عن اخيه بعد قبول عذره فما خطبك اي امرك هذا العجيب العظيم الذي اخرجك
العزيز العليم انك اضللتهم به يا سامري قال السامري مجيبا له بصرت من البصر والبصيرة بما لم يبصروا به
من امر الرسول الذي اجاز بنا البحر فقبضت قبضة من اثر فرس ذلك الرسول فنبذتها في الحلي الملقى في
النار وكذلك اي وكما سولت لي نفسي اخذ اثره سولت اي حسنت وزينت لي نفسي نبذها في الحلي
فنبذتها فكان منها ما كان ولما كان فعله هذا مفرقا لبني اسرائيل عن طريق الحق التي كانوا عليها وجامعا
لهم على تمثال حيوان هو اخس الحيوانات وعلى نفسه بكونه صار متبوعا في ذلك الضلال لكونه كان
سببه عوقب بالنفرة من الانسان الذي هو اشرف الحيوان ليكون ذلك سببا لضد ما تسبب عن فعله
فلا يتصل باحد ولا يتصل به احد بل يكون وحيدا طريدا ما دام حيا فلذلك قال له موسى عليه السلام
فاذهب اي تسبب عن فعلك اني اقول لك اذهب حيث ذهبت فان لك في الحيوة اي ما دمت حيا
ان تقول لكل من رايته لا مساس اي لا تمسني ولا امسك فلا تقدر ان تنفك عن ذلك لارادة الاله الحق
ذلك بك لتعلم انت ومن تبعك انكم كنتم على عظيم ضلال في ترك القادر على كل شي واتباع ما لا قدرة له على
شي وان لك بعد الممات موعدا للثواب ان تبت وللعقاب ان ابيت لن تخلفه مبنيا للفاعل وللمفعول
اي لا يكون خلفك ولا تكون انت خلفه بل يكون ذلك منكما مواجها لصاحبه لا انفكاك له عنه كما انك في
الحيوة لا تقدر ان تنفك عن النفرة من الناس فاختر لنفسك ما يحلو ولما ذكر ما للاله الحق من
القدرة التامة في الدارين اتبعه عجز العجل فقال وانظر الى الهك اي بزعمك الذي ظلت اي دمت عليه عاكفا
اي مقبلا مقاربا مواظبا لنحرقنه اي بالنار وبالمبرد كما سلف عن نص التوراة وكان معنى ذلك انه احماه حتى
لان فهان على المبارد ثم لننسفنه اذا صار سحالة في اليم اي البحر نسفا ولما اراهم بطلان ما هم عليه
باعيانهم اخبرهم بالحق على وجه الحصر فقال انما الهكم الله الذي لا اله الا هو اي لا يصلح لهذا المنصب

احد غيره لانه وسع كل شي علما فكان على كل ممكن قديرا فكان كل شي اليه فقيرا وهو غني عن كل شي ولما العجل الذي عبدوه فلو
كان حيا كان بعد متناهيًا في الغباوة او كان القياس على ما يتبادر الى الذهن حيث نفي عنه العلم بقوله ان لا يرجع اليهم قولا
والقدرة بقوله ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ان يثبتا هنا للاله الحق ولكنه اغتنى باثبات العلم الواسع لاستلزامه
للقدرة على كل ما يمكن ان تتعلق به بافادة الاسباب للشي المراد ومنع الموانع عنه فيكون لا محالة ولو لم يكن
كذلك لكان التخلف للجهل اما بما يفيد مقتضيا او يمنع مانعا ولان العلم [illegible] يستلزم اثبات القدرة المحيطة
العلم الشامل الخروج في المح الذي ليس من شان القدرة ان تتعلق به ولما تمت هذه القصة على هذا الاسلوب
من عظيم والسبيل الاقوم متكفلة بالدلالة على القدرة على ما وقعت اليه الاشارة من البشارة اول السورة
بتكثير هذه الامة ورد العرب عن غيهم بعد طول التمادي في العناد والتنكب عن سبيل الرشاد الى ما تخللها من التسلية
باحوال السلف الصالح والتاسية مشتملة من ادلة التوحيد والبعث وغير ذلك من الحكم بما تبعث الهمم
على معالي الشيم كان كانه قيل هل يعاد شي من القصص على هذا الاسلوب البديع والمنال الرفيع فقيل نعم كذلك
اي مثل هذا القص العالي في هذا النظم العزيز الغالي لقصة موسى ومن ذكر معه نقص عليك من انباء اي اخبار
ما قد سبق من الازمان والكوائن الجليلة زيادة في علمك واجلالا لمقدارك وتسلية لقلبك واذهابا لحزنك
بما اتفق للرسل من قبلك وقد اتيناك تشريفا لك وتعظيما لقدرك من لدنا اي من عندنا من الامر الشريف المزيد خصوصيته
بنا واللطيف اتصاله بحضرتنا ذكرا عظيما جليلا جامعا لما اظهرناه من امرنا في التوراة وما ابطناه من سرنا في الانجيل
وما اودعناه من سكينتنا في الزبور ثم ما خصصناه به من لطايف المزايا وعظايم الاسرار تعرف بمجرد تلاوته انه من عندنا
لما تشهد له من الروح وتذاق به من الاخبات والسكون ويرى له من الجلالة في الصدور مع [illegible] احدا لا يقدر ان يعارضه
وضمناه تلك القصص مع ما زدنا فيه على ذلك من المواعظ والاحكام ودقايق الاشارات [illegible] متكفلا بسعادة الدارين
وحسنى الحسنيين فمن اقبل عليه كان مذكرا له بكل ما يريد من العلوم النافعة ولما اشتمل هذا الذكر على جميع ابواب الخير كان كل ما
ليس له فيه اصل شقاوة محضة وضلالا بعيدا قال [illegible] من اعرض عنه اي عن ذلك
الذكر وهو عام في جميع من تمكن دخوله في معنى من من العالمين فانه يحمل يوم القيمة وزرا اي حملا ثقيلا من العذاب الذي سببه
الوزر وهو الذنب جزاء لاعراضه عنه واشتغاله بغيره خالدين فيه لا انفكاك لهم عنه وجمع هنا حملا على المعنى بعد الافراد
للفظ تنبيها على العموم لئلا يتخيل عنه بطول الفصل ويمكن ان يراد بالوزر الحمل الثقيل من الاثم ويكون الضمير في فيه للعذاب المسبب عنه
فيكون استخداما كقوله اذا نزل السماء بارض قوم رعيناه وان كانوا غضابا ولما كانوا منكرين ليوم القيمة صرح بذكره
ثانيا مع قرب العهد قارعا للاسماع عنهم به مجريا له اجرا ما هو به جدير من انه متحقق لا مرية فيه فقال وساء اي وبئس لهم اي
ذلك الحمل يوم القيمة حملا ثم [illegible] لهم بعض احوال ذلك اليوم ابتداءً فقال مبدلا من يوم القيمة يوم ينفخ في الصور فيقوم
الموتى من القبور ونحشر المجرمين منهم الذين قطعوا ما امر الله به ان يوصل وعدل عن ان يقول ونحشرهم لبيان الوصف
الذي حشرهم لاعراضهم عن الذكر يومئذ زرقا اي زرق العيون والجسوم على هيئة من ضرب فتغير جسمه حال كونهم
يتخافتون بينهم اي يتكلمون خافضي اصواتهم من الهيبة والجزع ثم بين ما يتخافتون به فقال ان لبثتم اي في الدنيا الا عشرا ولما
كان علمه بالاشيا احق من علم ما سواه قال [illegible] فقال نحن اعلم بما يقولون اي في ذلك اليوم اذ يقول امثلهم طريقة في الدنيا
فيما يحسبون ان لبثتم الا يوما كما قال في الاية الاخرى قالوا لبثنا يوما او بعض يوم يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يوفكون
فلا يزالون في افك وضرع على الخزي في الدارين لان الانسان يموت على ما عاش عليه ويبعث على ما مات عليه ويجوز ان يكون المراد ان من

قال ان لبثتم الا يوما اي الا يوم واحد امثلهم في النفس لا من الرجال وان طال انما هو يوم ثم تنكر اللبث مرادا لنفسه وانما هو مراد
لما يكون فيه فان كان خيرا كان صاحبه محمودا ولم يضر قصره وان كان شرا كان مذموما ولم ينفعه طوله ولما اخبر
عن بعض ما سبق تعرض بعض ما يأتي من احوال المعرضين عن هذا الذكر في ما ينتج اعراضهم عنه ختم ذلك باستقصائهم
مدة لبثهم في هذه الدار اخبر عن بعض احوال هذه الاعراض فقال ويسلونك عن الجبال يوم ينفخ في الصور شكا منهم في
البعث وقوفا مع الوهم انها تكون موجودة على قياس جمودهم لا محالة لانها اشد الاشياء قوة واطولها بقاء واثبتها
مكانا فتمنع بعض الناس من سماع النفخ في الصور وتحيل للبعض بحكم زعمهم الهوا الحامل للصوت انه اتي من غير جهة فلا
يستقيم القصد الى الداعي فقل اي فتسبب عن علمنا بانهم يسلونك هذا السوال انا نقول لك قل ولا يكون على تقدير شرط اي
فاذا سالوك فقل لهم وهذا بخلاف ما نزل بعد وقوع السوال عنه مثل الروح وقصة ذي القرنين فانه لا بد من جوابه
على طريق الاستيناف لما هناك من استشراف النفس الى الجواب ينسفها ربي المحسن الى بتصري في القيمة اي بلا كلفة نسفا
عند النفخة الاولى فيذرها قاعا اي ارضا ملسا صفصفا اي مستويا لا ترى فيها عوجا بوجه من الوجوه ولا امتا اي شيئا
مرتفعا كالكدية وقال البيضاوي والزمخشري الامت النتو اليسير قال الغزالي في الدرة الفاخرة بنفخة الصور تتطاير
الجبال وتتفجر الانهار بعضها في بعض فيمتلي عالم الهوا ماء وتنتثر الكواكب وتتغير السماء والارض ويموت العالمون فتخلو
الارض والسماء ثم قال ثم يكشف سبحانه عن بيت في سقر فيخرج لهيب النار فيشتعل في البحور فتنشف ويدع الارض جمرة
سوداء والسموات كانها عكر الزيت والنحاس المذاب ثم يفتح خزانة من خزائن العرش فيها بحر الحياة فيمطر به الارض وهو
كمني الرجال فتنبت الاجسام على هيئتها الصبي صبي والشيخ شيخ وما بينهما ثم تهب من تحت العرش نار لطيفة فتبرز الارض
ليس فيها جبل ولا عوج ولا امت ثم يحيي الله اسرافيل فينفخ في الصور من صخرة القدس فتخرج الارواح من ثقب في الصور
بعددها كل روح الى جسدها حتى الوحش والطير فاذا هم بالساهرة ولما اخبر سبحانه بزوال ما يكون منه العوج في
الصوت قال يومئذ اي اذ ينفخ في الصور وتنسف الجبال يتبعون اي اهل المحشر الداعي بالنفخ منصبين اليه على الاستقامة
لا عوج له في شي من قصدهم اليه لانه ليس في الارض ما يحوجهم الى التعريج ولا يمنع الصوت من النفوذ على السواء وقال ابو حيان
اي لا عوج لدعائه بل يسمع جميعهم فلا يميل الى ناس دون ناس ولما اخبر بخشوعهم في الحديث والانقياد للدعوة اخبر بخشوع
غير ذلك من الاصوات التي جرت العادة بكونها عن الاجتماع فقال وخشعت الاصوات اي ارتخت وخفيت وتطامنت
للرحمن الذي عمت نعمته فيرجى كرمه وتخشى نقمته فلا اي فتسبب عن رخاوتها انك لا تسمع الا همسا اخفى ما يكون من الاصوات
ولما تقرر ما للاصوات من الانخفات وكان قد اشير فيما مضى الى وقوع الشفاعة من بعض خصايصه باذنه وكان الحشر
للحساب بمعرض التقريب لبعض والتبعيد لبعض وكانت العادة جارية بان المقرب يشفع للمبعد لما بين اهل الجمع من الوصل
والاسباب المقتضية لذلك وكان الكفار يزعمون ان الهتهم تشفع لهم قال نافيا ان تقع شفاعة بغير اذنه يومئذ لا تنفع الشفاعة
اي لا تكون شفاعة ليكون لها نفع لانه قد ثبت بما مضى انه لا صوت وتقرر في تحقيق المحصورات من علم الميزان ان السالبة
الحقيقية لا تستدعي وجود الموضوع في الخارج وانما حول العبارة لان المقصود بالذات النفع فنفيه بادي بدء
اقطع وقرع السمع به اولا اهول وافزع الا اي لكن الا شفاعة من اذن له الرحمن العام النعمة ورضي له قولا ولو الايمان
المجرد ولما نفى ان تقع شفاعة بغير اذنه علل ذلك كما سلف في اية الكرسي بقوله يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم اي علمه محيط بهم
عموم قبلهم ثم ما يكون من الاسباب انهم لا يشفعون الا برضاه ولا يحيطون به علما بحيث يحرزون ما يقدر عليهم وعلما تمييز منقول عن الفاعل
اي ولا يحيط علمهم به قاله ابو حيان والاقرب عندي كونه منقولا عن المفعول الذي تعدى اليه الفعل بحرف الجر ولا

يحيطون

يحيطون بعلمه فيكون ذلك اقرب الى ما في اية الكرسي ولما ذكر خشوع الاصوات اتبعه خضوع ذويها فقال وعنت الوجوه
اي ذلت وخضعت وخصها بالتشريف لشرفها ولانها اول ما يظهر فيه الذل للحي الذي هو مطلع على الدقايق والجلايل وكل ما سواه
جماد حيث ما نسب حياته الى حياته القيوم الذي لا يغفل عن التدبير ومجازاة كل نفس بما كسبت وقد خاب اي خسر
من حمل ظلما ولما ذكر الظالم اتبعه الحكيم فقال ومن يعمل ولما كان الانسان محل العجز وان اجتهد قال من الصالحات
اي التي امر الله بها بحسب استطاعته لانه لن يقدر الله احد حق قدره ولن يشاد الدين احد الا غلبه وهو مؤمن
ليكون بناؤها على اساس فلا يخاف ظلما اي لا من جنس العمل ولا هضما اي نقصا من جزائه وان كان هو لم يوف المقام
حقه لانه لا يستطيع ذلك ولما اشتملت هذه الايات على الذروة من حسن المعاني فتشرفت وبشرت وانذرت
وحذرت وبينت الخفايا واظهرت الخبايا مع ما لها من جلالة السبك وبراعة النظم كان كانه قيل انزلنا هاكل هذا
العزيز المنال وكذلك اي ومثل هذا الانزال انزلناه اي هذا الذكر كله قرانا جامعا لجميع المعاني المقصودة عربيا مبينا
لما اودع فيه لكل منزله ذوق في اساليب العرب ولما كان اكثر هذه الايات تحذيرا قال وصرفنا فيه من الوعيد اي ذكرناه
مكررين له محولا في اساليب مختلفة وافانين متنوعة ولما ذكر الوعيد اتبعه ثمرته فقال لعلهم يتقون اي ليكونوا
به في عداد من يتجدد التقوى كل حين بان تكون له وصفا مستمرا وهي في الحذر الحامل على اتخاذ الوقاية مما يخاف او يحدث
عداد من يحدث لهم ذكرا اي ما يستحق ان يذكر من طرق الخير فيكون بسبب الخوف الحامل على التقوى فيردهم عن بعض ما تدعوا
اليه النفوس من النقايص والشرور ولما بلغت هذه الجمل نهاية الاعجاز فاشتملت على غاية الحكمة دالة على ان قايلها تمام
العلم والقدرة والعدل في احوال الدارين تسبب عن سوقها كذلك ان ما له من العظمة ما ابهمه قوله فتعالى الله اي الذي
لا يبلغ الواصفون وصفه حق وصفه الملك الذي لا يعجزه شي فلا تملكه في الحقيقة غيره الحق اي الثابت الملك فلا زوال
لكونه ملكا في زمن ما ولما كانت هذه الايات في ذم من اعرض عن هذا الذكر كان التقدير فلا تعرض عنه لتكون من
المتقين الذاكرين ولما كان هذا الحث العظيم ربما اقتضى المسابقة في التقوى والمبالغة في المبادرة اليه فيستعجل تلقفه
قبل الفراغ من ايحايه قال عاطفا على هذا المقدر ولا تعجل بالقران اي بتلاوته من قبل ان يقضى اي ينهى اليك وحيه من
الملك النازل اليك من حضرتنا به كما انا لم نعجل بانزاله عليك جملة بل رتلناه لك ترتيلا ونزلناه اليك تنزيلا منفصلا
تفصيلا ومتوصلا توصيلا كما اشرنا اليه اول السورة فاستمع له ملقيا جميع تاملك فاذا فرغ فاقراه فانا نجمعه
في قلبك ولا نشغلك بانسايه وانت مصغ اليه ولا بتكليفك للمساوقة بتلاوته وقل رب زدني علما اي بتفهيم ما
انزلته الي منه وانزال غيره كما زدتني بانزاله وتحفيظه لتتمكن من معرفة الاسباب المفيدة لنفع الخلق لك فانه كما تقدم
على قدر احاطة العلم يكون شمول القدرة وفي هذا دليل على ان التاني في العلم بالتدبر والقا السمع انفع من الاستعجال المتعب
للبال المكدر للحال واعون على الحفظ فمن وعى شيا حق الوعي حفظه غاية الحفظ وروى الترمذي وابن ماجه والبزار
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم انفعني بما علمتني وعلمني ما ينفعني وزدني علما والحمد لله على كل
حال واعوذ بالله من حال اهل النار افاده ابن كثير في تفسيره ولما قرر سبحانه بقصة موسى عليه السلام ما اشار اليه اول السورة
مما هو عليه من الحلم والتاني على عباده والاحسان اليهم فيما هم عليه من التقصير بالنسيان للعهود والنقض للمواثيق واتبعها مدح
هذا الذكر الذي نادت الايات بذم من اعرض عنه وختمه بما عهد اليه صلى الله عليه وسلم في امره نهيا وامرا اتبع ذلك سبحانه قصة
ادم عليه السلام تحذيرا من الركون الى ما يسبب النسيان وحثا على رجوع من نسي الى طاعة الرحمن وبيانا لان ذلك الذي قرره
من حلمه وامهاله عادته سبحانه من القدم وصفته التي كانت ونحن في حيز العدم وانه جبل الانسان على النقص فلو اخذهم

بذنوبهم ما ترك عليها من دابة فقال عاطفا على قوله وكذلك انزلناه حكما عربيا او كذلك نقص عليك من انبا ما قد سبق
ولقد عهدنا الى ادم ابي البشر عطفا للقصة التي اطلعناه على كثير منها في النهي عن الاكل من الشجرة من قبل اي من قبل هؤلاء الذين تقدم في هذه السورة ذكر نسيانهم واعراضهم فنسي عهدنا واكل منها مع علمه من تلك العظمة بما لا ينبغي ان ينسى معه ذلك العهد المؤكد بذلك الجلال فعددنا عليه وقوعه في ذلك المنهي نسيانا ذنبا لعلو رتبته عندنا فهو من باب حسنات الابرار سيئات المقربين فكيف بما فوق ذلك ولم نجد له عزما اي لم يتعلق علمنا به موجودا ومن ذلك عفونا عنه ولم نخرجه عن رتبة الاصطفا ولما كان المقصود من السورة كما سلف الاعلام بالحلم والاناة والتلطف بالناس والقدرة على المعرض ذكر قصة ادم عليه السلام هنا في هذه السورة بلفظ المعصية مع التصريح بانها على وجه النسيان وذكر ذلك اولا مجملا ثم اتبعه تفصيله ليكون ذلك مذكورا مرتين تاكيدا للمعنى المشار اليه وتقديرا وتحذيرا من الوقوع في مثله وارشادا لمن غلب عليه طبع النقص الى المبادرة الى الندم وتعاطي اسباب التوبة ليتوب الله عليه كما فعل بادم عليه السلام فقال واذ اي اذكر هذا واذكر اذ قلنا بما لنا من العظمة اي للملايكة اسجدوا لادم الذي خلقته بيدي فلم ناثرهم بذلك الا بعد ان اصطفيناه ونحن عالمون بما سيقع منه وانه لا يقدح في رتبة اصطفايه فان الحلم والكرم من صفاتنا والرحمة من شاننا فلا ياس من عودنا بالفضل والرحمة على من بالغ في سخاطنا من قومك الذين وصفناهم بالارتداد فسجدوا الا ابليس فكانه قيل ما كان من حاله فقيل ابى اي تكبر على ادم فعصى امر الله فقلنا بعد ان حلمنا عنه ولم نعاجله بالعقوبة يا ادم ان هذا الشيطان الذي تكبر عليك عدو لك لان التكبر الناشي عن الحسد لا يزول ولزوجك لانها منك فلا يخرجنكما من الجنة فانه لا يقصر في ضركما وارادة ازالكما عنها فتشقى اي فتتعب ولم يشرك شقاوة الاخرى لانه لو ارادها ما دخل الجنة بعد ذلك لان الكلام المقدر بعد القليل خبر والخبر لا يخلف ثم علل شقاوته على تقدير الاخراج بوصفها بما لا يوجد في غيرها فقال ان لك الا تجوع فيها اي بوجه ما ولا تعرى فلا يتجرد باطنك ولا ظاهرك وانك لا تظما فيها ولا تضحى اي لا تكون بحيث يصيبك حر الشمس والمعنى انه لا يصيبك حر في الباطن ولا في الظاهر فوسوس اي فتعقب تحذيرنا هذا من غير تخير في الزمان ان وسوس اليه الشيطان وهو ابليس اي القى اليه على وجه الخفا بما مكناه من الجري من هذا النوع مجرى الدم وقذف المعاني في قلبه وكانه عبر بالى لان المقام لبيان قبول سرعة هذا النوع للنقايص وانه من بعد اولانه ما انهى اليه ذلك الا بواسطة زوجه ولذلك عدى الفعل عند ذكرهما باللام وكانه قيل ما ذا شر اليه فقيل قال يا ادم ثم ساق له الغش مساق العرض ابعادا للنفس من التهمة وتشويقا اليه اولا بقوله هل ادلك فان النفس شديدة الطلب لعلم ما تجهله وثانيا بقوله على شجرة الخلد فان الانسان احب شي في طول البقاء وثالثا بقوله وملك لا يبلى اي لا يخلق اصلا فكانه قال بلسان الحال او القال نعم فقال شجرة الخلد هذه مشيرا الى التي نهي عنها ما بينك وبين الملك الدايم الا ان تاكل منها فاكلا اي فتسبب عن قوله وتعقبه ان اكل منها هو وزوجه متبعين لقوله ناسيين ما عهد اليهما فبدت لهما لما خرقا من ستر النهي حرمه سواتهما وقوع على الحد زامنه من اخراجهما مما كانا فيه وطفقا اي شرعا يخصفان اي يخيطان عليهما من ورق الجنة ليستر عوراتهما وعصى ادم وان كان انما فعل المنهي نسيانا لان عظم مقامه وعلو رتبته يقتضيان له مزيد الاعتنا ودوام المراقبة بربط الخاطر ويقظة الفكر ربه اي المحسن اليه بما لم ينله احدا من بنيه من تصويره له بيده واسجاد ملايكته له ومعاداة من عاداه فغوى اي فضل عن طريق السداد بمخالفة امره

وهو صفيه لم ينزله عن رتبة الاصطفا لان رحمته واسعة وحلمه عظيم وعفوه شامل فلا يهلك امر القوم اللد فلنا قادرون على ان نقبل بقلوب من شينا منهم من نجعل فعلهم من صفي الاصفيا ونخرج من اصلاب من شينا منهم من نجعل قلبه معدن الحكمة والعلم ولما كان الرضى عنه مع هذا الفعل الذي اسرع فيه اتباع العدو وعصيان الولي شيا لا حاجة به اليه مستبعدا جدا اثبت ذلك ثم مشيرا اليه باداة التراخي فقال ثم اجتباه ربه اي المحسن اليه فتاب عليه اي بالرجوع الى ما كان عليه من طريق السداد وهدى بالحفظ في ذلك كما هو الشان في اهل الولاية والقرب ولما كان من شان الملوك لا يحتمل مثل ذلك وكان قد قدم نعمة عنايته بادم عليه السلام اهتماما به وكان الخبر عن زوجه وعن ابليس لم يذكر فكانت نفس السامع لم تسكن عن تشوفها الى سماع بقية الخبر اجاب عن ذلك بانه اهبط من دار المقدس الحامل على المخالفة والجهول وان كان جهدها بالاجتبا لها فقال على طريق الاستيناف قال اي الرب الذي انتهكت حرمة داره اهبطا منها اي الفريقان ادم وتبعه وابليس جميعا كانه قال على اي حال فقيل بعضكم لبعض عدو وهو صادق بعداوة كل من الفريقين للفريق الاخر فريق ابليس الذين هم الجن بالاضلال وفريق الانس بالاحتراز منهم بالتعاويذ والرقى وغير ذلك وبعداوة بعض كل فريق لبعضه فاما اي فتسبب عن ذلك العلم بانه لا قدرة لاحد منكم على التحرز من عداوة ابيه ولا حجر لكم من قبلي الا اتباع امري فاما ياتينكم مني هدى يحفظ من زيغه عن استهوا العدو واسند الا به فمن اتبع عبر بصيغة افتعل اليه بانه تكلف وتجشم للنبع الناشي عن شدة الاهتمام هداي الذي اسعفته به من اوامر الكتاب والرسول المويد بدلالة العقل وللتنبيه بصيغة افتعل قال فلا يضل اي عن طريق السداد في الدنيا ولا في الاخرة اصلا ولا يشقى اي في شي من سعيه في واحدة منهما ويلزم نفيه نفي الخوف والحزن بخلاف العكس فهو ابلغ مما في البقرة لان المدعو اليه في تلك مطلق العبادة والمقام هنا لاهل الخشية الا تذكرة لمن يخشى وللاقبال على الاكرم من اعرض عنه فانه يحمل يوم القيمة وزرا والتحفظ من المخالفة ولو بالنسيان فنسي ولم نجد له عزما قال الرازي في اللوامع والشقا فراق العبد من الله والسعادة وصوله اليه ومن اعرض عن ذكري الذي هو الهدي فان له صدد ذلك معيشة ضنكا اي ذات ضنك اي ضيق لكونها على ضلال وان راى ان حاله على غير ذلك في السعة والراحة فان ضلاله لا بد ان يرديه فهو ضنك لكونه سببا للضيق وايلا اليه من تسمية المسبب باسم السبب مع ان المعرض عن الله لا يشبع ولا يصل الى ان يقنع عن مناواة الخصوم وتعاون الهموم مع انه لا يرجو ثوابا ولا يامن عقابا فهو لذلك في اضيق الضيق لان همه الكبير وجهده لو كان لابن ادم واد من ذهب لا بتغى اليه ثانيا ولو ان له واديين لا بتغى لهما ثالثا ولا يملا جوف ابن ادم الا التراب ويتوب الله على من تاب متفق عليه عن انس رضي الله عنه وهكذا حال من اتبع نفسه هواها واما المقبل على الذكر بكليته فهو قانع راض بما هو فيه يستكثر من ذكر الله الشارح للصدور الجالي للقلوب فهو في وسع سعة فلا تغتر بالصور وانظر الى المعاني كما ذكر حاله في الدنيا اتبعه قوله ونحشره يوم القيمة اعمى وكان ذلك في بعض اوقات ذلك اليوم او في بعض اهل الضلال ليجتمع مع قوله ابصر بهم واسمع يوم ياتوننا وحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في الصحيح من هذا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الظلم ظلمات يوم القيمة قال رب اي المحسن الي المسبغ نعمه علي لم حشرتني في هذا اليوم اعمى وقد كنت اي في الدنيا بصيرا فكانه قيل بم اجيب فقيل قال له ربه كذلك اي مثل ذلك فعلت في الدنيا اتتك اياتنا فنسيتها اي فعاملتها باعراضك عنها معاملة المنسي الذي لا يبصر صاحبه فقد جعلت نفسك اعمى البصر والبصيرة عنها كما قال الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكري وكذلك اي ومثل ذلك النسيان اليوم تنسى فتكون كالشي الذي لا يبصره احد فلا يلتفت اليه وكذلك اي ومثل ذلك الجزا نجزي من اسرف في متابعة هواه فتكبر عن متابعة

لو امرنا ولم يومنوا بايات ربه اما بالتكذيب واما بفعله فعل المكذب ولما ذكر ان زهرة الدنيا حقيرا بالضنك
وذكر بعض ماله في الاخرة قال ولعذاب الاخرة باي نوع كان اشد اي من عذاب الدنيا وابقي منه فان الدنيا دار زوال
وموضع قلعة وارتحال ولما كان ما مضي من اخبار القرون [illegible] ولما قبلها اخبار ذلك [illegible] مصارع [illegible] واجا ذكر المكذبين
بسبب العصيان على الرسل سببا اعظم للاستبصار والبيان كان الوالا ان يشكر عليهم [illegible] فقال تعالى
افلم يهد لهم [illegible] قبلهم اي كثيرا [illegible] كنا لمن تقدمهم من القرون [illegible] يمشون في مساكنهم
ويعرفون خبرهم بالتواتر خلفا عن سلف انا ننصر اولياءنا ونهلك اعداءنا ونفعل ما شئنا ولا [illegible] لا يغفر [illegible] ويقول
ويكون المعنى او لم يتبين لهم البيان ثم عظم ما في ذلك من البيان بقوله استينافا ان في ذلك اي الاهلاك [illegible] كالامة
لايات عظيمات البيان لاولي النهى اي العقول التي من شانها النهي عما لا ينفع فضلا عما يضر فانه يدل بتواليه على قدرة
الفاعل وتخصيص الكافر بالهلاك والمومن بالنجاة على تمام العلم مع عموم القدرة وعلى انه تع لا يقر على الفساد وان امهل
الى [illegible] منزله وازيغ من عقله وشاهدهم باهلاك الماضين ذكر سبب التاخير عنهم عاطفا على ما ارشد الى تقديره
السياق وهو مثل ان يقال فلو اراد سبحنه تعجيل عذابهم ولولا كلمة سبقت من ربك الذي عودك بالاحسان بانه يعامل بالحلم
والاناة وانه لا يستاصل مكذبيك [illegible] منهم ويخرج من اصلاب بعضهم من يعبد [illegible] وما ذلك الا كرامالك ورحمة
لا ممتك لانا ما خلقنا اول السورة ما انزلنا عليك القران لتشقى باهلاكهم وان كانوا قوما لدا او ابعد ذلك وما انزلناه الا ليكثر
اتباعك فيعظم اجرك فيكون ذلك زيادة في شرفك والى ذلك الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم وانما كان الذي اوتيته وحيا
اوحاه الله الي فارجو ان اكون اكثرهم تابعا لكان اي العذاب لزاما لكل من اذنب عند اول ذنب يقع منه [illegible]
ولولا اجل مسمى ضربه لكل شي لكان [illegible] كذلك ايضا لكنه سبقت رحمته غضبه فهو لا يعجل [illegible] لاجل فهو لا ياخذ
قبله وكل من سبق الكلمة [illegible] الاجل مستقل بالاهمال فكيف اذا اجتمعا فتسبب عن العلم بانه لا بد من استيفا الاجل وان زاد العاصي
في العصيان تسليم الامور الى الله [illegible] القلوب في انتظار الفرج فقال فاصبر على ما يقولون [illegible] ولما كان الصبر شديدا
على النفس منافرا للطبع لان النفس مجبولة على النقايص مشحونة بالوساوس [illegible] من حضيض الجسم الى اوج الروح
بمقام التجلي بالكمالات والتخلي من الرعونات وبدا بالاول لانه العون على الثاني وذكر اشرف الخلال فقال وسبح بحمد ربك اي اشتغل
بما يخلصك من عذابه ويقربك من جنابه بان تنزه [illegible] عن كل نقص حال كونك حامدا له باثبات كل كمال وذلك بان تصلي له خاصة
غير ملتفت الى شي سواه قبل طلوع الشمس صلاة الصبح وقبل غروبها صلاة العصر والظهر وغيره السياق في قوله ومن اناء الليل اي ساعاته
فسبح اي بصلاة المغرب والعشا ابتدانا بعظمة صلاة الليل وكرر الامر بصلاتي الصبح والعصر علاما بمزيد فضلهما فقال واطراف
النهار ويويد ما فهمته من ان ذلك تكرير لهما ما في الصحيحين عن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال كنا جلوسا عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر فقال انكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رويته فان استطعتم ان
لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرا هذه الاية [illegible] الاية مزيد حث عليهما خاصة على ان [illegible]
اناء والطرف صالح لصلاة التطوع ليلا ونهارا ولما كان [illegible] الغالب على الانسان النسيان وكان الرجا عنده اغلب ذكر الجزا [illegible]
ليأتي بالامر فقال لعلك ترضى اي افعل هذا لتكون على رجا من ان يرضاك ربك فيرضيك في الدنيا والاخرى باظهار دينك
واعلاء امرك ولا يجعلك في عيش ضنك في الدنيا ولا في الاخرة ولما كانت النفس مياله الى الدنايا مرهونة بالحاضر
من فاني العطايا وكان تخليها عن ذلك هو الموصل الى تجليها الموذن بعلوها قال ولا تمدن موكدا له بالنون الثقيلة عينيك
اي لا تطول نظرهما بعد النظر الاول المعفو عنه قاصدا النظر للاستحسان الى ما متعنا به في هذه الحياة الفانية ازواجا اي

اصنافا

34

اصنافا منهم اي من الكفرة زهرة اي بهجة الحياة الدنيا لا ينتفعون به في الاخرة لعدم صرفهم له في اوامر الله فهو مصدر من
المعنى مثل جلست قعودا ثم علل تمتيعهم بقوله لنفتنهم فيه اي لنفعل بهم فعل المختبر فيكون سببا لعذابهم في الدنيا بالعيش الضنك لما
[illegible] في الاخرة بالعذاب [illegible] لمن [illegible] معناها حق التامل فان فيه خيرا ما صرفه ورزق ربك
الذي عودك بفعله لبابه وهو الكفاف الطيب المقرون بالتوفيق خير من زهرتهم لانه ينجي ولا يطغي وازكى ما يدني الى
جنابه فيعلي وابقى لانه وفقك لصرفه في الطاعة فكتب لك من اجره ما توفاه يوم الحاجة كواضافة رزقه دون رزقهم
اليه سبحانه [illegible] وفيه اشارة الى طهره عليه وحيايته بعدهم كما هو الشارع في الصالحين والطالحين ولما
امره بتزكية النفس [illegible] ان منها تزكية الغير لان ذلك ادل على الاخلاص واجدر بالخلاص كما دل عليه مثال السفينة الذي
ضربه رسول الله صلى الله عليه وسلم يامر بالمعروف [illegible] فقال وامر اهلك بالصلاة كما كان ابوك اسمعيل عليه السلام لتقودهم الى
[illegible] الصلاة تنهى عن الفحشا والمنكر ولم يذكر الزكاة لدخولها في التزهيد بالاية التي قبلها ولما كانت شديدة على النفس عظيمة النفع
قال واصطبر بصيغة الافتعال عليها على فعلها مفرغا نفسك لها وان شغلك ذلك عن بعض امر المعاش فانا لا نسالك رزقا اي لا نكلفك
طلبه لنفسك ولا لغيرك فان مالنا من الخلق [illegible] ان نكلفك امرا [illegible] ما يشغلك عنه ولما كان [illegible] النفس تكليفها مصروفة
الى امر المعاش [illegible] فقال نحن بنون العظمة نرزقك [illegible] من اي جهة شينا
من ملكنا الواسع وان كان [illegible] ولا يسعى في الرزق [illegible] فاتقوا الله واجملوا في الطلب ولا [illegible] في تحصيله والسعي
فيه فان كلا من الجاد فيه والمتهاون [illegible] ما قسمناه له في الازل [illegible]
راضيا فهو في وسع [illegible] والمعرض [illegible] على سعيه [illegible] ابدا والعاقبة للتقوى اي لاهلها ولا معونة
على الرزق [illegible] بالصلاة فكان صلى الله عليه وسلم اذا حزبه امر فزع الى الصلاة اخرجه احمد عن حذيفة وعلقه البغوي في اخر
سورة الحجر وقال الطبراني في معجمه الاوسط ثنا احمد هو ابن يحيى الحلواني ثنا سعيد هو ابن سليمن عن عبد الله بن المبارك عن معمر عن محمد
ابن حمزة عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا نزل باهله الضيق امرهم بالصلاة ثم قرا وامر اهلك بالصلاة
الاية لا يروى هذا الحديث عن عبد الله بن سلام الا بهذا الاسناد تفرد به معمر وقال الحافظ عماد الدين اسمعيل بن كثير في
تفسيره وقال ابن ابي حاتم ثنا ابي ثنا عبد الله بن ابي زياد القطواني ثنا سيار ثنا جعفر عن ثابت [illegible] قال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا اصابته خصاصة نادى اهله يا اهلاه صلوا صلوا قال ثابت وكانت الانبيا اذا نزل بهم امر فزعوا الى
الصلاة وقد روى الترمذي وابن ماجه من حديث عمران بن زايدة عن ابيه عن ابي خالد الوالبي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تع تفرغ لعبادتي املا صدرك غنى واسد فقرك وان لم تفعل ملات صدرك شغلا ولم اسد فقرك
وروى ابن ماجة من حديث الضحاك عن الاسود عن ابن مسعود رضي الله عنه سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول من جعل الهموم هما واحدا هم
المعاد كفاه الله هم دنياه ومن تشعبت به الهموم احوال الدنيا لم يبال الله في اي اوديتها هلك وروى ايضا من حديث عمر بن سليمن
عن عبد الرحمن بن ابان عن ابيه عن زيد بن ثابت رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كانت الدنيا همه فرق الله عليه
امره وجعل فقره بين عينيه ولم ياته من الدنيا الا ما كتب له ومن كانت الاخرة نيته جمع الله له امره وجعل غناه في قلبه واتته الدنيا
وهي راغمة ولما قدم في هذه السورة ما ذكر من قصص الاولين واخبار الماضين مبكتا بذلك من امر قريشا بالتعنت من
اليهود فلم يقدروا على انكار شي منه ولا توجيه طعن اليه وختمه ببدايع الحكم وغرايب المواعظ في ارشق الكلام وختم ذلك
باعظم داع الى التقوى عجب منهم في كونهم لا يذعنون للحق انفة من المجاهرة بالباطل او خوفا من سوء العواقب فقال
وقالوا لعله عطف على قوله [illegible] لولا ياتينا باية من ربه المحسن اليه دالة على صدقه ولما تضمن هذا انهم لم يعتدوا

شيا من هذه البينات انهم استحقوا ... ولو انا اهلكناهم ... من الايات في هذا القران بما خصصتك به من الاحكام والحكم
في بلاغة المعاني ... رشاقة النظم ... عجز ... تقطعت ... مما اي الاخبار التي في الصحف الاولى
من صحف ابراهيم وموسى وعيسى وداود في التوراة والانجيل والزبور وغير ذلك من الكتب ... كقصة ادم وموسى ... ذلك وتبين في هذا السورة
وغيرها مما تقدم قصة لها كما هي عند اهلها ... على وجوه لا يعلم ... عن امر العالم ... ومن غيرهم ومن عرفان بذلك ... احد
منهم على معارضة ما اتى به في قصر من النظم ... قطعا انه لا يعلم ... الا الله المرسل له ... شاهد ... في الصحف الاولى
من ذلك بالصدق وانه كلام الله فهو بينة على غيره ... اعجاز في جميع الكتب ... منتفرقه الى شهادته ... الا افتقار له بعد العجز عنه الى شي
اصلا ... انهم ... مالا شبهة ... اصلا البعد ما كان ... شبهة او وقع فقال عاطفا على ولا ...
ولو انا اهلكناهم معاملة ... في عصيانهم بما يقتضيه مقام العظمة بعذاب من قبله اي من قبل هذا القران المذكور في الاية الماضية
وما ... الاية قوله ولا تعجل بالقران ... وكذا في مثل السورة في ما انزلنا عليك القران لقالوا ربنا ... فهو منصوب بالاحسان الينا
لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اي فيتسبب عنه ... ايتك ... من قبل ان نذل بالعذاب في هذا الذل ونخزى بالمعاصي التي علمنا ها
على جهلها في ... الخزي فلاجل ذلك ارسلنا اليهم ... الحجة عليهم ونحن نعرف انهم ... عن قلوب من شئنا منهم ما عليها من الرين
بما نتنزل من الذكر ونجدد من الايات حتى نصدق امرك ... شانك ونكثر اتباعك وننصر اشياعك ... اعلم ان ايمانهم كالممتنع وجدالهم
لا ينقطع ... منا طعنوا فيه ... تلقوا ... قيل في الذي ... قال كل اي منا ومنكم متربص اي
منتظر ... عاقبة امره ... الزمان على عدوه فتربصوا فانكم ... لا تجوزون الجائز ...
فستعلمون عند كشف الغطاء من اصحاب الصراط السوي اي الذي من شانه ان يوصل الى المقاصد ... كان صاحب الشي قد لا يكون
عالما بالنبي ولا عليلا بما يعلم منه قال ومن اهتدى اي حصل على جميع ما ينفعه واجتنب جميع ما يضره ولقد علموا يقينا ذلك يوم
فتح مكة المشرفة واشتد اغتباطهم بالاسلام ودخلوا رغبة في الحلم والكرم ورهبة من السيف والنزع ... بعد ذلك ... من
توقفهم عنه ونفرتهم منه ... انه صلى الله عليه وسلم ومن اتبعه هم السعدا الاغنيا الراضون في الدنيا والاخرة وهو عين قوله
ما انزلنا عليك القران لتشقى فقد انطبق الاخر على الاول ورد على ان العظيم يعامل بالحلم فلا يعجل سورة الانبيا عليهم السلام
مقصودها الاستدلال على تحقيق الساعة وقربها ولو بالموت ووقوع الحساب فيها على الجليل والحقير انه موجدها لا شريك
له يعوقه عنها وهو من لا يبدل القول لديه والدال على ذلك اوضح دلالة مجموع قصص جماعة ممن ذكر فيها من الانبيا ولا تستقل
قصة منها بجميع ذلك كما سيتبين ولا تخلو قصة من قصصها عن دلالة على شي من ذلك فنسبت الى الكل والله الموفق بسم الله
الحكم العدل الذي تمت قدرته وعم امره الرحمن الذي ساوى بين خلقه في رحمة ايجاده الرحيم الذي يخص من يشاء من عباده
في معاده لما خمطه بانذارهم بانهم سيعلمون الشقي والسعيد وكان هذا العلم تارة يكون في الدنيا بكشف الحجاب بالايمان
وتارة تتبعا ... بظهور الدين وتارة باحلال العذاب بازهاق الروح بقتل او غيره وتارة ببعثها يوم الدين افتتح هذه بالجلي
ذلك وهو اليوم الذي يتم فيه كشف الغطا فينتقل فيه الخبر من علم اليقين الى عين اليقين وحق اليقين وهو يوم الحساب
فقال تع اقترب للناس اي عامة ... وغيرهم حسابهم اي في يوم القيمة واشار بصيغة الافتعال الى مزيد القرب لانه لا امة بعد هذه
ينتظر امرها ويصح ان يراد بالحساب الجزا فيكون ذلك تهديدا بيوم بدر والفتح ونحوهما ويكون المراد بالناس قريشا او
جميع العرب والحساب احصا الشي ... المجازاة عليه خيرا وشرا وهم اي والحال انهم في غفلة في تحليل الاخرة لا على ما نراه
لانهم اذا ... وعلموا واذا بادتهم الوقائع علموا اهو بالموت ومن بقي منهم بالذل المنزل لشماخة الكثير اهل الحق من اهل الباطل
وقوله معرضون كالتعليل للغفلة اي احاطت بهم الغفلة بسبب اعراضهم عما يانيهم هنا وسيأتي ما يؤكد هذا اخرها بل كنا ظالمين وقال

الامام ابو جعفر بن الزبير في برهانه لما تقدم قوله سبحانه لا تمدن عينيك الى قوله فستعلمون من اصحاب الصراط السوي ومن
اهتدى قال تع اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون اي لا تمدن عينيك الى ذلك فاني جعلته فتنة لمن ناله بغير
حق وتسل عن قليل ذلك وكثيره ولتسلين بوعيدهم عن النعيم ولا هو قريب اقترب للناس حسابهم وايضا فانه تع لما قال
وتنذر به قوما لدا اي هم الشديدو الخصومة في الباطل ثم قال وكم اهلكنا قبلهم من قرن الى اخرها استدعت
هذه الجملة بسط حال ابتدئت تانيسه عليه السلام وتسليته حتى لا يشق عليه لددهم فتضمنت سورة طه من هذا الغرض
بشارته بقوله ما انزلنا عليك القران لتشقى وتانيسه بقصة موسى عليه السلام وما كان من حال بني اسرائيل وابتلاهم بامر
فرعون ومكابدة موسى عليه السلام لرد فرعون ومرتكبيه الى ان وقصه الله واهلكه واورث عباده ارضهم وديارهم
ثم اتبعت بقصة ادم عليه السلام ليرى نبيه صلى الله عليه وسلم سنته في عباده حتى ان ادم عليه السلام وان لم يكن امتحانه بذريته
ولا مكابدته من ابنا جنسه فقد كابد من ابليس ما قصه الله في كتابه وكل هذا تانيس للنبي صلى الله عليه وسلم فانه اذا تقرر
لديه ان سنة الله تع في عباده هان عليه لدد قريش ومكابدتهم ثم ابتدئت سورة الانبيا بتتمة هذا التانيس
فبين اقتراب الحساب ووقوع يوم الفصل المجهود فيه ثمرة ما كوبد في ذات الله والمثمن فيه ان لو كان ذلك اكثر والمشقة اصعب
لجليل الثمرة وجميل الجزا اتبع ذلك سبحانه بعظات ودلايل وبسط ايات وتعلم انه سبحانه قد سبقت سنته باهلاك من لم
يكن منه الايمان من متقدمي القرون وسالف الامم ما امنت قبلهم من قرية اهلكناها وفي قوله افهم يؤمنون تعزية لرسول الله
صلى الله عليه وسلم في امر قريش وتمن قبيل ما الكلام بسبيله وقد تضمنت هذه السورة الى ابتدا قصة ابرهيم عليه السلام من المواعظ
والتنبيه على الدلالات وتحريك العباد الى اعتبارها ما يعقب لمن اعتبر به التسليم والتفويض لله سبحانه والصبر على الابتلا
وهو من مقصود السورة وفي قوله تع ثم صدقناهم الوعد فانجيناهم ومن نشا واهلكنا المسرفين اجمال ما فسره النصف
من هذه السورة من تخليص الرسل عليهم السلام من قومهم واهلاك من اسرف وافك ولم يؤمن وفي ذكر تخليص الرسل وتاييدهم
الذي تضمنه النصف الاخير من لدن قوله ولقد اتينا ابرهيم رشده الى اخر السورة كمال الغرض المتقدم من التانيس وتتميمه ما
تضمنته سورة طه وتفسير لمجمل وكم اهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا انتهى ولما اخبر سبحانه عن غفلتهم
واعراضهم دل على ذلك بقوله ما ياتيهم من ذكراي وحي يذكرهم بما يجعل في العقول من الدلايل عليه سبحانه من ربهم المحسن اليهم بخلقهم
وتدبيرهم قديم لكونه صفة له محدث انزاله الا استمعوه اي قصدوا سماعه وهم اي والحال انهم يلعبون اي يفعلون فعل
اللاعبين بالاستهزا به ووضعه في غير مواضعه وجعلهم استماعهم له لارادة الطعن فيه فهو قريب من قوله لا تسمعوا لهذا
القران والغوا فيه لاهية قلوبهم اي غارقة في اللهو مشغولة به عما احوجها اليه القران ونبهها عليه الفرقان وجذرها منه
البيان قال الرازي في اللوامع لاهية مشتغلة من لهيت عن الشي وطالبة للهو من لهوت الهو انتهى ويمكن ان يراد بالناس مع
هذا كله العموم ويكون من باب قوله تع وما قدروا الله حق قدره وقوله صلى الله عليه وسلم لا احصي ثنا عليك وان تخص بالكفار ولما
ذكر ما يظهرونه في حالة الاستماع من اللهو واللعب ذكر ما يخفونه من الفشا ورفع الصد عنه فقال واسروا النجوى اي
بالغوا في اسرار كلامهم بسبب الذكر لان المناجاة في اللغة السر كذا في القاموس وقال الامام ابو عبد الله القزاز في ديوانه النجوى
الكلام بين اثنين كالسر والتشاور ... وصفهم بالعلة الحاملة لهم على ذلك فقال الذين ظلموا ثم بين ما تناجوا به فقال
هل اي فقالوا في تناجيهم هذا متعجبين من ادعايه النبوة مع مماثلته لهم في البشرية هل هذا الذي اتاكم بهذا الذكر الا
بشر مثلكم اي في خلقه واخلاقه من الاكل والشرب والحياة والموت فكيف يختص عنكم بالرسالة ما هذا الذي جاكم به الا
نعدوا علي مثله الا سحرا حقيقة له فتسبب عن هذا الانكار في قوله افتاتون السحر وانتم اي والحال انكم تبصرون باعينكم

انه بشر مثلكم وبصايركم ان هذه الخوارق التي ياتي بها يمكن ان تكون سحرا فيا لله العجب من قوم راوا اعجزهم فلم يجوزوا ان يكون من عن الرحمن الداعي الى الفوز بالجنان وجزموا بانه من الشيطان الداعي الى الهوان باصطلاء النيران والعجب ايضا انهم انكروا الاختصاص بالرسالة مع مشاهدتهم ما يخص الله به بعض الناس عن بعض من الذكا والفطنة وحسن الخلق والاخلاق والقوة والصحة وطول العمر وسعة الرزق ونحو ذلك ولما كان الله تعالى لا يعجزه كذب عليه فضلا عن ان يصدقه ويؤيده ولا يخفى عليه كيد حتى يلزم منه نقض ما اراده قال الجواب لمن كان قال فماذا يقال لهو قل ربي المحسن الى بتايدي بكل ما تبين صدقي وبطل على اتباعي يعلم القول سوا كان سرا او جهرا في السما والارض على حد سوا لانه لا مسافة بينه وبين شي من ذلك وهو السميع العليم يسمع كل ما يمكن سمعه ويعلم ما يمكن علمه من القول وغيره فهو يسمع سركم ويبطل مكركم ويسمع ما انسبه اليه من هذا الذكر فلو لم يكن عنه لزلزل بي وفجرت بسنته القويمة في الاولين باهلاك المكذبين وتاييد الصادقين واخبارهم ثم نوع عليه الكلام الى هذا الزمان لعلمه بحال الفريقين وسيعلمون لمن تكون العاقبة وقد اشار الى هذا فهو ان الانبيا عليهم السلام الذين قصصهم في هذه السورة على ما تقدم من الاحكام والقضايا وكتابه عالمين وان ادري اقريب ام بعيد ما توعدون انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون ان الارض يرثها عبادي الصالحون ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم ولما كانت اقوالهم في امر القران قد اضطربت والاضطراب من امارات الباطل وكان وصفهم له بانه سحر مما يقول الشاعر ويعلم منه انه معجز فرعا ادل الاستبصار في امر الخرانهم نزلوا عن رتبة السحر على سبيل الاضراب فقال بل قالوا اي عن هذا الذكر الحكيم انه اضغاث احلام اي تخاليط ما يرى مناه الباطل وان كان فيها صدق بالاخبار ببعض المغيبات التي كشف الزمان عن اكثر القران ثم نزلوا عن ذلك الى وصف موجب لاعظم النفور عنه وعمن ظهر عنه فقالوا بل افتراه اي تعمده من عند نفسه ونسبه الى الله ولما كان ذلك لا ينافي كون مضمونه صادقا في نفسه قالوا بل هو شاعر اي متخيل لما لا حقيقة له كغيره من الشعرا نتربص به ريب المنون لانه بشر كما تقدم فلا بد ان يموت ونستريح بعد موته والبيات رفي اخرا التي قبلها فلا كل متربص الخ فاضطربت اقوالهم وعلوا الخبر على قريب من السحر في نفي الحقيقة ولما كانوا يصفون القران بجميع هذه الاوصاف جملة يقولون لكل شخص مار او ما انتسب اليه نبه الله سبحانه كل من له لب على بطلانها كلها بتناقضها بحرف الاضراب اشارة الى انه كان يجب على من قالها على قلة عقله وعدم حيائه ان لا ينتقل الى قول منها الا بعد الاعراض عن الذي قبله وانه مما يضرب عنه لكونه غلطا ساقيا الا عن سبق لسان وعلم تامل ستر العادة وتعليلا للتحويل ولو فعل ذلك لكانت جديرة بانكشاف بطلانها بمجرد الانتقال فكيف عند اجتماعها ولما كانت نسبته الى الشعر اضعفها شانا واوضحها بطلانا لم يحتج الى الاضراب عنه وعبر واو في الاضعاف بوصف القران بالبلاغة ثم الافترا والشعر بوصفه صلى الله عليه وسلم الى ذلك ولما انتج لهم ذلك على زعمهم القدح في اعظم المعجزات تسبب عن هذا القدح طلب اية فقالوا فليأتنا باية اي لانا قد تبنا بطعننا ان القران ليس باية ثم خيلوا النصفة بقولهم كما ارسل الاولون اي بمثل تسبيح الجبال وتسخير الريح وتفجير الماء واحيا الموتى وهذا انما قصر اخر في اعترافهم برسالة الاولين مع معرفتهم انهم بشر وانكارهم رسالته صلى الله عليه وسلم لكونه بشرا ولم يستحيوا من المكابرة فيما اتاهم به من انشقاق القمر وتسبيح الحصى ونبع الماء والقران المعجز كونه اتيا الى غير ذلك ولما اشار سبحانه الى فساد طعنهم باجعله هبا منثورا وتضمن قولهم الذي سبق عنه الاقرار بالرسل البشريين واتيانهم الايات بما علمهم فيه فبين ان اتيان الايات يكون سببا للهلاك فقال جوابا لمن كان قال ربنا جيبهم الى ما اقترحوا ليومنوا ما امنت اي بالاجابة الى الايات المقترحات قبلهم من قرية دالا على اهلاك جميع المقترحين بحذف من مثل ما اهم بوصفه بقوله اهلكناها اي بعذاب ثم كثيرهم ولقد اهلكنا من القرون من بعد نوح وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون ذكرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وما من الانبيا نبي الا اعطي من الايات ما

مثله امن عليه البشر وانما يؤمن الذي اوحي الي رواه البخاري عند اياس لا قرية واحدة وهم قوم يونس لانهم امنوا عند رؤية المخايل وقبل النزوع في اهلاك ولما كانوا اكثر قبلهم ان يكونوا ادون في حسن الاتكار في قوله افهم يؤمنون اي لا بل لا يؤمنون ولو جاءتهم كل اية حتى يروا العذاب الاليم حين لا ينفعهم ايمانهم وبين ولو ان الايات تكون سبب الهلاك ولا فايدة لهم في اجابته الى ما اقترحوه بعد بطلان ما قدحوا به في الرسول بكونه بشرا بان الرسل الذين كانوا من قبله كانوا ايضا قدرا من جنسهم فما لهم ينكرون رسالته وهم مقرون بهم عليهم ان يخبروا له عند ما اظهر من المعجز كما اعترفوا لاوليك ذلك فقطعا عن ان يتمنى احد اجابتهم الى التاييد بملك ظاهر فقال عاطفا على ما امنت وما ارسلنا قبلك في جميع طوايف البشر الا رجالا يوحى اليهم بالملك سرا من غير ان يطلع على ذلك الملك غيرهم وذلك من تمام اعلى خلقه لان جعل الرسول من البشر امكن للتلقي منهم والاخذ عنهم ولما لم يكن لهم طريق في علم هذا الا من قبلوا خبره عن القران لانهم شاورهم كانوا يفزعون اليهم من اهل الكتاب قال فسئلوا اهل الذكر تنبيها على انهم غير محتاجين فيه الى السوال بما كان قد بلغهم على ان رجالا من احوال موسى وعيسى وابراهيم واسمعيل وغيرهم عليهم السلام بقوله معبرا باداة الشك ان كنتم لا تعلمون اي ليعلمكم في انتما من علم بل كنتم اهل تقليد محض وتبع صرف ولما بين انه على سنة من مضى من الرسل في كونه رجلا بين انه على سنتهم في جميع الاوصاف التي حكم بها على البشر من العيش والموت فقال وما جعلناهم جسدا اي متصفين بانهم لا ياكلون الطعام بل جعلناهم اجسادا ياكلون ويشربون وليعلم كذلك مما نعمل من رسالتهم ثم عطف على الاول قوله وما كانوا خالدين بل ماتوا كما مات الناس قبلهم وبعدهم فلم يتميزوا عن الناس بما يابهم عن الله سبحانه وسكم ليس بخالد فتربصوا كما اشار اليه بختمه فانه متربص بكم وانتم عاصون الملك الذي اقرب حسابه بخلقه وهو مطيع له فاينا احق بالامن ولما بين ان الرسل كالمرسل اليهم بشر غير خالدين بين سنته فيهم وفي اممهم ترغيبا لمن اتبع وترهيبا لمن امتنع فقال عاطفا باداة التراخي في مظهر العظمة على ما ارشد اليه التقدير من مثل بل جعلناهم جسدا ياكلون ويشربون ويعيشون الى انقضا اجالهم ثم يموتون وارسلناهم الى اممهم فجحدوهم وانذروهم وعلموهم كما امرناهم ووعدناهم ان من امن بهم اسعدناه ومن كفر واستمر اشقيناه وانا نهلك من اردنا من المكذبين فامن بهم بعض وكفر اخرون فلم نعاجلهم بالاخذ بل صبرنا عليهم فطال بلاء رسلنا بهم ثم صدقناهم الوعد واشار باداة التراخي الى انهم طال بلاؤهم بهم وصبرهم عليهم ثم اجلي بهم سطوته وارادهم عظمته واذاقهم فانجيناهم اي الرسل ومن نشا اي من اتباعهم واهلكنا المسرفين كلهم الذين جعلنا ان الاسراف لهم وصف لازم لا ينفكون عنه ولما انقضى ما الزمهم من الاقرار برسلية البشر من الاقرار برسلية رسولهم صلى الله عليه وسلم تساويا بالمعجزة في النوع والاتيان بالمعجزة ما فعل بهم وباممهم ترغيبا وترهيبا وختم ذلك بانه اباد المسرفين ومحق ذكرهم الا بالشر التفت الى الذكر الذي طعنوا فيه فقال مجيبا لمن كان ينتظر هذا الجواب عن الطعن في الرسول فقد عرف ما الجواب عن الطعن في الذكر معرضا عن جوابهم لما تقدم من الاشارة بحرف الاضراب الى ان ما طعنوا به فيه لا يقوله عاقل مبكتا لهم فيه من الغبطة التي هم لها ادون والنعمة التي هم لها كافرون لقد اي وعزتنا لقد انزلنا بما لنا من العظمة اليكم يا معشر قريش بل العرب كافة كتابا اي جامعا لجميع المحاسن لا تغسله الماء ولا تحرقه النار فيه ذكركم طوال الدهر بالخير اطعتم والشيطان عصيتم به شرفكم على ساير الامم بشرف نبيكم الذي تقولون عليه الاباطيل وتكثرون فيه القال والقيل ولما تم ذكره على هذا الوجه شيا به ينبغي كالذي ابتدا الاقبال عليه والمسارعة اليه فحسن جدا قوله منكرا عليهم افلا تعقلون اي ولما كان التقدير فان عدلتم بقبوله شرفناكم وان ظلمتم برده عنادا اهلكناكم كما اهلكنا من كان قبلكم عطف عليه قوله وكم قصمنا من قرية جعلناها كالشي اليابس الذي كسر فتباينت اجزاؤه ولا ردنا الذي قصمت فانكب هاو واشار بالقصر الى انه كانت باجتماع الكلمة وشدة الشكيمة كالحجر الكاتم في الصلابة والقوة وكثير من هذا السياق تقتضي الكثير ثم علل اهلاكها بقوله كانت ظالمة ثم بين الغني عنها بقوله وانشانا بعدها قوما اخرين ثم بين حالها عند احلال الباس بها فقال فلما احسوا اي ادرك اهلها بحواسهم باسنا اذا هم منها يركضون هاربين عنها بعد تجبرهم

على الرسل وقولهم لرجعنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا فذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد ارتكضوا وارجعوا الى ما اترفتم فيه من
ومساكنكم التي كنتم تفتخرون بها على الضعفاء من عبادي لعلكم تسئلون من شئتم ما او سحتم من قبل ان ذلك عليكم من مقاعدها وحسنتم مشاهدها
ومعاهدها لعلكم تسالون ما انتم عليه كما كنتم تسئلون فتاتون عندكم من الانعام ومن ديد الحشية والعظمة لو تسئلون في الحوائج والمهمات
كما تكون الروساء في مقاعدهم العليه ومراتبهم البهيه فيجيبون سائلهم بما شاوا على ذلك واحوال عظيم يخالف احوال الراكض الهارب او ليهم
تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال ولما كان كانه قيل ما اجابوا هذا المقال قيل قالوا اجابة لما عبدهم عند نزول العذاب يا ويلنا
اشارة الى انه حل بهم ما لا ينادى الا الغريب وترقعاله كما يقول الشخص لمن يضربه يا سيدي كانه يستغيث به ليكف عنه الم
عاوق منهم وعجز عن الذي احلة بهم لانهم كالبهائم لا ينظرون الا السببيه الاقرب ثم عللوا حلوله بهم تاكيدا لترفقهم بقولهم انا كنا ظالمين
فما اي فتسبب عن احلالنا ذلك البالس بهم انهم ما زالت تلك دعواهم الاقرار بالويل ملازمين لها لم ينفك عنهم ونرفقهم له عن نافع حتى جعلناهم
حصيدا كالزرع المحصود ذكرنا مدبرين لا حركة لهم خامدين لا صوت كالنار المنطفية اذا بطل لهيبها ثم حمرها وصارت رمادا ولم
يك ينفعهم ايمانهم واعترافهم بالظلم وخضوعهم لما راوا باسنا وذمهم باللعب وبين انه باطل في اهلاك الظالمين وانجاء الرسل
فعل الجاد باحقاق الحق بالانتقام من اهله وازهاق الباطل باجتثاثه من اصله فكان التقدير وما ينبغي لنا ان نفعل غير ذلك
من افعال الحكمة البعيدة عن اللعب عطف عليه قوله وما خلقنا السماء اي على علوها واحكامها والارض على عظمها واتساعها
وما بينهما مما دبرناه لتمام المنافع لا عبين عن سرمد تخفيفا لحقا بوا بها الا باطل بل خلقنا لكم ذلك اية عظيمة
كافية في الوصول الينا ليظهر العدل في جزاء كل بما يستحق مشحونة بما تقوت الاجسام وتبهج النفوس وتشرح الصدور وتروح
الارواح وتبعث على الاعتبار كل من له استبصار فما تخذتم انتم ما زاد على الحاجة لهوا صادا عن الجد داعيا الى الصبر
نفي عنه اللعب ابعد دليله فقال لو اردنا ان نتخذ لهوا يكون لنا ومنسوبا في لهوه الينا لاتخذناه من لدنا اي مما يليق ان ينسب
حضرتنا وذلك بان يكون محض لهو لا جد فيه اصلا ولا يخلطه شي من الكدر ولا يتوقف من براه في نسبته لنا ولا يكون له عنده
اسم غير ذلك كلا ان نشا اخرى جدت لم يتوقف على احد في نسبته شيما كان في السورة الماضية وقد اتيناك من لدنا
ذكرا اي فهو بحيث لا يتوقف احد ممن عندناوانه ذكر وموعظة كما مضى لكنا لم نرد ذلك فلم يكن وما اتخذتم لهوا فما خلقنا
لغير ذلك بدليل ما فيه من الشواغل والتنغيصات والقواطع فاتخذتم انتم من عند انفسكم لهوا فكان اكثره لكم ضررا وعليكم شرا وخص الحراك
عند عما ظهر ولدن بما بطن فعلى هذا يكون المراد من حضرتنا الخاصة بنا الخفية التي لا يطلع عليها غيرنا الان ما ما لا يكون مستبذلا
ولما كان هذا ما ينبغي ان ينزه الحضرة القدوسية عنه وعن مجرد ذكره ولو على سبيل الفرض اشار الى ذلك بما داة شرط اخرى فقال
ان كنا فاعلين اي له ولكنه لا يليق بجنابنا فلم نفعله ولا نكون فاعلين له بل نقذف اي لما شانا ان نرمي رميا شديدا بالحق الذي هو هذا
الذكر الحكيم الذي انزلناه جدا كله وثابتا جميعه لا لهو فيه ولا باطل ولا هو مقارب لشي منهما ولا نقدر ان تجدوا منه شيا لهوا اتخاذا
لطابعكم عليه مسرف فنحن نقذف به على الباطل الذي احدثتموه من عند انفسكم فيدمغه اي فيمحقه محق المكسور الدماغ فاذا هو زاهق اي
ذاهب الروح اي هالك ثم عطف على ما افادته اذا قوله ولكم اي خاصة الكم الويل مما تصفون اي من وصفكم لكل شي لا نكم لا تتوقفون على حقائق
الامور فان وصفتم القران بشي مما تقدم زهقتم عليه بما يبين بطلانه بان لكل عاقل انه يجعلكم ان نبادروا ان يهلككم كالجبال وان وصفتم
السماء والدنيا اللعب فما ذكرنا انما انتم متعلقون بعشر من ظواهرها ترضاها بعيد عن الحق محجوبون عن الادراك عطف اضاعا على ما
لزم من ذلك الخوف فوقه وله من في السموات اي الاجرام العالية وهي ما تحت العرش وكل ما يرى ادركتم فيها وذلك شامل للسموات والارض
الارض في السموات وكل سماء في التي فوقها والعليا في العرش وهو محيط والعرش العظيم كما سياتي قريبا فوا ذلك ان لا نعلمه علما انه ما لك
ملكه ولما كانوا يصفون الملائكة بما مر من الوصف وصفة خصهم بالذكر معبرا عن خصوصيتهم فقربهم بالعندية فقال ادرعني لا في حال

كون انهم لا يستكبرون اي يطلبون ان يكبروا عن عبادته بنوع كبر ولا يستحسرون اي ولا يطلبون ان ينقطعوا عن ذلك يسبحون اي ينزهون المستحق التنزيه
الليل والنهار اي دائما لا يعتريهم عن ذلك في وقت من الاوقات فكيف اتخذوا اله لذا انزلنا شيا من القران منبها على
بان العلم بما اخرجوا من عند اللذات والويل لهم ما لم يستحق ولعل كل نقص ويجوز ان يعطف على يفترون ولما
كانوا عند هذا البيان جديرين بان يبادروا الى التوحيد فلم يفعلوا كانوا حقيقين بالتوبيخ والتهكم والتعنيف فقال ام اتخذوا
اي اعملوا الحاصل كل شي نحتته الا ما فيه فرجعوا عن ضلاله اهم العلم او علم ابناهم فيه فاتخذوا الهة من الارض التي هم مشاهدها
لانها ولكل ما فيها تطوع مشيئة هم ينشرون اي يحيون شيا مما فيها من الاجسام النامية حتى يستحقوا بذلك صفة الالهية ولما كان اجب
قطعا انهم يتخذون وابتهدا الوصف ولا في غيرهم يستحق صفة الالهية اقام البرهان القطعي على صحة نفي الغير برهان التمانع وهو
اشد برهان لاهل الكلام فقال لو كان فيهما اي السموات والارض اي تدبيرهما الهة الا الله اي مدبرون غير لفسدتا الفصا العادة
بالخلاف بين المتكافئين المودي الى ذلك ولقضاء العقل بامكان الاختلاف اللازم منه امكان التمانع اللازم منه امكان عجز احدهما
اللازم منه ان لا يكون الها لحاجته فسبحن الله اي فتسبب عن ذلك تنزه المحبوب العرش المتفرد بالتدبير كما تنفرد الملك الجالس
على السرير عما يصفون مما يوهم نقصا ما ثم علل ذلك بقوله لا يسئل عما يفعل اي لا يعترض عليه لانه لا كفو له في علو ولا حكمة ولا قدرة
ولا عظمة ولا غير ذلك وهم يسئلون تكليفهم عن الذي يريدون ولما قام الدليل ووضح السبيل واتضح كل قال قبل فانحط الباطل
قال منبها لهم على ذلك ام اي ارجعوا عن ضلالهم بان كرهت لهم فيه فوجدوا السلام اتخذوا من دونه الهة من السماء والارض لاخرها ولما كان
جوابهم اتخذنا ولا نرجع امر بجوابهم فقال قل هاتوا برهانكم على ما ادعيتم من عقل او نقل كما اثبتنا برهان النقل المويد بالعقل ولما كان
الكريم سجله بل انواع جرت لخلق العقل ما لا ينقض البدليل النقل اتبعه قوله هذا ذكر اي موعظة من معي من امتي في تعريف انه كلام الله المعجزة
عن معارضته فانظروا هل تجدون فيه شيا يوبد امركم وذكر اي وهذا ذكر من قبلي فاسئلوا اهل الكتاب هل في كتاب منهما برهان لكم ولما كانوا
لا يجدون شبهة لذلك فضلا عن حجة اقتضى الحال الاعراض عنهم غضبا فكان كانه قيل لا تجدون لشي من ذلك برهانا بل اكثرهم لا يعلمون الحق
فهم يكفرون تقليدا لابائهم اي فتسبب عن جهلهم ما افتتحنا به السورة من انهم معرضون عن ذكرهم وذكر من قبلهم غفلة منهم عما يراد بهم شغلا
بالهو واللعب فعل القاصر عن درجة العقلاء وبعضهم معاند من علم الحق ولما كان التقدير فلو اقبلوا على الذكر لعلموا انا اوحينا اليك في هذا الذكر انه
لا اله الا انا عطف عليه قوله وما ارسلنا اي بعظمتنا من قبلك من رسول في شيع الاولين الا نوحي اليه من عندنا انه لا اله الا انا ولعل تخ
ليلا يجعلوها وسيلة الى شبهة ولذا قال فاعبدون بالافراد وترك التصريح بالامر بالتخصيص بالعبادة لفهمه من المقام والحال
فانهم كانوا اقبل ذلك يعبدونه ولكنهم مشركون ولما دل على نفي مطلق الشريك عقلا ونقلا فانتفى بذلك كل فرد يطلق عليه هذا الاسم
عجب من ادعائهم الشركة المقيدة بالولد فقال عاطفا على قوله واسروا النجوى وقالوا اتخذ الرحمن الذي كل شي من فيض نعمته ولدا ولما كان
اي تنزه عن ان يكون له ولد فان ذلك يقتضي المجانسة بينه وبين الولد ولا تصح مجانسة النعمة للمنعم الحقيقي بل الذي جعلوهم له ولدا وهم
الملائكة عباد من عباده انعم عليهم بالايجاد كما انعم على غيرهم مكرمون بالعصمة من الزلل ولذلك فسر لكونهم لا يسبقونه بالقول
يقولون شيا الا باذن منه فيه ويطلقونهم ولما كان الواقف عما لم يؤذن له فيه قد لا يفعل ما امر به قال وهم بامره لا بغيره يعملون
لا بغيره لانهم في غاية المراقبة له فهم على الاخبات بذلك بعلمه بما هذا التجربة مندرج فيه فقال يعلم ما بين ايديهم اي ما علموه وما خلفهم
ما علموه اي انه عالم محيط باحوالهم ماضيا وحالا وما لا لا يخفى عليه خافية ثم صرح بلازم الجملة الاولى فقال ولا يشفعون الا لمن ارتضى فلا
يطمعوا في شفاعتهم بغير رضاه وبلازم الجملة الثانية فقال وهم من خشيته مشفقون ولما نفى الشريك مطلقا ثم مقيدا بالولدية اتبعه
التهديد على ادعائه بتعذيب المتبوع الموجب لتعذيب التابع فقال ومن يقل منهم اي من قام الدليل على انه لا يصلح للالهية اني اله من دونه
اي غيره فذلك اللعين الذي لا يصلح للتقرب الا ما دام على ذلك نجزيه جهنم لظلمه فافهم تقريبه من على الشرك تعذيب

لا تعلم علوا ما نفذ ...

الساعة من باب لا يدري فلما كان مقتضيا للسؤال عن هذا الامر الظاهر قيل كذلك اي مثل هذا الجزا نجزي [illegible] ما داموا على ظلمهم
ولما انكر سبحانه اتخاذهم الهة من دونه تارة بتقييد كونها ارضية وتارة بتقييد كونها سماوية وتارة مطلقا [illegible] القسمين وغيرهما واستدل
على ذلك بما ليس معه شبهة [illegible] بريد من عجيب [illegible] وكان [illegible] في السموات والارض قال [illegible]
على ذلك ايضا [illegible] اي ما يعلمونه او ينبغي ان يسئلوا عنه حتى يعلموه لتمكنهم من ذلك فاسئلوا اهل الذكر [illegible] في اسلوب العظمة او لم ير
الذين يعلمو اذ ذلك بما اوضحنا من ادلته ولم يروا ولكنه اظهر الدلالة على انهم يعقلون ان الدلائل [illegible] هو كالمشاهد
الذين كفروا اي ستروا ما يعلمون من قدرة الله فادى ذلك الى [illegible] والتنقص فصاروا [illegible] مغفور وسعيهم غير مشكور [illegible]
ابن كثير الواو العاطفة على ما قدرته مما هدى اليه السياق ايضا لا للاستفهام [illegible] دل عليه [illegible] الرؤية التي قبلها من البعث والجزا المقتضي
للانكار على من انكرها فكان المعنى على قراءته تجري كلامنا لهم بعد البعث [illegible] المنكرون لذلك قدرتنا عليه بما ابدعنا من الخلايق وانما انكر
عليهم علم الرؤية بسبب ان الاجسام وان تباينت بانفصال بعضها عن بعض لا [illegible] بانفصالها [illegible] الاشياء التي [illegible] ينتفع شي
منها عن الاخر منفصلا عنه بغير [illegible] لاسيما اذا كان الممتنع تابنا من غيرها فكيف وهو عظيم الجسم كبير الجرم وذلك دال على تمام القدرة
والاختيار والتنزه عن كل شائبة نقص من [illegible] فصح الانكار عليهم في عدم علم ذلك بسبب انهم عملوا بخلاف ما يعلمونه ان السموات
والارض كانتا رتقا اي ملتزقتين رتقة لا فرجة على وجه الماء والرتق في اللغة السد والفتق الشق ففتقناهما بان ميزنا احدهما عن الاخرى
بعد التكوين المتقن وفتقنا السما بالمطر والارض بانواع النبات بعد ان لم يكن بها من ذلك [illegible]
كان خلق الماء سابقا على خلق السموات والارض قال وجعلنا من الماء اي [illegible] كل شي حي مجازا من النبات وحقيقة من الحيوان خرج
الامام احمد [illegible] عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم اخبرني عن كل شي فقال كل شي خلق من ما ولذلك اجاب صلى الله عليه وسلم بذلك الذي
[illegible] على ما بدر [illegible] بقوله نحن من ما ولما كان هذا من تصرفه في هذين الكونين ظاهرا [illegible] لانها وكل ما فيها ومن فيها بصنعه
العجز عن ان يكون له تصرف ما تسبب عنه انكار عدم ايمانهم فقال افلا يومنون اي ان شيا منها او فيها لا يصلح للالهية ولا على جهة الشركة
ولا على وجه [illegible] ان صانعها ومبدع الناس من حيوان ونبات منها بواسطة الماء قادر على البعث للحساب للثواب او العقاب
بعد ان صار الميت ترابا [illegible] بسببه لذلك ولما كان من النعمة الباهرة ثبات الارض من غير حركة وكان الماء ادل دليل على ثباتها وكانت الارض
اقرب في الذكر من السما اتبع ذلك قوله وجعلنا في الارض جبالا رواسي اي ثوابت كراهة ان تميد بهم وتضطرب [illegible]
فيعود نفعها ضرا وخيرها شرا ولما كان المراد من الرواسي الثبات [illegible] على الثبات والتثبيت وكان ذلك مقتضيا لابعادها
وحفظها عن الذلة والكينونة [illegible] خرق فيها العادة [illegible] انقياد مختار لكل ما يريد فقال وجعلنا فيها اي الجبال مع [illegible] فجاجا
اي مسالك واسعة سهلة ثم ابدل منها قوله سبلا اي مذللة للسلوك ولولا ذلك لتعسر او تعذر الوصول الى بعض البلاد لعلهم يهتدون الى
منافعهم فيعلموا ان وجودها لو كان بالطبيعة كانت على نمط واحد مساوية للارض متساوية في الوصف وان كونها على غير ذلك دال على
ان صانعها قادر مختار متفرد باوصاف الكمال ولما دل بالسموات والارض على عظمته ثم [illegible] بعض ما في الارض [illegible] وخص الجبال
لكثرتها في بلادهم اتبعه السما فقال وجعلنا السما [illegible] اكثر الناس [illegible] يشاهد [illegible] الدنيا سقفا ولما كان ما يعرفون من السقف
على صغرها لا تثبت الا بالقوة وتحتاج كل قليل الى اصلاح وتعهد تبين ان هذا السقف على سعته وعلوه على غير ذلك فقال محفوظا [illegible] باعتبار السقف
[illegible] واشار الكثرة ما حوى من الايات مؤنثا باعتبار السما او العدد الدال عليه الجنس فقال وهم عن اياتها اي الدالة على قدرتنا
على كل ما نريد من البعث وغيره وعلى عظمتنا بالتفرد بالالهية وغير ذلك من اوصاف الكمال من الجلال والجمال معرضون ولما ذكر السما ذكر ما نشا
عنها فقال وهو اي لا غيره الذي خلق الليل والنهار ثم [illegible] فقال والشمس التي هي اية النهار [illegible] والقمر الذي هو اية الليل كل منهما
في فلك يسبحون ولما ذكر [illegible] الاعمار الطوال والقصار من الليل والنهار [illegible] شديد [illegible] على قولهم

وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد [illegible] قوله [illegible] الا بشر مثلكم وهذا من اقوى الادلة على ان الخضر عليه السلام
مات [illegible] وانتم [illegible] ريب المنون
[illegible] الشهدا [illegible] الانكار عليهم قوله افان مت فهم
الخالدون [illegible] فقطعا كل نفس ذائقة الموت [illegible]
[illegible] بقوله ونبلوكم اي نعاملكم معاملة المبتلي [illegible] بالشر الذي [illegible]
[illegible] لنا والخير [illegible] فتنة [illegible] والينا لا الى غيرنا
ترجعون [illegible] لا ظاهرا ولا باطنا [illegible] فاستعجلوا [illegible]
فان الحال [illegible] عن الساعة تكذيبا واستدلالا على كونه [illegible] هذا العالم وتعاليه عن جميع صفات
النقص واتصافه باوصاف الكمال الى ان [illegible] على وجه اصرح عطفا على قوله واسروا النجوى قوله واذا راك الذين كفروا
فاطلق على ان [illegible] الدنيا وجعلهم [illegible] هو الكفر ولما كان من المعلوم [illegible] صلى الله عليه وسلم في غاية البعد عن الهزء قال منبها على انهم [illegible]
[illegible] الهزو [illegible] يقولون انكارا واستصغارا اهذا
الذي [illegible] بالسو [illegible] والذكر يكون بالخير والشر [illegible] الرحمن
[illegible] عليهم [illegible] فلا عجب [illegible] انكر ذكر [illegible] والنعمة اصلا بالسو وهو [illegible]
[illegible] بالسو [illegible] ايات [illegible] الذين طلبوا العذاب بانواع الهول [illegible] فقد طلبوا ذلك واستعجلوا به عجل لنا قطنا ونحو
ذلك وكان الذي جرا هم [illegible] قال [illegible] خلق الانسان من عجل فلذا يكفر [illegible]
القدرة فظن [illegible] خالقه كذلك وان التاخير [illegible] عجز او عن رضى [illegible]
فلا تستعجلون [illegible] عن العجلة ويقولون [illegible] استهزا [illegible] الساعة [illegible] ان كنتم
صادقين [illegible] لم يكن ذكر [illegible] الحال والمال دون المعاينة
على طريق التهكم والاستهزاء [illegible] الذين كفروا [illegible] باسنتهم [illegible] اعظم
النار [illegible] عن ظهورهم [illegible]
[illegible] بانفسهم [illegible] ولكنهم لا يعلمون ذلك بنوع من انواع العلم [illegible] وهذا معنى [illegible] الساعة
التي [illegible] بغتة فتبهتهم [illegible] فلا يستطيعون ردها [illegible] ذلك الوقت ولا هم ينظرون [illegible]
ما [illegible] التفريط [illegible] الدار [illegible] كان التقدير [illegible]
باستهزائهم [illegible] الرسل [illegible] واحد تسلية له صلى الله عليه وسلم وتاسية فقال ولقد [illegible] التسلية [illegible]
برسل كثيرين من قبلك [illegible] فحاق بالذين سخروا منهم [illegible] ما كانوا به يستهزؤن من الوعود الصادقة [illegible]
[illegible] الدليل [illegible] قدرته عليه [illegible] المحسوسات [illegible]
لا يكون [illegible] ان يسالهم عن ذلك بقوله قل من يكلؤكم اي يحفظكم [illegible] بالنسبة الى قدرته [illegible]
[illegible] بالليل والنهار وانتم مستيقظون من سطوات الرحمن الذي [illegible] ولما كان الجواب
قطعا [illegible] من سطواته [illegible] معرضون ولما ارشد السياق
الى ان التقدير [illegible] الذي اشرنا اليه [illegible] بقوله ام لهم الهة موصوفة بانها تمنعهم من [illegible] الدهر [illegible]
من [illegible] من جهة غير جهتنا ولما كان الجواب قطعا [illegible] ذلك [illegible] الجواب ويجوز ان يكون تعليلا

فقال لا يستطيعون اي الالهة التي يزعمون انها تنفعهم او هم لانهم لا مانع لهم من دوننا نصر انفسهم من دون ارادتنا فكيف بغيرهم او يكون ذلك
صفة لالهة على طريق التهكم ولا هم منا يصحبون حتى يجعل لهم استطاعة بنا فانتفت عنهم ابواب الاستطاعة اصلا وربما
يصلح هذا الان يكون سببا لاجزاء لهم ضرب عنه قايلا في مظهر العظمة اشارة الى ان اغترارهم بتنعيمهم مع ما لهم من دلايل الجلال من اعجب العجب بل متعنا
هولاء اي اعرض عن عدم استطاعتهم للنصر بل نحن متعناهم وآباءهم من قبلهم حتى طال عليهم العمر فكان طول السلامة منا لهم عما العمر وابينا
الهام الادلة ونصب الحجج على انه لا مانع لهم من الله تسبب عن ذلك الانكار عليهم في اعتقاد غيره فقال افلا يرون اي يعلمون علما مثل الرؤية
بالبصر انا نأتي الارض التي اهلها كفار بتسليط اوليائنا عليهم ولما كان الاتيان على ضروب شتى بينه بقوله ننقصها من اطرافها بقتل بعضهم
ورد من يتولى عن دينه الى الاسلام فهي في نقص واولياؤنا في زيادة ولما كانت مشاهدتهم لهذا مرة بعد مرة قاضية بانهم المغلوبون
تسبب عنه انكار غير ذلك فقال افهم الغالبون اي ام اولياؤنا بين الخلف في قوة على كثرتهم وادعائهم الحكمة والبلاغة ففيهم على كثرتهم وزعمهم
القوة والشجاعة ثبت ان اقواله الناقضة لذلك من عند الله لما ثبت من استقامة معانيه واحكامه بعدما اتضح من اعجاز نظمه وحسن
التيامه فامره ان يبين لهم ذلك بقوله قل انما انذركم بالوحي اي الآتي به الملك عن الله فلا تقدح في شيء من نظمه ولا معناه والحال انكم لا تسمعوا
ولكنهم لما كانوا لا ينتفعون بانذاره عدهم صما واظهر الوصف لتعليق الحكم به فقال ولا يسمع الصم الدعاء اي ممن يدعوهم ونبه بقوله اذا ما ينذرون
على ان المانع لهم مع الصمم كراهة الانذار ولما كان المنذر لا يترك الاستعداد لما ينذره من العذاب الا اذا كان قويا على دفعه بين انهم على غير ذلك
فقال ولين اي والحال انه لا قوة بهم بل ان مستهم اي افهمهم ادنى ملاقاة نفحة اي واحدة خفيفة من المرات من عذاب ربك المحسن اليك
بنصرك عليهم ليقولن وقد اذهلهم انفعالها عن تجبرهم وشغلهم تدبرها عن كبرهم وحميتهم يا ويلنا الذي لا نرى الآن بحضرتنا غيره انا كنا ظالمين
ترفقا وتذللا لعله يكف عنهم ولما بين بما افتتح به السورة من اقتراب الساعة بالقدرة عليه واقتضاء الحكمة له وان كل احد مبتلى لا يستطيع
شيا من الدفع عن نفسه فضلا عن غيره وختمت الايات باقرار الظالم بظلمه وكانت عادة كثير من الناس الجور عند القدرة بين انه لم يخالف
ذلك فذكر بعض ما يفعل لاصحاب الساعة من العدل فقال عاطفا على قوله بل تاتيهم بغتة ونضع فابرزه في مظهر العظمة اشارة الى هوانه عندنا
وان كان المكتوب الخلايق واعمالهم كل منهم متعذرا اعتونا الموازين القسط اي العدل ليوم القيمة الذي انتم عنه لاعراضكم عن الذكر غافلون فلا اي
فتسبب عن هذا الوضع انه لا تظلم نفس شيا من عملها وان كان العمل مثقال حبة من خردل او احقر منه وانما تمثل به لانه غاية عندهم في القلة
اتينا بها بما لنا من العظمة في العلم والقدرة وجميع صفات الكمال لحاسبناها عليها وكفى بنا حاسبين اي لا يكون في الحساب احد مثلنا ففيه
نوع تهدد من جهة ان معناه انه لا يروج عليه من خداع ولا يقبل غلطا ولا يضل ولا ينسى الى غير ذلك من كل ما يلزم منه نوع لبس او شوب نقص
ولما قدم قوله ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث الاية وغيره انهم اعرضوا عن هذا الذكر تعللا باشيا منها طلبهم ايات الاولين ونبه على افراطهم في الجهل
بما ردوا من الشرف بقوله لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم وسر الى ان ختم بالتهديد بجزائه وانه يحكم بالقسط وكان كتاب موسى عليه السلام
بعد القران اعظم الكتب السماوية وكان اهل الكتاب قد اعرضوا عنه غير مرة على زمن موسى عليه السلام بعبادة العجل وغيره وبعد موته مع كون
المرسل به اثنان تعاضدا على ابلاغه وتقرير احكامه بعد ان بهر العقول بما اتيا به من الايات التي منها كما بين في سورة البقرة والاعراف
التصرف في العناصر الاربعة التي هي اصل الحيوان الذي بدأ منه خلقه ومقصود السورة الدلالة على اعادته ومنها ما عذب به من اعرض عن
ذكر موسى وهرون عليهما السلام الذي هو ميزان العدل لما نشر من الضياء المؤنث للتبصرة الماحقة للظلام فلا يقع شبهة في
ظلم وكان الحساب تفصيل الامور ومقابلة كل منها بما يليق به وذلك بعينه هو الفرقان قال تحقيقا عاطفا على لقد انزلنا
ولقد اتينا موسى وهرون الفرقان الذي تعاضدا على ابلاغه والالزام بما دعا اليه لكونه مبينا لسعادة الدارين بدع لبسا وابرم
الامور وضياء لا ظلام معه فلا ظلم للمستبصر به لانه من شان من كان في الضياء ان لا يضع شيا الا في موضعه وذكرا للمتقين الذين صار هذا
الوصف لهم شعارا حاملا لهم على التذكر لما يدعو اليه الكتاب من التوحيد الذي هو اصل المراقبة ثم بين التقوى بقوله الذين يخشون ربهم

بالغيب

بالغيب اي حال كونهم غائبين عن الاعين وقبل ان يكشف لهم الحجاب وهم من الساعة التي تضع فيها الموازين وقد اعرض عنها الجاهلون مع كونها اعظم حامل على كل
خير مشفقون اي خايفون خوفا عظيما وكانه لما ذكر الفرقان لموسى عليه السلام وكان العرب يشاهدون اطلاع اليهود
المتمسك به والملتفتين على ذلك وراوا عجائب الحقيقي عن كتابهم الذي هو اشرف منه قال وهذا اشار اليه باداة القرب لسانا اي سهولة
تناوله عليهم ذكر اي عظيم ودلهم على انه بات الخير واكثره فقال مبارك ودلهم على زيادة عظمته بما لهم من الاعجاز وغيره بقوله
انزلناه ثم انكر عليهم ... على انهم اقل من ان يجترئوا على ذلك منبها على انهم اولى بالمجاهدة في هذا الكتاب من اهل الكتاب
في كتابهم فقال افانتم له منكرون اي انه لو انكره غيركم لكان ينبغي لكم منا قبته فكيف يكون الانكار منكم ولما كان مقصود السورة الدلالة
على القدرة على ما استبعده العرب من اعادة الحيوان بعد كونه ترابا وبدا ذكر الانبيا بمن صرفه في العناصر الاربعة كما تقدم تقرير ذلك
من التوراة في سورة البقرة والاعراف اشارة الى الحرز المستتب على ما جعله الى بعض عبيده اعلى الناس من الانبيا بمن سخر له واحدا من
تلك العناصر مرتبا لهم على الاخص فالاخص ذلك على سبيل الترقي فبدا لهم بذكر من سخر له عنصر النار مع التنبيه للعرب على غيهم
عن الرشد بانكاره للشرك بعبادة الاوثان على ابيه وغيره ودعائهم الى التوحيد والمجاهدة في الله على ذلك حق الجهاد وهو اعظم ابائهم
الداعين لهذا الذكر والمتمسكين بالشرك تقليدا للاباء اثباتا للقدرة الباهرة الدالة على التوحيد الداعي اليه جميع هولاء الاصفياء
هذا مع مشاركته بانزال الصحف عليه لموسى وغيرهم عليهما السلام ومشاركته لها في الهجرة واذا تاملت ما في سورتي الفرقان والشعرا ازداد ما
قلته وضوحا فانه لما اخبر انهم قالوا لولا نزل عليه القران جملة واحدة بدا بقصة موسى الذي اوتي التوراة منجمة ...
من الايات ما بهر العقول وتفرقه مع ذلك الكثير حتى ... وفي الشعراء ما ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث الاية كما هنا صنع كما صنع هنا
من البداءة بقصة موسى عليه السلام واتباعه ذكر ابرهيم عليه السلام فقال لهم ولقد اتينا ابرهيم رشده اي صلاحه واصابته وجه الامر واهتداءه الى
عين الصواب وادل الدلالة واعرف العرف واشرف القصد وقال الرازي في اللوامع والرشد فوق بعد الهداية انتهى واضافه اليه اشارة
الى انه رشد يليق به على عظيم مقامه وعظيم شانه لاجرم ظهر عليه اثره لكل من بين اهل ذلك الزمان كلهم فاثر الاسلام على غيره من الملل من قبل
اي قبل موسى وهرون عليهما السلام وكنا بما لنا من العظمة به اي بانه جبلة خير يدوم على الرشد ويترقى فيه الى اعلى درجاته لما طبعناه عليه بعظمتنا
من طبايع الخير وتعليق اذ قال لابيه وقومه بعالمين اشارة الى ان قوله لما كان باذن منا ورضى لنا نصرناه وهو حجة على قومه عليهم ولو لم
يكن برضانا لمنعناه منه بنصر قومه عليه وتمكين النار منه فهو مثل ما مضى في قوله قال ربي يعلم القول في السما والارض ثم ذكر مقول القول
في قوله منكرا عليهم محقرا لاصنامهم باسلوب التجاهل ما هذه التماثيل اي الصور التي صنعتموها مماثلين بها ما فيه روح وهي الاصنام
التي انتم لها وحدها مع كثرة ما يشابهها وما هو افضل منها عاكفون اي مقبلون عليها مواظبون على ذلك فباي معنى استحقت
منكم هذا الاختصاص وانما هي مثال لشيء في الصورة وهو اعلى منها بالحياة التي افاضها الله عليه ولما كانوا بهذا القاصم قالوا مستون
انفسهم بالاباء الذين تقادوا على اطاعتها بما فيها له وجدنا اباءنا لها خاصة عابدين فاقتدينا بهم لا حجة لنا غير ذلك فلما علوا
في الجهل غير محتشمين ولا مبتهين لهم بصوت التقريع على ان الكلام مع ابائهم كالكلام معهم لقد كنتم وأكده بقوله انتم واباؤكم اي من قبلكم
في ضلال قد احاط بكم احاطة الظرف بالمظروف والمسلوك بالسلك مبين بين لا نوع من الخفا لما لم تكن عادته مواجهة احد
بما يكره قالوا ظنا منهم انه امر نشا ذلك على ما هو اجئتنا في هذا الكلام بالحق الذي يطابقه الواقع ام انت من اللاعبين فظاهره لا مكلم
غير حق قال بل اي ليس كلامي لعبا بل هو حق وهذه التماثيل ليست اربابا بل ربكم الذي يستحق منكم اختصاصه بالعبادة رب السموات
والارض اي مدبرهن القايم بمصالحهن الذي فطرهن من العدم وانتم وتماثيلكم مما فيهن من مصنوعاته انتم تشهدون بذلك اذا رجعتم
الى عقولكم مجردة عن الهوى وانا على ذلكم من انه ربكم وحده فلا يجوز عبادة غيره من الشاهدين ولما اقام البرهان على اثبات
الاله الحق اتبعه البرهان على ابطال الباطل فقال وتالله لاكيدن اصنامكم اي هذه التي عكفتم عليها ناسين الذي خلقكم واياها اي لافعلن

بما يسوءكم بضرب من الحيلة بعد ان تولوا اي بعد ان تذهبوا مدبرين [illegible] من الدليل العقلي على تحقيق الحق اذ لم تكونوا من اهله الى الدليل الحسي على
ابطال الباطل لما كانوا في غاية التعظيم لاصنامهم لم يسوغ اقدامهم [illegible] الجهل لم تقع في اوهامهم فطان ابرهيم عليه السلام يتغيظ على ما قال اي على
تغيير اقدامه الذي هو عندهم من قبيل ما لا يقدر على ذلك فتولوا الى عيدهم وقصدهم ما كان عزم عليه [illegible]
بتعليقه [illegible] الاسم الاعظم فجعلهم جذاذا اي قطعا مهشمة من الجذ وهو القطع الا كبيرا واحدا لهم اي للاصنام فانه لم يكسره [illegible]
لعلهم اليه وحده يرجعون عند الزامه لهم بالسوال فتقوم عليهم الحجة اذ لو ترك [illegible] الكلام الى آخر عند السوال
لغرض من الاغراض فلما عادوا الى اصنامهم فوجدوها على تلك الحال قالوا من فعل هذا الفعل الفاحش بالهتنا ثم استانفوا الخبر عن الفاعل
فقالوا انه لمن الظالمين حيث وضع الاهانة في غير موضعها فان الآلهة حقها الاكرام لا الاهانة والانتقام قالوا سمعنا فتى اي شابا
من الشبان يذكرهم اي بالنقص والاحتقار والعيب يقال له ابرهيم [illegible] وهم كفرة [illegible]
قد خالفهم في دينهم [illegible] من قوم ياخذون [illegible] بينهم بغير بينة بل بالظنة فاتوا به اي الى بيت الاصنام على اعين
الناس اي بحضرتهم والناس ينظرون كانه ماثل على ابصارهم لعلهم اذا رأوه يشهدون [illegible] انه فعل بالآلهة هذا الفعل او انه ذكرها
بسوء فيكون ذلك مسوغا للاخذ بذلك او يشهد بجهله بعضهم [illegible] اذا كان غائبا وكان هذا
عين ما قصده الخليل عليه السلام ان يتبين في هذا المحفل الذي لا يوجد مثله ما هم عليه من قبائح الجهل المنغمس قلة العقل فلما احضر
قالوا منكرين عليه أانت فعلت هذا الفعل الفاحش بالهتنا يا ابرهيم قال متهكما ملزما بالحجة بل فعله كبيرهم غيرة من ان تعبد معه من هو
دونه وهذا على طريق الزام الحجة عليهم وتنبيههم بقوله هذا اشارة الى الذي تركه بغير كسر يدل على انه كان فيهم كبير [illegible] وكذا التنكير
فيما مضى من قوله الا كبيرا لهم وهذا مع كونه تهكما بهم تنبيه على قباحة الشرك وانه لا يرضى به [illegible]
عبد من دونه ان كان قادرا غيرة على مقامه العظيم ومنصبه الجسيم ولما اخبرهم بذلك ولم يكن احد رآه حتى يشهد على فعله وكانوا
قد اجلوهم بعبادتهم ووضع الطعام لهم [illegible] فقال فاسئلوهم ان كانوا ينطقون على زعمكم انهم آلهة يضرون
وينفعون اما سوال الصحيح فواضح واما غيره فكما يسئل من الناس من جرح او قطعت يده او رجله او ضرب وسطه وبقيه فيه بقية
من رمق واسناده الفعل الى ما لا يصح اسناده اليه [illegible] انه هو الفاعل فرجعوا الى
انفسهم [illegible] قال فاضطرهم الدليل الى ان تحقق انهم على محض الباطل وان هذه الشرطية الممكنة عقلا غير ممكنة عادة
فقالوا يخاطب بعضهم بعضا انكم انتم خاصة الظالمون لكونكم وضعتم العبادة في غير موضعها [illegible] ابرهيم فانه اصاب في اهانتهم [illegible]
ووقع عين الغرض ولما كان رجوعهم الى الضلال بعد هذا الاقرار الصحيح الصريح في غاية البعد عبر بانه مشيرا الى ذلك فقال ثم
نكسوا اي انقلبوا على رؤسهم فصار اعلاهم اسفلهم برجوعهم عن الحق الى الباطل من قولهم نكس المريض اذا رجع الى حاله الاول قايلين في
مجادلته عن شركائهم لقد علمت يا ابرهيم ما هؤلاء ينطقون [illegible] ممكنين لابرهيم عليه السلام من [illegible]
المقاتل ولما تسبب عن قولهم هذا اقرارهم بانهم لا قابلية فيهم فاتجهت لابرهيم عليه السلام الحجة عليهم قال منكرا عليهم موبخا لهم افتعبدون
وبنبههم على ان جميع الرتب تتضاءل دون رتبة الالهية بقوله من دون الله الذي لا ضر ولا نفع الا بيده ولما كانوا في محل ضرر
بسبب تكسير اصنامهم وعجز من ينفعهم في ذلك قدم النفع فقال ما لا ينفعكم شيئا [illegible] ولا يضركم شيئا [illegible] اف اي
تقذرا وتحقيرا [illegible] ذلك بقوله لكم ولما تعبدون من دون الله [illegible] ولما تسبب عن فعلهم هذا وضوح انه لا يفعله عاقل
انكر عليهم ووبخهم على ترك الفكر تنبيها على ان فساد ما هم عليه يدرك ببديهة العقل فقال افلا تعقلون اي وانتم شيوخ قد مرت
بكم الدهور وحنكتكم التجارب ولما وصل بهم الى هذا الحد من البيان فدحضت حجتهم وبان عجزهم وظهر الحق واندفع الباطل فانقطعوا
انقطاعا فاضحا قالوا عادلين الى العناد واستعمال القوة الجسمية حرقوه بالنار لتكونوا قد فعلتم فيه فعلا هو اعظم مما فعل بالهتكم

وانصروا

وانصروا الهتكم التي جعلها جذاذا ان كنتم فاعلين اي النصرة لها فان النار اهول المعاقبات وافظعها [illegible] هذا الفعل
واتركوا [illegible] الحطب شهرا ووضعوه في حوبة من الارض
حتى ان [illegible] فيها النار حتى ان كان [illegible] الطاير [illegible] في الجو فيحترق ثم القوه فيها بالمنجنيق
فقال حسبي الله ونعم الوكيل اخرجه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما [illegible] ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لما القي ابرهيم
عليه السلام في النار قال اللهم انك في السماء واحد وانا في الارض واحد اعبدك وقال البغوي اتاه خازن المياه فقال ان اردت اخمدت
النار واتاه خازن الرياح فقال ان شئت طيرت النار في الهوا فقال ابرهيم عليه السلام لا حاجة لي اليكم حسبي الله ونعم الوكيل فاراد الله الذي له
القوة جميعا سلامته [illegible] بقوله سبحانه قلنا يا نار كوني [illegible] التي لا يتخلف عنها مراد بردا ولما كان البرد قد يكون ضارا قال وسلاما
فكانت كذلك لم يحترق منه الا وثاقه ولما كان المراد اختصاصه عليه السلام بهذا قيل به ولما كان المراد حياته ولابد عبر بحرف الاستعلاء فقال على
ابرهيم اي فكان ما اردنا من سلامته وروى البغوي من طريق البخاري عن ام شريك رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر بقتل الوزغ وقال كان ينفخ
على ابرهيم وقال ابن كثير وقال ابن ابي حاتم حدثنا عبد الله بن اخي ابن وهب ثنا عمي عن جرير بن حازم ان نافعا حدثه قال حدثتني مولاة الفاكه بن المغيرة
المخزومي قالت دخلت على عايشة رضي الله عنها فرايت في بيتها رمحا فقلت يا ام المومنين ما تصنعين بهذا الرمح فقالت نقتل به هذه الاوزاغ
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ابرهيم عليه السلام حين القي في النار لم تكن في الارض دابة الا تطفئ عنه غير الوزغ فانه كان ينفخ على ابرهيم
فامرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله واراد وا به كيدا بالنار وبعد خروجه منها فجعلناهم الاخسرين لان فضيحتهم في الدنيا الموجبة للعذاب
في الاخرى كانت بنفس فعلهم الذي كادوه به ولم يذكر سبحانه شعيبا عليه السلام مع انه سخر له النار في يوم الظلة فاحرقت من عصاه لان فعل النار
بقومه كان على ما هو المعهود من امرها بخلاف فعلها مع ابرهيم عليه السلام فانه على خلاف المعتاد ولما كان انجاؤه وهو وحيد ممن اراد وا به هذا
الامر العظيم من العجايب فكيف اذا انضم اليه غيره ولم يكن في ذلك الغاية تمنعهم عنه كما كان في ابرهيم عليه السلام قال ونجيناه ولوطا ابن اخيه
وصديقه لكونه آمن به وصدقه من بلادهما كوثى من بلاد العراق منتهيين الى الارض المقدسة ولعله عبر بالى الدالة على تضمين نجى انتهى
الدالة على ان هناك غاية طويلة فانهما خرجا من كوثى الى حران ثم من حران الى الارض المقدسة التي باركنا فيها بان ملاناها من الخيرات الدنيوية
والاخروية للعالمين [illegible] وصديقه ابا بكر رضي الله عنه الى طيبة التي شرفناها به [illegible] من انوارها في جميع اقطار الارض
واقطارها ما لم يبق مثله قط وباركنا فيها للعالمين بالخلفاء الراشدين وغيرهم من العلماء والصالحين الذين انبثت خيراتهم العلمية والعملية والمالية
في جميع الاقطار ولما [illegible] وتحير امراته مع كونها عقيما وكان ذلك دالا على الاقتدار على البعث الذي السياق كله له قال
ووهبنا دالا على ذلك بنون العظمة له اسحق اي من شبه العدم [illegible] فكان ذلك دالا على اقتدارنا على ما نريد لا
سيما من اعادة الخلق في يوم الحساب ولما كان قد يظن انه لتوليد بين شيخ فان وعجوز يائسة عقيم كان على حالة من الضعف لا يولد لمثله
معه نفى ذلك بقوله ويعقوب نافلة اي ولدا لاسحق ثم [illegible] وهو اسرائيل [illegible] الى ان ساموا النجوم عدة وباروا الجبال
شدة وكلا من هولا الاربعة جعلنا صالحين اي مهيئين لطاعتهم لله لكل ما يريدونه [illegible] وهذا الشان الى ان
العاصي هالك لا يصلح لشيء [illegible] ذكر انه اعطاهم رتبة الصلاح في انفسهم ذكر انه
اعطاهم رتبة الاصلاح لغيرهم فقال وجعلناهم ايمة اي اعلاما ومقاصد يقتدى بهم ولما كان الامام قد يدعو الى الزكي ويصد عن
الهدى اذا كانت امامته ظاهرة لا يصحبها صلاح باطن احترز عن ذلك بقوله يهدون اي يدعون الينا من وفقناه للهداية بامرنا
وهو الروح الذي هو العلم الموجب للعمل باخبار الملائكة به عنا ولما تم ذلك عطف عليه قوله واوحينا اليهم ايضا فعل الخيرات ولما
كانت الصلاة اتم الخيرات خصها بالذكر فقال واقام الصلاة ولما كانت الصلاة بين العبد والحق كان روحها الاعراض عن كل فان عطف عليها قوله
وايتاء الزكاة اي التي هي مع كونها احسانا الى الخلق [illegible] الى الانسلاخ عنه من الدنيا ففعلوا ما اوحيناه اليهم وكانوا لنا دائما

عابدين اي فاعلين لكل ما امرون به غيرهم فعل العبد مع مولاه من كل ما يحصل له من الخدمة ويحق له من التعظيم والحرمة ولما كان في سجده قد سحر الصديق
لوط عليه السلام اهلاك من عصاه في ارادة لامر مجانسة الذكر جنا النبي في حين المنادي وفي اخر باهلا الذي هو لبني بين المناهلا متصل قال ولوطا اي
واذكر لوطا ثم استانف قوله اتيناه حكما اي عملا محكما بالعلم وعلما مزينا بالعمل ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث قال ابو حيان وكانت
سبعا عبر عنها بالواحدة لاتفاق اهلها على الفاحشة التي كانت قبل انجائنا له منها تعمل الخبائث اي لعملها الكثير فاستحقوا النار والتي هي امر
الموبقات بما ارتكبوا من الشهوة المحظورة لعدمها اجل الملذات والخبز بما القذر المنتن الذي جعلناه مع انا جعلنا من الما
كل شي حي لا يعيش فيه حيوان فضلا عن ان يتولد منه ولا ينتفع به بما خامر وامن القذر الذي لا ثمن له ولما كان في هذا اشارة الى
اهلاك القرية وان التقدير ودمرنا عليهم بعد انفصاله عنهم علله بقوله انهم كانوا قوم سوء بما نهاهم عنه في الاعمال السيئة فاسقين
خارجين من كل خير ثم زاد الاشارة وضوحا بقوله وادخلناه اي دونهم في رحمتنا اي في الاحوال السنية والاقوال العلية والافعال
الزكية التي هي سبب الرحمة ومسببة عنها ثم علل ذلك بقوله انه من الصالحين اي بما جبلناه عليه من الخير ولما اتم سبحانه قصة لوط
المناسبة لقصة الخليل عليهما السلام لما مع ما في الكربات والنصة لنوح بالخطا عليه السلام بانه الذي تجهرت به قراة السبع اتبع ذلك قصة
نوح عليه السلام الذي سخر له من الما ما لم يسخر لغيره لعموم الجميع الارض دانيها وقاصيها وطيبها وعاليها فقال ونوحا اذ نادى اي دعا
ربه اني مغلوب فانتصر ونحو من الدعاء من قبل اي من قبل لوط ومن تقدمه فاستجبنا له ذلك النداء ونجيناه واهله الذين اذ لم
ثباتهم على الاسلام وشملهم بهم من الكرب العظيم من الاذى والغرق قال ابو حيان والكرب اقصى الغم والاخذ بالنفس وهو هنا
الغرق عبر عنه باول احوال ما ياخذ الغريق ونصرناه اي خلصناه من القوم الذين كذبوا اي اوقعوا التكذيب بآياتنا اي بسبب
اتيانه بها ولما كان التقدير ثم اهلكناهم علله بقوله انهم كانوا قوم سوء اي عملهم لما يسوء فاغرقناهم اجمعين حتى من قطع
الكفرين نوح عليه السلام وبينه من اهله فصار لا يعد من اهله لاختلاف الانتساب بالدين ولما كان ربما قيل لم قدم ابرهيم ومن معه
على نوح وهو ابوهم ومن اولي العزم وموسى وهرون على ابرهيم وهو كذلك اشار بقصة داود وسليمن عليهم افضل الصلاة والسلام الى انه
ربما يفضل الابن الاب في امر فربما قدم لاجل وان كان لا يلزم منه تفضيل مطلق مع ما فيها من امر الحرث الذي هو مما ينبت مثال
للدنيا في بهجتها وغرورها وانقراضها ومرورها ومن تصريف داود عليه السلام في الجبال وهي اشد التراب الذي هو اقوى من الما
وفي الحديد وهو اقوى تراب الجبال وسليمن عليه السلام في الريح وهي اقوى من التراب فقال وداود وسليمن اي اذكرهما اذ يحكمان في
الحرث الذي انبت الزرع وهو من اطلاق اسم السبب على المسبب كالسما على المطر والنبات اذ نفشت اي انتشرت ليلا بغير راع فيه
غنم القوم الذين ليسوا هم فرقة على حفظه فرعته قال قتادة النفش بالليل والهمل بالنهار وكنا لحكمهم اي الحاكمين والمتحاكمين اليهما شاهدين
لم يغب عنا ذلك ولا شي من امرهم هذا ولا غيره فلذلك حكمنا على داود بتلك الحكومة مع كونه نبيا وليا وهو ماجور في اجتهاده ففهمناها
سليمن وهذا ادل دليل على ما تقدمت الاشارة اليه عند قوله ربي يعلم القول وكنا به عالمين اذ قال لابيه وفيه رد عليهم في غيظهم
من النبي صلى الله عليه وسلم في تسفيه الاباء والرد عليهم كما في قصة ابرهيم عليه السلام لانه ليس بمستنكر ان يفضل الابن اباه ولو في شي ولما كان
ذلك ربما اوهم شيا في امر داود عليه السلام نفاه بقوله وكلا اتينا حكما اي عملا موسسا على حكمة العلم وعلما مويدا بصالح العمل وابعد
من الخوارق ما يشهد له فقال وسخرنا ولما كان هذا الخارق في التنزيه لم يعد الفعل باللام زيادة في التنزيه وابعادا عما ربما اوهم
غيره فقال مع داود الجبال اي التي هي اقوى من الحرث يسبحن معه ولو شينا لجعلنا الحرث او الغنم يكلمه بصواب الحكم ولم يذكر ناقة
صالح لانها مقترحة موجبة لعذاب الاستيصال فلم يناسب ذكرها هنا لما اشار اليه قوله لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم
وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وهذه الايات التي ذكرت هنا ليس فيها شي مقترح والطير التي سخرنا لها الريح التي هي اقوى من الجبال
والتي سكناها الجبال سخرناها معه تسبح وكنا فاعلين اي من شاننا الفعل لامثال هذه لانا قادرون على كل شي نريده فلا تستنكروا

علينا امرا

شيا امرا وان كان عندكم عجبا ولما ذكر التسخير بالتسبيح اشار الى تسخير الحديد الذي هو اقوى تراب الجبال واصلبه واصفاه فقال
وعلمناه صنعة لبوس لكم قال البغوي وهو في اللغة اسم لكل ما يلبس ويستعمل في الاسلحة كلها وهو كالحلوب والركوب لكم اي للبس
في حربكم والذي في علة الحديد بالنسبة الى العلم سهولة العمل فقال كما يبين لتحصنكم اللبوس او داود او الله وهو معنى قراة النون
من باسكم الكاين مما يحصل من بعضكم لبعض من شدايد الحرب بل من الباس كله فهل انتم شاكرون لنا على ذلك لنزيدكم وتومنوا
بانبيائنا قال البغوي قال قتادة اول من صنع الدروع وسردها وحلقها داود عليه السلام وكانت من قبل صفايح والدروع يجمع
الخفة والحصانة ولما كان قد سخر لابنه سليمن عليه السلام الريح التي هي اقوى من بقية العناصر قال ولسليمن معبرا باللام لانها كانت [illegible]
لنفعه ولا ابهام في العبارة الريح قال البغوي فهي جسم لطيف ممتنع من لطفه بالقبض عليه ويظهر للحس بحركته وكان سليمن عليه السلام ياخذ الخشب
فيضرب له فاذا احتمل عليه ما يريد من الدواب والناس والة الحرب امر الريح العاصف [illegible] فدخلت تحت الخشب فاحتملته حتى
اذا استقلت به امر الرخا فمر به شهرا في غدوته وشهرا في روحته انتهى ملخصا فكان الريحان مسخرين له ولكن لما كان السياق
هنا للبيان للاقتدار على الافعال الغريبة الهايلة قال عاصفة اي شديدة الهبوب تجري بامره اذا امرها غادية ورايحة
ذاهبة وعايدة الى الارض التي باركنا فيها وهي الشام وكنا بكل شي من هذا وغيره من امره وغيره عالمين فكنا على كل شي قادرين فلولا
رضانا به لغيرناه عليه كما غيرنا على من قدمنا امورهم وهذا من طراز قال ربي يعلم القول كما مضى وتسخير الريح له كما سخرت للنبي صلى الله عليه وسلم
ليالي الاحزاب قال حذيفة رضي الله عنه حتى كانت تغذ فيهم بالحجارة ما تجاوز عسكرهم فهزمهم الله ورد الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا
خيرا ولما ذكر تسخير الريح له ذكر انه سخر له ما اغلب عناصرهم النار والريح الحاملة للما المقابلة لارتفاع الحمل في الهوا باشتعال
باشتغال الغوص في الما فقال ومن اي وسخرنا له من الشياطين الذين هم اكثر شي تمردا وعتوا والطف شي اجساما من يغوصون له
في المياه لما يامرهم به من استخراج الجواهر وغيرها من المنافع وذلك بان اكثفنا اجسامهم مع لطافتها لتقبل الغوص في الما
معجزة في معجزة ويعملون عملا دون ذلك من بنا ما يريد واصطناع ما يشا وفي ذلك تسخير الما والتراب بواسطة الشياطين فقدم
عند التهم الاشارة الى تسخير العناصر مع تسخيره له العناصر الاربعة كما ابتدا بذلك وكنا لهم حافظين من ان يفعلوا غير ما يريد ولم
يذكر هود عليه السلام هنا وان كان قد سخر له الريح لان عملها له كان بمقتضى العادة في التدمير والاذى عند عصوفها والتي لسليمن
عليه السلام للنجاة والمنافع وهذا مع تكريرها فامرها اظهر وفعلها اذكى واظهر ولما اتم سبحانه ذكر من سخر لهم العناصر الاربعة التي
منها الحيوان المختوم ببعضه تخفيفا لذلك ذكر بعدهم من وقع له امر من الخوارق يدل على ذلك اما باعادة او حفظ وابتدا
وبدا بهم من اعاد الله له ما كان اعدمه من اهل ومال وسخر له عنصر الما في اعادة لحمه وجلده لان الاعادة هي المقصود بالذات
في هذه السورة فقال وايوب اي واذكر ايوب اذ نادى ربه اي المحسن اليه في عافيته وضره بما اتاه من صبره اني مسني الضر
بتسليط الشيطان على بدني واهلي ومالي وقد طمع الان في ديني وذلك انه زين لامراة ايوب عليه السلام ان تامره ان يذبح
لصنم فانه يبرا ثم يتوب فشق لذلك وحلف ليضربنها ان برا وجزع من ذلك وانت اي والحال انك انت ارحم الراحمين فافعل
بي ما يفعل الرحيم بالمضرور فاستجبنا له نداءه هذا بعظمتنا التي قدرنا بها على الامور الهايلة فكشفنا ما به من ضر بان امرناه
ان يركض برجله فنبع له عين من ما فيغتسل فيها فنبت لحمه وجلده احسن ما كان واصحه واتيناه اهله احياهم الله بعد ما كانوا
ماتوا ومثلهم معهم اي واوجدنا له مثلهم وقوله معهم يدل على انهم وجدوا عند وجدان الاهل حال كون ذلك الكشف والايتا رحمة
اي نعمة عظيمة تدل على شرفه بما من شانه العطف والتحنن وهو من تسمية المسبب باسم السبب وفخمها بقوله من عندنا لا يشك
من ينظر ذلك انا انما فعلناه لا رحمة منا له وان غيرنا لم يكن يقدر على ذلك وذكرى للعابدين كلهم ليتاسوا به فيصبروا اذا ابتلوا
بفتنة الضر ولا يظنوا انه لهوانهم ويشكروا اذا ابتلوا بفتنة الخير [illegible] الشكر لئلا يكون عين شقايهم واتبعه سبحانه من ابتلاه من

زعزمها، ما فاشرفها اشارة الى شرفه وشرف ولده خاتم الرسل بسبقه معجزته ورسالته فقال واسمعيل اي الذي يحرز بالله
من الماء بواسطة الروح بحسن ما عاش به صغيرا بعد ان كان هالكا لا محالة وضناه وهو كبير من الذبح فذبحه ابوه واجتهد
في اتلافه امتثالا لامر ربه فلم يذبح كالقضة اراد نفاذه واذ ادريس اي الذي احييناه بعد موته ورفعناه مكانا عليا واذ الكفل
الذي قدرناه على النوم الذي هو الموت الاصغر فكان يغلبه فلا ينام الا قليلا يقوم الليل ولا يفتر ويصوم النهار ولا يفطر ويقضي بين
الناس ولا يغضب فقدرناه على الحياة الكاملة في الدنيا التي هي سبب الحياة الكاملة في الاخرى ولمساوقتهم بينهم لهذه المناسبة
استانف مدحهم فقال كل اي كل واحد من الصابرين على ما ابتليناه به فاثبناهم ثواب الصابرين وادخلناهم في رحمتنا فعلنا بهم
من الاحسان ما يفعله الراحم بمن يرحمه ثم علل بقوله انهم من الصالحين الكاملين في الصلاح ... اجلهم فعملوا على مقتضى ذلك ثم
اتبعهم بمن هو اغرب حالا منهم في الخطورة النبوية اي اذكره اذ ذهب مغاضبا اي على هيئة المغاضب لقومه بالهجرة عنهم لربه بالخروج
عنهم دون الانتظار لاذن ... بالهجرة وروي عن الحسن ان معنى فظن ان نقدر عليه اي ان نعاقبه بهذا الذنب اي ظن انا نفعل معه فعل من
لا يقدر وهو تعبير عن اللازم بالملزوم مثل التعبير عن العقوبة بالغضب وعن الاحسان بالرحمة ونحو ذلك فهو احسن الاقوال
رواه البيهقي في كتاب الاسماء والصفات عن قتادة عنه وعن مجاهد مثله واسند من طريق عن ابن عباس رضي الله عنهما معناه وعن الفراء
ان نقدر بمعنى نقدر مشددا ... وانشد ... ولا عائدا ذاك الزمان الذي مضى تباركت ما تقدر يقع ولك الشكر
فنادى اي فاقتضت حكمتنا ان عاتبناه فالقى نفسه في البحر فالتقمه الحوت وغاص به الى قرار البحر ومنعناه من ان يكون له طعاما
فنادى في الظلمات من بطن الحوت الذي في اسفل البحر في الليل فهي ظلمات ثلاث نقله ابن كثير عن ابن مسعود وابن عباس وغيرهما ان لا اله الا انت و
نزهه عن الشريك فقال سبحانك اي تنزهت عن كل نقص فلا يقدر على الانجاء من مثل ما انا فيه غيرك ثم افصح بطلب الخلاص بقوله ناسبا
الى نفسه من النقص ما نزه الله عن مثله اني كنت من الظالمين اي في خروجي من بين قومي قبل الاذن فاعف عني كما هي شيمة القادرين ولذا قال
نعم فاستجبنا له وقال الرازي في اللوامع وشرط كل من يلتجي الى الله ان يبتدي بالتوحيد ثم بالتسبيح والثناء ثم بالاعتراف والاستغفار والاعتذار
وهذا شرط كل من دعا انتهى ولما كان التقدير فخلصناه مما كان فيه عطف عليه ونجيناه من الغم الذي كان الجاه الى المغاضبة ومن غيره قال
الرازي واصل الغم الغطاء على القلب انتهى فالقاه الحوت على الساحل واظله بشجرة القرع ولما كان هذا وما تقدمه امورا غريبة اشار
الى القدرة على امثالها من جميع الممكنات وان ما فعله من الكرام انبيائه علم لاتباعهم بقوله وكذلك اي ومثل ذلك الانجاء العظيم الشان ننجي المؤمنين
فان المؤمن متى حصلت له هفوة راجع ربه فنادى بهذا النداء واستعمل ما ينشئه بسط الادب فبادر اليه الهرب ولما كان حاصل امر
يونس عليه السلام انه خرج من بطن لم يعهد الخروج من مثله عطف عليه قصة زكريا في ... ولادة من بطن لم يعهد الحمل من مثله
في الكبر واليأس ناظرا الى ابراهيم عليه السلام اولا ... في ايجاد العناصر بما نقول له من مثل ذلك في ابنه اسحق عليه السلام تكريرا
لاعلام الفهم وتقرير القدرة التامة فقال وزكريا اي اذكره اذ نادى ربه نداء الحبيب القريب فقال رب باسقاط اداة البعد لا تذرني
فردا من غير ولد يرث ما اتيتني من الحكمة ولما كان من الورثة من يأخذ الارث فيصرفه في المصارف القبيحة على ما تدعو اليه شهوته وحاجته
ومنهم من ياخذه بعفة فينفذ وصايا المورث ويصل ذوي قرابته واهل وده ويتصدق عنه ويبادر الى كل ما كان يحبه وينفعه
كان ذلك ابغى نفسه وكرم طبعه مع كونه مجبولا على الحاجة والنقص وكان الله هو الغني الحميد الحكيم المجيد قال ملوحا بمقصوده في اسلوب
الالهاب والتهييج وانت اي والحال انك خير الوارثين لانك اغناهم عن الارث واحسنهم تصرفا وكثيرا ما تمنح ارث عبيد لعبيد
اخرين فانت الحقيق بان تعطيني ... ارثي من العلم والحكمة ما احب فتهب لي ولدا تمن عليه بذلك فاستجبنا له بعظمتنا وان كان في حد من
السن لا احتمال معه وزوجه ... عقيم الى العمر لا يرجى معه حبلها فكيف وقد جاوزت سن الياس ووهبنا له يحيى وارثا حكما نبيا عظيما
واصلحنا له زوجه اي جعلناها صالحة لكل خير ولا سيما لما مننا عليه به من هذه الهبة بعد ان كانت بعقمها وكبرها غير صالحة له بوجه

بتقدير عليهن فانه استانف البيان لجزية الموروث والوارث والمتسبب للولادة فقال انهم كانوا مجبولين في اول ما خلقناهم جبلة
خير مسابقين كلهم يسارعون في الخيرات اي يبالغون في الاسراع بها مبالغة من يسابق الاخر ويدعوننا رغبا في رحمتنا ورهبا
من سطوتنا وكانوا لنا خاشعين اي خايفين خوفا عظيما يحملهم على الخضوع والانكسار ولما اشتدا على الساعة وكثرت
لهم القوى من اهل الطاعة من التصرف في العناصر وغيرها الى ان ذكر انه خرق العادة في ابداع يحيى عليه السلام بين والدين لا يولد
لمثلهما الا اياه زكريا عليه السلام فكان على حالة من الكبر وتنبيس الاعضا عظيمة وامته كانت مع وصولها الى مثل تلك الحالة عاقرا حال
شبابها تلاه بابداع ابن خالته عيسى عليه السلام الذي هو علم الساعة على حال اغرب من حاله فاخرجه من انثى بلا ذكر اشارة الى
قرب الوقت لضعف الامر ضعف الانثى بالنسبة الى الذكر فقال والتي احصنت فرجها اي حفظته من الحلال والحرام حفظا
يحق له ان يذكر ويتحدث به لانه غاية في العفة والصيانة والتخلي عن الملاذ اي الانقطاع الى الله بالعبادة مع ما جمعت
الى ذلك من الامانة والاجتهاد في متانة الديانة فنفخنا فيها من روحنا اي من روح يحق له ان يضاف الينا لجلالته وطهارته
فكان من ذلك النفخ حملها وولدها قال الرازي وعلى الجملة فهذه عبارة عن ابداع عيسى عليه السلام في رحم مريم عليها السلام من غير نطفة وجعلناها
وابنها اية جعلناهما نفس الاية لكثرة ما كان فيهما من العجائب ولما كان ما فيها ليس مقصودا لذاته بل لتقرير امر عيسى عليه السلام لم يقل
ايتين او لئلا يظن ان نفس العدد مقصود فيتفصل المعنى للعالمين اي في ان الله قادر على كل شيء تحدث بذلك بعدهما جيل بعد جيل
وعالم بعد عالم وامة بعد امة الى قيام الساعة التي هو علمها وحفظنا ابنها عليها وكملنا وقدرنا وعظمنا من كادهم ورفعناه الى محل
قدسنا وختم به الانبياء المذكورين هنا لانه خاتم المجددين لهذا الدين المحمدي وهو دليل الساعة وكتابه اعظم كتاب بعد التوراة التي
ابتدأ بصاحبها ذكر هولاء الانبياء عليهم الصلاة والسلام جاءتهم القران الذي عجزت لبلاغته الانس والجان ذكر شيء من دلايل كونه اية
من الانجيل قال متى احد المترجمين الاربعة واغلب السياق له بعد ان ذكر مقتل يحيى بن زكريا عليهما السلام كما مضى في ال عمران فلما سمع
يسوع مضى من هناك في سفينة الى البرية منفردا وسمع الجمع فتبعوه ماشين من المدينة فلما خرج ابصر جمعا كثيرا فتحنن عليهم وابرا
اعلالهم ومرضاهم وقال مرقس فلما خرج يسوع ابصر جمعا كثيرا فتحنن عليهم لانهم كانوا كخراف لا راعي لها فبدا يعلمهم وبعد ساعات كثيرة
جاء تلاميذه اليه وقال متى ولما كان المساء اتى تلاميذه وقالوا ان المكان قفر والساعة قد جازت اطلق الجمع يذهبوا الى القرى المحيطة
فيبتاعوا لهم طعاما فقال لهم اعطوهم انتم لياكلوا فقالوا ليس لنا ههنا الا خمس خبزات وحوتان فقال قدموها الي ههنا وامر باجلاس
الجميع على العشب وقال مرقس لاحضر احزابا احزابا فجلسوا رفاقا رفاقا مائة مائة وخمسين خمسين وقال يوحنا فقال لفيلبس من اين
نبتاع لهؤلاء خبزا فانه يجربه فقال له فيلبس ما يكفيهم خبز بمايتي دينار وقال اندراوس اخو سمعان الصفا ان ههنا حدثا معه خمس ارغفة
شعير وسمكتان فقال يسوع مروا الناس بالجلوس وقال متى واخذ الخمس خبزات والحوتين ونظر الى السماء وبارك وكسر واعطى الخبز
لتلاميذه وقال مرقس وقسم الحوتين وناول التلاميذ الجمع فاكل جميعهم وشبعوا ورفعوا من فضلات الكسر اثني عشر قفة مملوة وقال
مرقس ومن السمك وكان عدد الاكلين خمسة الاف رجل سوى النساء والصبيان وقال يوحنا فقالوا حقا ان هذا هو النبي الاتي
الى العالم فعلم يسوع انهم اجمعوا ليختطفوه ويصيروه ملكا فتحول الى الجليل وقال متى وللوقت امر تلاميذه ان يصعدوا الى
السفينة ويسبقوه الى العبر لينطلق الجموع وقال يوحنا ليعبروا الى كفرناحوم وكان ظلاما وقال متى فاطلق الجموع وصعد الى الجبل منفردا
يصلي وقال مرقس وللوقت تقدم الى تلاميذه يركبوا السفينة ويسبقوه الى العبر عند بيت صيدا لينطلق هو الجماعة فلما ودعهم ذهب
الى الجبل ليصلي قال متى فلما كان المساء وكان وحده هناك والسفينة في وسط البحر وضربتها الامواج لمعاندة الريح لها قال يوحنا
فلما جذفوا نحو خمسة وعشرين غلوة او ثلثين وقال متى وفي الهجعة الرابعة من الليل جاءهم ماشيا على البحر فاضطربوا وقالوا انه خيال ومن
خوفهم صرخوا فكلمهم قايلا انا هو لا تخافوا فاجابه بطرس وقال ان كنت انت هو فامرني ان اتي اليك على الماء فقال له تعال فنزل بطرس

من السفينة ومشى على الماء فراى قوة الريح فخاف وكاد ان يغرق فصاح قايلا يا رب نجني فللوقت مد يسوع يده واخذه وقال له
يا قليل الامانة لم شككت فلما صعد السفينة سكن الريح قال يوحنا وللوقت صارت الى الارض التي ارادوها وفي الغد نظرت
الجموع الذين كانوا معه في عبر البحر انه ليس هناك سوى سفينة واحدة وان يسوع لم يركبها مع تلاميذه لكن تلاميذه مضوا وحدهم
وكانت سفن اخر وافتن من طبرية حتى انتهت الى الموضع الذي اكلوا فيه الخبز الذي بارك عليه فحين لم ير الجماعة يسوع هناك ولا تلاميذه ركبوا
تلك السفن واتوا الى كفرناحوم يطلبون يسوع فلما قصدوه في عبر البحر قالوا له يا معلم متى صرت هاهنا اجاب يسوع وقال الحق الحق اقول
لكم انكم لم تطلبوني لنظركم الايات بل لاكلكم الخبز فشبعتم اعملوا لا للطعام الزايل بل للطعام الباقي في الحياة المؤبدة الذي يعطيكموه ابن البشر
ثم قال انتم اعمال تشتهي لكن مشيئة الذي ارسلني ثم قال قد كتب في الانبياء انهم يكونون باجمعهم معلمين الحق الحق اقول لكم من يؤمن بي له
الحياة الدايمة قالوا اما نصنع حتى نعمل اعمال الله قال عمل الله هو ان تؤمنوا بمن ارسله قال متى جيت هاهنا جاوا الى الارض جنابا شرقا قال
مرقس فلما عبروا وخرجوا من السفينة انتهى فعرفه اهل ذلك المكان وارسلوا الى جميع تلك الكور فقدموا اليه كل المسقومين طلبوا
اليه ان يلمسوا طرف ثوبه فقط وكل من لمسه خلص ولما دل ما مضى من قصص هؤلاء الانبياء وغيرهم على ان له القدرة الباهرة والقوة
البالغة الشاملة للبعث وغيره وكان ذلك دالا على التوحيد الذي هو اصل الدين وانهم كلهم متفقون عليه بالتصريح من البعض هنا ومن
الباقين فيما سبق كان اثباته فذلكة هذا القصص وما تقدمه من هذه السورة فقال لكل تصلح قوله مخاطبا لمن قال لهم افانتم
له منكرون ان هذه اي الانبياء الذين ارسلناهم قبلك رجالا يوحي اليهم كانه رجل يوحي اليه منكم اي متعبدكم بالاقتداء في الاهتدا
حال كونها امة قال البغوي واصل الامة الجماعة التي هي على مقصد واحد انتهى واكد تحقيق هذا المعنى فقال واحدة كما في الخبر ابناء اولاد
علات امهاتهم شتى ودينهم واحد لا خلاف بينهم اصلا في التوحيد الذي هو الاصل ولا في توجيه الرغبات الينا وقصر النظر علينا تاما
منهم بالنا من صفات الكمال وان كل شي فالينا مفتقر ولدينا خاضع منكسر فاتبعوهم في ذلك ولا تتخذوا عنهم تضلوا وانا قد قدناهم
وجعلناهم عددا بحسب الامم المتفرقة في الازمان المتطاولة وانا لم نجعل لاحد منهم الخلد ولغير ذلك من الحكم فبثثناهم في الاقطار
حتى ملاوها من الانوار ولما كان المقصود تعيين المراد من غير لبس عدل عن صيغة العظمة فقال وانا ربكم اي لا غيري في كل زمان
وكل مكان لكمال اسمه لاني لا اتغير على طول الدهور ولا يشغلني شان عن شان فاعبدون دون غيري فانه لا كفو لي ولما كان من المعلوم
انهم لم يفعلوا عرض الى اسلوب الغيبة ايذانا بالغضب فكان التقدير في جواب من كانه قال ما فعلوا لم يطيعوا امري في الاجتماع
على ما جمعتهم عليه من عبادتي التي هي سبب لجلب كل خير ودفع كل ضير ولا انقذوا في ذلك بالكمل من عبادي فعطف عليه قوله وتقطعوا
عما الفت للامر بالاجتماع ولما كان الدين الحق من الجلالة والعظمة والملاءمة للنفوس بحيث لا يجهله ولا يأباه احد نصح لنفسه وانجله
كاف ادنى تنبيه في المبادرة اليه وترك ما سواه كان ما كان تفكان خروجهم عنه بعدان كان عليه في غاية البعد فصلا عن ان
يتكلف ذلك متنازعة غيره المؤدية الى الافتراق والتباغض لاسيما ان كان من ذلك الغير قريبه او صديقه وكانت صيغة التفعل من القطع
صريحة في التفرق وتقييد العلاج والتكلف وكانت تاتي بمعنى التفعيل والاستفعال عبر ولما كان في غاية البعد ان يقطع الانسان
امر نفسه كان تقديره لامرهم فقال امرهم فنصبه بتعدية التقطع لانه بمعنى التقطيع كما قاله البغوي وغيره او بمعنى الاستفعال كما قالوا
في تجبر وتكبر ولما كان في غاية العجب يكون التقطيع واقعا منهم بهم قال بينهم فكانوا فرقا كل فرقة على شعبة من ضلال زينها لها هواها
وكان العطف بالواو دون الفاء كما في المؤمنون لان تمزق العباد ليس سببا للتقطع بل ربما كان عنه الاجتماع على الضلال كما يكون في
اهل الزمان ولما كان كانه قيل فاذا يفعل بهم قال ما هو غاية في الدلالة على باهر العظمة وتمام القدرة كل اي من هذه الفرق وان
بالغ في التمرد الينا راجعون فنحكم بينهم فيتسبب عن ذلكم انا نجازيهم اقامة للعدل فنعطي كلا من المحق التابع لاصفيائنا والمبطل التابع
الى الشياطين اعدائنا ما يستحقه وذلك هو معنى قوله تعالى فمن يعمل اي منهم لان من الصالحات شيئا والحال انه مومن اي بالله على

الاسلس الصحيح فلا كفران اي ابطال لسعيه بل نحن نجزيه عليه بما يستحقه ونزيده من فضلنا وانا له اي لسعيه لان كانبون
لنطلعه عليه يوم الجزاء بعدان نعطيه قدرة على تذكره فلا يفقد منه شيئا قل او جل ومن المعلوم ان قسيمه ومن يعمل من السيات
وهو كافر فلا نقيم له وزنا ومن علم ان ذلك هو من فهو في مشيتنا ولعله حذف هذا القسيم ترغيبا في الايمان ولما كان هذا غير صريح في ان هذا
الرجوع بعد الموت بينه بقوله وحرام اي وممنوع ومحجور على قرية اي اهلها اهلكناها بالموت انهم لا يرجعون اي الينا بان يبدهم تحت
التراب بلا طلا من غير احساس بل الينا ثم لم يرجعوا لحبسناهم في البرزخ متقين او معذبين نعيما وعذابا دون النعيم والعذاب الاكبر ولقد
دل على ما قدرته حتى اذا فتح بفتح السد الذي يقدم وصفنا له ياجوج وماجوج فخرجوا على الناس وعبر عن كثرتهم التي جعلها لا هو
سبحانه بقوله وهم اي والحال انهم من كل حدب اي نشز عال من الارض ينسلون اي يسرعون من النسلان وهو تقارب الخطا مع
السرعة كمشي الذيب واقترب الوعد الحق وهو حشر الاموات اي وكان قيام الناس من قبورهم فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا
اي منهم لما بدا لهم ما لم يكونوا يحتسبونه من الاهوال قايلين يا ويلنا اي يحضرنا الويل فهو نديمنا فلا مدعو لنا غيره قد كنا في غفلة من
هذا اي متبشين من اعتقاد هذا البعث فكنا نكذب به فيتم لنا الغفلة ولما كان من الوضوح في الدلايل والرسوخ في الخواطر بحيث لا
يجهله احد اضربوا عن الغفلة فقالوا بل كنا ظالمين اي بعدم اعتقاده وضعنا الشي في غير موضعه حيث اعرضنا عن تامل دلايله والنظر
في مخايله وتقبل كلام الرسل فيه فانكرنا ما هو اضوا من الشمس ولما كان هذا مجالا يخطر بالبال فيه الهتهم بما يترجونه منها من النفع
فقال مخاطبا لهم ارادة التعنيف والتحقير انكم وما تعبدون ولما كانوا يتعبدون له فيختطوه عاركهما مع الاشراك قيد بقوله من دون الله
ولما كانوا يرمون بهم في جهنم يعني الحجارة الصغار التي تسمى الحصبا اي المحصوب اسراعا واكراها فيكونون وقودها من غير اخراج قال حصب
جهنم ثم اكد بقوله استينافا انتم لها واردون اي داخلون ولما قرعهم من هذا الكلام بما لا جواب لهم عنه عن المكابرة اعرض عنهم الخطاب استهانة
بهم واحتقارا لهم فقال لو كان هؤلاء اي الذين اهلكوهم لرتبة الالهية اي الحجارة بحيث يعدونهم من النار قدفا الهة ما وردوها اصلا
فكيف على هذه الصفة اخبر عنهم وعن بقوله وكل اي منهم ومنهم فيها خالدون ولما كان الخلود قد لا يكون مكروها على الاطلاق اي لهم فيها
الحياة من المذكورين العابدين مطلقا والمعبودين الراضين كفرعون فيها زفير اي تنفس عظيم على غاية من الشدة والمد تكاد تخرج معه النفس ولما
كانت نعمة الاخبار مما يعدم القرار وتحقيق الانكار قال وهم فيها لا يسمعون قال ابن كثير قال ابن ابي حاتم حدثنا محمد بن علي ثنا ابو جعفر
ابن فضيل ثنا عبد الرحمن يعني المسعودي عن ابيه قال قال ابن مسعود رضي الله عنه اذا بقي من يخلد في النار جعلوا في توابيت من نار فيها مسامير
من نار فلا يرى احد منهم انه يعذب في النار غيره ثم تلا عبد الله يعني هذه الاية قال ورواه ابن جرير من حديث حجاج بن محمد عن المسعودي
عن يونس بن خباب عن ابن مسعود فذكره ولما ذكر حالهم وحال معبوديهم بغاية الويل كان من موقع السوال عمن عبد وهم من الصالحين
من نبي او ملك وغيرهما من جميع من عبده تحققه لا يشرك به شيا فقال مبينا انهم ليسوا مرادين من ذلك تبعهم وغيرهم من العالمين ان الذين
سبقت لهم منا الحسنى اي الحكم بما في الازل سواء اضل باحد منهم الكفار فاطروه او لا اولئك عنها اي جهنم مبعدون برحمة الله لانهم احسنوا
في العبادة واتقوا وهل جزا الاحسان الا الاحسان قال ابن كثير في تفسيره قال ابو بكر ابن مردويه حدثنا محمد بن علي بن سهل ثنا محمد بن
حسن الانماطي ثنا ابرهيم بن محمد بن عرعرة ثنا يزيد بن ابي حكيم ثنا الحكم يعني ابن ابان عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال
جا عبد الله بن الزبعرى الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال تزعم ان الله انزل عليك هذه الاية انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم
انتم لها واردون قال ابن الزبعرى قد عبدت الشمس والقمر والملايكة وعزير وعيسى بن مريم اكل هولا في النار مع الهتنا فنزلت
ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون وقالوا الهتنا خير ام هو ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون ثم نزلت ان الذين سبقت
الاية رواه الحافظ ابو عبد الله في كتابه الاحاديث المختارة انتهى وقد اسلم ابن الزبعرى بعد ذلك ومدح النبي صلى الله عليه وسلم ولما كان اقل
ما ينكي من المكروه سماعه قال لا يسمعون حسيسها اي حركتها البالغة وصوتها الشديد فكيف بما دونه لان الحس مطلق الصوت او الخفي

حس قاموس
الفتر المكان المرتفع
والفتر محركا جمع نشوز

على وجوههم

منه كما قال البغوي فاذا ازداد تحرفه زاد معناه وهو فيما اشتهت انفسهم في الجنة خالدون ولما كان معنى ذلك ان سرورهم
ليس له زوال اكد بقوله لا يحزنهم الفزع الاكبر اي فما الظن بما دونه وتتلقاهم الملئكة حيثما توجهوا قائلين بشارة لهم هذا يومكم
الذي كنتم في الدنيا توعدون محصولا لما تتمنون فيه من النصر والفوز العظيم والنعيم المقيم فابشروا فيه بجميع ما يسركم ولما كانت هذه
الافعال على غاية من الاهوال تتشوف بها النفس الى معرفة اليوم الذي تكون فيه قال تعالى شافيا لهم هذا السوال زيادة
في تهويل ذلك اليوم لمن له سمع يوم اي تكون هذه الاشيا يوم نطوي السما طيا فتكون كان لم تكن فيصير حالها كما يعرفون فقال
مشبها للمصدر الذي دل عليه الفعل كطي السجل اي الكاتب الكتاب اي القرطاس الذي يكتبه ويرسله الى احد فانه قد ذكر ان السجل يطلق
على الكتاب وعلى الكاتب قاله في القاموس واختير للفاعل لفظ السجل لما مضى في سورة هود من ان هذه المادة تدور على العلو وللمطوي
لفظ الكتاب الدال على الجمع لكونه لازما للطي مع ان ذلك انسب لما جعل كل منهما مثالا له وقراة المفرد لمقابلة لفظ السما والجمع
للدلالة على ان المراد الجنس فجميع السموات تطوى قال ابن كثير قال ابن ابي حاتم حدثنا ابي ثنا محمد بن احمد بن الحجاج الرقي ثنا محمد بن سلمة عن ابي
الواصل عن ابي المليح عن الازدي عن ابي الجوزا الازدي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال يطوي الله السموات السبع بما فيها من الخليقة وا
لارضين السبع بما فيها من الخليقة يطوي ذلك كله بيمينه حتى يكون ذلك بمنزلة خردلة ولما كان هذا عند من لا يعلم اعظم استبعادا
من استبعادهم اعادة الموتى قال كما اي مثل ما بدانا اول خلق نعيده فما كان منضاما من اجزائه فرقناه نضمه بعد انتشاره وما كان
ميتا فاحييناه نميته بعد حياته وما كان حيا فامتناه نحييه بعد موته كما في الحاصل ان من اوجد شيا لا يبعد عليه التصرف فيه كيف ما كان
روى البخاري في التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال خطب النبي صلى الله عليه وسلم قال انكم محشورون الى الله عراة غرلا كما بدانا اول
خلق نعيده الاية اول من يكسى يوم القيمة ابرهيم الا انه يجا برجال من امتي فيوخذ بهم ذات الشمال فاقول يا رب اصحابي فيقال لا تدري ما
احدثوا بعدك فاقول كما قال العبد الصالح كنت عليهم شهيدا فيقال ان هولا لم يزالوا مرتدين على اعقابهم منذ فارقتهم ثم اعلم ان ذلك امر
لا بد منه بالتعبير بالمصدر فقال وعدا واكد ذلك بقوله علينا وزاده بقوله انا كنا فاعلين اي شاننا ان نفعل ما نريد لا كلفة علينا في شي
من ذلك يوجد لما ذكر صدقه في الوعد وسهولة الافعال عليه وكان من محيط كثير مما مضى من فعله لا يرضى الله عز وجل عنه كما يناسب كان
من فعل ما امر به من نصره وابلا ولو بعد حين كما اشير اليه بقوله قال ربي يعلم القول في السما والارض وما بعدها قال تعالى عاطفا على
انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم وما عطف عليه من اشباهه مؤكدا لما وعد على لسان داود عليه السلام ولقد كتبنا في الزبور اي الذي انزلناه على
داود من بعد الذكر اي الكلام الداعي الى الله الذي عليه من الدعا والمواعظ والتسبيح والتمجيد الذي بابتدائه الزبور ان الارض اي جنسها الشامل
لبقاع ارض الدنيا كلها ولارض المحشر والجنة وغير ذلك مما يعلمه الله يرثها عبادي الصالحون اي المتخلقون باخلاق اهل الذكر المقبلين على ربهم الوجلين
له المشفقين من الساعة الراهبين من سطوته الراغبين في رحمته الخاشعين له كما اشرنا اليه بقولنا قل ربي يعلم القول وما ضاهاه
ويذكر ما سلف في هذه السورة من شاهد ذلك من قصص هولا الانبيا الذي ضمناها بعض اخبارهم دلالة على ان العاقبة لمن ارضانا
لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الارض من بعدهم ان الارض لله يورثها من يشا من عباده اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس
وفي هذا اشارة بالبشارة بانه تعالى يورث هذه الامة على ضعفها ما اورث داود وابنه سليمن عليهما السلام على ما اعطاهما من القوة من
الالانة الحديد والريح والحيوانات كلها من الجن والانس والوحش وغير ذلك والمراد بهذا الكلام والله اعلم ظاهره فانه ابتدا صحف الزبور
بالاذكار والمواعظ الى ان قال في المزمور السادس والثلاثين وهو قبل نحو هذا اللفظ بعينه بيان ذلك قال في المزمور الاول
طوبى للرجل الذي لم يتبع راي المنافقين ولم يقف في طريق الخاطيين ولم يجلس في مجالس المستهزيين لكن في ناموس الرب هواه
مشيئته وفي سننه يتلو ليلا ونهارا فيكون كمثل الشجرة المغروسة على مجاري المياه التي تعطي ثمرتها في حينها وورقها لا
يتناثر وكل ما يعمل يتم كذلك المنافقون في القضا ولا الخطاة في مجمع الصديقين لان الرب عالم بطريق الابرار وطريق المنافقين

تبيد المزمور الثاني لماذا ارتجت الشعوب وهذت الامم بالباطل قامت ملوك الارض ورؤساؤها وائتمروا جميعا على الرب وعلى مسيحه
لنقطع اغلالهم ونلقي عنا نيرهم الساكن في السما يضحك بهم والرب يستهزئ بهم حينئذ يكلمهم بغضبه وبسخطه يذهلهم انا اقمت ملكا منه على
صهيون جبل قدسه لاخبر بميثاق الرب والرب قال لي انت ابني وانا اليوم ولدتك سلني فاعطيك الشعوب ميراثك وسلطانك على اقطار
الارض ترعاهم بقضيب من حديد ومثل انية الفخار تسحقهم من الان تفهموا ايها الملوك وتادبوا يا جميع قضاة الارض اعبدوا الرب
بخشية سبحوا برعدة الزموا الادب لئلا يسخط الرب عليكم فتضلوا عن سبيله العادلة اذا ما توقد رجزه عن قليل طوبى لهم
المتوكلين عليه المزمور الخامس استمع يا رب قولي واعرف صراخي وكن لدعائي مجيبا وانصت الى صوت تضرعي فانك ملكي والهي واني لك اصلي
في غداة الى استمع يا رب طلبتي لاقف امامك بالغداة وتراني لانك اله لا ترضى الاثم ولا يحل في مساكنك شرير ولا يثبت مخالفوا
وصاياك بين يديك ابغضت جميع عاملي الاثم وابدت كل الناطقين بالكذب الرجل السافك الدما الغاش يرذله الرب وانا
بكثرة رحمتك ادخل بيتك واسجد في هيكل قدسك بخشيتك اهدني يا رب بعدلك ومن اجل اعداي سهل امامك طريقي فانه
ليس في افواههم صدق بل الاثم في قلوبهم حناجرهم قبور مفتحة والسنتهم غاشة دنهم يا الله ومن كثرة نفاقهم انفضهم لانهم اسخطوك يا رب
ويفرح بك جميع المتوكلين عليك والى الابد يسرون وفيهم تحل بركتك ويفتخر بك كل محبي اسمك لانك يا رب تبارك الصديق وكمثل سلاح الرضى
المسترة ظللتنا المزمور السادس يا رب لا تبكتني بغضبك ولا تؤدبني برجزك ارحمني يا رب فاني ضعيف اشفني يا رب فان عظامي
قلقت ونفسي جزعت جدا وانت يا رب نج نفسي وخلصني برحمتك فليس في الموتى من يذكرك ولا في الجحيم من يشكرك تعبت في تنهدي اغسل في كل ليلة
سريري وبدموعي ابل فراشي ذبلت من السخط عيناي بليت واعتقت من جميع اعداي ابعدوا عني يا جميع عاملي الاثم فان الرب سمع صوت بكاي الرب سمع صوت تضرعي
الرب قبل صلاتي يخزون ويبهتون جميع اعداي ويتقرعون ويسقطون جدا عاجلا وفي المزمور التاسع اشكرك يا رب من كل
قلبي واقص جميع عجائبك افرح وابتهج بك واذكر اسمك العلي حين تولى اعداي على ادبارهم يضعفون ويبيدون من بين يديك
لانك قضيت لي وانتقمت لي استويت على العرش يا ديان الحق زجرت الشعوب ابدت المنافق اسقطت اسمه الى الابد والى ابد
الابد لانك ابدت سلاح العدو وافنيت مدائنه وازلت ذكرها الرب الى الابد اعد كرسيه للقضا الذي يقضي للمسكونة بالعدل
ويدين الشعوب بالاستقامة المزمور الثاني عشر حتى متى يا رب تنساني الى التمام حتى متى يا رب تصرف وجهك عني حتى متى تتردد هذه
الافكار في نفسي والهموم والوجع في قلبي النهار كله حتى متى يعلو عدوي علي انظر الي واستجب لي يا ربي والهي انر عيني لئلا انام ميتا ولئلا
يقول عدوي اني غلبته فان زلت قدمي المضطهدون يفرحون وانا اسم الرب العالي المزمور الرابع عشر يا رب من يسكن في مسكنك
او من يحل في طور قدسك ذاك الذي يمشي بلا عيب ويعمل البر ويتكلم في قلبه بالحق ولا يغش بلسانه احدا ولا يصنع بقريبه سوا
ولا يلتمس العار لجيرانه ما زال اعينا ويكرم خائفي الرب الذي يحلف لقريبه ولا يكذب ولا يعطي فضته بالربا ولا يقبل الرشوة على
الازكيا الذي يعمل هذا يدوم ولا يتحول الى الابد المزمور السادس عشر استمع يا الله بري وانظر الى تواضعي وانصت لصلاتي
بشفتين غير غاشتين من قدامك يخرج قضاي عيناي تنظران الاستقامة بلوت قلبي وتعاهدتني ليلا جربتني فلم تجد في ظلما ولم يتكلم
فمي باعمال الناس من اجل كلام شفتيك حفظت طرقا صعبة لكيما تشدد في سبيلك خطواتي ولا تزل خطاي وانا دعوتك استجب لي
اللهم انصت الى سمعك وتقبل دعاي يا مخلص المتوكلين عليك خلصني بيمينك من المضادين احفظني مثل حدقة العين وبظلال
جناحيك ظللني من وجه المنافقين الذين اجهدوني واعداي الذين اكتنفوا نفسي تغطت شحومهم وتكلمت افواههم بالكبريا عندما
اخرجوني احاطوا بي نصبوا عيونهم ليصرعوا بي الارض استقبلوني مثل الاسد المستعد للفريسة ومثل الشبل الذي ياوي في خفية
قم يا رب ادركهم وعرقلهم ونج نفسي من المنافقين ومن سيف اعداء يدك اللهم عن قريب شتتهم في الارض اقسمهم في حياتهم المزمور السابع عشر
احبك يا رب قوتي الرب رجاي وملجاي ومخلصي الهي عوني عليه توكلي ساتري وخلاصي وناصري اسبح الرب وادعوه انجو من اعداي

لان اهوال الموت اكتنفتني واودية الاثم افزعتني احاطت بي اهوال الجحيم شباك الموت ادركتني وعند شدتي دعوت الرب والى
الهي صرخت سمع من هيكل قدسه صوتي ودعائي امامه يدخل الى مسامعه تزلزلت الارض وارتعدت تحركت اساسات الجبال
وتزعزعت من اجل ان الرب غضب عليها صعد الدخان من رجزه والتهبت النار امامه اشتعل منه جمر نار طاطا السموات والضباب
تحت رجليه طار على اجنحة الرياح جعل الظلمة حجابه تحوط مظلته مياه مظلمة في سحاب الهوى من الزمهرير ظلاله ومن بريق نور وجهه
جعل الغمام تجري بين يديه برد وجمر نار ارعد الرب من السما والعلي اعطى صوته ارسل سهاما وفرقهم واكثر البروق وافزعهم وقلقهم
ظهرت عيون المياه وانكشفت اساسات المسكونة من انتهارك يارب ومن هبوب ريح سخطك ارسل من العلى واخذني وانتشلني من
المياه الغزيرة وخلصني من اعدائي الاشداء ومن المبغضين لانهم تقووا اكثر مني سبقوني في يوم حزني نجاني يوم جزعي الرب صار
لي سندا اخرجني الى السعة وانقذني لانه تراءف بي خلصني من اعدائي الاشداء المبغضين جازاني الرب مثل بري ومثل طهر يدي
يعطيني لاني حفظت سبل الرب ولم ابعد من الهي اذ كل احكامه قدامي وعدله لم ابعده عني اكون معه بلا عيب ولن ازيد خطاياي
جازاني الرب مثل بري ومثل طهر يدي لما عنده مع العفيف عفيفا تكون ومع البار بارا تكون ومع الملتوي ملتويا تكون ومع
المختار مختارا تكون من اجل انك تنجي الشعب المتواضع وتذل اعين المتعظمين وانت يارب تضي سراجي يا الهي انر ظلمتي منك انجو من الرصد
وبالهي اعبر السور والله لا ريب في سبله كلام الرب مختبر محامي جميع المتوكلين عليه لا اله مثل الرب ولا عزيز مثل الهنا الله الذي
عضدني بقوته جعل سبيلي بلا عيب ثبت قدمي على المشارق رفعني على الاعالي يعلم يدي القتال شدد ذراعي مثل قوس نحاس اعطاني نصرة
الخلاص يمينه نصرتني ودربه اقامني الى التمام حكمتك علمتني وسعت خطاي تحتي ولم تضعف قدماي اطلب اعدائي وادركهم
ولا ارجع حتى افنيهم ارميهم فلا يستطيعون القيام يسقطون تحت قدمي عضدتني بقوة في الحرب فلم يكن لهم مخلص دعوا الى الرب
فلم يستجب لهم سحقتهم مثل الثرى امام الريح وكمثل طين الطرق اطاوهم نجني من مقاومة الالسن صيرتني
راسا على الشعوب الشعب الذي لا اعرفه تعبد لي بسمع الاذن سمعوا لي بنوا الغربا اقبلوا واطاعوني ولم يبطؤوا بنوا
الغربا نجي هو الله ومبارك اله خلاصي حي الرب الذي انقذني اسمه الاله الذي يعطي لي الانتقام اخضع الشعوب تحتي
ونجاني من اعدائي ورفعني على الذين قاموا علي ومن الرجال الاثمة نجاني لذلك اشكرك يارب بين الشعوب وارتل
اسمك المزمور الحادي والعشرون الهي الهي لماذا تركتني تباعدت عن خلاصي لقول جهلي الهي دعوتك بالنهار فلم تستجب
وفي الليل فلم يكن مني جهلا انت كاين في القديسين يا فخر اسرايل بك امن اباونا وتوكلوا عليك فنجيتهم وصرخوا اليك فخلصتهم
وعليك توكلوا فلم يخزوا وانا دود ولست انسانا عار في الناس مرذول في الشعب كل من راني يعقبني تكلموا بشفاههم وهزوا
رؤوسهم فقالوا ان كان امن وتوكل على الرب فلينجه ويخلصه ان كان يحبه وانت من البطن اخرجتني ومنذ كنت ارتضع من بطن امي اتكلت
عليك القيت اليك وعليك من الرحم توكلت ومن بطن امي انت الهي فلا تبعد عني فان الشدة قريبة وليس من يخلصني احاطت بي عجول كثيرة
اكتنفتني ثيران سمان فتحت افواهها علي مثل الاسد المفترس ومثل الماء انهرقت عظامي وصار قلبي مثل الشمع المذاب وسط
بطني يبس قوتي مثل الفخار لصق لساني بحلقي والى تراب الموت انزلتني احاطت بي كلاب كثيرة اكتنفتني جماعة الاشرار ثقبوا يدي
ورجلي وزعزعوا جميع عظامي نظروا الي وشمتوا بي واقتسموا بينهم ثيابي واقترعوا على لباسي وانت يارب فلا تبعد من معونتي انظر
الى تضرعي نج من السيف نفسي ومن يد الكلاب التي احتوشتني ومن فم الاسد خلصني ومن القرن المتعالي على تواضعي لاخبر
باسمك اخوتي وبين الجماعة امجدك ايها الخايفون من الرب مجدوه يا جميع ذرية يعقوب سبحوه يخشاه كل زرع اسرايل
لانه لم يهن ولم يرذل دعوة المسكين ولا صرف وجهه عني وعند دعائي استجاب لي ياكل المساكين ويشبعون ويسجد
قدامه جميع قبايل الشعوب لان الملك للرب وسلطانه على الامم ياكل ويسجد قدام الرب جميع ملوك الارض وبين يديه يجثوا

جميع

15

جميع هابطي التراب لله تحيى نفسي وذريتي له تتعبد اخبروا للرب ابد الجيل الاتي وحدثوا بعدله ليري الشعب الذي
يولد صنع الرب المزمور الثلاثون عليك يارب توكلت فلا اخزى الى الابد خلصني وانقذني بعدلك انصت لي
بسمعك ولتنقذني عاجلا كن لي الاها نصيرا وملجا ومخلصا لانك عوني وملجاي وباسمك يارب تهديني وتعيلني
وتخرجني من هذا الفخ الذي اخفوا لي لانك ناصري وبيدك استودع روحي نجني يارب اله الحق شنات الذين يحفظون
بالاوثان الباطلة وانا على الرب توكلت افرح واسر برحمتك لانك نظرت الى تواضعي وخلصت نفسي من الشدايد ولم
تسلمني في ايدي الاعدا اقمت رجلي في السعة ارحمني يارب فاني حزين جزعت عيناي من سخطك ونفسي وقواي فني عمري
بالاحزان وسنيني بالزفرات ضعفت بالمسكنة قوتي وقلقت عظامي صرت عارا في اعدائي وجيراني ودهشة لمن عرفني من عاينني تباعد
عني ونسيت في قلوبهم مثل الميت صرت مثل انا مكسور لاني سمعت سبة جميع من حولي هموا بي وعند اجتماعهم علي جميعا تامروا لاخذ
نفسي فانا يارب عليك توكلت فقلت انت الهي وفي يديك قسمتي نجني من يدي اعدائي والطاردين لي انر وجهك على عبدك وخلصني برحمتك
يارب لا تخزني فاني دعوتك تخزى المنافقون ويهبطوا الى الجحيم تبكم الشفاه الغاشة المتقولة على الصديق بالزور والبهتان
ما اكثر رحمتك يارب لجميع خايفيك اعددتها لمن اعتصم بك امام بني البشر استرتهم في كنفك من اشرار الناس وفي ظلال وجهك وقيتهم
من مقاومة الالسن تبارك الرب الذي انتجب لي رحمته في المدينة العظيمة انا قلت في تحيري انسقطت من حذا عينيك ولذلك سمعت
صوت تضرعي حين دعوتك حبوا الرب يا جميع اصفيايه فان الرب يبتغي الحق ويكافي المستكبرين بفعلهم تشددوا قلوبكم وتقووا ايها المتوكلون
على الرب المزمور الثالث والثلاثون ابارك الرب في كل حين وكل اوان تسبيحه في فمي بالرب تفتخر نفسي فليسمع اهل الدعة ويفرحون
عظموا معي الرب ونشرف اسمه اجمعون انا طلبت الرب فاجابني ومن شدايدي نجاني اقبلوا الى الرب واستنيروا به فان وجوهكم
لا تخزى ان المسكين دعا فاستجاب له الرب ومن جميع احزانه خلصه ملاك الرب يحوط اتقياه وينجيهم ذوقوا وتيقنوا طيبة
الرب طوبى للرجل المتوكل عليه اتقوا الرب يا جميع قديسيه لانه لا منقصة لاتقيايه الاغنيا افتقروا وجاعوا والذين يطلبون
الرب لا يعدمون كل الخيرات هلموا ايها البنون واسمعوا مني فاعلمكم مخافة الرب من هو الرجل الذي يهوى الحياة ويحب ان يرى الايام
الصالحة اكفف لسانك من الشر وشفتيك لا تتكلما بالغش ابعد عن الشر واصنع الخير اطلب السلامة واتبعها فان عيني الرب
على الابرار وسمعه الى تضرعهم وجه الرب على صانعي الشر ليمحو ذكرهم من الارض الابرار دعوا فاستجاب لهم الرب ومن جميع
شدايدهم نجاهم الرب قريب من مستقيمي القلوب مخلص متواضعي الارواح كثيرة هي احزان الصديقين ومن جميعها ينجيهم
الرب الرب يحفظ جميع عظامهم وواحد منها لا ينكسر موت الخطاة سيي ومبغضوا البار يهلكون الرب ينجي نفوس
عبيده ولا يخيب المتوكلين عليه المزمور الرابع والثلاثون حاكم يارب الذين يظلمونني قاتل الذين يقاتلونني خذ سلاحا وترسا وقم
لمعونتي استل سيفا واوقف اعدائي الذين يرهقونني وقل لنفسي انا مخلصك تخزى وتبهت طالبوا نفسي يرتدون على اعقابهم ويخزى الذين
يفكرون في الشر ويكونون كالغبار امام الريح وملاك الرب يخزيهم تكون طريقهم زلقة مظلمة عليهم وملاك الرب يطاردهم لانهم اخفوا لي فخا
بلا حق عيروا نفسي فليات لهم الشرك بغتة والمصيدة التي اخفوها تاخذهم وفي الحفرة التي حفروها يسقطون نفسي تبتهج بالرب وتتنعم
بخلاصه عظامي كلها تقول يارب من مثلك منجي المسكين من يد القوي والفقير والبايس من يد الذين يختطفونه قام علي شهود الزور وعما
لم اعلم سالوني جازوني بدل الخير شرا واباذوا نفسي وانا عند ما لجوا علي [illegible] وفرحوا اجتمع علي الاشرار ولم اشعر شتموا ولم يندموا
احزنوني وهزوا بي وصروا اسنانهم علي يارب الى متى تنظر نج نفسي من شر ما نصبوا ومن الاشبال وحدتي لاشكرك يارب في الجمع
الكثير وفي الشعب الصالح ارتلك لا يشمت بي المعادون لي ظلما الذين يشنؤونني باطلا ويتغامزون بعيونهم لانهم يتكلمون بالسلام وبالدغل
يفكرون على المتواضعين في الارض يقولون الكذب فتحوا علي افواههم وقالوا ايها ايها قد قرت به عيوننا اللهم قد رايت لا تغفل لا تبعد

الم تر ان الفلك تجري في البحر
بنعمت الله ليريكم من اياته
ان في ذلك لايات لكل صبار

عني يرب انظر سريعا في قضاي الهي وربي احكم في ظلامتي واجعلهم مثل بركة بين يدي والهي لا تسرهم بي لئلا يقولوا في قلوبهم تجحت
نفوسنا ولا يقولوا قد ابتلعناه ويخزون ويبهتون جميع الذين يفرحون بإساءتي يلبسون الخزي والبهتة المتعظمون بالقول على يسر
ويفرح الذين يشهدون بري ويقولون في كل حين عظيم هو الرب الذين يريدون سلامة عبده كي لساني يتلو عدلك وتمجيدك
النهار كله المزمور السادس والثلاثون لا تغبط الاشرار ولا تنافس بفاعلي الاثم لانهم مثل العشب سريعا يجفون ومثل البقل
الاخضر عاجلا يذبلون توكل على الرب واصنع الخير واسكن في الارض وعش من نعيمها استبشر بالرب يعطيك مطلوبات قلبك
واكشف سبيلك للرب وتوكل عليه وهو يصنع لك تخرج مثل النور عدلك ومثل الظهيرة احكامك اخضع للرب وتضرع اليه لا
يغيظك الرجل المستقيم في طريقه المقيم على اثمه ولا رجلا يعمل خلاف الناموس اكفف من السخط ودع الغضب لا تبار الشرير فان الاشرار
جميعا يبيدون والذين يرجون الرب يرثون الارض عن قليل لا يوجد الخاطي وتطلبه مكانه فلا يوجد اهل الدعة يرثون الارض ويتنعمون
بكثرة السلامة المنافق يرصد الصديق ويصر عليه باسنانه والرب يهزا به لانه قد علم ان يومه يدركه استل الخطاة سيوفهم
واوتروا قسيهم ليصرعوا المسكين والبايس ويقتلوا المستقيم القلب تدخل سيوفهم في قلوبهم وتنكسر قسيهم اليسير للصديق خير من كثير
غنى الخطاة لان سواعد الخطاة تنكسر والرب يحفظ الابرار الرب يعرف ايام صديقيه التي لا عيب فيها وميراثهم الى الابد ولا يخزون
في زمان سوء وفي ايام الشدايد يشبعون لان الاثمة يبيدون واعدا الرب حين يرتفعون ويتمجدون يذهبون مثل الدخان ويضمحلون
الخاطي يقترض ولا يوفي والبار يتراف ويعطي لان مباركيه يرثون الارض ولاعنيه يستاصلون الرب يقوم خطا الانسان
ويهديه في الطريق ان سقط البار لم يتزعزع لان الرب ممسك بيده كنت صبيا وشخت ولم ار صديقا رفض ولا ذريته طلبت خبزا لانه
كله يترحم ويقرض ونسله مبارك ابعد عن الشر وافعل الخير واسكن الى الابد لان الرب يحب العدل ولا يخذل اصفياه يحفظهم الى الابد
الاثمة يهلكون ونسل الخطاة يستاصلون الصديقون يرثون الارض ويسكنون فيها الى الابد فم الصديق ينطق
بالحكمة ولسانه يقول العدل سنة الهه في قلبه ولا تزدحف قدماه الخاطي يرصد البار ويلتمس قتله والرب لا يسلمه في يده
ولا يدخله في الحكم ترجى الرب واحفظ طرقه وهو يرفعك لترث الارض وتعاين الخطاة يبيدون رايت المنافق يتعالى ويتطاول مثل
ارز لبنان مررت به فلم اجده وطلبت موضعه فلم اصبه تمسك بالدعة وانظر الاستقامة فان عاقبة الرجل المستقيم سلامة الخطاة
جميعا يبيدون وعقبات الاشرار يستاصلون خلاص الابرار من عند الرب وهو ناصرهم في زمان الشدايد الرب عونهم وينجيهم وينقذهم
من الخطاة ويخلصهم لانهم توكلوا عليه والحاصل ان ما ذكر في هذه السورة من الحكم والدلايل والقصص واعظا شافيا حكيما ومرشدا هاديا
عليها كمال واصلاح ما تقدم اشارة الى انه نتيجته ان في هذا اي الذي ذكرناه هنا من الادلة على قدرتنا على قيام الساعة وغيرها من الممكنات
وعلى ان مرادنا علينا امرا فايتناه عليهم وجعلنا العاقبة لاهله فيه فهو صادق محق وخصمه كاذب مبطل لبلاغا لا مراغلية كافيا في البلوغ
الى معرفة الحق فيما ذكرناه من قيام الساعة والوحدانية لقوم ابناس اقويا على ما يفصلونه عابدين اي معترفين بالعبودية لطرابهم
الذي خلقهم اعترافا تطابقه الافعال بغاية الجد والنشاط والحاصل ان هذا مشير الى رشادهم فكان النفد بر فما ارسلناك الا لاسعادهم
عطف عليه ما بينهم سبب التاخيرة بجار ما يستعجله غير العابدين من العذاب فقال وما ارسلناك على حالة من الاحوال الا على حال كونك رحمة للعالمين
كلهم اهل السموات واهل الارض من الجن والانس وغيرهم طايعهم بالثواب وعاصيهم بتاخير العقاب فنحن نمهلهم ونترفق بهم في اظهار الشرفك
واعلا القدرك حتى تبين انهم مع كثرتهم وقوتهم وشوكتهم وشدة تمالوهم عليك لا يصلون الى ما يريدون منك ثم نرد كثيرا منهم الى دينك
ونجعلهم من اكابر انصارك واعاظم اعوانك بعد طول ارتكابهم الضلال وارتباكهم في اشراك الحج وايضاعهم في الجدال والمحج فيعلم قطعا
انه لا ناصر لك الا الله الذي يعلم القول في السما والارض ومن اعظم ما يظهر فيه هذا الشرف في عموم الرحمة وقت الشفاعة العظمى
يوم يجمع الاولون والاخرون وتقوم الملايكة صفوفا والثقلان ويشتطهم ويموج بعضهم في بعض من شدة ماهم فيه يطلبون من يشفع

لهم

لهم في ان يحاسبوا ليستريحوا من ذلك الكرب اما الى جنة او نار فيقصدون اكابر الانبيا نبيا نبيا عليهم السلام والتحية والاكرام
فيحيل بعضهم على بعض وكل منهم يقول لست لها حتى يا تو صلعم فيقول انا لها ويقوم ومعه لوا الحمد فيشفعه الله وهو المقام
المحمود الذي يغبطه به الاولون والاخرون والحاصل ان البلاغ الذي رتب هذا لاجله هو التوحيد الملزوم لتمام القدرة اتبع
الاشارة الى تاخرهم رحمة الى تحذيرهم فقال قل اي لكل من عاندك له القول انما يوحى الي من الله الذي خصني بهذا الكتاب
المعجز انما الهكم اله واحد لا شريك له لم يوح الي فيما تدعون من الشركة غير ذلك فالاول من قصر الصفة على الموصوف
اي الوحي الي مقصور على الوحدة لا يتجاوزها الى التعدد والمخاطب بها من يعتقد الشركة فهو قصر قلب والثاني ما مضى
من الادلة العقلية في امر الوحدانية هذا الدليل السمعي وكان ذلك موجبا لان يخشى انجاز ما توعدهم به اشار الى ذلك
مرهبا ومرغبا بقوله فهل انتم مسلمون اي مذعنون له ملقون اليه مقاليدكم متخلون عن جميع ما يدعونه من دونه لتسلموا
من عذابه وتفوزوا بثوابه والحاصل ان تولهم بعد هذه القواطع مستبعد اشار الى ذلك بايراده باداة الشك فقال
فان تولوا اي لم يقبلوا ما دعوتهم اليه فقل لهم اذنتكم اي اعلمتكم ببراتي منكم واني غير راجع اليكم ابدا كما انكم تبروا مني ولم ترجعوا
الي فصار علمكم ان لا صلح بيننا مع التولي كعلمي وعلم من اتبعني لنتاهبوا الجميع ما تظنونه ينفعكم او ابلغتكم جميع ما ارسلت به ولم
اخص به احدا دون احد وهذا الكلام معنى على سوا اي ايذانا مستعليا على امر نصف وطريق عدل ليس فيه شي من خفا ولا غش
ولا خداع ولا غدر بل نستوي فيه نحن وانتم والحاصل ان من لوازم البراة من تخصص الابتاع به كان موضع ان يقولوا هذا اعلى
عادتهم نبذت الينا على سوا فعجل لنا ما تتوعدنا به فقال وان اي وما ادري اقريب جدا بحيث يكون قربه على ما تتعارفونه
بينهم ام بعيد ما توعدون من عذاب الله في الدنيا بايدي المسلمين او بغيرهم او في الاخرة مع العلم بانه كاين لا محالة والحاصل ان
من المقطوع به من كون الشك انما هو في القرب او البعد ان يكون التقدير لكنه محقق الوجود لان الله واحد لا شريك له
وقريب عند الله لان كل ما حقق ايجاده قريب علله بقوله انه يعلم الجهر من القول مما تجاهرونه به من الطعن وغير ذلك
ويعلم ما تكتمون مما تضمرونه من المخازي كما قال تعالى اولها قل ربي يعلم القول في السما والارض ومن لازم ذلك المجازاة عليه
بما يحق لكم من تعجيل وتاجيل فستعلمون كيف تخيب ظنونكم وتحقق ما اقول فتقطعون باني صادق عليه ولست بساحر ولا
حالم ولا كاذب ولا شاعر والحاصل ان الامهال قد يكون نعمة وقد يكون نقمة قال وان اي وما ادري اي يكون تاخير عذابكم نعمة
لكم كما تظنونا ولا والحاصل ان الى كونه نقمة اقرب قال معبرا عما قدرته لعله فتنة لكم اي اختبار من الله ليظهر ما يعلمه منكم من
الشي لغيره لان حالكم حال من يتوقع منه ذلك ومتاع لكم تتمتعون به الى حين اي بلوغ مدة اجالكم التي ضربت لكم في الازل
من هذه الايات تجوزاما و بلهم ساعتها وتبليغه للعلم بان اسرع له ان يفعل ما يشا من عدل وفضل وكان من العدل جواز تعذيب
الطايع وتنعيم العاصي قال منبها الى اسرع هذا على قراة حفص وعلى قراة الجمهور لما علم منه ان ذلك متعلق امر صلعم
من يتعلق من اتباعه فقال قل رب ايها المحسن الي وبنفسي واتباعي بامتثال اوامرك واجتناب نواهيك احكم اي اتجز
الحكم بالحق اي الامر الذي يحق لكل منا من نصر وخذلان على ما اجريته من سنتك القديمة في اوليايك واعدايك
ما تنزل الملايكة الا بالحق اي الامر الفصل الناجز قال ابن كثير وعن مالك عن زيد بن اسلم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا شهد قتالا قال رب احكم بالحق والحاصل ان التقدير فربنا المنتقم الجبار له ان يفعل ما يشا وهو قادر على ما توعدون
عطف عليه وربنا اي المحسن الينا اجمعين ثم وصفه بقوله الرحمن اي العام الرحمة لنا ولكم بادرار النعم علينا ولولا عموم رحمته
لاهلكنا اجمعين وان كنا نحن اطعناه لانا لا نقدره حق قدره ولو يواخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة والحاصل
انه لما سال الحق المراد به الهلاك للعدو والنجاة للولي افرد الاضافة اشارة الى تخصيصه بالفضل وافرادهم بالعدل

ولما سال العون عمر بالاضافة والصفة قنوعًا بترجيح جانبيه بالهون وان شملتهم الرحمة فقال المستعان
اي المطلوب منه العون وهو خبر المبتداء الموصوف على ما تصفون مما هو ناشي عن غفلتكم الناشية عن اعراضكم
عن هذا الذكر من الاستهزاء والقذف بالسحر وغيره والمناصبة بالعداوة والتوعد بكل شر فقد انطبق اخر السورة
على اولها بذكر الساعة ردًا على قوله اقترب للناس حسابهم وذكر غفلتهم واعراضهم وذكر القران الذي هو البلاغ وذكر
الرسالة بالرحمة لمن نسبوه الى السحر وغيره وتفصيل ما استعجلوا به من ايات الاولين وغير ذلك وقام الدليل
بالسمع بعد العقل على تحقق امر الساعة بانه سبحنه لا شريك له يمنعه من ذلك وانه يعلم السر واخفى وهو رحمان في رحمته ايجاد
يوم الدين المجازي فيه المحسن باحسانه والمسيء بكفرانه ومن ذلك اعظم ترهيب في اعلى حاث على التقوى للنجاة في ذلك
اليوم وهو اول التي تليها والله الموفق سورة الحج مقصودها الحث على التقوى المغلبة عن ذكره لاستحقاق الحكم بالعدل
الى درجة استيهال الانعام بالفضل في يوم الجمع للفصل وانسب ما فيها لذلك الحج وهو ظاهر بسم الله الذي اقتضت عظمته
خضوع كل شي الرحمن الذي عم برحمة عدله كل موجود الرحيم الذي خص بفضله من شاء من دون عدله لما ختمت التي قبلها
بالترهيب من الفزع الاكبر وطي السما واتيان ما يوعدون والديونية بما يستحقون وكان اعظم ذلك يوم الدين
افتتحت هذه بالامر بالتقوى المنجية من هول ذلك اليوم فقال يايها الناس اي الذين تقدم اول تلك انه اقترب لهم
حسابهم اتقوا ربكم اي المحسن اليكم بانواع الاحسان وقال الامام ابو جعفر بن الزبير لما افتتحت سورة الانبيا
بقوله تع اقترب للناس حسابهم وكان واردًا في معرض التهديد وتكرر في مواضع منها كقوله تع والينا ترجعون ساريكم
اياتي فلا تستعجلون ويقولون متى هذا الوعد لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولين مستهم نفخة من
عذاب ربك ونضع الموازين القسط ليوم القيمة وهم من الساعة مشفقون كل الينا راجعون واقترب الوعد الحق
انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم يوم نطوي السما كطي السجل للكتاب الى ما تخلل هذه الاي من التهديد
وشديد الوعيد حتى لا تكاد تجد امثال هذه الاي في الوعيد والانذار بما في الاية وما بعدها وما بين يديها في
نظاير هذه السورة وقد تضمنت من ذلك ما على المنبه ثم اتصل بذلك ما يناسبه من الاعلام بهول الساعة وعظيم
امرها فقال تع يايها الناس اتقوا ربكم الى قوله ولكن عذاب الله شديد ثم اتبع هذا ببسط الدلالات على البعث
الاخير واقامة البرهان يايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم الايات ثم قال ذلك بان الله هو الحق اي
اطرد هذا الحكم العجيب ونفع من تنقلكم من حالة الى حالة في الارحام وبعد خروجكم الى الدنيا وانتم تعلمون ذلك
من انفسكم وتشاهدون الارض على صفة من الهمود والموت الى حين نزول الماء فيحيى ويخرج انواع النبات وضروب
الثمرات تسقى بماء واحد ذلك بان الله هو الحق وانه يحيى الموتى كما احياكم اولا واخرجكم من العدم الى الوجود واحيى
الارض بعد موتها وهو دال كذلك ان الساعة اتية لا ريب فيها ولا شك ويبعثكم لما عدتم من حسابكم وجزائكم فريق
في الجنة وفريق في السعير انتهى ولما امرهم بالتقوى علل ذلك مرهبا لهم بقوله ان زلزلة الساعة اي تقدم التحذير
منها في الانبيا بدءًا وختما وتباين ذكرها اي شدة اضطرابها وتحركها العنيف كما يحصل فيها من الاصوات المختلفة
والحركات المزعجة المتصلة من النفخ في الصور وبعثرة القبور وما يتسبب عن ذلك من عجايب المقدور ووقت
القيام واشتداد الزحام وذلك لان زلزل مضاعف زل ضوعف لفظه لتضاعف معناه قال البغوي الزلزلة
والزلزال شدة الحركة على الحال الهايلة شي عظيم قال ابن كثير اي امر كبير وخطب جليل وطارق مفظع وحادث
هايل وكاين عجيب انتهى وهذه الزلزلة نفسها فكيف بجميع ما يحدث في ذلك اليوم الذي لا يتركم من الحدة فيه الى المجازاة

علي

علي ما كان منكم لا يغني منه نقير ولا قطمير ولا يخفى قليل ولا كثير مما نظر اليه القلوب وانثبت له النفوس فاعتدوا
وجاهدوا اعداكم من الاهواء والشياطين ولما كان المراد بالساعة القيام وما والاه جعل بظرفًا لذلك
اليوم الذي هو من ذلك الوقت الى انتهاء العرض تصوير الى دار الابعاد والاسعاد والهوان والغفران فقال
تعالى يوم ترونها اي الزلزلة او الساعة اوكل مرضعة اجرها قبل الذكر تهويلا للامر وترويعا للنفس تذهل اي تغفل
وتغفل حاير مدهوشة كل مرضعة عما ارضعت من ولدها وغيره وهي من ماتت مع ابنها رضيعا قال البغوي
يقال مرضع بلا هاء اذا اريد الصفة مثل حايض وحامل فاذا ارادوا الفعل ادخلوا الهاء يعني فدل على انها
متلبسة به وتضع كل ذات حمل حملها اي تسقطه قبل التمام رعبا وفزعا وهي من ماتت حاملا والله اعلم فان كل
احد يقوم على ما مات عليه قال الحسن تذهل المرضعة عن ولدها بغير فطام وتضع الحامل ما في بطنها بغير تمام انتهى
ويويد ان هذه الزلزلة بعد البعث ما في الصحيحين وغيرهما عن الامام وهذا اللفظ للبخ عند تفسير هذه الايه
عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال يقول الله عز وجل يا ادم فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك قال يقول
اخرج بعث النار قال وما بعث النار قال من كل الف تسعمايه وتسعة وتسعين فذلك حين يشيب الصغير وتضع كل
ذات حمل حملها الحديث والاحاديث في ذلك كثيرة ومعارضها ضعيف والمناسب ايضا لما في اخر تلك من
قوله فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا وما تبعه ان هذه الزلزلة بعد القيام من القبور يوم نطوي السما
اذا السما انفطرت الى قوله علمت نفس ما قدمت واخرت ويمكن ان يكون المراد هذا وما قبله لان يوم الساعة
طويل فنسبته الكل اليها على حد سوا ولما كان الناس كلهم يرون الزلزلة ولا يرى الانسان السكر الا من
غيره قال في الزلزلة ترونها وفي السكر وترى الناس سكارى لما هم فيه من الدهش والحيرة والبهت لما
شاهدوا من حجاب العز وسلطان الجبروت وسرادق الكبريا ثم دل على ذلك ليس على حقيقته بقوله نافيا
لما يظن اثباته بالجملة الاولى وما هم بسكارى اي من الخمر ولما نفى ان يكونوا سكارى من الخمر اثبت ما اوجب
لهم تلك الحالة فقال ولكن عذاب الله شديد فهو الذي اوجب ان يظن بهم السكر لانه اذهب خوفه جولهم
وطير هوله عقولهم ولما افهم العطف الاتي ان التقدير فمن منكم من يومن فيسعى فينجو من شر ذلك اليوم عطف عليه
قوله ومن الناس اي المذبذبين من يكذب فيوتى بسوء اعماله لانه يجادل في الله في قدرته على ذلك اليوم وفي غير
ذلك من شئونه بعدما جاءه العلم اجترا على سلطانه العظيم بغير علم بل بالباطل الذي هو جهل صرف
فيترك اتباع الهداة النصحاء ويتبع في جداله كل شيطان ولما كان السياق لذم متبعه اشار الى انه لا قصد
له في اتباعه الا الشر لانه لا لبس في امره بصيغة المبالغة كما مضى في الصافات فقال مريد
اي متجرد للغي لا شغل له غيره فهو في غاية الضراوة عليه قال البيضاوي واصله العري كتب اي قضي وقدر تعين
بالالان عن الملزم عليه اي على ذلك الشيطان انه من تولاه اي فعل معه فعل الولي مع وليه باتباعه والاقبال على
ما يزين له فانه يضله عما ينقص اليه من الطاعات فيخلي سبيل الحق ويهديه بما يزين عليه له من الشهوات
الحاملة على الزلات الى عذاب السعير ولما حذر الناس من ذلك اليوم واخبر ان منهم من يكذب ويعرف ماله
فافهم ذلك ان منهم من يصدق به فيكون له ضد حاله وكان كثير من المصدقين يعملون عمل المكذبين اقبل عليهم محيلا
ثانيا وحيه لهم منبها على انه ينبغي ان لا يكون عندهم نوع من الشك في ذلك اليوم لما عليه من الخلق لا بان في الافاق
وفي انفسهم فقال يايها الناس اي كافه ويجوز ان يراد المنكر فقط وعربا لناس الذي هو من اسفل الاوصاف

حـ قاموس الجول بالضم العقل والعزم

لذلك واشارة الى ان المنكر والعامل عليه وان كان مصدقا هم اكثر الناس وعبر باداة الشك اشارة الى ان الذي يقتضيه الحال جزمهم به فقال ان كنتم في ريب اي شك من البعث وهو قيام الاجسام بارواحها كما كانت قبل مماتها سوا استطاعها لان نقدر عليه فانا خلقناكم بقدرتنا التي لا يتعاظمها شي من تراب لم يسبق له اتصاف بالحياة ثم من نطفة حالها ابعد شي عن حال التراب فانها بيضا سلالة لزجة صافية كما قال ابن ماء دافق واصلها الماء القابل قاله البغوي واصل النطف الصب قاله البيضاوي ثم من علقة حمراء جامدة ليس فيها اهلية للسيلان ثم من مضغة اي قطعة لحم تطورت اليها النطفة مخلقة مخلقة الادمي التام وغير مخلقة اي انشاناكم من تراب يكون هذا شانه وقوانا نعلقه في هذه الاطوار الى ان يصير مضغة فتارة نخلقها وتكون منها آدميا وتارة لا نخلقها بل نخرجها من الرحم فاسدة او تحرقها حرارته او غير مخلقة تخليقا تاما بل ناقصا مع وجود الروح كثيق الذي كان سواد في وسطيح الذي كان غلوا بلا سفل ونحوهما النبيين لكم كمال قدرتنا وان ذلك ليس كما بناعين الطبيعة لانه لوكان عنها لم يختلف فدل اختلافه على انه فاعل مختار قادر ونقر روحه في المعمول اشارة الى انه يدخل فيه كل ما يمكن ان تحيط به العقول ولما كان التقدير فنجهض منه ما لا نشا اتمامه عطف عليه ونقر في الارحام اي من ذلك الذي خلقناه ما نشا اتمامه الى اجل مسمى قدرناه لاتمامه ما بين ستة اشهر الى ما نريد من الزيادة على ذلك بحسب قوة الارحام وضعفها وقوة المخلقات وضعفها وكثرة ما تغتذيه من الدما وقلته وزكاه وخبثه الى غير ذلك من احوال وشوون لا يعلمها الا باريها جلت قدرته وتعالت عظمته واما ما لم نشا اتمامه فان الارحام تمجه بقدرتنا وتلقيه دون التمام او نخرقه فيضمحل ثم نخرجكم بعد ذلك طفلا اي في حال الطفولة من صغر الجثة وضعف البدن والسمع والبصر وجميع الحواس لئلا تهلكوا امهاتكم بكبر اجرامكم وعظم اجسامكم ولما ذكر الضعف ذكر ما قوي القوة عاطفا له عليه لما بينهما من المهلة باداة التراخي فقال ثم لتبلغوا بالانتقال في اسنان الاجسام فيما بين سن الرضاع الى حال اليفاع الى زمان الاحتلام وقوة الشباب والتمام اشدكم اي نهاية كل شدة قدرناها لكم واحد منكم ومنكم من يتوفى قبل ما بعد ذلك من سن الشيخوخة ومنكم من يرد بالشيخوخة وبناه للمجهول اشارة الى سهولته عليه مع استبعاده لولا تكرر المشاهدة عند الناظر لتلك القوة والنشاط وحسن التواصل بين اعضايه والارتباط الى ارذل العمر وهو سن الهرم فتنقص جميع قواه لكيلا يعلم ولما كان السياق للقدرة على البعث الذي هو التحويل من حال الجاذبية الى ضدها بغاية السرعة اشير من الابتدا الى الدلالة على قرب زمن الجهل من زمن العلم فرمايات الانسان في غايته الاستحفاد لما يعلم والجذق فبه فعاد في صبيحة ليلته او بعد ايام يسيرة جدا من غير كبيرة نوع لا يعلم شيئا ولا يستطيع فهم واقهم استفا كا حرف الاسم انهم ربما عاد اليه علمه وربما اتصل جهله بالموت بخلاف ما مضى في الخلق فانه لمن بعد علم كان اتى انه شابا بصيرا كما كان طفلا في ضعف الجواهر والاعراض لتعلموا ان ذلك كله فعل الاله الواحد المختار وانه لو كان فعل الطبيعة لازداد بطول البقاء نموا في جميع ذلك وقد علم بعود الانسان في ذهاب العلم وصغر الجسم الى نحو ما كان عليه في ابتدا الخلق قطعا ان الذي اعاده الى ذلك قادر على اعادته بعد المماة والكون على حال الرفات ولما تم هذا الدليل على الساعة محكم المقدمات واضح النتايج وكان اول الايجاد فيه غير مشاهد فعبر عنه بما يليق به اتبعه دليلا اخر محسوسا وعطفه على ما ارشد اليه التقدير من نحو قوله تجدونها الناس ما ذكرنا في انفسكم فقال وترى فعبر بالروية الارض هامدة اي يابسة مطمينة ساكنة ولعله افرد الضمير توجيها الى كل من يصلح ان يخاطب بذلك فاذا اي فتنزل عليها ما من مكان لا يوجد فيه ثم ينزل منه الا بقدرة عظيمة وقهر باهر فاذا انزلنا عليها الما اهتزت اي تحركت بنجوم النبات وتاهلت لاخراجه

قال الرازي شبه الحركة في الجهات المختلفة وربت اي انتفخت وذلك اول ما يظهر منها للعين وزادت ونمت بما يخرج منها من النبات الناشي عن التراب والماء وانبتت بقدرتنا من كل زوج اي صنف عاد لنا بصنف اخر جعلنا تمام نفعه به بهيج اي مونق من انشات النباتات في اختلاف الوانها وطعومها وروايحها واشكالها ومنافعها ومقاديرها رايقة المناظر لايقة في العيون والبصاير قال الرازي فكما ان النبات يتوجه من نقص الى كمال فكذلك الادمي يترقى من نقص الى كمال ففي المعاد يصل الى كماله الذي اعد له من البقاء والغنى والعلم والصفا والخلود اي للتصعيد منه في دار السلام منزه اعزعوا رض هذا العالم انتهى ذلك اي الذي تقدم من الامر بالتقوى والرهب من جلال الله بالحشر والاستدلال عليه بالتصرف في تطوير الانسان والنبات بان اي بسبب ان الله هو الحق اي الثابت اتم ثبات بحيث تقتضي ذلك انه يكون كل ما يريد فانه لا ثبات مع العجز وانه يحيي الموتى اي قادر على ذلك بانه كما سيأتي هو الحي الكبير وانه على كل شي قدير من الخلق وغيره قديرا انما امره اذا اراد شيا ان يقول له كن فيكون وان الساعة التي تقدم التحذير منها وهي في وقت حشر الخلايق كلهم اتية لا ريب فيها بوجه من الوجوه لما دل عليها مما لا سبيل الى انكاره بقول من لا مرد لقوله وان الله يبعث بالاحيا من في القبور لحضورها لان ذلك من العدل الذي امر به وبه يظهر كثير من صفاته سبحانه اتم ظهور والحاصل ان المراد انه سبحانه فعل ما تقدم وفعل ما ذكر من ايجاد الانسان والنبات في هذه الاطوار ليعلم انه قادر على هذه الامور وعلى كل شي ومن الناس اي من الناس الذين كانوا اقدر وقفوا عن الايمان قبل هذا البيان من آمن عند سماع هذه القواطع ومن الناس وهم من اشدهم تكاثفا طبعه من يجادل في الله اي في قدرته وما يجمعه هذا الاسم الشريف من صفاته بغير علم اتاه عن الله على لسان احد من اصفيايه اعم من ان يكون كتابا او غيره ولا هدى اي ارشد اليه من عقله اعم من كونه بضرورة او استدلال ولا كتاب منير صح لديه انه من الله ثاني عطفه اي ردها الى البال معرضا متكبرا متمايلا لاويا عنقه لذلك كما قال تع واذا تتلى عليه اياتنا ولى مستكبرا والعطف في الاصل الجانب وموضع الميل ولما دل السياق على انه اكثف الاقسام طبعا عبر عن قصده بقوله ليضل اي غيره عن سبيل الله انها ما لذلك لان هذا لا يقصده عاقل فالقسم الاول تابع ضال وهذا داع لا صل الضلال هذا على قراة الضم وعلى قراة الفتح من ضل يكون من باب التهكم كما تقدم غير مرة اي انه من الحذق بحيث لا يذهب عنه ان هذا ضلال فما وصل اليه الا بتقصيره له ولما ذكر فعله وثمرته ذكر ما اعد له عليه فقال له في الدنيا خزي اي اهانة وذل وان طال زمن استدراجه بتنعيمه حتى على انسان لا يرفع شيا من الدنيا الا وضعه ونذيقه يوم القيمة الذي يجمع فيه الخلايق بالاحيا بعد الموت عذاب الحريق اي نجعله يحس بالم العذاب بالحريق كما يحس الذايق بالشي كما احرق قلوب المهتدين بجداله بالباطل ويقال له حقيقة او مجازا ذلك العذاب العظيم بما اي بسبب ما قدمت يداك اي بعملك ولكنه جرت عادة العرب ان تضيف الاعمال الى اليدين لانها الة اكثر العمل وان اي وبسبب ان الله ليس بظلام اي بذي ظلم للعبيد ولو ترككم بغير عذاب لكان في مجاري عاداتكم ظلما اولا بتسوية المحسن بالمسي وثانيا بترك الانتصار للذين عادوكم فيه واذيتهم من اجله ولما بين قسمي المصارحين بالكفر الكثيف والاكثف صريحا وافهم المومن المخلص عطفه على ذلك المذبذب فقال ومن الناس ولذلك عبر بالناس الذي مدلوله الاضطراب والتردد من يعبد الله اي يعمل ما امر به من طاعاته على حرف فهو متزلزل كتزلزله من يكون على حرف شفير او جبل او غيره لا استقرار له فان اصابه خير اي من الدنيا اطمان به اي بسببه وثبت على ما هو عليه وان اصابته فتنة اي مصيبة في جسمه او معيشته تختبره وتظهر خبوه للناس انقلب على وجهه لتهيوه للانقلاب بكونه على شفا جرف فسقط عن ذلك الطرف من

الذي سقوطا لا رجوع له بعده البتة ولا حركة له معه فان الانسان مطبوع على المدافعة بكل عضو من اعضايه عن وجهه
فلا يمكن منه الا بعد نهاية العجز والمعنى انه رجع الى الوجه الذي كان عليه من الكفر او الشك رجوعا متمكنا وهذا انجلا في الرجيع
في ايمانه فانه ان اصابته سرا شكر وان اصابته ضرا جحد وصبر فكل قضا الله له خير ولما كان انقلاب هذا مفسدا
لاخرته بما ناله من الوزر وغير نافعه في استدراك ما فاته من الدنيا كانت فذلكة ذلك قوله خسر الدنيا اي بسبب
ان ذلك لا يرد ما فاته ويكون سبب التقتير عليه وذهاب بركته ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم من ربهم
لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم ان الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه والاخرة بفوات اجر الصبر وحصول اثم الجزع
ثم عظم مصيبته بقوله ذلك اي الامر العظيم هو الخسران المبين روى البخاري في التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما
في هذه الاية قال الرجل يقدم المدينة فان ولدت امراته غلاما ونتجت خيله قال هذا دين صالح وان لم تلد امراته ولم
تنتج خيله قال هذا دين سوء ثم بين هذا الخسران الذي رده الى ما كان فيه قبل الايمان الحرفي بقوله يدعو اي بعد حقيقة
او مجازا بالاعتماد على غير الله ومنابذة واياك نستعين ولما كان كل ما سوى الله دونه نبه على ذلك بقوله من دون الله
ولما كان المقتضي للعبادة انما هو الفعل بالاختيار واما الفعل الذي يقتضيه الطبع والقسر عليه فلا عبرة به نفى ذلك
فانه لا قدرة على الانفكاك عنه فلا حمد لفاعله نبه على ذلك بقوله ما لا يضره بوجه من الوجوه بترك الضر ان عبده
ذلك الفعل الدال على اعظم السفه هو وحده الضلال البعيد عن الحق والرشاد الذي اوصل الى فيافي تجاهل لا يتاتى
الرجوع منها وذلك لان الاول لو ترك عبادته ما قدر على منع احسانه والثاني لو عاداه ما وصل الى نفعه ولا بترك ضره
فعبادتهما عبث لانه استوى فعلها وتركها ولما كان الاحسان جالبا للانسان من غير نظر الى مورده لان القلوب جبلت
على حب من احسن اليها بين ان ما قيل من جانب النفع انما هو على سبيل الفرض فقال يدعو ولما كان ما فرض اولا فيما
عبر عنه بما قد يكون عاقلا وغير عاقل فيكون مما صد منه لهذه العقل ازال هذا الايهام بقوله لمن ضره ولو بعبادته الموجبة
لاعظم الشقا اقرب من نفعه الذي يتوقع منه ولما كانت الولاية الكاملة لا تنبغي الا لمن يكون توقع النفع منه والقدرة على
سوا القدرتين على كل منهما بالاختيار وكان العشير لا يصلح الا ان كان مامون العاقبة استانف ثم وصفه بقوله
لبيس المولى لكونه ليس مرجو النفع كما هو مخشي الضر ولبيس العشير لكونه ليس مامون الضر ولما افهم ما تقدم ان هذا الاله
المدعو اليه قادر على كل من النفع والضر بالاختيار وان تجويزا لوقوع الكل منهما منه الى حد سواه نبه على ذلك بقوله مستانفا
ان الله اي الحاير لجميع صفات الكمال المنزه عن جميع شوايب النقص يدخل الذين امنوا برسله وما دعت اليه من شانه
وعملوا تصديقا لايمانهم الصالحات الخالصة الشاهدة بثباتهم في الايمان بعد ما ضرهم في الدنيا بانواع المصايب تطهيرا
لهم مما اقترفوه من الزلات واهو تم اليه العقوبات جنات تجري من تحتها ... من اي مكان اردت من ارضها الانهار
ولما كان هذا امرا باهرا دل على سهولته بقوله تصريحا بما افهمه السياق من وصف الاختيار ان الله يفعل ما يريد
من كل نفع وضر ولما اتم الدليل على خسران هذا المتقلب وربح الثابت وكان هذا منبها لان من رجاه الله وعدبه باذن لا قبال
عليه ولم ينفع الا نفسه ولم يضر ذلك اعرض عن شبهة منقلبا على وجهه فلم يضر الا نفسه ترجم عن حال هذا الثاني العابد
على حرف بقوله من كان يظن ان لن ينصره الله في حال من احواله في الدنيا والاخرة فاعرض عنه انقلابا
على وجهه فانه لا يضر الا نفسه وان ظن غير ذلك فليمدد بسبب اي حبل الى السما التي يريدها من سقف او سحاب او ارفع ها
ولما كان مدة ذلك متعسرا او متعذرا اعبر عما يتفرع عليه باداة التراخي فقال ثم ليقطع اي ليوجد منه وصل قطع اي الحبل
جهده في دفع القضا والقدر عنه فلينظر بحسه وبصيرته هل يذهبن كيده ما يغيظ اي شيا يحصل له منه غيظ او يكون

المعتبر

المعتبر فليفعل ما يفعله من بلغ منه الغيظ بان يربط حبلا بسقف بيته ثم ليربطه في عنقه ثم ليقطع ما بين رجليه وبين
الارض ليختنق وهذا كما يقال لمن ادبر عنه امر فجزع اضرب براسك الجدار ان لم ترض هذا مت غيظا ونحو ذلك والحاصل
انه ان لم يصبر على المصايب لله طوعا صبر عليها كرها مع ما له من اسباب الشقا وللسابقين بحجة هذه الايات المرئية
في هذه الاساليب العلية هذا البيان الشافي الهادي باحسن ... بين انه معجز ايضا بنظمه فقال وكذلك اي ومثل ما
بيناها هذه الايات المرئية التي انزلناها اليكم لبيان حكمها واظهارا لاسرارها انزلناه اي الكلام كله ايات بينات معجزا نظمها
كما كان معجزا احكمها ولما كان الكلام يقينا في ان هذا التقدير يقطع اذا اصل ضال مع هذا البيان ان الله يضل من يريد عطف عليه
قوله وان الله ولتعلم ان الله يهدي اي بايانه من يريد اي لشيين قدرته واختياره الراجحة لمن يقول اذا كان الايات
المرئية والمسموعة في هذا الحد من البيان فما لاكثر الناس على ضلالهم تخلف فهم المسببات عن اسبابها ولما كان ذلك
موجبا للسؤال عن حال الفريقين المهتدي والضال اجاب عن ذلك ببيان جميع فرق الضلال لان هذه السورة ناظرة
الى يوم الجمع الذي هو مقصود السورة التي قبلها فقصد الى استيعاب الفرق تصويرا لذلك اليوم بابلغ صوره وقرن
بكل من فريقي اهل الكتاب موافقة في معناه فقال ان الذين امنوا اي من اي فرقة كانوا وعبر بالفعل ليشمل الاقرار الذي هو
ادنى وجوه الايمان والذين هادوا اي انتحلوا اليهودية على اي حال كانوا من ايمان او كفران ولما كان اليهود قد
عبدوا الاصنام متقربين بها الى النجوم كما في المايدة اتبعهم من شابههم فقال والصابين ثم ثنى بثاني فريقي اهل
الكتاب فقال والنصارى ثم اتبعهم من اشبههم ببعض فرقهم في قولهم بالهين اثنين فقال والمجوس وهم عبدة النار ثم
ختم باعم الكل في الضلال كما فتح باعمهم في الهدى فقال والذين اشركوا لشموله كل شرك حتى الاصغر من الرياء وغيره
ان الله يفصل بينهم يوم القيمة فيجازي كلا بعمله على ما يقتضيه من مجاري عاداتكم ويفضل لبعضهم من بعض ويميز
الخبيث منهم من الطيب ثم علل ذلك بقوله ان الله على كل شي من الاشيا كلها شهيد فلا شي الا وهو به عليم فهو لذلك على كل
شي قدير كما مضى بيانه في وسع كل شي علما في طه وقال ... الحرالي في شرح الاسما الحسنى الشهادة روية خبرة باطنة الشي
ودخلته ممن له غناء في امره فلا شهادة الا لخبير وغنا بمنزلة اعتدال في نفسه بان لا يحيف على غيره فيكون ميزان عدل
بينه وبين غيره فيحق له ان يكون ميزانا بين كل متداعيين ثم يحيط بخبرة امرهما وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا
شهدا على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وبحسب احاطة علم الشهيد ترهب شهادته ولذلك ارهب شهادة
الله على خلقه قل اي شي اكبر شهادة قل الله ولما كان انما الاحاطة والخبرة والترفعة له كان بالحقيقة لا شهيد الا هو
ولما كان جميع ما تقدم في هذه السورة دالا على انه على كل شي قدير وانه يفعل ما يريد وختم ذلك بانه بكل شي عليم على الغيب
ولا يغيب شي عنه فاقتضى ذلك قيوميته وكان بحيث يستبعد لكثرة الخلايق كفيته باحوالهم قرر ذلك في جواب من كانه
سال وهو في معنى العلة فقال الم تر ان الله الحاير لجميع الكمال المبرا عن كل نقص يسجد له اي يخضع منقادا الامر مسخرا
لما يريد منه من في السموات ومن في الارض ان ادخل غير العاقل فيها فللتغليب وان خصصت بالعاقل فهم خضوع غيرهم من باب الاولى
ولما ذكر ما يعم العاقل وغيره اتبعه باشرف ما ذكر مما لا يعقل لان كلا منها عبد من دون الله او عبد شي منه فقال والشمس والقمر
والنجوم من الاجرام العلوية فعبد الشمس حمير والقمر كنانة والدبران تميم والشعرى لخم والثريا طي وعطارد
اسد والمرزم ربيعة قاله ابو حيان ثم اتبع ذلك اعلام الذوات السفلية فقال والجبال التي نحتت منها الاصنام والشجر
التي عبد بعضها والدواب التي عبد منها البقر كل هذه الاشيا منقادة لامر الله ومن المعلوم لكون هذه لا تعقل ان امتثالها
لما هو مراد منها ولما كان العقلا من المكلفين قد دخلوا في قوله ومن في الارض دخولا اوليا وكان السجود المدحوض

عليا انما هو الموافق للامر لا الموافق للارادة المجردة عن الامر قال دالا على ارادته هنا بتكثير عددهم وتقسيمهم مبدا دخالهم في
سجود الارادة وعصيهم بعضهم وكثير من الناس اي يسجد سجودا هو منه عبادة شرعية تحق له الثواب وكثير اي منهم حق عليه العذاب
بقيام الحجة عليه بكونه لم يسجد لمجرد الامر الذي من جحد كان كافرا وان كان ساجدا عابدا بالمعنى اللغوي الذي هو الجري
مع المراد وهذا في تقديره عامل من لفظ الاول بغير معناه . قريب من الاستخدام البديع فيه ضمير على لفظ يراد منه معنى اخر
والاية من الاحتباك اثبات السجود في الاول دليل على انتفائه في الثاني وذكر العذاب في الثاني دليل على حذف الثواب
في الاول ولما علم بهذا ان الكل جارون مع الارادة منقادون لامره انقيادا تحت طوع المشية وانه انما جعل الامر والنهي
للمكلفين سببا لاسعاد السعيد منهم واشقاء الشقي لاقامة الحجة عليهم بما يتعارفونه من احوالهم فيما بينهم كان المعنى فمن يكرم
الله بتوفيقه لامتثال الامر فما له من مهين فعطف عليه ومن يهن الله اي بخذلانه فما له من مكرم لانه لا قدرة لغيره اصلا
ولعله انما ذكر وطوي الاول لان السياق لاظهار القدرة واظهارها في الاهانة ابلغ مع ان السياق في التهديد ثم علل ان الفعل
له لا لغيره بقوله ان الله يفعل ما يشاء اي كله فلو جاز ان يمانعه غيره ولو في لحظة لم يكن فاعلا لما يشا فصح انه لا فعل لغيره
قال ابن كثير قال ابن ابي حاتم حدثنا احمد بن ابي شيبان الرملي ثنا القداح عن جعفر بن محمد عن ابيه عن علي رضي الله عنه انه قيل له
ان ههنا رجلا يتكلم في المشية فقال له علي يا عبد الله خلقك الله لما يشا او لما شئت فقال بل لما يشا فقال فيمرضك اذا
شا او اذا شئت قال بل اذا شا قال فيشفيك اذا شا او اذا شئت قال بل اذا شا قال فيدخلك حيث شئت او حيث يشا
قال بل حيث يشا قال والله لو قلت غير ذلك لضربت الذي فيه عيناك بالسيف وقد مر في سورة يوسف عند ان الحكم الا لله [illegible]
ما ينفع هنا ولما قسم الناس الي مخالف وموالف اتبعه جزاهم بما يرغب الموالف ويرهب المخالف على وجه موجب للامر
بالمعروف الذي من جملته الجهاد لوجهه خالصا فقال هذان اي الساجد والجاحد من جميع الفرق خصمان لا يمكن منهما
المسالمة الكاملة وكل منهما في طرف اختصموا ولما كانت الفرق المذكورة كلها شيئة وقد جمعها كرهم النهر قال في ربهم
اي الذي هم باحسانه اليهم معترفون لم يختصموا بسبب غيره اصلا وحمزة بن عبد المطلب اسد الله واسد رسوله
وعبيدة بن الحارث وعلي بن ابي طالب الذين هم اول من برز للمخاصمة بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم للكفرة من
بني عمهم عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة في غزوة بدر اولى الناس بهذه الاية لما روي في الصحيح عن
ابي ذر رضي الله عنه انه كان يقسم انها نزلت فيهم ولذلك قال علي رضي الله عنه انا اول من يجثوا بين يدي الرحمن عز وجل يوم القيمة
للخصومة اخرجه البخاري في صحيحه ولما ذكر خصومتهم وشركها ذكر جزاهم عليه في تفصيل الامر الذي قدم ذكره وبدا بالترهيب
لان الانسان اليه احوج فقال فالذين كفروا اي منهم قطعت لهم اي وهيئت وان وافقوا المراد ربهم قدر
امر ثياب من نار تحيط بهم وهي على مقاديرهم سابغة عليهم كما كانوا يسبلون الثياب في الدنيا تعاظما وتكبرا على [illegible]
يصب من فوق روسهم الحميم اي الماء الحار حرارة لا يدري مقدارها الا بالذوق اعاذنا الله منه واستانف الاخبار عنه
بقوله يصهر اي يذاب واصله المخالطة الشديدة به من شدة حرارته ما في بطونهم من شحم وغيره والجلود فيكون
اثره في الباطن والظاهر سواء ولهم مقامع جمع مقمعة بكسر ثم فتح وهي عمود حديد يضرب به الراس والوجه ليرد
المضروب عن مراده ردا عنيفا ثم نفى المجاز بقوله من حديد اي يقمعون بها كلما ارادوا ان يخرجوا منها اي من تلك الثياب
من غم عظيم لا يعلم قدره الا الله اعيدوا فيها كانهم يضطربون الى ان يكادوا ان ينفصلوا منها وهم في النار كما
كانوا وذلك اشد في العذاب وذوقوا اي فقيل لهم ارجعوا صاغرين وذوقوا عذاب الحريق اي العذاب البالغ
في الاحراق ولما ذكر ما لاحد الخصمين وهم الكافرون اتبعه ما للاخر وهم المومنون وغير السياق بالتاكيد لمن كانه

سال عنه معطيا الدرجات [illegible] الاسم العلم الجامع ايذانا بالاهتمام فقال ان الله يدخل الذين امنوا عبر في الايمان بالماضي
ترغيبا في المبادرة الى ايقاعه وعملوا الصالحات تصديقا لايمانهم وعبر بالماضي اشارة الى ان من عمل الصالح انكشف
له ما كان محجوبا عنه من [illegible] جنات تجري من تحتها الانهار اي انها اردت من ارضها جري لكل نهر
في مقابلة ما يجري من فوق رووس اهل النار يحلون فيها بمقابلة ما يزال من بواطن الكفرة وظواهرهم من اساور من ذهب
ولولو وقراءة نافع وعاصم [illegible] دليل على عطفه بالجر على اساور ولباسهم فيها حرير في مقابلة ثياب الكفار
كما كان لباس الكفار في الدنيا الحرير دون المومنين دون ذلك وقد ورد في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا
تلبسوا الحرير فانه من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الاخرة قال ابن كثير قال عبد الله بن الزبير ومن لم يلبس الحرير في
الاخرة لم يدخل الجنة قال الله تعالى ولباسهم فيها حرير انتهى وذلك في الصحيحين وغيرهما عن عمر رضي الله عنه ان النبي صلعم
قال انما يلبس من لا خلاق له في الاخرة فيوشك لتشبهه بالكفار في لباسهم ان يلحقه الله بهم فلا يموت مسلما
والله الهادي وهدوا اي من الذين امنوا وما بعدها الى الطيب من القول فلم يزالوا في حال الحسن وهدوا
الى صراط الحميد الذي وفقهم لسلوك ما يحمدون عليه فيحمدون عاقبته فكان فعلهم حسنا كما كان قولهم حسنا
فدخلوا الجنة التي هي اشرف دار عند خير جار وحلوا فيها اشرف الحلي كما تحلوا في الدنيا باشرف الطرائق هذا
بعد ان جازوا اشرف الذكر في الدنيا عكس حال الكفار في افتراق ما ادخلهم [illegible] كلما ارادوا الخروج منه اعيدوا
فيه مع ما نالهم من سوء الذكر باقبالهم كالبهائم على الفاني مع خسته لحضوره واعراضهم عن الباقي مع شرفه لغيابه
ولما بين ما للفريقين وتضمن ما للفريق الثاني بيان اعمالهم الدالة على صدق ايمانهم كرر ذكر الفريق الاول
لبيان ما يدل على استمرار كفرهم ويوكد بيان جزائهم فقال ان الذين كفروا اي اوقعوا هذا الفعل الخبيث ولما كان المضارع
قد لا يلحظ منه زمان معين من حال او استقبال بل يكون المقصود منه الدلالة على مجرد الاستمرار كقولهم فلان يعطي
ويمنع قال عاطفا على الماضي ويصدون اي ويديمون الصد عن سبيل الله باقتسامهم طرق مكة وقول بعضهم
لمن يمر به خرج فينا ساحر واخر يقول شاعر واخر كاهن فلا تسمعوا منه فانه يريد ان يردكم عن دينكم قال بعض
من اسلم لم يزالوا بي حتى جعلت في اذني الكرسف مخافة ان اسمع شيا من كلامه وكانوا يوذون من اسلم الى غير ذلك من
اعمالهم ولعله انما عبر بالمضارع رحمة منه لئلا يكون كالشرط في الكفر فيدل على ان من ترك الصد زال عنه الكفر وان طال ذلك
منه ويصدون عن المسجد الحرام ان تقام شعائر من الطواف فيه بالبيت والصلاة والحج والاعتمار ممن هو اهل ذلك
من اوليائه ثم وصفه بما يبين شدة ظلمهم في الصد عنه فقال الذي جعلناه للناس اي كلهم ثم بين جعله لهم بقوله
سواء العاكف فيه اي المقيم والباد اي الذي يأتيه من البادية قال الرازي في اللوامع سواء رفع بالابتداء والعاكف
خبره وقيل مع تنكيره للابتداء لانه كالجنس في افادة العموم الذي هو اخص العهد ولما ذكر الكفار ودليل كفرهم
بما استعطفهم وزاد في الاستعطاف بحذف الخبر عنهم ودل اخر الاية على انه نذيقهم العذاب الاليم عطف
عليه ما ينفر عن وصفهم فقال ومن يرد فيه اي شيا من افعال الكفار من الصد المذكور وغيره اي يقع منه ارادة
لشي من ذلك بالحاد اي بجور عن الامر المعروف بظلم اي في غير موضعه واما صد الكفار عنه فانه يحق لانهم نجس
لا ينبغي قربانهم المحال المقدسة وكذا صد الحايض والجنب والخاين ودل الخبر عن ارادة شي مما فعله الكفار بقوله نذقه
من عذاب اليم ان الكفار الفاعلين لما رتب هذا الجزاء على ارادته ما قدرته ولما ذكر الفريقين وجزاء كل وختمه بذكر البيت
اتبعه التذكير به وبحجه لما فيه من التذكير بالقيمة الحاملة على التقوى التي هي مقصد السورة بما فيه من الوفادة على الله

مع التجرد من المخيط والخضوع للرب والاجتماع في المشاعر موقفاً في اثر موقف ولما فيه من الحث على التشبه بابيهم
الاعظم ابرهيم عليه السلام فقال مقرعا وموبخا لمن اشرك في بقعة اسست على التوحيد من اول يوم عطفا على قوله
اول السورة اتقوا واذ اي واذكروا اذ بوانا لابرهيم مكان البيت اي جعلناه له مباءة يبوء اليها اي
يرجع ويتقطع اليه بعض ذريته من المباءة بمعنى المنزل وبواه اياه وبواه اي اسكنه قال في ترتيب المحكم وقيل
هيأته ومكنت له فيه ويدل على ان ابرهيم عليه السلام اول بان للبيت ما في صحيح مسلم عن ابي ذر رضي الله عنه قال قلت
يا رسول الله اي مسجد وضع اول قال المسجد الحرام قلت ثم اي قال بيت المقدس قلت كم بينهما قال اربعون سنة ولما
كان ابرهيم عليه السلام نبيا كان من المعلوم ان تبويته له قلنا له ان لا تهلك ههنا وتردد الى هذا المكان للعبادة فلذلك
فسر بقوله ان لا تشرك بي شيئا فابتدا باشرف العبادة وراسها وعطف على النهي قوله وطهر بيتي عن كل ما لا يليق به من
قذر حقيقي ومعنوي من شرك ووثن وطواف عريان به كما كانت العرب تفعل للطايفين به ولما تقدم العكوف فاستغني
عن اعادته قيل والقايمين اي حوله تعظيما له كالفعل حول عرشي او في الصلاة والركع السجود اي المصلين واذن في الناس
اي اعلمهم وناد فيهم بالحج وهو قصد البيت للعبادة المخصوصة بالمشاعر المنصوصة ياتوك اي ياتوا بيتك الذي بنيته لذلك مجيبين
لصوتك باذن الله سامعين طايعين مخبتين خاشعين من اقطار الارض كما يجيبون صوت الداعي من قبلنا اذا دعاهم بعد
الموت بمثل ذلك رجالا اي مشاة وعلى كل ضامر اي هزيل من طول السير من الابل لبعد الشقة وعظيم المشقة ياتين
اي الضوامر من كل فج اي طريق واسع بين جبلين عميق اي بعيد منخفض بالنسبة الى علو جباله قال ابو حيان واصله البعد
شعثا جياعا عراة يتنقلون من شعر الى شعر من مشاعر الحج الى مشعر ومن مشهد الى مشهد مجموعين بالدعوة خاشعين للهيبة
خايفين من السطوة راجين للمغفرة ثم يتفرقون الى مواطنهم ويتوجهون الى مساكنهم كالسايرين الى موقف الحشر
يوم البعث والنشر فيا ايها المصدقون بان خليلنا ابرهيم عليه السلام نادى بالحج فاجابه بقدرتنا كرامة له من اراد الحج
على بعد اقطارهم وتنائي ديارهم ممن كان موجودا في ذلك الزمان ومن كان نسمة في ظهور الاباء الا قريبين او الابعدين
صدقوا ان الداعي من قبلنا بالنفخ في الصور يجيبه كل من كان على ظهرها من حفظنا له جسده او سلطنا عليه الارض
فمزقناه حتى صار ترابا وما بين ذلك لان الكل علينا يسير ولما كان الانسان ميالا الى الفوايد مستشرفا الى جبل الفوايد
على الاتيان بما يرغبه نبهه من فضله ما يتقصده من اسر المعاش فقال ليشهدوا اي يحضروا منافع لهم اي دينية ودنيوية فانه كما
جعل سبحانه تلك المواطن ماحية للذنوب جالية للقلوب جعلها جالبة للفوايد جارية على احسن العوايد سالبة للفقر
جابرة للكسر ولما كانت المنافع لا تطيب وتثمر الا بالتقوى وكان الحامل على التقوى الذكر قال ويذكروا اسم الله
اي بالتكبير وغيره عند الذبح وغيره اعلاما بانه المقصود الذي يتبعه جميع المقاصد لا اسم شيء من الاصنام كما كانت
الجاهلية تفعل في ايام معلومات اي العشر من ذي الحجة الذي يوافق اسمه مسماه لا ما هو به وسماه غيره على ما حكم
به النسي وفي هذا اشارة الى ان المراد به الاكثار اذ مطلق الذكر مندوب اليه في كل وقت ولما كان النحر اجل اسولهم
قال تعالى مرغبا لهم ومرهبا على ما رزقهم ولو شاء لمحقه من بهيمة الانعام من الابل والبقر والغنم بالتكبير عند رؤيتها
عند ذبحه وفيه حث على التقرب بالضحايا والهدايا ولذلك التفت الى الاقبال عليهم فكلوا منها اي ان شيتم اذ اتطعمتم
ولا تمتنعوا كاهل الجاهلية فالاكل من المتطوع به لا يخرجه عن كونه قربانا والاكل من الواجب لا يجوز لمن وجب عليه لانه اذا
اكل منه لم يكن مخرجا لما وجب عليه بكماله واطعموا البايس اي الذي اشتدت حاجته من بيس كسمع ويبين انه من ذلك
لا من بوس ككرم الذي معناه اشتد في الحرب بقوله الفقير والدهر الحث ونفى عنه التوهب بعوده الى الاسلوب الاول

في قوله ثم ليقضوا اي يقطعوا ويتمموا يوم النحر بعد طول الاحرام تفثهم اي شعثهم بالغسل ... من الاظفار والشارب
وحلق العانة ونحو ذلك وليوفوا نذورهم اخذا من الفراغ من الامر وليطوفوا فيكون ذلك ... وقوله بالبيت اي
من وراء لبنتم الحجر ووصفه بقوله العتيق اشارة الى استحقاقه للتعظيم بالقدم والعتق من ... ثم اشار الى
تعظيم الحج وافعاله هذه بقوله ذلك اي الامر الجليل العظيم الكثير المنافع دنيا واخرى ذلك ولما كان التقدير فمن
فعله سعد ومن انتهك شيئا منه شقي عطف عليه قوله ومن يعظم حرمات الله اي من هذا وغيره وهي الامور
التي جعلها له فحث على فعلها او تركها فهو اي التعظيم الحاصل له على امتثال امره فيها على وجهه واجتناب المنهي عنه
كالطواف عريانا والذبح بذكر اسم غير الله خير له عند ربه فان ذكر يدل على تقوى قلبه لان تعظيمها من تعظيم الله
وتعظيمها لجلال الله ولما كان التقدير فقد حرمت عليكم اشياء ان تفعلوها واشياء ان تتركوها عطف عليه قوله واحلت
لكم الانعام وهي الابل والبقر والغنم كلها الا ما يتلى عليكم تحريمه من الميتة والدم وما اهل لغير الله به خلافا للكفار لانه
افتراء على الله بالتعبد بتحريم الوصيلة والبحيرة والسايبة والحامي واحلال الميتة والدم ولما افهم ذلك حل السوايب
وما معها وتحريم المذبوح للانصاب وكان سبب ذلك كله الاوثان سبب عنه قوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان
فانها اذا اجتنب السبب اجتنب المسبب ولما كان ذلك كله من الزور اتبعه النهي عن جميع الزور وزاد في تبشيعه
وتغليظه اذ عدله كما قال النبي صلى الله عليه وسلم بالشرك فقال واجتنبوا قول الزور اي جميعه وهو الانحراف عن الدليل كالشرك
المودي الى لزوم عجز الاله وتحريم ما لم ينزل الله به سلطانا من السايبة وما معها وتحليل الميتة ونحوها مما اقام الدليل
السمعي على تحريمه كما ان الحنف الميل مع الدليل ولذلك اتبعه قوله حنفاء لله وانما كان ذلك مع اجتماعهما في مطلق الميل
لان الزور تدور مادته على القوة والوعورة والحنف كما مضى في البقرة على الرقة والسهولة فكان ذو الزور معرضا
عن الدليل بما فيه من الكثافة والحنيف مقبلا على الدليل بما له من اللطافة ولما افهم ذلك التوحيد اكده بقوله غير
مشركين به اي شيئا من اشراك مخلصين له الدين ودل على عظمة التوحيد وعلوه وفظاعة الشرك وسفوله
بقوله زاجرا عنه ومن يشرك بالله اي شيئا من الاشياء في وقت من الاوقات فكانما خر من السماء لعلو ما كان فيه
من اوج التوحيد وسفول ما انحط اليه من حضيض الاشراك ولما كان الساقط من هذا العلو متقطعا لا محالة
اما بسباع الطير او بالوقوع على جلد عبر عن ذلك بقوله فتخطفه الطير اي وهو نازل في الهوا او تهوي به الريح اي
حيث لم يجد في الهواء ما يهلكه في مكان سحيق اي بعيد في السفول ثم عظم ما تقدم من التوحيد وما هو مسبب
عنه بالاشارة باداة البعد فقال ذلك اي الامر العظيم الكبير ذلك فمن راعاه فاز ومن حاد عنه خاب ثم عطف
عليه قوله ما هو اعم من هذا المقدر فقال ومن يعظم شعاير الله اي معالم دينه التي ندب اليها وامر بالقيام بها
في الحج جمع شعيرة وهي المنسك والعلامة في الحج والشعيرة ايضا البدنة المهداة الى البيت الحرام قال البغوي
واصلها من الاشعار وهو اعلامها ليعرف انها هدي انتهى ولعله ماخوذ من الشعور اذا اخرجت قطع شيء من
شعرها او ازيل عن محل الجرح فيكون من الازالة وتعظيمها استحسانها فتعظيمها خير له لانها على التقوى
قلبه فانها اي تعظيمها من اي ... من تقوى القلوب فتعظيمها متحقق وقد علم مما ذكرته انه حذف من هذه
جملة الخبر ومن قوله ومن يعظم حرمات الله سبب كونه خيرا له وهو التقوى ودل على ارادته هنالك بذكرها هنا
وحذف هنا كون التعظيم خيرا ودل عليه بذكره هناك فقد ذكر في كل جملة ما دل على ما حذف من الاخرى كما تقدم
في قد كان لكم اية في فيتين في ال عمران والتعبير بالاحتباك وتفسيري للشعاير بما ذكرته من الامر العام جايز الارادة

ويكون اعادة الضمير على نوع منه نوعا من الاستخدام فقوله لكم فيها اي البدن او النعم المهداة او مطلقا منافع بالدر
والنسل والظهر والصوف فكلما كانت سمينة حسنة كانت منافعها اكثر دينا ودنيا الى اجل مسمى وهو الموت الذي
قدرناه على كل ... النحر ... كانت مهداة او غير ذلك وهذا تعليل للجملة التي قبله فان المنافع حاملة لذوي البصائر
على التفكر فيها لانه ... والتفكر فيها موصل الى التفكر بمعرفة انها من الله وانه قادر على ما يريد وانه لا شريك
له ولما كانت هذه المنافع دنيوية وكانت منفعة نحرها اذا اهديت دينية اشار الى تعظيم الثاني باداة التراخي
فقال ثم محلها اي حل وقت حلول نحرها بانتهائها الى البيت العتيق اي فنائه وهو الحرم كما قال هديا بالغ
الكعبة ولما كان التقدير جعل لكم بحجه هذه الاشياء مناسك عطف عليه قوله ولكل امة اي من الامم السالفة وغيرها
جعلنا بعظمتنا التي لا يصح ان تخالف منسكا اي عبادة او موضع عبادة او قربانا فانه يكون مصدر نسك كنصر ونسم
نسكا ومنسكا ويكون بمعنى الموضع الذي يتعبد فيه والذي يذبح فيه النسك وهو الهدي وقال ابن كثير ولم يزل
ذبح المناسك واراقة الدماء على اسم الله مشروعا في جميع الملل ثم اتبع هذا الجعل علته بيانا لانه ليس مقصودا في
نفسه فقال ليذكروا اسم الله اي وحده على ذبائحهم وقرابينهم وعاداتهم كلها لانه الرازق لهم وحده ثم علل
الذكر بالنعمة تنبيها على التفكر فيها فقال على ما رزقهم من بهيمة الانعام ولما علم ان الشارع لجميع الشرائع الحقة
واحد وان علة تعبيه لها ذكره وحده تسبب عنه قوله فالهكم اله واحد وان اختلفت فروع شرايعه ونسخ
بعضها بعضا والتفت الى الخطاب لانه اصرح ولما ثبت كونه واحدا وجب اختصاصه بالعبادة فلذا قال
فله اي وحده اسلموا اي انقادوا بجميع ظواهركم وبواطنكم في كل ما امر به او نهى عنه ناسخا كان اولا وان لم تفهموا
معناه كغالب مناسك الحج ولما امر بالاسلام من يحتاج الى ذلك ايجادا او تكميلا او ادامة وكان الاسلام هو
سهولة الانقياد من غير كبر ولا شماخة وكان منشا الطمانينة والتواضع اللذين هما انسب شي لحال الحاج
المتجرد من المخيط المكشوف الراس الطالب لوضع اوزاره وتخفيف آصاره ليستر عوراته اقبل بتهمه على الراس
من المامورين الجايز لما يمكن المخلوقين ان يصلوا اليه من رتب الكمال وخلال الجمال والجلال اشارة الى انه لا
يلحقه احد في ذلك فقال وبشر المخبتين المتواضعين المنكسرين من الخبت للارض المنخفضة الصالحة
للاستطراق وغيره من المنافع ثم بين علاماتهم فقال الذين اذا ذكر الله وجلت اي خافت خوفا مزعجا قلوبهم
ولما كان في ذكر الحج وكان ذلك مظنة لكثرة الخلطة الموجبة لكثرة الانكاد لا سيما وقد كان اكثر المخالطين
مشركين لان السورة مكية قال والصابرين على ما اصابهم ولما كان ذلك شاغلا عن الصلاة قال والمقيمي
الصلاة اي وان حصل لهم من المشاق بافعال الحج وغيره ما عسى ان يحصل ولما كان ما يحصل فيه من زيادة
النفقة ربما كان مقعدا عنه رغب فيه بقوله ومما رزقناهم ينفقون اي بالهدايا التي يغالون في اثمانها وغير
ذلك احسانا الى خلق الله امتثالا لامر كالخبيث الباذل لما يودعه تعالى فيه من الماء والمرعى ولما قدم تعالى
الحث على التقرب بالانعام كلها وكانت الابل اعظمها خلقا واجلها في انفسهم امرا خصها بالذكر في سياق
تكون فيه مذكورة مرتين معبرا بالاسم الدال على عظمها او انه خصها لانه خص العرب دون الامم الماضية
فقال عاطفا على قوله منسكا فكان التقدير والله اعلم فاشركناكم مع الامم الماضية في البقر والغنم والبدن اي الابل
جعلناها لكم من شعائر الله اي اعلام دينه ومناسكه التي شرعها لكم وشرع فيها الاشعار وهو ان تطعن بحديدة في
سنامها تمييزا لما يكون منها هديا عن غيره ولما نبه على ما فيها من النفع الديني نبه على ما هو اعم منه فقال

لكم فيها خير بالتسخير الذي هو من منافع الدنيا والتقريب الذي هو من منافع الاخرة روى الترمذي وحسنه
وابن ماجة عن عايشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما عمل ابن ادم يوم النحر عملا احب الى الله من اهراقة
الدم وانه ليوتى يوم القيمة بقرونها واظلافها واشعارها وان الدم ليقع من الله بمكان قبل ان يقع الى الارض
فطيبوا بها نفسا وللدارقطني في السنن عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انفقت
الورق في شي افضل من نحيرة في يوم عيد ولما ذكر ما فيها سبب عنه الشكر فقال فاذكروا اسم الله عليها اي على
ذبحها بالتكبير حال كونها صواف قياما معقلة معقلة الايدي اليسرى فاذا وجبت جنوبها اي سقطت
سقوطا تردت به بزوال ارواحها فلا حركة لها اصلا قال ابن كثير وقد جاء في حديث مرفوع ولا تعجلوا النفوس ان
تزهق وقد رواه الثوري في جامعه عن ايوب عن يحيى بن ابي كثير عن فرافصة الحنفي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
انه قال ذلك ولما كان ربما ظن انه يحرم الاكل منها للامر بتقربها الى الله قال نافيا لذلك فكلوا منها اذا
كانت تطوعا ان شئتم الاكل فان ذلك لا يخرجها عن كونها قربانا واطعموا القانع اي المتعرض للسوال بخضوع
وانكسار والمعتر اي السايل وقيل بالعكس وهو قول الشافعي رحمه الله في كتاب اختلاف الحديث والقانع
هو السايل والمعتر هو الزاير والمار قال الرازي في اللوامع واصله في اللغة ان القاف والنون والعين تدل
على الاقبال على الشي ثم تختلف معانيه مع اتفاق القياس فالقانع السايل لاقباله على من يساله والقانع
الراضي الذي لا يسال كانه مقبل على الشي الذي هو راض به ولما كان تسخيرها مثل هذا الفعل على هذه الكيفية
مع قوتها وكبرها امرا باهرا للعقل عند التامل نبه عليه بالتحريك للسوال عما هو اعظم منه فقال كذلك
اي مثل ذلك التسخير العظيم المقدار سخرناها لكم وذللناها بلا ونها مع عظمها وقوتها ولو شئنا جعلناها
وحشية لعلكم تشكرون اي لتتاملوا ذلك فتعرفوا انه ما قادها لكم الا الله فتكون حالكم حال من يرجى
شكره فتوقعوا الشكر بان لا تحرموا منها الا ما حرم الله ولا تحلوا الا ما احل وتشهدوا انه ما حث على اهدايه
وتنصروا فيها بحسب ما امركم ولما حث على التقرب بها مذكورا اسمه عليها وكان ذلك من مكارم الاخلاق
وكان اكثرهم يفعل ذلك وكانوا ينضحون البيت ونحوه بدماء قرابينهم ويشرحون اللحم ويضعونه حوله
زاعمين ان ذلك قربة وقد كان بعض ذلك شرعا قديما نبه سبحانه على نسخ ذلك بان نبه على ان المقصود
منه روحه لا صورته فقال لن ينال اي يصيب الله اي رضى لحومها الماكولة ولا دماؤها المهراقة ولكن
يناله التقوى الكاينة منكم الحاملة على التقرب التي لا يكون له روح القبول المحصلة للمامول قال الرازي
في اللوامع وهذا دليل على ان النية الخالصة خير من الاعمال الموظفة انتهى فاذا انا الله سبحانه النية قبل العمل فتلقى اللقمة
قربانا كما يربي احدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل ووقع الدم منه بمكان فالتقى لصورة لا روح لها ولا ثبات
لذات الروح والله الموفق ثم كرر التنبيه على عظيم تسخيرها منبها على ما اوجب عليهم به فقال كذلك سخرها
اي الله الجامع لصفات الكمال لكم بعظمته وغناه عنكم لتكبروا الله وضمن التكبير معنى الشكر فقال على اي شاكرين
لنعم ما هداكم ولما كان التقدير فاشكروا الله على ما انعم عليكم وهداكم او فانذر يا الداعي المسيئين عطف عليه قوله
وبشر المحسنين اي لا فعالهم صورة ومعنى ولما ذكر سبحانه الحج المذكر للهجرة جرين باوطانهم بعد التحاصر التي ازالت
في غزوة بدر وذكر ما يفعل فيه من القربات عظم اشتياق النفوس الى ذلك وتذكرت علو المشركين وظهورهم
ومنعهم لمن اراد هذه الافعال على هذه الاوصاف الخالصة والاحوال الصالحة وفتنتهم له فاجاب سبحانه عن هذا

السوال بقوله ان الله يدفع عن الذين امنوا فكيف بالمحسنين الذين ختمت بهم الاية السالفة اي فيظهرهم علي عدوهم فكانه قال بشرهم بان الله يدفع عنهم ولكنه سبحانه اظهر الاوصاف لبنفهم انما نيط الاحكام وللتعميم عبر بالفعل الماضي ترغيبا اي كل من اوقع هذا الوصف في الخارج ايقاعا ما دفع عنه ثم علل ذلك بقوله ان الله لا يحب كل خوان في امانته مانع لعباده من بيته الذي هو للناس سواء العاكف فيه والبادي كفور لنعمه بالتقرب الي غيره فهو يفعل كل ما لا ترضاه في صورة لبيس فيها معني اصلا لا يجيئهم بذكر الله وحده ولا يجل بالاحسان واتي بالصفتين علي صيغة المبالغة لانه يخون نفسه بالعزم اولا والفعل ثانيا وغيره من الخلق ثالثا وكذا يخون ربه سبحانه وهكذا في الكفر وغيره ولما كان كانه قيل كيف تكون المدافعة ومتي فقيل بعباده المومنين عبر عن ذلك بقوله اذن للذين يقاتلون اي للذين فيهم قوة المدافعة في القتال بعد ان كانوا يمنعون منه بمكة ويؤمرون بالصفح ثم ذكر سبب الاذن فقال بانهم ظلموا بالاخراج من الديار والاذي بغير حق ولما كان النقدير فان الله اراد اظهار دينه بهم عطف عليه وان الله ويجوز عطفه علي بانهم ظلموا او علي قوله ان الله يدفع اي باذنه لهم في القتال وانه علي نصرهم لقدير وان كانوا في الضعف والقلة بحيث يستبعد ذلك عليهم وصفهم بما يبين مظلوميتهم علي وجه تحقيرهم وتوثيقهم بالله فقال الذين اخرجوا من ديارهم اي الشعب والحبشة والمدينة بغير حق اوجب ذلك الا ان يقولوا اي غير قولهم او الا قولهم ربنا الله الموجب لاقرارهم في ديارهم ومدحهم وحبهم واقتفاء اثارهم فهو من باب ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتايب وفي سوق ذلك مساق الاستثنا اشارة الي ان من اخلص لله صوب الناس اليه سهام مكرهم ولم يدعوا من اذاه شيا من جهدهم ولما ذكر مدافعته وذكرانها بالمومنين بين سرها فقال ولولا دفع الله اي في كل شريعة وفي زمن كل نبي ارسله الناس بعضهم ببعض اي بتسليط بعضهم علي بعض لهدمت صوامع وهي معابد صغار مرتفعة للرهبان وبيع للنصاري وصلوات اي كنايس لليهود ومساجد اي للمسلمين يذكر فيها اسم الله كثيرا لان كل فرقة تريد هدم ما للاخري بل ربما اراد بعض اهل ملة اخراب بعض معابد اهل ملته فيدفعه الله بمن يريد من عباده واذا تاملت ذلك وجدت فيه من الاسرار ما يدق عن الافكار فانه تعالي لما اراد باكثر الناس الفساد نصب لهم من الاضداد ما يخفف كثيرا من العناد ولما كان التقدير ولكن لم تهدم المذكورات لان الله دفع بعضهم ببعض وجعل بعضهم لا يجور بعض عطف عليه ولينصرن الله من ينصره كاينا من كان ومن غيرهم بما يهيي له من الاسباب اجراء له علي الامر المعتاد وبغير اسباب خرقا للعادة كما وقع في كثير من الفتوحات كخوض العلا ابن الحضرمي رضي الله عنه الدجلة وزلزلة اسوار حمص بالتكبير وتهدم كثير من بيوتها ونحو ذلك ثم علل نصره وان ضعف المنصور بقوله ان الله لقوي علي ما يريد عزيز لا يقدر احد علي مغالبته ومن كان ناصره فهو المنصور وعدوه المقهور ولقد صدق سبحانه فيما وعد به فاذل بانصار دينه جبابرة اهل الارض وملوكهم ومن اصدق من الله حديثا ولما وصف نفسه سبحانه بما يقتضي امكان منصوره الذي ينصره وصفهم بما يبين انهم لا لهم بعدان وصفهم بانهم اوذوا بالاخراج من الديار الذي يعادل القتل فقال الذين ان مكناهم في الارض باعلايهم علي اضدادهم اقاموا الصلاة التي هي عماد الدين الدالة علي المراقبة والاعراض عن تحصيل الفاني واتوا الزكاة المؤذنة بالزهد في الحاصل منه المؤذن بعلو النفس في الرحيل وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر المعرف بانه لا انس لهم الا به سبحانه ولا خوف لهم الا منه ولا رجاء الا فيه ولما كان هذا ابتدا الامر بالجهاد وكان عقبه ما اذي اعداوه اولياءه فطال اذاهم لهم فكان التقدير كما ارشد اليه العطف علي غير مذكور عطفا علي ولولا دفع الله

بادية الامور عطف عليه قوله ولله عاقبة الامور لكن ذكره للعاقبة وطيه للبادية منبه علي انه تعالي يجعل للشيطان كما هو المشاهد في الاغلب حظا في البادية ليتبين الصادق من الكاذب والمزلزل من الثابت واما العاقبة فهي متمحضة له الي ان يكون اخر ذلك القيمة التي لا يكون لاحد فيها امر حتي انه لا ينطق احد الا باذنه خاصة ولما كان في ترغيب هذه الايات وترهيبها ما يعطف العاقل ويقصف الجاهل طوي حكم العاقل لفهمه مما سبق وهو فان يومنوا فكذا ومن الاختيار ودل عليه بعطف حكم الجاهل علي غير مذكور في سياق يسلي به نبيه صلي الله عليه وسلم ويعزيه ويونسه ويثبته فقال وان يكذبوك اي اخذتهم وان كان ذلك اكثر الناس فقد فعلت من قبلهم ذلك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وكانوا اطول الناس اعمارا واشدهم اقتدارا ولما لم يتعلق في هذا السياق غرض بالمبالغة في ترتيبهم ساقهم علي حسب ترتيبهم في الوجود فقال وعاد اي ذوو الابدان الشداد وثمود اولوا الابنية الطوال في السهول والجبال وقوم ابرهيم الجبارون المتكبرون وقوم لوط الانجاس عالم يسبقهم اليه احد من الناس واصحاب مدين ارباب الاموال المجموعة من خزاين الضلال ولما كان موسي عليه السلام قد اتي من الايات المرئية ثم المسموعة عالم يات به احد ممن تقدمه فكان تكذيبه في غاية من البعد غير سبحانه الاسلوب تنبيها علي ذلك فقال وكذب موسي وفي ذلك ايضا تعظيم للتاسية وتفخيم للتسلية فامليت للكافرين اي فامهلتهم بتاخير عقوبتهم الي الوقت الذي ضربته لهم وعبر عن طول الاملاء باداة التراخي لزيادة التاسية فقال ثم اخذتهم ونبه سبحانه علي انه كان في اخذهم عبر وعجايب واهوال وغرايب بالاستفهام في قوله فكيف كان نكير اي انكاري لافعالهم فليحذر هولا الذين اتيتهم باعظم ما اتي به رسول قومه مثل ذلك ولما كانت هذه الامم اتبعه اكثر اهل الارض بل كانت امة منهم اهل الارض فكيف بمن عداهم ممن كان في ازمانهم وبعدهم واخبر سبحانه ان عادته فيهم الاهلاك تسبب عن ذلك تهويل الاخبار عنهم وتكثيرهم فقال تعالي شارحا للاخذ وكاين اي علي طريق النشر المشوش فكاين من قرية اهلكناها كهولا المذكورين وغيرهم وهي اي والحال انها ظالمة فهي اي فتسبب عن اهلاكها انها خاوية اي ساقطة جدرانها علي عروشها اي سقوفها خالية قد ذهبت ارواحها بذهاب سكانها علي بقاء سقوفها ليست محتاجة الي غير السكان وكم من بير معطلة من اهلها مع بقاء بنايها وفوران مايها وقصر مشيد اي عال متقن لانه لا يشيد اي يجصص الا الذي يقصد فهم فخلت القصور من اربابها واقفرت موحشة من زوارها بعد الازدحام بين رحابها وغادرها دانية ونايبة حاضرة وباديه ولما كان خراب المشيد يومي من اركانه ويخلق من جدرانه لم يحتمل التشديد في وصف القصر كما حسن في وصف البير ولما كان هذا واعظا لمن له استبصار وعاطفا له الي العزيز الغفار تسبب عنه الانكار عليهم في عدم الاعتبار بفقد اسفارهم التي كانوا يمرون فيها هذه القري علي الوجه الذي اخربه سبحانه لما كانت الارض علي غير ذلك الوجه عدما فقال تعالي افلم يسيروا في الارض اي وهم نظار ينظرون باعينهم ما يمرون عليه من الايات المرئية من القري الظالمة المهلكة وغيرها وقرينة الحث علي السير دال علي البصر فتكون اي فيتسبب عن سيرهم ان تكون لهم قلوب واعية يعقلون بها ما ادوه بابصارهم من الايات المرئيات من الدلالة علي وحدانية الله تعالي وقدرته علي الاحيا والاماتة متي اراد او تكون لهم اذان كانوا عميا الابصار كما دل عليه جعل هذا قسيما اذان يسمعون بها الايات المسموعة المترجمة عن تلك القري وغيرها ما سوا سارو او لم يسيروا ولكن كانت بصايرهم غير نافذة في الفهم بمجرد الروية فيتدبروها بقلوبهم فانه لا يضرهم فقد الابصار عند وجود البصاير ولما كان ان الضار للانسان انما هو عمي البصاير فهو من الابصار عند وجود البصاير فقال فانها لا تعمي الابصار اي لعدم الضرر بعماها للمستنير البصيرة

ولكن تعمى القلوب واكد المعنى بقوله التي في الصدور لوجود الضرر بعماها وان كان البصر موجودا ولما قدم تحذير الضال
المضل له خزي في الدنيا وقدم انه يدفع عن الذين امنوا وينصرهم وساق الدليل المشهود به على ذلك لمن كان جائر
الفهم مقيدا بالوهم بالقرى وهي ظالمة التي انجز هلاكها وختم بانكار عماهم عن ظاهر الايات البينات قال
عاطفا على ومن الناس من يجادل تعجبا منهم وموضحا لعماهم ويستعجلونك ويجوز وهو احسن ان تكون الجملة
حالا من فاعل يسيروا فيكونون مما انكر عليهم بالعذاب التي توعدهم به تكذيبا واستهزاء والحال انه لن يخلف الله
وعده لكن الطويل عندهم من الزمن قصير وقد ينجز الوعد وقد يؤخر اي حين لان قضاءه سبق انه لا يكون الا فيه وان يوما
اي واحدا عند ربك اي المحسن اليك بتاخير العذاب عنهم اكراما لك كالف سنة مما تعدون لان ايامكم تناسب شانكم
وهو حليم لا يستطيل الزمان وقادر لا يخاف الفوت ولما دل على نصر اوليائه وقهر اعدائه بشهادة تلك القرى
وختم بالتعجب ممن استعجل لهم مع ما شاهدوا من اهلاك امثالهم واعلمهم ما هو عليه من الاناة واتساع العظمة وكبر
المقدار عطف على فكاين مجذرا من نكاله بعد طويل امهاله قوله وكاين من قرية اي من اهلها امليت لها اي امهلتها كما
امهلتكم وهي ظالمة كظلمكم بالاستعجال وغيره ثم اخذتها اي بالعذاب والي المصير بانقطاع كل حكم دون حكمي
كما كان مني البدء فلم يقدر احد ان يمنع من خلق ما اردت خلقه ولا ان يخلق ما لم ارد خلقه فلا تغتروا بالامهال لاجل زيادة
الايام والليال واحذروا عواقب الوبال وان بلغتم ما اردتم من الامال ولعله انما طوي البدء لانه احتجب فيه بالاسباب
فغلب فيه اسمه الباطن ولذلك ضل في هذه الدار اكثر الخلق ووقفوا مع الاسباب ولما كان الاستعجال بالافعال لا يطلب
من الرسول وكان الاخبار باستهزائهم وشلة عماهم ربما افهم الاذن في الاعراض عنهم اصلا ورأسا قال منجزا
وعاليا منزلا لذلك منبها على ان شانه انما يطلب من المرسل لا من الرسول قل اي لهم ولا يصدنك عن دعائهم ما اخبرناك
به من عماهم يا ايها الناس اي جميعا من قومي وغيرهم انما انا لكم نذير اي ونذير وانما طواه لان المقام للتخويف ويلزم
منه الامر المنتهي فناسب البشارة مبين اي لكل ما ينفعكم لتلزموه ويضركم فتتركوه لا اله اعجل لكم بالعذاب تسبيب
عن كونه مبينا قوله موضحا لان نصف البشارة مراد وان طوي فالذين امنوا اي اقروا بالايمان وعملوا تصديقا لدعواهم
ذلك الصالحات لهم مغفرة لما فرط منهم من التقصير ولما كان هذا اول الاذن في القتال الموجب لمنابذة الكفار والخروج
الاهل والاموال والديار وكان ذلك مع كونه في غاية الشدة موجبا للفقر عادة قال محققا له ومنبها على انه سبب
الرزق ورزق اي في الدنيا بالغنايم وغيرها والاخرة بما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
كريم لا خسة فيه ولا دناة بانقطاع ولا غيره اصلا ما داموا على الاتصاف بذلك هذا افعل بهم بهم عكس
ما وصف به من دعوا الكفار من ان ضره اقرب من نفعه ولما كان في سياق الانذار قال معبرا بالماضي زيادة في
التخويف والذين سعوا اي اوقعوا السعي ولو مرة واحدة بشبهة من الشبه ونحوها في اياتنا التي نصبناها
للدلالة علينا مرئية او مسموعة معاجزين اي مبالغين في فعل ما يلزم في زعمهم منه عجزنا ومعجزين اي مقدرين
انهم يعجزوننا باخفائهم اياتنا واضلال الناس وصدهم عنها بالقاء الشبهة والجدال اتباعا للشيطان المريد
من غير علم ولا هدى ولا كتاب منير اولئك اصحاب الجحيم اي استحقاقا فاما سعوا فان شاء تاب عليهم وان شا كبهم فيها ليعلموا
انهم هم العاجزون هذا في الاخرة وسيظهر سبحانه في الدنيا ايضا عجزهم بكشف شبههم وفتح القلوب النيرة لهاموذلهم
وانكسارهم وهوانهم وصغارهم حتى لا يقدروا ان ينطقوا من ذلك ببنت شفة على منهاج شبهة لا يقوله عاقل ولما كان من
ذلك ان الشيطان القى للكفار شبها يعاجزون بها جدالهم في دين الله الذي امر رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم باظهاره

وقوله

وتقريره واشهاره عطف عليه تسلية له صلى الله عليه وسلم قوله وما ارسلنا اي بعظمتنا من قبلك ثم اكد الاستغراق
بقوله من رسول اي من ملك او بشر بشريعة جديدة يدعوا اليها ولا نبي مقرر بالحفظ لشريعة سابقة الا اذا
تمنى اي تلا على الناس ما امر الله به او حدثهم به واشتهى في نفسه ان يعتقدوه حرصا منه على ايمانهم سفقة عليهم
القى الشيطان في امنيته اي ما تلاه وحدث به واشتهى ان يقبل من الشبه والتخييلات ما يتلقفه منه اولياؤه
فيجادلون به اهل الطاعة ليضلوهم وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا
شياطين الجن والانس يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا كما يفعلون الا فيما يخبرون به في وجه الشريعة
اصولا وفروعا من قولهم ان القران شعر وسحر وكهانة وقولهم لو شاء الله ما اشركنا وقولهم هؤلاء شفعاؤنا
وقولهم ما قتله الله بالموت حتف انفه اولى بالاكل مما ذبح وقولهم نحن اهل الله وسكان حرمه لا نخرج من الحرم فنقف
في الحج بالمشعر الحرام ويقف الناس بعرفة ونحن نطوف في ثيابنا وكذا من ولدناه واما غيرنا فلا يطوف الا عريانا اذ كرا
كان او انثى الا ان يعطيه احد منا ما يلبسه ونحو ذلك مما يريدون ان يطفئوا به نور الله فينسخ اي فيتسبب عن القائه
انه ينسخ الله ما يلقي الشيطان فيبطله بايضاح امره وفتح القلوب له ثم يحكم الله اياته اي يجعلها جلية فيما اريد
منها واد ل دليل على ان هذا هو المراد مع الافتتاح بالمعاجزة في الختام بقوله والله عليم اي بنفي الشبه حكيم بايراد
الكلام على وجه لا تؤثر فيه عند من له ادنى بصيرة وكذا ما مضى في السورة وياتي من ذكر الجدال ولما ذكر نتيجة ما حكم به
من تمكين الشيطان من هذا الالقا ذكر العلة في ذلك فقال ليجعل ما يلقي الشيطان اي في المتلو والمحدث به من
تلك الشبه في قلوب اوليائه فتنة للذين في قلوبهم مرض لسفولها عن حد الاعتدال من اللين حتى صارت مائية
تقبل كل صورة ولا تثبت فيها صورة وهم اهل النفاق المتلقفون للشبه الملقون لها والقاسية قلوبهم عن فهم
الايات وهم من غلبت قلوبهم عن ذلك للجفا الى ان صارت حجرية وهم المصارحون بالعداوة فهم في ريب من امرهم
وجدال للمؤمنين والجم ولكنه اظهر تنبيها على وصفهم فقال وان الظالمين اي الواضعين لاقوالهم وافعالهم في غير مواضعها
لجعلهم من هو في الظلام لفي شقاق اي بمعاجزتهم في الايات بتلك الشبه التي تلقفوها من الشيطان وجادلوا بها
اولياء الرحمن بعيد عن الصواب ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالاخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون
وليعلم الذين اوتوا العلم باتقان حججه واحكام براهينه وضعف شبه المعاجزين انه اي الشيء الذي تلوته واحدث
به الحق من ربك اي المحسن اليك بتعليمك اياه فان الحق كلما جودل اهله ظهرت حججه واسفرت وجوهه ووضحت
براهينه وغمرت الحجة كما قال تع يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا فيؤمنوا به لما ظهر لهم من صحته بما ظهر من ضعف
تلك الشبه فتخبت اي تطمئن وتخضع له قلوبهم وتسكن به نفوسهم فان الله جعل فيها السكينة فجعلها زجاجية
صلبة صافية رقيقة بين المائية والحجرية نافعة بفهم العلم وحفظه والهداية به لمن يقبل عنهم من الضالين كما ينفع
الخبث بقبول طائفة منه لطائفة من الماء وانبات ما يقدر الله من الكلا وغيره وحفظ طائفة اخرى لطائفة اخرى
منه لشرب الحيوان وان الله بجلاله وعظمته لهادي الذين امنوا في جميع ما يلقيه اولياء الشيطان الى صراط مستقيم
يصلون به اي معرفة او بطلانه فيوصلهم ذلك الى سعادة الدارين ولا يزال الذين كفروا اي وجد منهم الكفر وطبعوا
عليه في مرية اي شك منه اي من اجل القاء الشيطان وما القاه او مبتدئة منه حتى تاتيهم الساعة اي الموت او القيامة
بغتة اي فجاة بموتهم حتف الانف او ياتيهم عذاب يوم عقيم يقتل فيه جميع ابنائه منهم ولا يكون لهم فيه شيء مما يرجونه
من نصر او غيره كما سعوا بجدالهم والقاء الضلالات في اعقام الايات وقد ابانت بحمد الله عن هذه الاية بما قررته الشكوك

وانفضحت بجلات الشبه وانقضت مضلات الفتن من قصة الغرانيق وما شاكلها مما يتعالى عنه ذلك الجناب الرفيع
والمحل العظيم المنيع ولم يصح شي من ذلك كما صرح به ابن كثير وغيره وكيف وقد منع الشيطان من مثاله صلى الله عليه وسلم
فيما المنام كما قال صلى الله عليه وسلم فيما اخرجه الشيخان عن ابي هريرة رضي الله عنه من راني في المنام فقد راني فان الشيطان لا
يتمثل بي وقد تولى الله سبحانه حفظ الذكر الحكيم بحراسة السموات وغيرها انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون الا من ارتضى
من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا ليعلم ان قد ابلغوا رسالات ربهم ولما كان من شان الكثرة والقوة
بمكان كان كانه قيل كيف يفعلون فقال جوابا عن ذلك الملك يومئذ اي يوم اذ يأتيهم ذلك اما في القيمة او في الدنيا
لله اي وحده بتغليب اسمه الظاهر بان يحركهم امره فيه على غير الاسباب التي تعرفونها ولما كان كانه قيل ما معنى
اختصاصه به وكل الايام له قيل يحكم بينهم اي بين المومنين والكافرين بالامر الفيصل لا حكم فيه ظاهرا ولا باطنا
لغيره كما ترونه الان بل يمشي فيه على اتم قوانين العدل فالذين امنوا وعملوا اي وصدقوا دعواهم الايمان بان عملوا
الصالحات وهي ما امرهم الله به ولما كانت اثابته تعالى لاهل طاعته تفضلا منه نبه على ذلك باجراء الخبر
عن الفا السببية بخلاف ما ياتي في حق الكفار فقال في جنات النعيم في الدنيا مجازا لما لهم اليها مع ما يجدونه
من لذة المناجاة واستشعار القرب وفي الاخرة حقيقة بما رحمهم الله به من توفيقهم للاعمال الصالحة
والذين كفروا اي غطوا ما اعطيناهم من المعرفة بالادلة على وحدانيتنا وكذبوا باياتنا ساعين بما اعطيناهم من
الفهم في تعجيزها بالمجادلة بما يوحي اليهم اولياوهم من الشياطين من الشبه فاولئك لهم عذاب مهين بما سعوا في اهانة
اياتنا مريدين اعزاز انفسهم بمغالبتها والتكبر عن اتباعها ولما كان المشركون يخدعون بهذه الشبه وغيرها كثيرا
من الناس عن الايمان وكانوا لا يتمكنون منها الا ممن يخالطهم رغب سبحانه في الهجرة فقال والذين هاجروا اي اوقعوا الهجرة
ديارهم واهليهم في سبيل الله اي طريقه التي شرعها فكانت ظرفا لها اجرتهم فلم يكن لهم بها غرض اخر ولما كان
اكثر ما يخاف من الهجرة القتل لقصد الاعدا لهم بالمصادمة عند تحقق المفارقة قال ثم قتلوا اي بعد الهجرة
والحق به مطلق الموت فضلا منه فقال او ماتوا اي من غير قتل ليرزقنهم الله رزقا حسنا من حين تفارق ارواحهم
اشباحهم لانهم احياء عند ربهم وذلك لانهم ارضوا الله بما انجلوا منه مما الفوه طول اعمارهم والفوا اباءهم من
قبلهم وابوا لهم واهليهم وديارهم ولما كان التقدير فان الله فعال لما يريد من احيايهم ورزقهم وغيره عطف عليه قوله
وان الله اي الجامع لصفات الكمال بعظمته وقدرته على الاحيا كما قدر على الاماتة لهو خير الرازقين برزق الخلق عامة
البر منهم والفاجر فكيف بمن هاجر اليه ويعطي عطاء لا يدخله عد ولا يحويه حد وكما دلت الاية على تسوية من
مات في سبيل الله برباط او غيره في الرزق بالشهيد دلت السنة ايضا من حديث سلمان وغيره ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من مات مرابطا اجري عليه الرزق وامن الفتانين ولما كان الرزق لا يتم الا بحسن الدار وكان ذلك
من افضل الرزق قال دالا على ختام التي قبل ليدخلنهم مدخلا يرضونه لا يبغون به بدلا بما ارضوه به مما خرجوا منه
ولما كان التقدير فان الله لشكور حميد وكان من المعلوم قطعا انه لا يقدر احد ان يقدر الله حق قدره وان اجتهد
لان الانسان محل الخطا والنسيان فلو اوخذ بذلك هلك وكان ربما ظن ظان انه لو علم ما قصروا فيه لغضب عليهم عطف
على ما قدرته قوله وان الله لعليم اي بمقاصدهم وما عملوا مما يرضيه وغيره حليم عما قصروا فيه من طاعته وما فرطوا
في جنبه سبحانه ولما ختم هذه الايات التي فيها الاذن للمظلومين في القتال للظالمين بصفة الحلم فكان ذلك مخيلة
لوجوب العفو عن حقوق العباد كما في شريعة عيسى عليه السلام نفى ذلك بقوله ذلك اي الامر المقرر من صفة الله

تعالى ومن عاقب من العباد بمثل ما عوقب به فلم يتجاوز الى ظلم ثم بغي عليه بالعود الى خصومته لاجله حقه
لينصرنه الله ولما افاد ذلك بالمثلية وكان ذلك امرا خفيا لا يكاد يوقف عليه فكان ربما وقع التجاوز خطا
فظن عدم النصرة لذلك افهم تعالى ان المواخذة انما هي بالعمد بقوله ان الله لعفو اي لمن اقتص ممن ظلمه اول مرة
غفور لمن اقتص ممن بغى عليه ولما ختم بهذين الوصفين ذكر من الدليل عليهما امرا جامعا للمصالح عاما للخلائق
يكون فيه وبه الاحسان بالخلق والرزق فقال ذلك اي معرفة اتصافه سبحانه بهذين الوصفين بان الله المتصف بجميع
صفات الكمال يولج الليل في النهار فيمحوا ظلامه بضيائه ولو شاء مواخذة الناس لجعله سرمدا فتعطلت
مصالح النهار ويولج النهار في الليل فيفسخ ضياءه بظلامه ولولا ذلك لتعطلت مصالح الليل وتطول احدهما
حيث يراد استيلاء ما طبع عليه على ضد ما طبع عليه الاخر لما يراد من المصالح التي جعل ذلك لاجلها وان الله
بجلاله وعظمته سميع لما يمكن ان يسمع بصير اي مبصر عالم لما يمكن ان يبصر دايم الاتصاف بذلك فهو لتمام قدرته
وعلمه لا يخاف في عفوه غايلة ولا يمكن ان يفوته امر ويكون التقدير ذلك النصر والعفو بانه قادر وبانه عالم
ولما وصف سبحانه بما ليس لغيره علله بقوله ذلك اي الاتصاف بتمام القدرة وشمول العلم بان الله الحاوي لصفات
الكمال القادر على اخراج المعدوم وتجديد ما فات من نشر الاموات وغيره هو وحده الحق اي الواجب الوجود
وان ما تدعون من دونه من هذه الاوثان وغيرها هو الباطل لانه ممكن وجوده وعدمه فليس له من ذاته الا العدم
كغيره من الممكنات وان الله لكونه هو الحق هو وحده العلي الكبير وكل ما سواه سافل حقير تحت قهره وامره فهو
يحيي الموتى كما تقدم اول السورة ولما دل ما تضمنه رزقه سبحانه للميت في سبيله بقتل او غيره على احيايه له دل
سبحانه على ذلك وعلى انه خير الرازقين بما له من العظمة وختم بهذين الوصفين تبعه دليلا اخر على ذلك كله باية
مشاهدة جامعة بين العالم العلوي والسفلي قاضية بعلوه وكبره فقال الم تر اي يا من لا يطلب ان الله انزل من
السماء بان يرسل رياحا فتثير سحابا فيمطر على الارض الملسا ولما كان هذا الاستفهام المتلو بالنفي في معنى
الاثبات لرويته الانزال لكونه فيه معنى الانكار عطف عليه مسببا عنه قوله فتصبح الارض اي بعد ان كانت يابسة
ميتة هامدة مخضرة حية بانبات نباتات مهتزة نامية بما فيه رزق العباد وعمارة البلاد ولم ينصب على انه جوابه
لئلا يفيد نفي الاخضرار وذلك لان الاستفهام من حيث فيه معنى الانكار نفي لنفي رويته الانزال الذي هو اثبات
الروية فيكون ما جعل جوابا له منفيا لان الجواب متوقف على ما هو جوابه فاذا انتفى ما عليه التوقف انتفى المتوقف
عليه اي اذا انتفى الملزوم انتفى اللازم واذا نفي التسبب انتفى المسبب فلو نصب لصح على انه جواب الاستفهام لكان
المعنى ان عدم الاخضرار متوقف على نفي النفي للانزال الذي هو اثبات الانزال وهو واضح الفساد افاده شيخنا ابو الفضل
رحمه الله ولما كان هذا انتاجا للاشياء من اضدادها لان كلا من الماء في رقته وميوعته والتراب في كثافته وجموده
في غاية البعد عن النبات في تنوعه وخضرته ونموه وبهجته قال سبحانه منبها على ذلك ان الله لطيف اي بسبب
الاشياء عن اضدادها خبير اي مطلع على السراير وان دقت فلا يستبعد عليه احياء من اراد بعد موته ولا احسانه
في رزقه ولما اقتضى ذلك اتم التصرف لانه لا بد بعد اختلاط الماء بالتراب من امور يتفشا عنها النبات
على تلك الهيئات الغريبة المختلفة فاوجب ذلك ان يكون هو المالك المطلق قال له ما في السموات اي التي انزل
منها الماء وما في الارض التي استقر فيها وذلك يقتضي ملكه السموات والارضين لان كل واحدة منها في التي فوقها
حتى ينتهي الامر الى عرشه سبحانه الذي لا يجوز اصلا ان يكون لغيره ولما كان من المالوف عندنا ان المالك فقير الى ما

فريلة مذموم على امساكه بالتقتير وعلى بذله بالتبذير بين انه بخلاف ذلك فقال وان الله لهو الغني اي عنها وعن فيها
ما خلق شيا منها وفيها لحاجة له اليه بل لحاجتكم انتم اليه الحميد في كل ما يعطيه او يمنعه لما في ذلك من الحكم
الخفية والجلية ثم استدل على ذلك بقوله تعالى الم تر اي ايها المخاطب ان الله اي الجامع لصفات الكمال من الجلال
والجمال سخر لكم فضلا منه ما في الارض كله من حيوان وجماد وزروع وثمار فعلم انه غير محتاج الي شي منه ولما كان
تسخير السلوك في البحر من اعجب العجب قال والفلك اي وسخر لكم الفلك موسقة بما تريدون من البضايع ثم بين تسخيرها
بقوله تجري في البحر اي العجاج المتلاطم بالامواج بريح طيبة على لطف وتؤدة ولما كان الراكب فيها مع خفيف
وسرعة المرتستقر اكانه على الارض عظيم الشان في سيرها بقوله بامره ولما كان امساكها على وجه الماء
مع لطافتها عن الغرق امرا غريبا كامساك السماء على متن الهوا عن الوقوع اتبعه قوله ويمسك السماء فسر ذلك
بقوله ان تقع اي مع علوها وعظمها وكونها بغير عماد على الارض التي هي تحتها ولما اقتضى السياق انه لابد ان تقع
لا تخلاله الي تمسك وقوعها لانها جسم كثيف عظيم ليس له من طبعه الا السفول اشار الي ذلك بقوله الا باذنه
اي فتقع اذا اذن في وقوعها حين يريد طي هذا العالم وايجاد عالم البقا ولما كان هذا الجود العظيم والتدبير
المحكم محض كرم من غير حاجة اصلا اشار اليه بقوله ان الله بالناس اي على ظلمهم لروف اي بما يحفظ من سرايرهم
عن الزيغ بارسال الرسل وانزال الكتب ونصب المناسك التي تجمع معظمها البيت الذي بواه لابرهيم وهو التوحيد
والصلاة والحج الحامل على التقوى التي بنيت عليها السورة فان الرافة كما قال الحرالي الطف الرحمة وابلغها فالمروف
به تقيه عناية الرافة حتى تحفظ ظاهره عما في شرح ظهور ما يستدعي العفو وتارة يكون هذا الحفظ بالقوة
بنصب الادلة وتارة يضم الي ذلك الفعل بخلق الهداية في القلب رحيم بما يثبت لهم من الدرجات على ما منحهم من ثمرات
ذلك الحفظ من الاعمال المرضية لما تقدم في الفاتحة من ان الرحيم خاص الرحمة بما ترضاه الالهية ولما بين سبحانه جملا
من امهات الدين واتبعها الاعانة لاهله على المعتدين وختم بما بعد الموت لهم اجرين ترغيبا في منابذة الكافرين
وعرف بما له من تمام العلم وشمول القدرة وشكر ذلك بانواع من التصرف في خلق السموات والارضين وما بينهما
بالدلالة على انه كله لنفع الادميين نعمة منه تلا ذلك بما هو اكبر منه نعمة عليهم فقال وهو اي وحده الذي احياكم
اي من العدم بعد ان لم تكونوا شيا نعمة منه عليكم مستقلة لغيرها من الامتنة بما تقدم ذكره من المنافع الدنيوية
لتتمتعوا في حياتكم اولا والدنيا لتنتفعوا بالبقاء فكلكم يميتكم ليكون الموت واعظا لاولي البصاير منكم وزاجرا لهم
عما طبعوا عليه من الاخلاق المذمومة ثم يحييكم للتجلي لفصل القضا واظهار العدل في الجزا ولما علم ان كل ما
في الوجود من جوهر وعرض نعمة على الانسان حتى الحياة والموت وكان من اجل الاشياء وكانت افعاله معرضة
عن رب هذه النعم بالعبادة لغيره او التقصير في حقه على عموم فضله وخيره ختم الاية سبحنه بقوله ان الانسان لكفور
ولما تقدم ذكر المناسك وكان لكثرة الكفار قد يقع في النفس ان اقامتها معجوز عنها وكشف سبحنه عنه هذا السوال
باية ان الله يدفع عن الذين امنوا وما بعدها فانتج ذلك علما بتصرفه التام بقدرته الباهرة وعلمه الشامل المقتضي
لاقبال العباد اليه واجتماعهم كلهم عليه فمن شك في قدرته على اظهار دينه بعد اخفته عن اهله او نازع فيه فهو
كفور فكذلك اول هذا الخطاب باخر الخطاب الخطاب مؤكدا لما اجاب به عن ذلك السوال من تمام
القدرة وشمول العلم أنه هو الذي مكن لكل قوم ماهم فيه من المناسك التي بها انتظام الحياة فان وافقت
الاسرار الالهي كانت سبب الحياة الابدية والا كانت سبب الهلاك الدايم وهو سبحنه الذي نصب من الشرايع لكل قوم

٧

ما يلايمهم لانه تغيير الزمان بايلاج الليل في النهار على مر الايام وتوالي الشهور والاعوام بتسببه من الاسباب
ما يصير الفعل مصلحة بما يقتضيه من الاسباب بعد ان كان مفسدة وبالعكس لاقتداره على كل شي واظهارا لاقتداره
كما قال تعالى عند اول ذكره للنسخ الم تعلم ان الله على كل شي قدير الايات فعلم ان منازعتهم فيه كفر فلذلك اتبع هذا قوله
من غير عاطف لما بينهما من تمام الاتصال الكلامية اي في كل زمان جعلنا منسكا اي شرعا لاجتماعهم على خالقهم
حيث وافق امره ولا اجتماعهم على اهوائهم اذا لم يوافقه وعن ابن جرير ان اصل المنسك في كلام العرب هو الموضع
الذي يعتاده الانسان ويتردد اليه اما لخير او لشر ولما كان بحيث ان ما اراده سبحنه كان لا محالة قال هم ناسكوه
اي متعبدون به لا تاندا فع منهم من يعاديهم فيه حتى يستقيم لهم امره لاسعادهم به او اشقائهم فمن شك في
قدرتنا على تمكينهم منه فهو كفور فان وافق الامر كان رعاوا بيانا وان خالفه كان فاجرا كفرا وخسرانا ولما
كان قد حكم باظهار دينه على الدين كله وبان الكفار على كثرتهم يغلبون بعد ما هم فيه من البطر اعلم بذلك بالتعبير
بصيغة الزجر لهم بقوله فلا ينازعنك في الامر اي بما يلقيه الشيطان اليهم من الشبه ليجادلوا به من طعنهم في
دينك بالنسخ بقولهم لو كان من عند الله لما امر اليوم بشي ونهي عنه غدا لانه يلزم منه البدا فليس الامر كما زعموا
بل هو دال على العلم بالعواقب والاقتدار التام على شرع المذاهب وغير ذلك من الشبه كما مضت الاشارة اليه
فلم يلتفت اليهم في شي نازعوا فيه كما بينا ما كان ورد انها نزلت بسبب جدال الكفار بديل بن ورقا وبشر بن
سفين الخزاعيين وغيرهما في الذبايح وقولهم للمومنين تاكلون ما ذبحتم وهو من قتلكم ولا تاكلون ما قتل الله
يعنون الميتة ولما كان النهي عن المنازعة في الحقيقة له صلى الله عليه وسلم وكان التعبير بما تقدم من تحويله اليهم للتاكيد
الامر مع دلالته على اجلاله صلى الله عليه وسلم عن المواجهة عطف عليه قوله وادع الي ربك المحسن اليك بارسالك
بالجد على كل ما تدرك به من ما امرك ولا تهتم لنك قولهم فانهم مغلوبون لا محالة ولا تنا سل عما فيه من العواقب بل
اقدم على الامر وان ظن انه فيه الهلاك فانه ليس عليك الا ذلك وانا نظم الامور على نهج السداد في اظهار الدين وقهر
المعاندين قال الذي امرك بتلك الاوامر واحكم الشان في جمع الزواجر ثم علل ذلك بقوله انك لعلى هدى مستقيم
فانه تاسيس العليم القدير وان طريقه التغيير ولما امر بالاقبال على ما يهمه والاعراض عن منازعتهم في صيغة
نهيهم عن منازعته علمه الجواب ان تكلموا استهتيه فقال وان جادلوك اي في شي من دينك بشي مما تقدم من اقوالهم
التصحيفه او بغيره فقل معرضا عن عيبة دينهم الذي لا ابين فسادا منه الله اعلم بما تعملون فاطعه داركنا انما زعم من
حيث رقيت متوكلا على الذي امرك بذلك في حسن تدبيرك والمدافعة عنك ومجازاتهم بما سبق علمه به مما يستحقونه
قال الرازي في اللوامع وهذا تاديب بهذا كل احد فان اهل الجدل قوم جاوزوا حد العوام بتحذلقهم ولم يبلغوا
درجة الخواص الذين عرفوا الاشياء على ما هي عليه فالعوام مستعدون للشريعة والخواص يعرفون اسرارها وحقايقها واهل
الجدل قوم في قلوبهم اضطراب وانزعاج ولما امره بالاعراض عنهم وكان ذلك شديدا على النفس لتشوقها الي
النصرة رجاه في ذلك بقوله مبدلا من معمول الخبر تحذيرا لهم الله يحكم بينكم اي بينك مع اتباعك وبينهم يوم القيمة
الذي هو يوم التغابن فيما كنتم فيه تختلفون في امر الدين ومن يحضر ذلك اليوم لم يبال بما جرى قبله وسيعلم الذين
ظلموا اي منقلب ينقلبون قال البغوي والاختلاف ذهاب كل واحد من الخصمين الي خلاف ما ذهب اليه الاخر
ولما كان حفظ ما يقع بينهم على كثرتهم في طول الازمان امرا هايلا اتبعه قوله الم تعلم ان الله جل عز وعظم
سلطانه يعلم ما في السماء والارض مما يتفق منهم ومن غيرهم من جميع الخلايق الحيوانات وغيرها ولما كان الانسان

بمحل النسيان لا يحفظ الامور الا بالكتاب خاطبه بما يعرف مع ما فيه من عجيب القدرة فقال ان ذلك في كتاب
كتب فيه كل شي حكم بوقوعه قبل وقوعه كتب جزاه ولما كان جمع ذلك في كتاب امرا بالنسبة الى الانسان
مستعذرا اتبعه التعريف بسهولته عنده فقال ان ذلك اي علمه بلا كتاب وجمعه في كتاب قبل كونه وجعله على
الله يسير ولما اخبر سبحانه انه لا الشك لاين الظرف لهم لما يلقي الشيطان من شبهه في قلوبهم القابلة لذلك
بما لها من المرض وما فيها من الفساد الى اتيان الساعة وعقب ذلك بما ذكر من الحكم المفصلة والاحكام المحرفة
المفصلة الى ان ختم باية وخلق الحكم في الساعة مرهبا من تمام علمه وشمول قدرته تعالى عجبا ممن لا تنفعه الموعظة
ولا يجوز الواجب وهو يوجب المحال عاطفا على ولا يزال ويعبدون من دون الله الذي قامت جميع الدلايل على احتوايه
على جميع صفات الكمال وتنزهه عن شوايب النقص ما لم ينزل به سلطانا اي حجة واحدة من الحجج ولما كان قد
يتوهم ان علم انزال السلطان لا ينفيه قال مزيلا لهذا الوهم وما ليس لهم به علم اي اصلا والحال انهم ظالمهم ولكنه
اظهر اشارة الى الوصف الذي استحقوا به الهلاك فقال وما للظالمين اي الذين وضعوا التعبد في غير موضعه بارتكابهم
لهذا الامر العظيم الخطر من نصير ينصرهم من الله لا مما اشركوه به ولا من غيره لا في مدافعة عنهم ولا في اثبات حجة
لمذاهبهم ولما ذكر اعتراضهم عما لا يعرف ذكر انكارهم لما لا يصح ان ينكر فقال واذا تتلى عليهم اياتنا اي التي عظمها حال كونها
بينات لا خفاء بها عند من له بصيرة في شي مما دعت اليه من الاصول والفروع تعرف بالبناء في وجوههم هكذا كان
الاصل ولكنه ابدل الضمير بظاهر يدل على عنادهم فقال في وجوه الذين كفروا اي تلبسوا بالكفر المنكر اي الانكار لما حصل
لهم من الغيظ ثم بين ما لاح في وجوههم فقال يكادون يسطون اي يوقعون السطوة بالبطش بالذين يتلون عليهم اياتنا
الدالة على اسمائنا الحسنى وصفاتنا العلى القاضية بوحدانيتنا مع كونها بينات في غاية الوضوح في انها كلامنا لما فيها
من الحكم والبلاغة التي عجزوا عنها ولما استحقوا بانكارهم وما ارادوه من الاذى لاوليا الله النكال تسبب عنه اعلامهم
بما استحقوه فقال مؤذنا بالغضب بالاعراض عنهم امرا لرسول الله عليه السلم بتهديدهم قل افانبئكم اي انبئكم فاخبركم خبرا
عظيما بشر من ذلكم الامر الكبير من الشر الذي اردتم بعباد الله التالين عليكم الايات وما حصل لكم من الضجر من ذلك
فكانه قيل ما هو فقيل النار وعدها الله العظيم الجليل الذين كفروا جزا لهم على همهم هذا فبيس الموعد هي وبيس المصير ولما
اخبر تعالى عن انه لا حجة لعابد غيره وهدد من عاند اتبعه بان الحجة قايمة على ان ذلك الغير في غاية الحقارة ولا قدرة
له على دفع ما هدد به عابده ولا على غيره فكيف بالصلاحية لتلك الرتبة الشريفة والخطة العالية المنيفة فقال
مناديا اهل العقل منبها تنبيها عاما يا ايها الناس ضرب مثل حاصله ان من عبدتموهم امثالكم بل هم احقر منكم فاستمعوا
اي انصتوا استماع متدبر له ثم فسره بقوله ان الذين تدعون اي في حوائجكم وتجعلونهم الهة من دون الله اي من هذه الاصنام
التي انتم لها معظمون ولها تدعون فيها معترفون لن يخلقوا ذبابا اي لا قدرة لهم على ذلك الان ولا يتجدد لهم هذا
الوصف اصلا في شي من الازمان على حال من الاحوال مع صغره فكيف بما هو اكبر منه ولو اجتمعوا له اي الخلق لهم
من هذا امثالكم و ان اي وابلغ من هذا انهم عاجزون عن مقاومة الذباب فانه ان يسلبهم الذباب اي الذي تقدم انه لا
قدرة لهم على خلقه وهو في غاية الحقارة شيا من الاشيا جل او قل مما تطلونهم به من الطيب او تضعونه بين
ايديهم من الاكل وغيره لا يستنقذوه اي يستخلصونه منه فهم في هذا احقر منكم ولما كان هذا نهاية في قوة الذباب
عرف ان المقصود غير ذلك بقوله ضعف الطالب اي للاستنقاذ من الذباب وهو الاصنام والمطلوب اجمعوا في
الضعف وان كان الاصنام اضعف ولما انتج هذا جهلهم بالله عبر عنه بقوله ما قدروا الله حق قدره في وصفهم بصفته

غير كاين من كان فكيف وهو احقر الاشيا ولما كان كانه قيل ما قدره قال ان الله اي الجامع لصفات الكمال لقوي
على كل ممكن عزيز لا يغلبه شي وهو يغلب كل شي بخلاف اصنامهم وغيرها ولما نصب الدليل على ان ما دعوه لا يصلح ان
يكون شي منه الها بعد ان اخبر انه لم ينزل اليهم حجة بعبادتهم لهم وختم بما له سبحانه من وصفي القوة والعزة تلا ذلك
بدليله من انزال الحجج على السنة الرسل لا امره ونواهيه الموجبة لاخلاص العبادة المقتضي لتعذيب تاركها فقال
الله يصطفي اي يختار من الملايكة رسلا الى ما ينبغي الارسال فيه من العذاب والرحمة فلا يقدر احد على صدهم عما ارسلوا
له ولا شك ان نوع الرسول من نوع المرسل ومن الناس ايضا رسلا ياتون عن الله بما يشرعونه لعباده ليقوم عليهم بذلك
حجة النقل مضمومة الى سلطان العقل فمن عاداهم خسر وان طال استدراجه ولما كان ذلك لا يكون الا بعلم قال
ان الله سميع اي لما يمكن ان يسمع من الرسول وغيره بصير اي مبصر عالم بكل ما يمكن عقلا ان يبصر ويعلم بخلاف اصنامهم
ولما كان المتصف بذلك قد يكون وصفه مقصورا على بعض الاشيا اخبر ان صفاته محيطة فقال يعلم ما بين ايديهم
اي الرسل وما خلفهم اي علمه محيط بهم فلا يفعلون شيا الا باذنه فانه يسلك من بين ايديهم ومن خلفهم رصدا
ليعلم ان قد ابلغوا رسالات ربهم وان ظن الجاهلون غير ذلك لاحتجابه سبحانه وتعالى في الاسباب فلا يتعوق بكل امل ان
المحيط علما بكل شي الشامل القدرة لكل شي يمكن رسولا من رسله الى نفسه فيتكلم بشي لم يرسله به ولا انه يمكن
شيطانا او غيره ان يتكلم على لسانه بشي بل كل منهم محفوظ وبعثه لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى محفوظ
عن تلبيس غيره انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون والى الله وحده ترجع الامور يوم يتجلى لفصل القضا فيكون امره
ظاهر الاخفا فيه ولا يصدر شي من الاشيا الا على وجه العدل الظاهر لكل احد انه منه ولا يكون لاحد التفات
الى غيره ولما اثبت سبحانه الملك والامر له وحده وانه قد احكم شرعه وحفظ رسله وانه يتكفل لمن يشا ان يجري بين
شا وختم ذلك بما يصلح للترغيب والترهيب خاطب المقبلين الى دينه وهم الخلص من الناس فقال يا ايها الذين امنوا
اي قالوا امنا اركعوا تصديقا لقولكم واسجدوا اي صلوا الصلاة التي شرعتها لكم الاهمتين فانها راس العبادة
لتكون دليلا على صدقكم في الاقرار بالايمان ولما خص اشرف العبادة عم بقوله واعبدوا اي بانواع العبادة
ربكم المحسن اليكم بكل نعمة دنيوية ودينية ولما ذكر عموم العبادة اتبعها ما قد يكون اعم منها مما صورته
صورتها وقد يكون بلا نية فقال وافعلوا الخير اي كله من القرب كصلة الارحام وعيادة المرضى ونحو ذلك
من معالي الاخلاق بنية وبغير نية حتى يكون لكم عادة فيخف عليكم عمله لله وهو قريبة ممن ابلكوا فان لم تبلكوا
فتباكوا قال ابو حيان بدا بخاص ثم بعام ثم باعم لعلكم تفلحون اي ليكون حالكم حال من يرجو الفلاح وهو الفوز
بالمطلوب قال ابن القطاع افلح الرجل فاز بنعيم الاخرة وفيه ايضا لغة فيه وفي الجمع بين العباب والمحكم الفلح
والفلاح الفوز والبقا وفي التنزيل قد افلح المومنون اي نالوا البقا الدايم في الخير وافلح الرجل ظفر وبقا الكل
من اصاب خيرا مفلح ولما كان الجهاد اساس العبادة وهو مع كونه حقيقة في قتال الكفار صالحا لان يعم كل امر
بمعروف ونهي عن منكر بالمال والنفس بالقول والفعل بالسيف وغيره كل اجتهاد في تهذيب النفس واخلاص
العمل ختم به فقال وجاهدوا في الله اي في ذاته وكل ما ينسب اليه سبحانه لا يخرج منهم شي عنه كما لا يخرج شي من المظروف
عن الظرف حق جهاده اي باتباع كل ما امر به على الوجه الذي امر به من الحج والغزو وغيرهما فانه لا يهلك جميع
من يصدكم عن شي منه ولما امر سبحانه بهذه الاوامر اتبعها بعض ما يجب به شكره وهو كالتعليل لما قبله فقال
هو اجتباكم اي اختاركم لحمل الرسالة فيكم والرسول منكم وجعلكم اشرف الرسل ودينه اكرم الاديان

وكتابه اعظم الكتب وجعلكم لكونكم اتباعه خير الامم وما جعل عليكم في الدين هو الذي اختاره لكم من حرج
اي ضيق كما جعل علي من كان قبلكم كما تقدم ذكر بعضه في البقرة وغيرها اعني ملة ومكان اول المخاطب بهذا قريشا
ثم مضر وكانوا كلهم اولاد ابرهيم عليه السلام قال ابيكم ابرهيم اي الذي ترك عبادة الاصنام ونهى عنها ووحد الله
وامر بتوحيده بامر تعبدوا بتقليد الاباء فالزموا دينه لكونه اباكم ولكونه امر به ثم حثهم على ملته بالتعليل
بقوله هو سماكم المسلمين في الكتب المتقدمة من قبل اي قبل انزال هذا القرآن فنوه بذكركم والثنا عليكم في
سالف الدهر وقديم الزمان في كتب الانبياء يتلى على الرهبان والاحبار وسماكم ايضا مسلمين في هذا الكتاب
الذي انزل عليكم من بعد انزال تلك الكتب كما اخبركم عن دعوته في قوله ومن ذريتنا امة مسلمة لك ويجوز
ولعله احسن ان يكون هو سماكم تعليلا للامر بحق الجهاد بعد تعليله بقوله هو اجتباكم فيكون الضمير لله تعالى
خصكم باسم الاسلام مشتقا من اسمه السلام مع ما خصكم به من اسم الايمان اشتقاقا من اسمه المؤمن فاثبت
لكم هذا الاسم في كتبه واجتباكم لاتباع رسوله ليكون الرسول يوم القيمة شهيدا عليكم لانه خيركم والشهيد يكون
خيرا وتكونوا شهداء على الناس بان رسلهم بلغتهم رسالات ربهم لانكم قدرتم الرسل حق قدرهم ولم تفرقوا بين احد
منهم وعلمتم اخبارهم من كتابكم على لسان رسولكم فبذلك كله صرتم خيرهم فاهلتم للشهادة وصحت شهادتكم وقبلكم
الحكم العدل فاقيموا اي فتسبب عن انعامي عليكم بهذه النعم واقامتي لكم في هذا المقام الشريف اني اقول لكم اقيموا الصلاة
التي هي زكاة قلوبكم وصلة ما بينكم وبين ربكم واتوا الزكاة التي هي طهرة ابدانكم وصلة ما بينكم وبين اخوانكم واعتصموا بالله
في جميع ما امركم به من المناسك التي تقدمت وغيرها لتكونوا متقين فيذب عنكم من يريد ان يحول بينكم وبين شي منها
ويكفيكم هول الساعة ثم علل اهليته لاعتصامهم به بقوله هو اي وحده مولاكم اي المتولي لجميع اموركم فهو ينصركم
على كل من يعاديكم بحيث تتمكنون من اقامة هذا الدين من مناسك الحج وغيرها ثم علل الامر بالاعتصام بقوله فنعم المولى
اي هو ونعم النصير لانه اذا تولى احدا كفاه كل ما اهمه واذا انصر احدا اعلاه على كل من خاصمه ولا يزال العبد يتقرب الى
بالنوافل حتى احبه فاذا احببته الحديث انه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت وهذا نتيجة التقوي ومقبلة من
افعال الطاعة دليلها فقد انطبق اخر السورة على اولها ورد مقطعها على مطلعها والله الهادي سورة المؤمنون
مقصودها اختصاص المؤمنين بالفلاح واسمها واضح الدلالة على ذلك بسم الله الذي له الامر كله فلا راد لامره
الرحمن الذي من عموم رحمته الابلاغ في البيان الرحيم الذي خص من اراد بالايمان لما ختم الحج بندا الذين امنوا وامرهم
باصول الدين خاصة وعامة وختم بالصلاة والزكاة والعصمة به حال كونه موصوفا بما ذكر اوجب ذلك توقع المنادى
كل خير فابتدئت هذه بما يثمر الاعتصام به من الصلاة وغيرها من خلال الدين في الدارين فقال تعالى مفتتحا
بحرف التوقع قد افلح اي فاز وظفر بكل ما يريد ونال البقاء الدايم في الخير المؤمنون وعبر بالاسم اشارة الى ان من اقر
بالايمان وعمل بما امر به في اخر التي قبلها استحق الوصف الثابت ثم قيدهم بما يلزم من الصدق في الايمان فقال
الذين هم في صلاتهم خاشعون اي متذللون متواضعون مطمئنون قال الرازي خائفون خوفا يملأ القلب حرمة والهم
والاخلاق تهذيبا والاطراف تاديبا اي خشية من ان ترد عليهم صلاتهم ومن ذلك خفض البصر الى موضع السجود
قال الرازي فالعبد اذا دخل في الصلاة رفع الحجاب واذا التفت ارخي قال وهو خوف ممزوج بتيقظ واستكانة
ثم قد يكون في المعاملة ايثارا ومجاملة وانصافا وشفقة وفي الخدمة حضورا واستكانة وفي الرب تعظيما وحياء
وحرمة والخشوع في الصلاة يجمع الهمة لها والاعراض عما سواها وذلك بحضور القلب والتفهم والقلب التعظيم

والرجا والحيا واذا كان هذا احد ثمرات الصلاة التي هي اقرب القربات فهم به فيما سواها اولى قال ابن كثير
والخشوع في الصلاة انما يحصل لمن فرغ قلبه لها واشتغل بها عما عداها وآثرها على غيرها وحينئذ تكون راحة
له وقرة عين وجعلت قرة عيني في الصلاة رواه احمد والنسائي عن انس يا بلال ارحنا بالصلاة رواه احمد عن
رجل من اسلم ولما كان لا شي في الصلاة والخشوع ما داعى اللغو اتبعه قوله والذين هم عن اللغو اي ما لا يعنيهم
وهو كل ما يستحق ان يسقط ويلغى معرضون اي تاركون عمدا ولما جمع بين قاعدتي بناء التكاليف فعل
الخشوع وترك اللغو وكان الانسان محل العجز ومركز التقصير فهو لا يكاد يخلو عما لا يعنيه وكان المال مكفرا
لما قصد من الاثمان فضلا عما ذكر منها على سبيل اللغو فكان مكفرا اللغو في غير اليمين من باب الاولى خذ من اموالهم
صدقة تطهرهم وتزكيهم بها اتبعه قوله والذين هم للزكاة التي هي اعظم مصدق للايمان فاعلون ليجمعوا في
طهارة الدين بين القلب والقالب والمال قال ابن كثير هذه مكية وانما فرضت الزكاة بالمدينة سنة اثنتين
من الهجرة والظاهر ان التي فرضت بالمدينة انما هي ذات النصب وان اصل الزكاة كان واجبا بمكة كما قال تع
في سورة الانعام واتوا حقه يوم حصاده ولما اشار الى بذل المال على وجهه طهرهم وان عجز جنسه عن ذلك
تلفه اتبعه الاشارة الى ان بذل الفرج في غير وجهه نجاسة وحفظه طهرة فقال والذين هم لفروجهم في الجماع وما
دانا حافظون لا يتبعونها شهوتها بل هم قايمون عليها يذلونها ويضبطونها وذكرها بعد اللغو الداعي اليها
وبذل المال الذي هو من اعظم اسبابها عظيم المناسبة ثم استثنى من ذلك فقال الا على ازواجهم اللاتي ملكوا
ابضاعهن بعقد النكاح ولخلق الذكر عبر بعلى او ما ملكت ايمانهم رقابه من السراري وعبر بما لقربهن مما لا
يعقل لنقصهن عن الحراير الناقصات عن الذكور فانهم غير ملومين اي على بذل الفرج في ذلك اذا كان على وجهه
فمن ابتغى اي طلب متعديا وراء ذلك الذي وقع استثناؤه من زنا او لواط او استمنا بيده او بهيمة او غيرها
فاوليك البعيدون من الفلاح هم العادون اي المبالغون في تعدي الحدود لما يورث ذلك من اختلاط
الانساب وانتهاك الاعراض واتلاف الاموال وانفاد الشر بين العباد ولما كان ذلك من الامانات
العظيمة اتبعه عمومها فقال والذين هم لاماناتهم اي في الفروج وغيرها سواء كانت بينهم وبين الله كالصلاة
والصيام وغيرهما او في المعاني الباطنة كالاخلاص والصدق او بينهم وبين الخلق كالودايع والبضايع فعلى العبد
الوفا بجميعها قال الرازي ولما كان العهد اعظم امانة تلاها به تنبيها على عظمه فقال وعهدهم راعون اي
حافظون ولما كانت الصلاة اجل ما عهد فيه من امر الدين وآكده وهي من الامور الخفية التي وقع الايتمان عليها
لما خفف الله فيها على هذه الامة باتساع زمانها ومكانها قال والذين هم على صلواتهم التي وصفوا بالخشوع فيها
يحافظون اي يجددون تعهدها بغاية جهدهم لا يتركون شيا من مفروضاتها ويجتهدون في كمالاتها ولا يخفى
ما في افتتاح هذه الاوصاف واختتامها بالصلاة من التعظيم لها كما قال صلى الله عليه وسلم واعلموا ان خير اعمالكم
الصلاة اوليك البالغون من الاحسان اعلى مكان هم خاصة الوارثون اي المستحقون لهذا الوصف المشعر بتقابهم
بعد اعدائهم فيرثون دار الله لقربهم منه واختصاصهم به بعد ارثهم ارض الدنيا التي قاربوا عليها على قلتهم وضعفهم واعدائهم
الكفار على كثرتهم وقوتهم فكانت العاقبة فيها لهم كما كتبنا في الزبور ان الارض يرثها عبادي الصالحون لنهلكن الظالمين
ولنسكننكم الارض من بعدهم الذين يرثون الفردوس التي هي اعلى الجنان الجنة فيحوزونها بعد الموت ما اعد الله
لهم فيها من المنازل وما كان اعد للكفار لو امنوا او لولم يخرجوا بخروج ابويهم من الجنة هم خاصة فيها خالدون

وهذه الايات اجمع ماذكر في وصف المومنين روي الامام احمد بن حنبل والترمذي في التفسير من جامعه عن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه قال كان اذا نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي يسمع عند وجهه كدوي النحل فنزل عليه يوما فمكثنا ساعة
فاستقبل القبلة ورفع يديه فقال اللهم زدنا ولا تنقصنا واكرمنا ولا تهنا واعطنا ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا
وارض عنا وارضنا ثم قال لقد انزل علي عشر ايات من اقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد افلح المومنون حتى ختم العشر ورواه
النسائي في الصلاة وقال منكر لا نعرف احدا رواه غير يونس بن سليم ويونس بن سليم لا نعرفه وعن ابي حيان اخرجه
الحاكم في المستدرك وقال الامام ابو جعفر بن الزبير فصل في افتتاحها ما اجمل في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا
واعبدوا ربكم وافعلوا الخير واعلم بما ينبغي للراكع والساجد الزائد من الخشوع ولالتحام الكلامين ما وردا لاول منهما امرا
والثاني مدحة وتعريفا بما به كمال الحال وكانه لما امر المومنين واطمع بالفلاح جزاء لامتثاله كان مظنة لسوالهم عن تفصيل
ما أمروا به من العبادة وفعل الخير الذي به يكمل فلاحهم فقيل له المفلح من التزم كذا وكذا وذكر سبعة اضرب من العبادة هي اصول
لما وراها ومستتبعة سائر التكاليف وقد بسط حكم كل عبادة منها وما يتعلق بها في الكتاب والسنة ولما كانت المحافظة
على الصلاة منافرة ابيانا لمأثر جملة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر لذلك ما ختمت بها هذه العبادات بعد التنبيه على
محل الصلاة من هذه العبادة بذكر الخشوع فيها اولا واتبعت هذه الضروب السبعة بذكر اطوار سبعة يتقلب فيها
الانسان قبل خروجه الى الدنيا فقال تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الى قوله ثم انشأناه خلقا اخر
فتبارك الله احسن الخالقين وكأن قد قيل له انما كمل خلقك وخروجك الى الدنيا بعد هذه التنقلات السبعة وانما تخلص
من دنياك بالتزام هذه العبادات السبع وقد وقع عقب هذه الايات قوله تعالى ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق ولعل ذلك
مما يقرر هذا الاعتبار ووارد لمناسبته والله اعلم وكأن صدر هذه السورة مفصل لما اجمل في الايات قبلها فكذا الايات
بعد مفصلة لمجمل ما تقدم في قوله تعالى يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة الاية وهذا كاف
في التحام السورتين والله سبحانه المستعان انتهى ولما ذكر سبحانه الجنة المتضمن ذكرها للبعث استدل على القدرة عليه بابتداء
الخلق للانسان ثم لما هو اكبر منه من الاكوان وما بث فيها من المنافع فلما ثبت ذلك شرع يهدد من استكبر عنه باهلاك
الماضين وابتدأ بنوح عليه السلام لانه اول ولان نجاته كانت في الفلك المختوم به الاية التي قبله وفي ذلك تذكير بنعمة النجاة
فيه لان الكل نسله فلما ثبت بالتهديد باهلاك الماضين القدرة التامة بالاخبار بخوارق العرب منذ ذلك العذاب فلما
تم زاجر الانذار بالنقم شرع في الاستعطاف الى الشكر بالنعم بتمييز الانسان على سائر الحيوان ونحو ذلك ثم عاد الى دلائل
القدرة على البعث بالوحدانية والقهر والتنزه عن الشريك والولد الى اخرها ثم ذكر دلائل التي بعدها على ما ذكرها هنا
من صور الفروج فذكر حكم من لم يصن فرجه واتبعه ما يناسبه من توابعه ولما كان التقدير فلقد حكمنا ببعث جميع العباد
بعد الممات فريقا منهم الى النعيم وفريقا الى الجحيم فانا قادرون على الاعادة كما قدرنا على البداءة عطف عليه قوله دلالة على
هذا المقدر واستدلالا على البعث بمظهر الذي عام العظمة ولقد خلقنا الانسان اي هذا النوع الذي يشاهدونه
من سلالة اي شيء انتزعناه واستخلصناه برفق فكان على نهاية الاعتدال من طين روى الامام احمد وابو داود والترمذي
عن ابي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله خلق ادم من قبضة قبضها من جميع الارض فجاء بنو ادم على قدر
الارض جاء منهم الاحمر والابيض والاسود وبين ذلك والخبيث والطيب وبين ذلك ولما كان جعل الطين ماء متنجعا
جدا جدير باداة التراخي فقال ثم جعلناه اي هذا النوع المسلوك المنتزع من الطين بتطوير افراده نطفة اي ماء دافقا لا اثر للطين فيه في قرار اي من الرحم
مكين اي مانع من الاشياء المفسدة ولما كان تصيير الماء دما امرا بالغا في الغرابة النطفة اي البيضاء جدا علقة

حمرا فخلقنا العلقة مضغة اي قطعة لحم لا شكل فيها ولا تخطيط فخلقنا المضغة بتصفيتها وتصليبها بما سببنا
لها من الحرارة والامور اللطيفة الغامضة عظاما من راس ورجلين وما بينهما فكسونا بما لنا من قدرة الاختراع تلك
العظام لحما عاولد ناميها ترجيعا لحالها قبل كونها عظاما فسترنا تلك العظام وقويناها وشددناها بالروابط والاعصاب
ولما كان التصوير ونفخ الروح من الجلالة بمكان اي مكان اشار اليه بقوله ثم انشأناه اي هذا المحدث عنه خلقا اخر
اي عظيما جليلا متحركا ناطقا خصيما مبينا بعيدا من الطين جدا قال الرازي واصل النوء والنشء والهيئة يدل على ارتفاع
شيء وسموه ولما كان هذا التفصيل لتطوير الانسان سببا لتعظيم الخالق قال فتبارك اي ثبت ثباتا لم يثبته شيء
بان حاز جميع صفات الكمال وتنزه عن كل شائبة نقص فكان قادرا على كل شيء ولو ذاتا هو شيء من عجز لم يكن تام الثبات
ولذلك قال الله فعبر بالاسم العلم الجامع لجميع الاسماء الحسنى واشار الى جمال الانسان بقوله احسن الخالقين اي
المقدرين اي قدر هذا الخلق العجيب هذا التقدير ثم طوره في اطوار ما بين طفل رضيع ومحتلم شديد وشاب نشيط
وكهل عظيم وشيخ هرم الى ما بين ذلك من شؤون لا يحيط بها الا اللطيف الخبير ولما كانت اماتته ماصارهكذا
بعد القوة العظيمة والادراك التام من الغرائب وكان وجودها فيه وتكررها عليه وكل وقت تدمرها امرا مالوفا
وشيا ظاهرا مكشوفا وكان عتو الانسان على خالقه وتمرده ومخالفته لامره نسيانا لهذا المالوف كالانكار له
اشار الى ذلك كله بقوله ثم انكم بعد ذلك اي الامر العظيم لميتون واشار بهذا النعت الى ان الموت امر لازم لهم
بل ليس ممكن من ذاته الا العدم ولما تقرر بذلك القدرة على البعث تقررا لا يشك فيه عاقل قال ثم انكم يوم القيمة
اي الذي يجمع فيه الخلائق تبعثون فنقصه عن تاكيد الموت تنبيها على ظهوره ولم يخله عن التاكيد لكونه على خلاف
العادة ولما بين لهم ان فكرهم فيهم يكفيهم ولا عتقاد البعث يغنيهم اتبعه دليلا اخر بالتذكير بخلق ما هو اكبر منهم
وبتدبيرهم بخلقه وخلق ما فيه من المنافع استبقا بهم فقال ولقد خلقنا فوقكم في ارتفاع لا تدركونه حق الادراك
سبع طرائق اي سموات لا تتغير عن حالتها التي دبرناها عليها الى ان نريد وبعضها فوق بعض متطابقة قال الامام عبد الحق
الاشبيلي في كتابه الواعي سميت طرائق لانها متطارقة بعضها فوق بعض انتهى وهذا من قولهم فلان على طريقة اي حالة
واحدة وهذا مطارق هذا اي تلوه ونظيره وريش طراق اذا كان بعضه فوق بعض وقال ابن القطاع واطرق جناح
الطائر اي سبب للمجهول ألبس الريش الاعلى الاسفل وقال ابو عبيد الله الهروي واطرق جناح الطير اذا وقعت
ريشة على التي تحتها فالبستها وفي ريشه تطارق اذا ركب بعضه بعضا وقال الصغاني في مجمع البحرين والطرق ايضا
بالتحريك في الريش ان يكون بعضها فوق بعض وقال ابن الاثير في النهاية طارق النعل اذا صيرها طاقا فوق طاق
وركب بعضها على بعض وفي القاموس والطراق ككتاب كل خصفة يخصف بها النعل ويكون حذوها سوا
وان يقور جلد على مقدار الترس فيلزق بالترس وقال القزاز يقال ترس مطرق اذا جعل له ذلك وقال الصغاني
في المجمع والمجان المطرقة التي يطرق بعضها على بعض كالنعل المطرقة اي المخصوفة بعضها على بعض ويقال اطرقت
بالجلد والعصب اي ألبست وقال ابو عبيد طارق النعل اذا صير خصفا فوق خصف وقال في الخصف هو اطباق
طاق على طاق واصل الخصف الضم والجمع وقال القزاز وطارقت بين النعلين والثوبين جعلت احدهما فوق
الاخر انتهى واصل الطرق الضرب ومع كون السموات متطارقة بعضها فوق بعض هي طرق للملائكة يتنزلون
فيها باوامره سبحانه وتعالى ولما كان لها التي بعد ابي ذه غفلة عنه وكان البعث احداث تدبير لم يكن كان الموت
كذلك بين ان مثل ذلك عادته سبحانه لظهار القدرة وتنزهها عن العجز والغفلة فقال وما كنا عن الخلق اي الذي خلقناه

وفرغنا من ايجاده وعن احداث ما لم يكن بقدرتنا التامة وعلمنا الشامل غافلين بل دبرناه تدبيرا محكما ربطناه باسباب
ينشاعنها مسببات يكون بها نظامه وصلاحه وجعلنا في كل سماء ما ينبغي ان يكون فيها من المنافع وفي كل ارض كذلك
وحفظنا هما من الفساد الي الوقت الذي نريد فيه طي هذا العالم وابراز عيني ونحن مع ذلك كل يوم في شان
ولظهار دهان نعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها فكيف نظن بنا انا نترك الخلق
بعد موتهم سدي مع ان فيهم المطيع الذي لم نوفه ثوابه والعاصي الذي لم ننزل به عقابه ام كيف لا نقدر علي
اعادتهم الي ما كانوا عليه بعد ما قدرنا علي ابداعهم ولم يكونوا شيا ولما ساق سبحانه هذين الدليلين علي القدرة
علي البعث اتبعهما بما هو من جنسهما ومشاكل للاول منهما وهو مع ذلك دليل علي تمام الثاني فقال وانزلنا اي
بعظمتنا من السما اي من جهتها ماء بقدر لعله والله اعلم بقدر ما تسقي الزرع والاشجار وتحيي البراري والقفار
وما تحتاج اليه البحار مما تنصب فيها الانهار اذ لو كان فوق ذلك لا غرقت البحار الاقطار ولو كان دون ذلك
لادي الي جفاف النبات والاشجار فاسكناه في الارض بعضه علي ظهرها وبعضه في بطنها ليعم نفعه وتسهل الوصول
اليه وانا علي ذهاب به اي علي اذهابه بانواع الاذهاب بكل طريق بالافساد والرفع والتغوير وغير ذلك لقادرون
فانشانا اي فاخرجنا واحيينا لكم به اي بذلك الماء الذي جعلنا منه كل شي حي جنات اي بساتين تجن اي تستر
داخلها بما فيها من نخيل واعناب صرح بهذين الصنفين لشرفهما ولانهما اكثر ما عند العرب من الثمار واشار الي غيرها
بقوله لكم فيها اي الجنات فواكه كثيرة ولما كان التقدير منها وهي طرية تتفكهون عطف عليه ومنها اي بعد اليبس
والعصر تاكلون ولما ذكر سبحانه ما اذا عصر كان ماء لا ينفع للاصطباغ اتبعه ما اذا عصر كان دهنا ينفع للاصطباغ
والاصطباغ وفصله عنه لانه ادل علي القدرة فقال وشجرة اي وانشانا به شجرة اي زيتونة تخرج من طور سيناء
قال الحافظ عماد الدين ابن كثير وهو طور سينين وهو الجبل الذي كلم الله سبحانه عليه موسي بن عمران عليه السلام وما
حوله من الجبال التي فيها شجر الزيتون وقال صاحب القاموس والطور الجبل وجبل قرب ايلة يضاف الي سيناء وسينين
وجبل بالشام وقيل هو المضاف الي سيناء وجبل بالقدس عن يمين المسجد واخر عن قبلته به قبر هرون عليه السلام وجبل راس
العين واخر مطل علي طبرية انتهي وكانه خصه من بين الاطوار لقربه من المخاطبين اولا بهذا القران وهم العرب ولغرابة
نبت الزيتون به لانه في بلاد الحر والزيتون من نبات الارض الباردة ولتحقيق ان يكون نبته مما انزل من السما لعلو
جدا وبعده من ان يدعي ان سافيه من النداوة من الماء من البحر لان الامام ابا العباس احمد بن القاضي من قدماء
اصحاب الشافعي حكي في كتابه ادلة القبلة انه يصعد الي اعلاه في ستة الاف مرقاة وستمائة وست وستين
مرقاة قال وهي مثل الدرج من الصخر فاذا انتهي الي مقدار النصف من الطريق يصير الي مستواه من الارض فيها اشجار
وماء عذب وفي هذا الموضع كنيسة علي اسم ايليا النبي عليه السلام وفيه مغارة ويقال ان ايليا عليه السلام لما هرب من ازبيل
الملكة اختفي فيه ثم يصعد من هذا الموضع في الدرج حتي ينتهي الي قلة الجبل وفي قلته كنيسة مبنية علي اسم موسي عليه السلام
باساطين رخام ابوابها من الصفر والحديد وسقفها من خشب الصنوبر واعلي سقوفها اطباق رصاص قد احكمت
بغاية الاحكام وليس فيها الا رجل راهب يصلي ويبخر ويسرج قناديلها ولا يمكن احد ان يبيت فيها البتة وقد
اتخذ هذا الراهب لنفسه خارجا من الكنيسة بيتا صغيرا ياوي فيه وهذه الكنيسة بنيت في المكان الذي كلم الله
فيه موسي عليه السلام وحواليه اي حوالي الجبل من اسفله ستة الاف ما بين دير وصومعة للرهبان والمتعبدين
كان يحمل اليهم خراج مصر في ايام ملك الروم للنفقة علي الديارات وغيرها وليس اليوم بها الا مقدار سبعين راهبا

ياوون

ياوون الدير الذي داخل الحصن وفي اكثرها ياوي اعراب بني رماده وعلي الجبل من ماية صومعة واشجار هذا الجبل
اللوز والسرو واذا هبطت من الطور اشرفت علي عقبة تهبط منها فتسير خطوات فتنتهي الي دير النصاري حصين
عليه سور من حجارة منحوتة ذات شرف عليه باب من حديد وفي جوف هذا الدير عين ماء عذب وعلي هذه العين
درابزين من نحاس لئلا يسقط في العين احد وقد هيي بتاريخ رصاص يجري فيه الماء الي الكروم كروم لهم حول
الدير ويقال ان هذا الدير هو الموضع الذي راي موسي عليه السلام فيه النار في شجرة العليق وقبلته من ناحية دبر
الكعبة وفيه يقول القايل، عجب الطور من ثباتك موسي حين ناجاك بالكلام الجليل، والطور من جملة كور
مصر ومنه الي بلد قلزم علي البر مسيرة اربعة ايام ومنه الي فسطاط مصر مسيرة سبعة ايام انتهي كلام ابن القاص
وسالت انا من له خبرة بالجبل المذكور هل به اشجار الزيتون فاخبرني انه لم ير به شيا منها وان اماكنها حوله
في قرار الارض وهي كثيرة وزيتونها مع كبره اطيب من غيره فان كان ذلك كذلك فهو اغرب مما لو كانت به لانه يعلو
ابرد مما سفل من الارض فهو بها اولي وظهر لي والله اعلم ان حكمة تقديره تعالي ان يكون عدد الدرج ما ذكر موافقة
زمان الايجاد الاول بمكان الابقاء الاول وذلك ان الله تعالي خلق السموات والارض في ستة ايام وهو الايجاد
الاول وكلم الله موسي عليه السلام وكتب له الالواح في هذا الجبل ثم اتم له التوراة وهي اعظم الكتب بعد القران
وبالكتب السماوية والشرايع الربانية انتظام البقاء الاول كما سلف في الفاتحة والانعام والكهف ولما ذكر
سبحانه انشاء هذه الشجرة بهذا الجبل البعيد عن مياه البحار لعلوه وصلابته او بما حوله من الارض الحارة ذكر
تميزها عن عامة الاشجار بوجه اخر عجيب فقال تنبت اي بالماء الذي لا دهن فيه اصلا نباتا او انباتا ملتبسا
ثمرها بالدهن وهو في الاصل مايع لزج خفيف يتقطع ولا يختلط بالماء الذي هو اصله فيسرج ويدهن به
وكانه عرفه لانه اجل الادهان واكلها وصبغ اي وتنبت بشي يصبغ اي يلون الخبز اذا غمس فيه للاكل وكانه
نكره لان في الادام ما هو اشرف منه والذ وان كانت بركته مشهورة روي الامام احمد عن ابي اسيد مالك بن
ربيعة الساعدي الانصاري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم كلوا الزيت وادهنوا به فانه من
شجرة مباركة وقال ابو حيان وخص هذه الانواع الثلثة من النخل والعنب والزيتون لانها اكرم الشجر واجمعها
للمنافع ولما دل سبحانه علي قدرته بما احيي بالماء حياة قاصرة عن الروح اتبعه ما افاض عليه به حياة كاملة فقال
وان لكم في الانعام وهي الابل والبقر والغنم لعبرة تعبرون بها من ظاهر امرها الي باطنه مما له سبحانه فيها من القدرة التامة
علي البعث وغيره ثم استانف قايلا نسقيكم مما في بطونها اي نجعله لكم شرابا تلتذون به مع خروجه من بين الفرث
والدم كما مضي في النحل ولكم فيها منافع كثيرة باستعمالها لما يراد منها مما لا يتيسر من غيرها ولما كان التقدير
تصرفونها في تلك المنافع عطف عليه ومنها تاكلون بسهولة من غير امتناع منها عن شي من ذلك ولو شاء لمنعها من
ذلك وسلطها عليكم ولكنه بقدرته وعلمه هياها لما ذكر وذللها لكم ولما كان الحمل للنفس والمتاع عليها
وعلي غيرها من الحيوان من اجل المنافع بحيث لولا هو لتعطلت اكثر المصالح ذكر فيها منذكرا بغيرها في البر بحا
وذلك المحامل البحر تصريحا فقال وعليها اي الانعام الخالصة للحامل من الابل والبقر في البر وعلي الفلك في البحر
تحملون بانعامه عليكم بذلك ولو شاء لمنعه فتذكروا عظيم قدرته وكمال صنعه وعظموه حق تعظيمه واشكروه
علي ما اولاكم من تلك النعم واخلصوا له الدين لتنظموا فتكونوا من الوارثين ولما كان التقدير فلقد حملنا نوحا ومن
اردنا ممن امن به من اولاده واهله وغيرهم علي الفلك واغرقنا من عاندنا من اهل الارض قاطبة بقدرتنا ونفوذ

عليهم بعد ضعفه عنهم بايدنا وقوتنا وجعلناه وذريته هم الوارثين وكنتم ذرية في اصلابهم وكثرناهم حتى ملأنا منهم الارض واتبعنا بهم الرسل الذين سمعتم بهم وعرفتم بعض اخبارهم بان انكر الان رسالة البشر لانكار رسالة هذا النبي الكريم عطف عليه تهديدا باهلاك الماضين للرجوع عن الكفر وبذكر نعمة النجاة للاقبال على الشكر ويدل على انه يفضل من عباده من يشاء بالرسالة كما فضل طينة الانسان على ساير الطين وعلى ان الفلاح بالارث والحياة الطيبة في الدارين مخصوص بالمومنين كما ذكر اول السورة فذكر نوحا لان قصته اشهر القصص ولان قومه كانوا ملاء الارض ولم تغن عنهم كثرتهم ولا نفعتهم قوتهم ولانه الاب الثاني بعد الاب الاول المشار اليه بالطين ولان نجاته ونجاة المومنين معه كانت بالفلك المختوم به الاية قبله فقال ولقد ارسلنا نوحا اي وهو الاب الثاني بعد ادم عليهما السلام الى قومه وهم جميع اهل الارض لتواصل ما بينهم لكونهم على لغة واحدة فقال اي فتسبب عن ذلك ان قال يا قوم اعبدوا الله اي وحده لانه الملك وحده لاستحقاقه لجميع خلال الكمال ما لكم من اله اي يحق غيره فلا تعبدوا سواه ولما كانت ادلة الوحدانية والعظمة باعطاء الثواب واحلال العقاب في غاية الظهور لا تحتاج الى كبير تامل تسبب عن ذلك انكار لا مثيل من مكره والخوف من ضره فقال افلا تتقون اي فتعملوا بما تقتضيه التقوى من افراده بالعبادة خوفا من ضركم ورجاء لنفعكم فقال اي فتسبب عن ذلك ان كذبوه فقال الملا اي الاشراف الذين كفروا بالله من قومه لمن دونهم ما هذا اي نوح عليه السلام الا بشر مثلكم اي فلا يعلم ما لا تعلمون فانكروا ان يكون بعض البشر نبيا ولم ينكروا ان يكون بعض الطين انسانا وبعض الماء علقة وبعض العلقة مضغة الخ فكانه قيل فما حمله على ذلك فقالوا يريد ان يتفضل اي يدعي مثل هذا عليكم لتكونوا من اتباعه ولا خصوصية له بهذا دونكم ولما كان التقدير فليس رسول الله كما ادعى عطف عليه قولهم ولو شاء الله اي الارسال اليكم وعدم عبادة غيره لانزل لذلك ملايكة وما علموا ان القادر على تفضيل بعض الجواهر بجعلها ملايكة قادر على تفضيل ما شاء من شاء بما شاء من الملايكة وغيرها ولما كان هذا متضمنا الانكار رسالة البشر صرحوا به في قولهم ما سمعنا بهذا اي بارسال نبي من البشر بعنوان يعبد لهم غير الله بقصد التقرب اليه في اباينا الاولين ولا سمعنا بما دعا اليه من التوحيد ولما نفوا عنه الرسالة وحصروا امره في قصد السيادة وكانت سيادته لهم بمثل هذا عندهم من الحق قالوا ان اي ما هو الا رجل به جنة اي جنون في قصده التفضل بما يورث بغضه ورفضه ولا نعرف له وجها يحقق صوابه فلا تطيعوه فيه ابدا فتربصوا به اي فتسبب عن الحكم بجنونه انا نامركم بالكف عنه لانه لا حرج على مجنون حتى اي الى حين لعله يفيق او يموت فكانه قيل فما قال الخليل قال عندما ايس من فلاحهم رب انصرني اي اعني عليهم بما كذبون اي بسبب تكذيبهم لي فان تكذيب الرسول استخفاف بالمرسل فاوحينا اي فتسبب عن دعائه انا اوحينا اليه ان اصنع الفلك اي السفينة ولما كان يخاف من اذاهم له في عمله بالافساد وغيره قال باعيننا اي انه لا يغيب عنا شيء من امرك ولا من امرهم وانت تعرف قدرتنا على كل شيء فثق بحفظنا ولا تخف شيئا من امرهم ولما كان لا يعلم تلك الصنعة قال ووحينا ثم حقق له هلاكهم وقربه بقوله فاذا جاء امرنا اي بالهلاك عقب فراغك منه وفار التنور قال ابن عباس وجه الارض وفي القاموس التنور الكانون يخبز فيه ووجه الارض وكل مفجر ماء ومحل قرب الخبيصة فاسلك اي فادخل فيها اي السفينة من كل زوجين من الحيوان اثنين ذكرا وانثى واهلك من اولادك وغيرهم الا من سبق عليه القول لانه الفعل منهم بالهلاك لقطع ما بينك وبينه من الوصلة بالكفر ولما كان التقدير فلا تحمله معك ولا تتعطف عليه لظلمه عطف عليه قوله ولا تخاطبني اي بالسوال في النجاة في الذين ظلموا عامة ثم علل ذلك بقوله انهم مغرقون اي قد حتم القضاء عليهم وتحز بكرمك عن سوال لا يقبل ولما قدم ذلك لان درء المفاسد بالنهي عما لا يرضي اولى

من جع

من جعلها المصالح اتبعه الامر بالشكر فقال فاذا استويت اي اعتدلت انت ومن معك اي من البشر وغيرهم فقل لان علمك بالسليس كعلم غيرك فالحمد منك اتم واذا قلت اتبعك من معك فانك قدوتهم وهم في غاية الطاعة لك ولهذا افرد في الجزاء بعد العموم في الشرط الحمد اي الاحاطة باوصاف الكمال في الايجاد والاعدام لله الذي نجانا بحملنا فيه من القوم الاشدة الاعتيا الظالمين الخ حالهم لوضعهم الاشيا في غير مواضعها حال من يمشي في الظلام فلك الحمد بعد افنايهم كما كان الحمد في حال ابدايهم وابقايهم والحمد في هذه السورة المفتتحة باعظم شعر ... لا بقا الاول وهي الصلاة الموصوفة بالخشوع كالحمد في سورة الايجاد الاول الانعام بقوله تم فقطع دابر القوم الذين ... والحمد لله رب العالمين ولما اشار بهذا القول الى السلامة بالحمل اتبعه الاشارة الى الوعد باسكان الارض فقال وقل رب انزلني في الفلك ثم في الارض وفي كل منزل تنزلني به وتورثني اياه منزلا موضع نزول او انزال مباركا اي اهلا لان يثبت فيه او به ولما كان الثنا اعظم مهيج على اجابة الدعاء وكان التقدير فانت خير الحاملين عطف عليه قوله وانت خير المنزلين لانك تكفي من نزلك كل مهم وتعطيه كل مراد ولما كانت هذه القصة من اغرب القصص حث على تدبرها بقوله ان في ذلك اي الذي ذكر من امر نوح وقومه وكذا ما هو اعظم منه لايات اي علامات دالات على صدق الانبياء في ان المومنين هم المفلحون وانهم الوارثون للارض بعد الظالمين وان عظمت شوكتهم واشتدت صولتهم وان كنا لمبتلين لعبادنا بارسال الرسل ثم نبتلي الصالحين منهم بما يزيد حسناتهم وينقص سيئاتهم ويعلي درجاتهم ثم نجعل لهم العاقبة فنبلي بهم الظالمين بما يوجب دمارهم وخراب ديارهم ومحو اثارهم هذه عادتنا المستمرة الى ان نرث الارض ومن عليها فيكون البلاء المبين ولما بين نجيته تكذيبهم وما عذبهم به وكان القياس موجبا لان من ياتي بعدهم يخشى مثل مصرعهم فيسلك غير سبيلهم بيقول غير قبلهم بين انه لم تنفعهم العبر فارتكبوا مثل احوالهم وزادوا على افعالهم لارادة ذلك من الفاعل المختار الواحد القهار وايضا فانه لما كان المقصود مع التهديد والدلالة على القدرة والاختيار الدلالة على تخصيص المومنين بالفلاح والبقاء بعد الاعداء وكان اهلاك المترفين ادل على ذلك اقتصر على ذكرهم وابهمهم ليصح تنزيل قصتهم على كل من ادعى فيهم الاتراف من الكفرة ويترجح ارادة عاد لما اعطوا من ذلك من قوة الابدان وعظم الاجسام وارادة ثمود لما في الشعراء والقمر مما يشابه بعض قولهم هنا وللتعبير عن عذابهم بالصيحة ولموافقتهم لقوم نوح في تعليل رد رسولهم بكونه بشرا وطوى الاخبار عن بعدهم بغير التكذيب والاهلاك لعدم الحاجة الى ذكر شيء غيره فقال ثم انشانا من بعدهم قرنا اي امة اخرين فارسلنا اي فتعقب انشاءنا لهم ان ارسلنا فيهم رسولا منهم فكان القياس مبادرتهم لاتباعه لعلمهم بما حل من قبلهم لاجل التكذيب ولمعرفتهم غاية المعرفة لكون النبي منهم بما جبلناه عليه من المحاسن وما زيناه به من الفضايل ولان عزه عزهم ولدعايه لهم الى ما لا يخفى حسنه على عاقل ولا يابا منصف ثم بين ما ارسل به بقوله ان اعبدوا الله اي وحده ثم علل ذلك بقوله ما لكم من اله غيره ودل على الاستغراق بقوله من الدعم ولما كانت المثلات قد خلت من قبلهم في المكذبين واناخت صروفها قال افلا تتقون ولما كان التقدير فلم يومنوا ولم ينقادوا بل فعلوا فعل قوم نوح عطف عليه قوله وقال الملا اي الاشراف ولما كانت القبايل قد تفرقت بتفرق الالسن قدم قوله من قومه اهتماما بتمييز الملا بقوله الذين كفروا اي غطوا ما بعد فوز من ادلة التوحيد والانتقام من المشركين وكذبوا بلقاء الاخرة لتكذيبهم بالبعث ولما كان من لازم الشرف الترف صرح به اشارة الى انه لظن كونه سعادة في الدنيا قاطع في الغالب عن سعادة الاخرة لكونه حاملا على الاشر والبطر والتكبر عن الحق فقال واترفناهم اي والحال انا نعمناهم في الحياة الدنيا اي الدانية الدنية بخالطون

أتباعهم ما هذا الا بشر مثلكم اي في الخلق والحال ثم نزهوهم المساواة في كل وصف فقالوا ياكل مما تاكلون منه من طعام
الدنيا ويشرب مما تشربون اي منه من شرابها ولما كان التقدير فلئن اتبعتموه انكم لضالون عطف عليه ولئن اطعتم
بشرا مثلكم في جميع ما ترون انكم اذا اي اذا اطعتموه لخاسرون اي مغبونون لكونكم فضلتم مثلكم عليكم بما تدعيه
مما تخزلم منكرون ثم بينوا انكارهم بقولهم أيعدكم انكم اذا متم ففارقتم ارواحكم اجسادكم وكنتم اي بعد كانت اجسادكم
ترابا بالسيلان الزاب علي ما دون عظامها وعظاما نخرة ثم بين الموعود به فقال انكم مخرجون اي من تلك الحالة التي
صرتم اليها فراجعون الي ما كنتم عليه من الحياة علي ما كنتم عليه من الاجسام ثم استانفوا التصريح بما دل عليه الكلام من
استبعادهم ذلك فقالوا هيهات هيهات اي بعد بعدا جدا بحيث صار ممتنعا كانه قيل لاي شي هذا الاستبعاد فقيل
لما توعدون ولما كانوا بهذا التاكيد في التبعيد كانهم قالوا انا لا نبعث اصلا اتصل به ان هي اي الحالة التي لا يمكن لنا سواها
الا حياتنا الدنيا اي التي هي اقرب الاشياء الينا وهي ما نحن فيها ثم فسروها بقولهم نموت ونحيا اي يموت منا من هو موجود
وينشا اخرون بعدهم وما نحن بمبعوثين بعد الموت فكانه قيل فما هذا الكلام الذي يقوله فقيل كذب ثم حصروا المر
في الكذب فقالوا ان اي ما هو الا والحبوه علي ترك مثل ما خاطبهم به بقولهم رجل افترى اي تعمد علي الله كذبا والرجل
لا ينبغي له مثل ذلك وما نحن له بمؤمنين اي بمصدقين فيما اخبرنا به من البعث والرسالة ثم استانف قوله قال رب
اي ايها المحسن الي بارسالي اليهم وغيره من انواع التربيه انصرني عليهم بما كذبون فاجابه ربه بان قال عما قليل واكد
قلته بزيادة ما ليصبحن نادمين علي تخلفهم عن اتباعك ولما تسبب عن دعائه ان تعقبت هلاكهم وعد الله له بذلك قال تعالى
فاخذتهم الصيحة اي التي كان القوم لا صيحة الا هي بالحق اي بالامر الثابت الذي لا يمكن مدافعته لهم ولا لاحد غيرهم ولا
يكون كذلك الا وهو عدل فجعلناهم بعظمتنا التي لا تداني عظمة بسبب الصيحة غثاء كانهم اعجاز نخل خاوية جاثمين امواتا
يطرحون كما يطرح الغثاء وهو ما يحمله السيل من نبات ونحوه فيسود ويبلى بحيث لا ينتفع به ونجينا رسولهم ومن معه
من المومنين فخاب الكافرون وافلح المومنون وكانوا هم الوارثين للارض من بعدهم ولما كان هلاكهم علي هذا الوجه
سببا لعوانهم عبر عنه بقوله فبعدا اي هلاكا وطردا ولما كان كانه قيل لمن قيل لهم قال للقوم الظالمين تعميما وتعليقا للحكم
بالوصف تحذيرا لكل من تلبس به فقال للقوم اي الاقويا الذين لا عذر لهم في التخلف عن اتباع الرسل والمدافعة عنهم الظالمين
الذين وضعوا قوتهم التي كان يجب عليهم بذلها في نصر الرسل في خذلانهم ولما كانت عادة المكذبين ان يقولوا لمكذبيها هذا
تعريض لنا بالهلاك فهيج ولا تدع جهدا في احلاله بنا والتعجيل به الينا فانا لا ندع ما نحن عليه لشي وكان قد ادعوا ان
العادة موتهم وانشا من بعدهم شيا فشيا لا نخرم قال ثم رادعا لهم ثم انشانا من بعدهم اي بعد من قدمنا ذكره من نوح
والقرن الذي بعده قرونا اخرين ثم اخبر بانه لم يعجل علي احد منهم قبل الاجل الذي جعله له بقوله ما تسبق ولعله عبر بالمضارع
اشارة الي انه ما كان شي من ذلك ولا يكون واشار الي الاستغراق بقوله من امة اجلها اي الذي قدرناه لهلاكها وما يستاخرون
عنه وكلهم اشرقت عاقبة عن خيبة المكذبين وافلاح المصدقين وجعلهم بعدهم الوارثين ولما كان قد ارسل الي كل قوم حتى
طال عليهم الرسل فلما لم تفد فيهم عفو لهم لما نصب لهم من الادلة واسبغ عليهم من النعم واحل فيهم من النقم ارسل فيهم رسولا
دل علي ذلك باداة التراخي فقال ثم ارسلنا اي بعد انشا كل قرن منهم وطول امهالنا له ومن هنا يعلم ان بين كل رسولين
فترة رسلنا تترا اي واحدا بعد واحد قال الرازي من وتر القوس لاتصاله وقال البغوي واترت الخبر اتبعت بعضه
بعضا وبين الخبر هنيهة كلما كل رسول الي امته قايلا اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ولما كان كانه قيل فكان ماذا
قيل كلما جاء امة رسولها اي بما امرناه به من التوحيد ولما كان الاكثر من كل امة مكذبا اسند الفعل الي الكل فقال

كذبوه اي كما فعل هولاء بك لما امرتهم بذلك فاتبعنا القرون بسبب تكذيبهم بعضهم بعضا في الاهلاك فكنا نهلك
الامة كلها في آن واحد بعضهم بالصيحة وبعضهم بالرجفة وبعضهم بالخسف وبعضهم بغير ذلك فيدل اخذنا لهم
علي غير العادة من اهلاكنا لهم جميعا وانجاء الرسل ومن صدقهم والمخالفة بينهم في نوع العذاب انا
نحن الفاعلون بهم ذلك باختيارنا لا الدهر وانا ما فعلنا ذلك الا بسبب التكذيب ولما كانوا قد ذهبوا ولم
يبق عند الناس منهم الا اخبارهم جعلوا اياها فقال وجعلناهم احاديث ليكونوا عظة للمستبصرين فيعلموا
انه لا يفلح الكافرون ولا يخيب المومنون وما احسن قول القايل ولا شي يدوم فكن حديثا جميل الذكر فالدنيا حديث
ولما تسبب عن تكذيبهم هلاكهم المقتضي لبعدهم قال فبعدا لقوم اي اقويا علي ما يطلب منهم لا يومنون ولما كان
آل فرعون قد انكروا الايمان لبشرين مثلهم كما قال من تقدم ذكره من قوم نوح والقرن الذي بعدهم وكانوا ارق اهل
زمانهم واعظمهم قوة واكثرهم عدة وكانوا يستعبدون بني اسرايل وكان قد نقل الينا من الايات التي اظهر رسولهم
ما لم ينقل الينا مثله لمن تقدمه صرح بتسميتهم وكان الرسالة اليهم كانت بعد فترة طويلة فدل عليها بحرف التراخي
فقال ثم ارسلنا موسى وزاد في التسلية بقوله واخاه هرون اي عاضدا له وبيانا لان اهلاك فرعون وآله جميعا مع
انجاء الرسولين مقاومين لهما لا بالارادة الواحد القهار لافلاح المومنين وخيبة الكافرين باياتنا المعجزات لمن يباريهما
وسلطان مبين اي حجة ملزمة عظيمة واضحة وهي حراسته وهو وحده واعلاوه علي كل من ناواه وهم معه فوقهم في كل
الارض وعجزهم عن كل ما يرمونه من كيده وهذه وان كانت من جملة الايات لكنها اعظمها وهي وحدها كافية في ايجاب
التصديق الي فرعون وملايه اي وقومه ولكن لما كان الاطراف لا تخالف الاشراف عدهم عدما ومن الواضح
التقدير ان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره واشار بقوله فاستكبروا الي انهم اوجدوا الكبر عن الاتباع فيما دعوا اليه
عقيب الابلاغ من غير تامل ولا تثبت [illegible] وكانوا قوما اي اقويا عالين علي جميع من نماوتهم من امثالهم ولما
تسبب عن استكبارهم وعلوهم انكارهم للاتباع قال فقالوا انومن اي بالله لبشرين مثلنا في البشرية والماكل
والمشرب وغيرهما مما يعتري البشر كما قال من تقدمهم وقومهما اي والحال ان قومهما لنا عابدون اي في غاية الذل
والانقياد كالعبيد فنحن اعلى منهما بهذا ويا ليت شعري ما لهم لم يجعلوا هذا شبهة لم يجعلوا عجزهم عن اهلاك الرسل
وعما يا تون به من المعجزات فرقانا وما جوابهم عن ان من الناس الجاهل الذي لا يهتدي لشي والعالم الذي يفوق الوصف
من تفاوت بينهما واذا جاز التفاوت بينهما في ذلك فلم لا يجوز في غيره ولما تسبب عن هذا الانكار التكذيب وتسبب
عنه الهلاك قال فكذبوهما فكانوا اي فرعون وآله من المهلكين باغراقنا لهم علي تكذيبهم اشارة الي انهم لم يهلكوا
بانفسهم من غير مهلك مختار بدليل اغراقهم كلهم بما كان سبب انجاء بني اسرايل كلهم ولم تغن عنهم قوتهم في انفسهم
ثم قوتهم علي خصوص بني اسرايل باستعبادهم اياهم ولا ضر بني اسرايل ضعفهم عن دفاعهم ولا ذلهم لهم وصغارهم في ايديهم
ولما كان ضلال قومهما الذين استنقذناهم من عبودية فرعون وقومه اعجب وكان السامع متشوفا الي ما كان من امرهم
بعد نجاتهم ذكر ذلك مبتديا بحرف التوقع مشيرا الي حالهم في ضلالهم تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم فقال ولقد اتينا
بعظمتنا موسى الكتاب الناظر لمصالح البقا الاول بل والثاني ولما كان كتابهم لم ينزل الا بعد هلاك فرعون كما هو
واضح لمن تامل اثبات قصتهم في القران وكان حال هلاك القبط معرفا ان الكتاب لبني اسرايل الذين بين ظهرهم فقال
لعلهم يهتدون اي ليكون حالهم عند من لا يعلم العواقب حال من يرجى هدايته فانهم جهلهم في ذلك [illegible] الترجي انهم
من لم يهتد قال ابن كثير وبعد ان انزل التوراة لم يهلك امة بعامة بل امر المومنين بقتال الكافرين انتهى ولا يبعد علي هذا

ان يكون الضمير في لعلهم للقرون الحادثة المدلول عليها بقوله قرونا ومما ارشدا الى ذلك قوله تعالى ولقد اتينا موسى الكتاب
من بعدما اهلكنا القرون الاولى بصاير للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون وقد جبتهم الهلاك العام بالاغراق كما في قصة
نوح ولما كان من ذكر كلهم قد ردوا من جاءهم لاشعارهم استبعادهم الا يكون الرسل بشرا وكانوا ابناء اسرايل
الذين اعزهم الله ونصرهم على عدوهم واوضح لهم الطرق بالكتاب قد اتخذوا عيسى مع كونه بشرا الها اتبع ذلك ذكره
تعجيبا من حال المكذبين في هذا الصعود بعد ذلك النزول في امر من ارسلوا اليهم وجرت على ايديهم الايات لهدايتهم فقال
وجعلنا اي بعظمتنا ابن مريم نسبة اليها تحقيقا لكونه لا اب له وكونه بشرا محمولا في البطن مولودا لا يصلح لرتبة
الالهية وزاد في تحقيق ذلك بقوله وامه وقال اية اشارة الى ظهور الخوارق على ايديهما حتى كانهما نفس الاية فلا يرى
منهما شي الا وهو اية ولو قال ايتين لكان ربما ظن انه يراد حقيقة هذا العدد ولعل في ذلك اشارة الى انه تكلمت به
اية القدرة على ايجاد الانسان بكل اعتبار من غير ذكر ولا انثى كادم ومن ذكر بلا انثى كحوا ومن انثى بلا ذكر كعيسى ومن الزوجين
كبقية الناس والمراد ان بني اسرايل مع الكتاب الذي هو اية مسموعة والنبي الذي هو اية مرئية لم يهتد اكثرهم
ولما كان اهل الغلو في عيسى وامه عليهما السلام ربما تشبثوا من هذه العبارة بشي حقق بشريتهما واحتياجهما المنافي
لرتبة الالهية فقال واويناهما بعظمتنا لما قصد ملوك الشامية اهلاكهما الى ربوة اي مكان عال من الارض واحسن
ما يكون النبات في الاماكن المرتفعة والظاهر ان المراد بها عين شمس في بلاد مصر قال ابن كثير قال عبد الرحمن بن
زيد بن اسلم ليس الربا الا بمصر والماء حين يرسل تكون الربا عليها القرى ولولا الربا غرقت القرى وروي عن وهب
ابن منبه نحو هذا انتهى ذات قرار منبسط صالح لان يستقر فيه لما فيه من المرافق ومعين اي ماء ظاهر ولم يقدر
من خالفه من الملوك وغيرهم على كثرتهم وقوتهم على قتلهم فلا في حال صغره ولا في حال كبره كما مضى نقله عن الانجيل
وصدقه عليه القران مع كونه مظنة لتناهي الضعف من كونه من انثى فقط ولا ناصر له الا الله ومع ذلك فانه الله
امره وامر من اتبعه وخيب الكافرين ورفعه اليه ليويد به هذا الدين في اخر الزمان للمومنين جنيد فلاح لم
يتقدمه مثله ذكر شي من دلايل كونه اية من الانجيل قال يوحنا احد المترجمين للانجيل واغلب السياق لمتى فاني
خلطت كلام المترجمين الاربعة ولما قرب عيد المظال قال اخوة يسوع اي الاثنا عشر تلميذا له تحول امر من ههنا
الى يهوذا لكي يرى تلاميذك الاعمال التي تعمل لانه ليس احد يعمل شيا سرا فيحب ان يكون علانية اذ كنت تعمل هذه
الاشياء فاظهر نفسك للعالم فقال لهم يسوع اما وقتي فلم يبلغ واما وقتكم فانه مستعد في كل حين لم يقدر العالم
ان يبغضكم وهم يبغضونني لاني اشهد عليهم ان اعمالهم شريرة اصعدوا انتم الى هذا العيد فاني لا اصعد الان ثم قال
ولما انتصف ايام العيد صعد يسوع الى الهيكل فبدا يعلم وكان اليهود يتعجبون ويقولون كيف يحسن هذا الكتاب
ولم يعلمه احد فقال تعليمي ليس هو لي بل للذي ارسلني فمن احب ان يعمل مرضاته فهو يعرف تعليمي هل هو من الله او من
عندي ان من تكلم من عنده انما يطلب المجد لنفسه فاما الذي يطلب مجد الذي ارسله فهو صادق وليس فيه ظلم اليس
موسى اعطاكم الناموس وليس فيكم احد يعمل بالناموس ثم قال وفي اليوم العظيم الذي هو اخر العيد كان يسوع قايما
ينادي كل من يومن بي كما قالت الكتب تجري من بطنه انهار ماء الحياة وان الجمع الكثير سمعوا كلامه فقالوا هذا نبي حقا
واخرون قالوا هذا المسيح واخرون قالوا لعل المسيح من الجليل يأتي اليس قد قال الكتاب انه من نسل داود من بيت
لحم قرية داود خاصة بان المسيح فوقع بين الجموع خوف من اجله قال متى حينيذ جاء الى يسوع من يروشليم كتبة
وفريسيون قايلون لماذا تلاميذك يتعدون وصية المشيخة اذ لا يغسلون ايديهم عند الكل وقال مرقس ثم اجتمع اليه

البلاد هم

الفريسيون

الفريسيون وبعض الذين جاؤوا من يروشليم فنظروا الى تلاميذه ياكلون الطعام بغير غسل ايديهم لان الفريسيين
وكل اليهود لا ياكلون الطعام الا بغسل ايديهم تمسكا بتعليم شيوخهم والذي يشترونه من الاسواق ان لم
يغسلوه لا ياكلونه واشياء اخر كثيرة تمسكوا بها من غسل الكووس والاواني ومصاغ واسرة وساله الكتبة
والفريسيون لم تلاميذك لا يسيرون على ما وصت به المشيخة قال متى فاجابهم وقال لماذا انتم تتعدون وصية
الله من اجل سنتكم الله قال اكرم اباك وامك والذي يقول كلاما رديا في ابيه وامه يستاهل الموت وانتم
تقولون من قال لابيه او لامه القربان نجيا شي ينتفع به فابطلتم كلام الله من تلقاء روايتكم قال مرقس وتفعلون
كثيرا مثل هذا انتهى يا مراوون حسنا تنبا وقال مرقس تنبا عليكم سعيا قايلا ان هذا الشعب قريب مني يكرمني
بشفتيه وقلبه بعيد عني يعبد ونني باطلا ويعلمون تعليم وصايا الناس ودعا الجمع وقال لهم اسمعوا وافهموا ليس
ما يدخل الفم ينجس الانسان لكن الذي يخرج من الفم ينجس الانسان حينيذ جاء اليه تلاميذه وقالوا له ان الفريسيين
لما سمعوا الكلام شكوا فاجابهم وقال كل غرس لا يغرسه ابي السماوي يقتلع دعوهم فانهم عميان يقودهم اجابه بطرس
وقال فسر لنا المثل فقال حتى انتم لا تفهمون اما تعلمون ان كل ما يدخل الى الفم يصل الى البطن وينطرد الى المخرج فاما الذي
يخرج من الفم فهو يخرج من القلب هذا الذي ينجس الانسان فاما الاكل بغير غسل فليس ينجس الانسان وقال مرقس
ان كل ما كان خارجا يدخل الى فم الانسان لا يقدر ان ينجسه لانه لا يصل الى القلب بل الى الجوف ويذهب الى الخارج والذي
يخرج من فم الانسان هو الذي ينجس الانسان لانه من داخل يخرج فينجس الانسان ولما بين ان عيسى عليه السلام
على منهاج اخوانه من الرسل في الاكل والعبادة وجميع الاحوال زاد في تحقيق ذلك بيانا لمن ضل بان اعتقد فيه ما لا
يليق به فقال مخاطبا لجميعهم بعد اهلاك من عاندهم من قومهم على وجه يشمل ما قبل ذلك رد المن جعله موجبا
لانكار الرسالة وتبكيتا لمن ابتدع الرهبانية من امة عيسى عليه السلام يا ايها الرسل من عيسى وغيره كلوا انتم ومن
نجيناه معكم بعد اهلاك المكذبين ولما علوا عن رتبة الناس فلم يكونوا ارضيين لم يقل مما في الارض وعن
رتبة الذين امنوا لم يقل من طيبات ما رزقناكم ليكونوا عابدين نظرا الى النعمة او حذرا من النقمة كما مضى بيانه في سورة
البقرة بل قال من الطيبات اي الكاملة التي سننت عليكم بخلقها لكم واحلالها وازالة الشبهة عنها وجعلتها شهية للطبع
نافعة للبدن منعشة للروح وذلك ما كان حلالا غير مستقذر لقوله تعالى يحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبايث
ودل بجعله على ان الحلال عون على الطاعة بقوله واعملوا صالحا اي سرا وجهرا اغير خايفين من احد فقد اهلكت عدوكم
واورثتكم ارضهم ولم يقيد عملهم بشكر ولا غيره اشارة الى انه لوجهه ليس غير فانهم دايما في مقام الشهود في
حضرة المعبود والفنا عن كل شي سوى حتى عن الفنا ثم حثهم على دوام المراقبة بقوله اني عا اي بكل شي تعملون عليم
اي بالغ العلم ولما كان هذا تعليلا لما سبقه من الامر عطف على لفظه قوله وان بالكسر في قراة الكوفيين وعلى
معناه لما كان مستحقه لو ابرزت لام العلة من الفتح في قراة غيرهم هذه اي دعوتكم ايها الانبيا المذكورون اجمالا
وتفصيلا وملتكم المجتمعة على التوحيد او الجماعة التي انجيتها معكم من المومنين امتكم اي مقصدكم الذي لا ينبغي
ان تتوجهوا بهممكم الى غيره او جماعة اتباعكم حال كونها امة واحدة لا شتات فيها اصلا وانا ربكم اي المحسن اليكم
بالخلق والرزق وحدي ولما كان الخطاب في هذه السورة كلها للخلص من الانبيا ومن تبعهم من المومنين قال
فاتقون اي اجعلوا بينكم وبين غضبي وقاية من جمع عبادي بالدعاء الى وحدانيتي بخلاف سورة الانبيا المصدرة
بالناس ولما كان من المعلوم قطعا ان التقدير فاتفق الانبياء امتة الذي ارسلهم وختموا احل ما ارسلتم به من عظيم

النقل فدعوا العباد اليه واراد اجمعهم الحجة عليه عطف عليه بفاء السبب قوله فتقطعوا اي الامم واغا الضمير
لوضوح ولالتهم اراد بهم لان الاية التي قبلها قد صرحت بان الانبيا ومن نجا منهم امة واحدة لا اختلاف بينهم فيعلم
قطعا ان الضمير للامم ومن نشا بعدهم امرهم اي في الدين بعد ان كان مجتمعا متصلا بينهم فكانوا شيعا وهو معني
زبرا اي قطعا كل قطعة منهم في غاية القوة والاجتماع والثبات علي ما صارت اليه من الهوي والضلال لكل امة
شيعة طريقة في الضلال عن الطريق الامم والمقصد المستقيم ولم يرحموا انفسهم بما دعتهم اليه الهداية من الاجتماع
والالفة فاهلكوها بالبغضا والفرقة وهو منصوب بانه مفعول ثان لتقطع علي ما مضي تخريجه في الانبيا وقد
ظهر كما تري ظهورا بينا ان هذه اشارة الي الناجين من امة كل نبي بعد اهلاك اعدائهم اي ان هذه الجماعة الذين هم
معكم امتكم حال كونهم امة واحدة متفقين في الدين لا خلاف بينهم وكان اجماعكم واحدة فانا ربكم لا رب لكم غيري
فاتقون ولا يخالف احد منكم امري ولا تختلفوا وتفرقوا اليلا اعذب العاصي منكم كما عذبت اعداكم ولما كان هذا
مما لا يرضاه عاقل اجيب من كانه قال هل رضوا بذلك مع انكشاف ضرره بقوله كل حزب بما لديهم اي من ضلال وهدي
فرحون اي مسرورون فضلا عن انهم راضون غير معترج الضال منهم علي ما جات به الرسل من الهدي ولا علي الاعتبار
بما اتفق لامتهم بسبب تكذيبهم من الردي ولما اتضح هذا ان الضلال وان وضح لا يكشفه الا ذو الجلال سبب عنه
سبحنه قوله فذرهم اي اتركهم في غمرتهم اي الضلالة التي غمرتهم حتي حين اي الي وقت ضربناه لهم من قبل ان
نخلقهم ونحن عالمون بكل ما يصدر منهم علي انه وقت يسير ولما كان الموجب لغرورهم ظنهم ان حالهم في بسط الارزاق
من الاموال والاولاد حال الموعود لا المتوعد انكر ذلك عليهم تنبيها لمن سبقت له السعادة وكتبت له الحسني
وزيادة فقال ايحسبون ان ما نمدهم به اي نجعله مددا لهم من مال نيسر لهم وبنين نمتعهم بهم نسارع لهم بادرانا
له عليهم في الخيرات التي لاخيرات الا هي لانها محمودة العاقبة ليس كذلك بل هو وبال عليهم لانه استدراج الي الهلاك
لانهم غير عاملين بما يرضي الرحمن بل هم يسارعون في اسباب الشرور ولا يكون عن السبب الا مسببه ولكنهم
لا يشعرون انهم في غاية البعد عن الخيرات سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ولما كان كانه قيل فمن الذي
يكون له الخيرات فاجيب بانه الخايف من الله فقيل ان الذين هم من خشية ربهم اي الخوف العظيم من المحسن اليهم
المنعم عليهم مشفقون اي دايموا الحذر والذين هم بايات ربهم المسموعة والمرئية يومنون لا يزال ايمانهم
بها يتجدد ولما كان المومن قد يعرض له ما يقدح في ايمانه من شرك جلي او خفي قال والذين هم بربهم اي الذي لا
محسن اليهم غيره لا يشركون اي شيا من شرك في وقت من الاوقات كالمرايي شركه في الاحسان اليهم احد ولما اثبت
لهم الايمان الخالص نفي عنهم العجب بقوله والذين يوتون ما اتوا اي يعطون ما اعطوا من الطاعات وكذا قراة
ياتون ما اتوا اي يفعلون ما فعلوا من اعمال البر لتتفق القراتان في الاخبار عنهم بالسبق وقلوبهم وجلة اي شديدة
الخوف لانهم عالمون بانهم لا يقدرون الله حق قدره وان اجتهدوا ثم علل ذلك بقوله انهم الي ربهم اي الذي طال
احسانه اليهم راجعون بالبعث فيحاسبهم علي النقير والقطمير ويجزيهم بكل قليل وكثير وهو الناقد البصير
قال الحسن البصري ان المومن جمع ايمانا وخشية والمنافق جمع اساة وامنا ثم اثبت لهم ما افهم ان ضده لاضدادهم
فقال اوليك اي خاصة يسارعون في الخيرات فافهم ضد ما ذكر لاضدادهم بقوله وهم لها اي اليها اي الي غايتها
ولكنه عبر باللام اشارة الي زيادة القرب منها والوصول اليها مع الامن لجعل الخيرات ظرفا للمسارعة من اخذها علي
حقيقتها للتعديه سابقون لجميع الناس لانا نسارع لهم في المسببات اعظم من مسارعتهم في الاسباب ويجوز ان

يكون

يكون سابقون بمعني غالبين من وادي سبقت رحمتي غضبي اي انهم مطيقون لها ومعانون عليها ولا اي والحال
انا لا نكلفهم ولكنه عم فقال نكلف نفسا اي كافرة او مومنة الا وسعها فلا يقدر احد عاص علي ان يقول كنت غير
قادر علي الطاعة ولا يظن بنا مومن انا نواخذه بالزلة والهفوة فان احدا لا يستطيع ان يقدرنا حق قدرنا
لان مبني المخلوق علي العجز ولما كانت الاعمال اذا تكاثرت وامتد زمنها تعسر او تعذر احصرها الا بالكتابة عال
العباد بحجة بما يعرفون مع غناه عن ذلك فقال ولدينا اي عندنا كتاب ينطق بما كتب فيه من اعمال العباد من خير
وشر صغير وكبير بالحق الثابت قد كتبت فيه اعمالهم من قبل خلقهم لا زيادة فيها ولا نقص تعرض الحفظة كل يوم
عليه ما كتبوه مما شاهدوه بتحقيق القدر له فيجدونه محررا بمقاديره واوقاته وجميع احواله فيزدادون به ايمانا
ومن حقيته انه لا يستطاع انكار شي منه ولما افهم ذلك نفي الظلم صرح به فقال وهم لا يظلمون بزيادة ولا
نقص من عمل ولا جزاء ولما كان التقدير ولكنهم بذلك لا يعلمون قال بل قلوبهم ويجوز ان يكون هذا الاضراب بدلا
من قوله بل لا يشعرون في غمرة اي جهالة قد اغرقتها من هذا اي الذي اخبرنا به من الكتاب الحفيظ فهم به كافرون
ولهم اعمال من دون ذلك اي مبتدية متنازلة في رتبة التكذيب من ساير المعاصي لاجل تكذيبهم بالكتاب المستلزم
لتكذيبهم بالبعث المستلزم لعدم الخوف المستلزم للاقدام علي كل معضلة هم لها اي دايما عاملون لا شي يكفهم
الا عجزهم عنها ولما كانوا كانهم لا يخافون من الهلكة الا عند المشاهدة غيي عملهم للخبايث بالاخذ فقال حتي اذا
اخذنا مترفيهم الذين هم الروسا القادة بالعذاب فبركت عليهم كلاكله واناخت بهم اعجازه واوايله اذا هم
كلهم المترف ومن تبعه من باب الاولي يجارون اي يصرخون ذلا وانكسارا وجزعا من غير مراعاة لتخوع ولا
استكبار واصل الجار رفع الصوت بالتضرع قاله البغوي فكانه قيل فهل يقبل اعتذارهم او يرحم انكسارهم
فقيل لا بل يقال لهم بلسان الحال او القال لا تجاروا اليوم بعد تلك الهمم فان الرجل من لا يفعل شيا عبثا ثم
علل ذلك بقوله انكم منا لا تنصرون اي ومن عدم نصرنا لم يجد له ناصرا فلا فايدة لجوازه الا اظهار الجزع ثم علل
عدم نصرهم لهم بقوله قد كانت اياتي تتلي عليكم وهي اجلي الاشيا من اوليائي وهم الهداة النصحا فكنتم علي اعقابكم
عند تلاوتها تنكصون اي ترجعون القهقري امامحا او معنا حال كونهم مستكبرين به اي بذلك النكوص الذي
عين الاستكبار من هرب اوغيره روي سمرا اي سمر في اسرها بالقول الهجر وهو الفاحش وبعله انما قال سامرا بلفظ المفرد لان
كلا منهم يتحدث في امر الايات مجتمعا مع غيره ومنفردا مع نفسه حديثا كثيرا الحديث المسامر الذي من شانه ان لا يمل وقال
تهجرون اي تعرضون عنها وتقولون فيها القول الفاحش فاسنده الي الجمع لان بعضهم كان يستمعها ولم يكن يفحش
القول فيها ولما كانت الايات لما فيها من البلاغة المعجزة والحكم المعجبة داعية الي تقبلها بعد تاملها وكانوا
يعرضون عنها ويفحشون في وصفها تارة بالسحر واخري بالشعر وكرة بالكهانة ومرة بغيرها تسبب عن ذلك
الانكار عليهم فقال معرضا عنهم ايذانا بالغضب افلم يدبروا القول اي المتلو عليهم بان ينظروا في ادباره وعواقبه
ليعلموا انه موجب للاقبال والوصال والوصف باحسن المقال ولعله عبر بالقول اشارة الي ان من لم يتقبله
ليس باهل لفهم شي من القول بل هو في عداد البهايم ام جاءهم في هذا القول من الاوامر بالتوحيد الاتي بها الرسول
الذي هو من نسل اسمعيل بن ابرهيم عليهما السلام وما يترتب علي ذلك من الاوامر التي لا يجهل حسن فعلها عاقل والنواهي
التي لا يشهد بقبح اتيانها العالم بقطع الجاهل ومن الرسالة برسول من البشر ما لم يات اباهم الاولين الذين بعد
اسمعيل وقبله ولما كان الرجل الكامل من عرف الرجال بالحق بدا بما اشار اليه ثم اعقبه بمن يعرف الشي للالف به

ثم من يعرف الحق بالرجال فقال ام لم يعرفوا رسولهم اي الذي اتاهم بهذا القول الذي لا قول مثله ويعرفوا نسبته وصدقه وامانته ووفاته بهم من معالي الاخلاق حتى انهم لا يجدون فيه اذا حققت الحقائق نقيصة يذكرونها ولا وصمة يتخيلونها كما دلت عليه الاحاديث الصحاح منها حديث ابي سفين بن حرب الذي في اول البخاري في سوال هرقل ملك الروم له عن شانه صلى الله عليه وسلم فهم اي فتسبب عن جهلهم به انهم له اي نفسه او للقول الذي اتى به منكرون فيكونوا ممن جهل الحق لجهل حال الاتي به فلم يعرفوا شيا من رتبتي الناس لا رتبة العلما الناقدين ولا رتبة الجهلا المقلدين ولما فرغ مما قد يجر الى الطعن في القول او القايل اشار الى العناد بقوله ام يقولون اي بعد تدبرهم ما اتى به وعدم عثورهم فيه على وجه من وجوه الطعن به اي برسولهم جنة فلا يوثق به لانه قد يخالط فياتي بما فيه مطعن وان خفي وجه الطعن فيه في الحال ولما كانت هذه الاقسام منتفية ولا سيما الاخير المستلزم عادة للتخليط المستلزم للباطل فانهم اعرف الناس بهذا الرسول الكريم وانه اكملهم خلقا واشرفهم خلقا واطهرهم شيما واعظمهم هما وارجحهم عقلا وامتنهم رايا وارصنهم قولا واصوبهم فعلا اضرب عنها وقال بل اي لم ينكصوا عند سماع الايات ويسمروا ويهجروا لاعتقاد شي مما مضى وانما فعلوا ذلك لان هذا الرسول الكريم جاءهم بالحق اي لا تخليط فيه بوجه ولا شي اثبت منه ولا ابين مما فيه من التوحيد والاحكام ولقد اوضح ذلك مع تحديهم بهذا الكتاب فعجزوا فهو بحيث لا يجهله منصف واكثرهم اي والحال ان اكثرهم للحق كارهون متابعة للاهوا الرديه والشهوات البهيمية عنادا وبعضهم يتركونه جهلا وتقليدا وبعضهم يتبعه ولما كان ربما قيل ماله كان بحسب اهوايهم فكانوا يتبعونه ويستريح ويستريحون معه من هذه المخالفات التي جرت الى المشاححات فاوجبت اعظم المقاطعات قال مبينا فساد ذلك ولعله حال من فاعل كارهون ولو اتبع الحق اي في الاصول والفروع والاحوال والاقوال اهواءهم لفسدت السموات على علوها واحكامها والارض على كثافتها وانتظامها ومن فيهن على كثرتهم وانتشارهم وقوتهم بسبب اختلاف اهوايهم واضطرابها المفضي الى النزاع كما ترى من الفساد عند اتباع بعض الاغراض في بعض الازمان الى ان يصلحها الحق بحكمه ويقمعها بهيبته وسطوته ولكنا لم نتبع الحق اهواءهم بل اتيناهم بعظمتنا بذكرهم وهو الكتاب الذي هو في غاية الحكم ففيه صلاح العالم وتمام انتظامه فاذا تامله الجاهل علم عن جهله فسعد في اقواله وافعاله وبان له الخير في ساير احواله واذا تدبره العالم عرج به الى نهاية كماله فحفيد باب السوال عن ازله لتخضع الرقاب وعن انزل عليه فيعظم في الصدور وعن قومه فتجلهم النفوس وتنكس لهيبتهم الروس فيكون لهم اعظم ذكر واعلى شرف ولما جعلوا ما يوجب الاقبال سببا للادبار قال معجبا منهم فهم عن ذكرهم معرضون لا يلتفتون باعراضهم سراد ولا يحفلون به ضرا انما ضرره عايد اليهم وراجع في كل حال عليهم ولما ابطل تعالى وجوه طعنهم في المرسل به والمرسل من جهة جهلهم مرة ومن جهة ادعايهم البطلان اخرى نبههم على وجه اخر هو اعرف الناس ببطلانه ليثبت المدعي من الصحة اذ انتفت وجوه المطاعن فقال منكرا ام تسالهم خرجا قال البغوي اجرا وجعلا وقال ابن مكتوم في الجمع بين العباب والمحكم والخرج والخراج شي يخرجه القوم في السنة من مالهم بقدر معلوم والخراج غلة العبد والامة قال الزجاج الخراج الفي والخرج الضريبة والجزية ولما كان الانكار معناه النفي حسن موقع فاء السبب في قوله فخراج اي لم تسالهم ذلك ليكون سوالك سببا لاتهامك وعلم سوالك بسبب ان خراج ربك الذي يقصده غيرك قط ولم تحل عن بابه وقتا ما خير من خراجهم لان خراجه غير مقطوع ولا ممنوع عن احد من عباده المسيئين فكيف بالمحسنين وكانه سماه خراجا اشارة الى انه اوجب رزق كل احد على

نفسه بوعد لا خلف فيه وهو خير الرازقين فانه يعلم ما يصلح كل مرزوق وما يفسده فيعطيه على حسب ما يعلم منه ولا يحوجه الى سوال ولما كانت عظمة الملك مقتضية لقبول ما اتى به والتشرف به على اي حال كان نبه على انه حق يكسب قبوله الشرف لو لم يكن من عند الملك فكيف اذا كان من عنده فكيف اذا كان ملك الملوك ومالك الملك فكيف اذا كان الاتي خالصة العباد واشرف الخلق كما قام عليه الدليل بنفي هذه المطاعن كلها فقال عاطفا على انتفاهم واكد اي مع انتفا هذه المطاعن كلها لتدعوهم اي بهذا الذكر مع ما تقدم من الوجوه الداعية الى اتباعك بانتفا جميع المطاعن عنك وعاجيت به الى صراط مستقيم لا عوج فيه ولا طعن اصلا كما يشهد به العقول الصحيحة فمن سلكه اوصله الى الغرض فحاز كل شرف والحال انهم ولكنه عبر بالوصف الحامل لهم على التوقف وان الذين لا يومنون بالاخرة لكونهم لا يخشون القصاص فيها عن الصراط لناكبون اي عادلون منحرفون مايلون منحرفون في ساير احوالهم سايرون على غير نهج اصلا بل خبط عشوا لانه يجوز ان يراد مطلق الصراط وان يراد النكرة الموصوفة بالاستقامة ولما وصفوا بالميل وكان ربما قال قايل ان جوانحهم المذكور انفا سلوك في الصراط بين انه لا اعتداد به لمعروضه فقال ولو رحمناهم اي عاملناهم معاملة المرحوم في ازالة ضرر وهو معنى وكشفنا ما بهم من ضر وهو الذي عرض جوارحهم بسبب للجوا اي تمادوا في طغيانهم الذي كانوا عليه وهو افراطهم في منابذة الحق والاستقامة يعمهون اي يفعلون فعل من لا بصيرة له في السير المنحرف عن القصد الجاير عن الاستقامة قال ابن كثير فهذا من باب علمه بما لا يكون لو كان كيف كان يكون قال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما كل ما فيه لو فهو مما لا يكون ثم اتبع هذا الدليل تاييدا له ما يدل على انهم لا يسلكون الصراط الا اضطرارا فقال ولقد اخذناهم بالعذاب اي مطلقة كما دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم في بدر وغيرها فما استكانوا خضعوا لربهم المحسن اليهم عقب المحنة وحقيقته ما طلبوا ان يكونوا له ليلزموا مقام العبودية من الذل والخضوع والانقياد كما واسع تاركين حظوظ انفسهم والحاصل انحطاطهم بالعذاب كان من حقهم ان يكونوا له لا لشركاهم فما عملوا بمقتضى ذلك وما يتضرعون اي يجددون الدعا بالخضوع والذل والخشوع في كل وقت بحيث يكون لهم عادة بل هم على ما جبلوا عليه من الاستكبار والعتو الا اذا التفت حلقتا البطان ولم يبق لهم نوع اختيار بدليل قوله حتى اي استمروا على عتوهم حتى اذا فتحنا عليهم بابا من الابواب التي نقهرهم بها شيينا بحيث يعلو امرها ولا يستطيعون دفاعا ذا عذاب شديد يعني القحط الذي سلطه عليهم اجابة لدعوة النبي صلى الله عليه وسلم في قوله اللهم اعني عليهم بسبع كسبع يوسف اذا هم فيه اي ذلك الباب مطرقون لا يقدرون منه على خلاص مبلسون اي متحيرون ساكتون على ما في انفسهم لا يقدرون ان ينطقوا بكلمة وداخلون في الابلاس وهو عدم الخير متاهلون لسكنى بولس وهو سجن جهنم لعدم جعلهم التضرع وصفا لهم لازما غير عارض والخوف من الله شعارا دايما غير منفك واستحضارا لقدرته واستكبارا لعظمته ثم التفت الى خطابهم استعطافا بجعابهم لان عند التذكير بعذابهم اقرب الى ايابهم فقال وهو اي ما استكانوا لربهم والحال انه هو لا غيره الذي انشا لكم يا من يكذب بالاخرة على غير مثال سبق السمع والابصار ولعله جمعها لان التفاوت فيها اكثر من التفاوت في السمع والافيدة التي هي مراكز العقول فكنتم بها اعلى من بقية الحيوانات ولما صورهم هذه النعم وهي بحيث لا يشك عاقل في انه لا مثل لها وانه لو تصور ان يعطي شيا منها ادمي لم يقدر على مكافاته حسن تبكيتهم في كفر المنعم بها فقال قليلا ما تشكرون اي لم تشكروا لكم هذه النعم التي لا مثل لها ولا يقدر غيره على شي منها مع ادعايكم انكم اشكر الناس لمن اسدى اليكم اقل ما يكون من النعم التي يقدر على مثلها كل احد ولما ذكرهم بهذه النعم التي هي دالة على خلقهم صرح به في قوله وهو اي وحده الذي ذراكم اي خلقكم وبثكم في الارض ولما ذكرهم

بلبدايتهم المتضمن للقدرة على اعادتهم مع ما فيها من الحكمة وفي تركها من الاخلال بها صرح به فقال واليه اي وحده تحشرون
يوم النشور ولما تضمن ذلك احياهم واماتتهم صرح به على وجه عام فقال وهو اي وحده الذي من شانه انه يحيي
ويميت فلا مانع له من البعث ولا غيره مما يريده ولما كانت حقيقة البعث ايجاد الشي كما هو بعد اعدامه ذكرهم بامر طال
ما لابسوه وعالجوه ومارسوه فقال وله اي وحده لا لغيره اختلاف الليل والنهار بوجد كلا منهما بعد ان اعدمه كما كان
سواء فدل على تعاقبهما على تغيرهما وتغيرهما بذلك وبالزيادة والنقص على ان لهما مغيرا لا يتغير وانه لا فعل لهما وانما الفعل
له وحده وانه قادر على اعادة المعدوم كما قدر على ابتدايه بما دل على قدرته وبهذا الدليل الشهودي للجاحدين ولذلك
ختمه بقوله افلا تعقلون اي يكون لكم عقل لتعرفوا ذلك فتعلموا بما يقتضيه ولما كان معنى الاستفهام الانكاري
النفي حسن بعده كل الحسن قوله بل وعدل الى اسلوب الغيبة للايذان بالغضب بقوله قالوا اي هولاء العرب
مثل ما قال الاولون من قوم نوح ومن بعده ثم استانف قوله قالوا اي منكرين للبعث متعجبين من اسرع ايذا اشتاو كنا
اي بالبلا بعد الموت ترابا وعظاما نخرة ثم اكدوا الانكار بقولهم اينا المبعوثون ولما كان محط العناية في هذه
السورة الخلق والايجاد والتهديد لاهل العناد حكي عنهم انهم قالوا لقد وعدنا مقدما قولهم نحن واباونا على قوله هذا
اي البعث من قبل بخلاف النمل فان محط العناية فيها على الايمان بالاخرة فلذلك قدم قوله هذا والمراد وعدا اباونا
على السنة من اثارهم من الرسل ثم استانفوا قولهم ان هذا الا اساطير الاولين اي كذب لا حقيقة له لان ذلك معنى
الانكار المؤكد ولما انكروا البعث هذا الانكار المؤكد ونفوه هذا النفي المحتم امره ان يقررهم باشيا هم بها
مقرون ولها عارفون يلزمهم من تسليمها الاقرار بالبعث قطعا فقال قل لمن الارض اي على سعتها وكثرة عجايبها
ومن فيها على كثرتهم واختلافهم ان كنتم تعلمون اي اهلا للعلم وكانه تنبيه لهم على انهم انكروا شيا لا ينكره عاقل ولما
كانوا مقرين بذلك اخبر عن جوابهم قبل جوابهم ليكون من دلايل النبوة واعلام الرسالة بقوله سيقولون اي قطعا ذلك
كله لله ولما كان ذلك دالا على الوحدانية والتفرد بتمام القدرة من وجهين كون ذلك كله له وكونه لا يخبر عن علو
بشي فلا يمكنه التخلف عنه قال قل اي لهم اذا قالوا لك ذلك منكرا عليهم افلا تذكرون اي بذلك المذكور في فطركم
المقطوع به عندكم ما غفلتم عنه من تمام قدرته وباهر عظمته فتصدقوا ما اخبره من البعث الذي هو دون ذلك وتعلموا
انه لا يصلح شي منها وهو ملكه ان يكون شريكا له ولا ولدا ولما ذكرهم بالعالم السفلي لقربه تلاه بالعلوي لانه اعظم
فقال على ذلك المنوال مرقيا لهم اليه قل من رب السموات السبع اي مبدعها ثم مدبرها كما تشاهدون من حركاتها
وسير نجومها ورب العرش العظيم الذي انتم به معترفون سيقولون الله اي ذلك كله على قراة البصريين والتقدير لغيرها
ذلك كله لله ولما تاكد الامر وزاد الوضوح حسن التهديد على التمادي فقال قل افلا تتقون اي تجعلون بينكم
وبين حلول السخط من هذا الواسع الملك التام القدرة وقاية بالمتاب ولما قررهم بالعالمين العلوي والسفلي
امره بان يقررهم عما هو اعم منها واعظم فقال قل من بيده ملكوت كل شي من العالمين وغيرهما والملكوت الملك البليغ
اي الذي لا نقص فيه بوجه قال ابن كثير كانت العرب اذا كان السيد فيهم فاجار احد احدا لا يخفر في جواره وليس
لمن دونه ان يجير عليه ليلا يفتات عليه ولهذا قال الله تعالى وهو يجير اي يمنع ويغيث من يشا فيكون في حرزه لا يقدر احد على الدنو
من ساحته ولا يجار عليه اي ولا يمكن احدا البتة ان يجير جوارا يكون مستعليا عليه بان يكون على غير مراده بل يا خذ من
اراد وان نصره جميع الخلايق ويعلي من اراد وان تحاملت عليه كل المصايب فتبين كالشمس انه لا شريك له يمانعه
ولا ولد يضاهيه ولا نظير يضارعه وقال ابن كثير وهو السيد الكبير الذي لا اعظم منه الذي له الخلق والامر لا معقب

لحكمه

لحكمه الذي لا مانع ولا يخالف وما شا كان وما لم يشا لم يكن ان كنتم تعلمون اي في عداد من يعلم سيقولون الله الذي بيده
ذلك قل فاني تسحرون اي فكيف بعد اقراركم بهذا كله تدعون ان الوعد بالبعث سحر في قولكم افتاتون السحر وانتم تبصرون
ومن اين صار لكم هذا الاعتقاد وقد اقررتم بما يلزم منه شمول العلم وتمام القدرة ومن اين تخيلون الحق باطلا او كيف
تفعلون فعل المسحور بما تاتون به من التخليط في الاقوال والافعال ولما كان الانكار بمعنى النفي حسن قوله بل
اي لم يكن انهم يسحروا بل او يكون المعنى ليس هو اساطير بل اتيناهم فيه على عظمتنا بالحق الكامل الذي لا حق بعده كما
دلت عليه ال فكل ما اخبرهم من التوحيد والبعث وغيرهما فهو حق وانهم لكاذبون في قولهم انه سحر لا حقيقة له وفي
كل ما ادعوه من الولد والشريك وغيرهما مما بين القران فساده كما الزمهم بما اقروا به في جواب هذه الاسيلة الثلاثة
ولما كان من اعظم كذبهم ما اشار اليه قوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا قال ما اتخذ الله من ولد لما قام من الادلة
على غناه وانه لا يجانسه شي ولما الزمهم باقرارهم انه يجير ولا يجار عليه وان له السموات والارض ومن فيهما ولما كان
الولد اخص من مطلق الشريك قال وما كان معه من اله وزاد من لتاكيد النفي ولما الزمهم الكذب في دعوى الالهية بولد
او غيره من اقرارهم هذا اقام عليه دليلا عقليا ليتطابق الالزامي والعقلي فقال اذا اي اذ لو كان معه اله اخر لذهب كل
اله بما خلق بالتصرف فيه وحده ليتميز ماله مما لغيره ولعلا بعضهم اي بعض الالهة على بعض اذا تخالفت اوامرهم فلم
يرض احد منهم ان يضاف ما خلقه الى غيره ولا ان يمضي فيه امر على غير مراده كما هو مقتضى العادة فلا يكون المغلوب الها
لعجزه ولا يكون مجيرا غير مجار عليه بيده وحده ملكوت كل شي وفي ذلك اشارة الى انه لو لم يكن ذلك الاختلاف
لا مكن ان يكون فكان اشكاله كما فيا في ابطال الشركة لما يلزم ذلك من العجز كما بين في الانبيا ولما طابق الدليل الالزامي
على نفي الشريك نزه نفسه الشريفة بقوله سبحن الله اي المتصف بجميع صفات الكمال المنزه عن كل شايبة نقص عما
يصفون من كل ما لا يليق بجنابه المقدس من الشريك والولد وغيره ثم اقام دليلا اخر على كماله بوصفه بقوله عالم الغيب
والشهادة ولا عالم بذلك غيره ولما كان من الواضح الجلي انه لا مدعي لذلك ومن ادعاه عيبه بان كذبه لا محالة وان من
تم علمه تمت قدرته فاتضح تفرده كما بين في طه تسبب عنه قوله فتعالى عما يشركون له فانه لا علم لشي منه فلا قدرة
فلا صلاحية لرتبة الالهية ولما اقام الدليل على كذبهم بالادلة على عظمته وتعاليه عن كل ما يقول الظالمون وبين لهم
الامر غاية البيان بعد ان هددهم بمثل قوله وما يشعرون حتى اذا اخذنا مترفيهم بالعذاب ونحوه من مثل ما انزله
بالماضين واحله بالمكذبين وكان من المعلوم انه ليس بعد الانذار الا ايقاع القضا وانزال البلا وكان من الممكن ان
يعم سبحنه الظالم وغيره بعذابه لانه لا يسال عما يفعل امره ان يتعوذ من ذلك اظهارا للعظمة الربوبية وذل العبودية
فقال قل رب اي ايها المحسن الي اما ترينى اي قبل موتي ما يوعدون ثم نبه على الزيادة في الضراعة بتكرير النداء
بصفة الاحسان تعبدا وتخشعا وتذللا وتخضعا اشارة الى ان الله سبحنه له ان يفعل ما يشا فينبغي لاقرب خلقه
اليه ان يكون على غاية الحذر منه فقال رب فلا تجعلني باحسانك الي وفضلك علي في القوم الظالمين الذين اعمالهم
اعمال من يمشي في الظلام فهي في غير مواضعها فانه يوشك ان يخصهم العذاب ويعم من جاورهم لو خامة الظلم
وسو عاقبته ولما ارشد التعبير باداة الشك الى ان التقدير فانا على العفو عنهم وعلى الاملاء لهم لقادرون
عطف عليه قوله وانا على ان نريك اي قبل موتك ما نعدهم من العذاب لقادرون ولما لاح من هذا ان اخذهم وتاخيرهم
في الامكان على حد سوا وكانوا يقولون ويفعلون ما لا صبر عليه الا بمعونة من الله كان كانه قال فما افعل بما اعلم من امرهم
فقال امرا له بمداواته ادفع بالتي هي احسن اي من الاقوال والافعال بالصفح والمداراة السيئة ثم خفف عنه بجد

من نقلها بقوله نحن اعلم بما يصفون في حقك وحقنا فلو شينا منعناهم منه او عاجلناهم بالعذاب وليس احد باغير منا فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ولما كان الصبر عليه لا يطاق الا به شجعه امره بالدعاء بذلك فقال وقل رب انى
المحسن اي اعوذ بك اي التجي اليك من همزات الشياطين اي وساوسهم التي هي كالنخس بالمهماز في الاقحام في السيات والبعد من مطلق الحسنات فكيف بالاحسن منها كما سلطتهم على الكافرين تؤزهم الى القبايح ازا واعوذ بك رب اي ايها
المربي لي ان يحضرون فان حضورهم هلكة وبعدهم بركة ولما كان اضر اوقات حضورهم ساعة الموت وحالة الفوت فانه وقت كشف الغطاء وآن اللقاء وتحتم السعود او الارتقا عقب ذلك بذكره تنبيها على بذل الجهد في
الدعاء والتضرع للعصمة فيه فقال معلقا بقوله تعالى بل لا يشعرون اذ هم يلبسون حتى او يكون التقدير كما ارشد اليه السياق فلا اكون من الكافرين المطيعين للشياطين حتى اذا جاء احدهم الموت فكشف له الغطاء فظهر له الحق
ولاحت له بوارق العذاب ولم يبق في شي من ذلك ارتياب قال مخاطبا للملايكة العذاب على عادة جهله ووقوفه مع المحسوس داب البهايم رب ارجعون اي الى الدنيا دار العمل ولما كان في تلك الحالة على القطع من الياس من النجاة
للياس من العمل لفوات داره قال لعلي اعمل اي لاكون على رجاء من ان اعمل صالحا فيما تركت من الايمان وتوابعه قال البغوي
قال قتادة ما تمنى ان يرجع الى اهله وعشيرته ولا ليجمع الدنيا ويقضي الشهوات ولكن تمنى ان يرجع بطاعة الله فرحم الله امرا عمل فيما يتمنا الكافر اذا راى العذاب وقال ابن كثير كان العلاء بن زياد يقول لينزل احدكم نفسه انه قد حضره
الموت فاستقال ربه فاقاله فليعمل بطاعة الله عز وجل ولما كان القضا قد قطع بانه لا يرجع ولو رجع لم يعمل قال كلا اي لا يكون شي من ذلك فكانه قيل فما حكم ما قال فقال انها كلمة اي مقالته رب ارجعون الخ كلمة هو قايلها وقد عرف منه الخلف
والكذب فهي كما عهد منه لا حقيقة لها ولما كان التقدير فهو لا يجاب اليها عطف عليه قوله ومن ورايهم اي من خلفهم ومن امامهم محيط بهم برزخ اي حاجز بين ما هو فيه وبين الدنيا والقيمة مستمر لا يقدر احد على رفعه الى يوم يبعثون ولما
كان التقصير غني ذلك بالبعث فتشوفت النفس الى ما يكون بعده وكان قد تقدم ان الناس بعد ان كانوا امة واحدة في الاجتماع على ربهم تقطعوا قطعا وتحزبوا احزابا وتعاضدوا بحكم ذلك وتناصروا قال نافيا لذلك فاذا نفخ اي النفخة
الثانية وهي نفخة النشور في الصور فقاموا من القبور فلا انساب بينهم يذكرونها يومئذ ولما ذكر ... من الامر وشغلهم من
الباس ولحقهم من الدهش وعمهم من الهول وعلموا انه من علم نفعها الا ما اذن الله فيه ولا يتساءلون الحال في التناصر لانه انكشف لهم ان لا حكم الا لله وانه لا يغني نفس عن نفس شيا فتسببت عن ذلك انه لا نفع الا بالاعمال التي رحم
الله بالتيسير لها ثم رحم بقبولها فلذلك قال فمن ثقلت موازينه اي بالاعمال المقبولة فاوليك اي خاصة هم المفلحون
لانهم المومنون الموصوفون ومن خفت موازينه لا عراضه عن تلك الاعمال المؤسسة على الايمان فاوليك خاصة
الذين خسروا انفسهم لاهلاكهم اياها باتباعهم شهواتها في دار الاعمال وشغلهم باهوايهم عن مراتب الكمال ثم علل
ذلك او بينه بقوله في جهنم خالدون وهي دار لا ينفك اسيرها ولا ينطفي سعيرها ثم استانف قوله تلفح اي تغشي
بشدة حرها وسمومها ووهجها وجوههم النار فتحرقها فما ظنك بغيرها وهم فيها كالحون اي متقلصوا الشفاه عن الاسنان مع عبوسة الوجوه وتجعدها وتقطيبها شغلهم من هو مملي الباطن كراهية لما دهمه
من شدة المعاناة وعظيم المقاساة ولا يناقض نفي التساول هنا اثباته في غيره لانه في غير التناصر بل في التلاوم والتعاتب
على ان المقامات في ذلك اليوم طويلة وكثيرة فالمقالات والاحوال لاجل ذلك متباينة وكثيرة وسياتي عن ابن عباس رضي الله عنهما
في سورة الصافات نحو ذلك ولما جرت العادة بان المعذب بالفعل يضم اليه القول اجيب من قد يسال عن ذلك بقوله

يعلم

اي هولا الاشقيا الذين غرتهم الحياة الدنيا

الدار اي نفعل بهم ذلك مقولا في تانيبهم وتوبيخهم المنكر اياتي التي انتهى عظمها الى اعلى المراتب باضافتها الي تتلى عليكم
اي تتابع لكم قراتها شيا فشيا ولما كانت سببا للايمان فجعلوها سببا للكفران قال فكنتم بها تكذبون ثم استانف جوابهم
بقوله قالوا ربنا ايها المحسن الينا غلبت علينا شقوتنا اي اهواونا التي قادتنا الى سوء الاعمال التي كانت
سببا لظاهر الشقاوة ولما كان التقدير فكنا معها كالماسورين تؤزنا اليها الشياطين ازا عطف عليه وكنا قوما
ضالين في ذلك فكان سببا للتشبث عن طريق السعادة ولما تضمن هذا الاقرار الاعتذار وكان ذلك ربما سوغ الخلاص
وصلوا به قولهم ربنا يا من عودنا بالاحسان اخرجنا منها اي النار تفضلا منك على عادة فضلك ورددنا الى دار الدنيا
لنعمل ما يرضيك فان عدنا اي مثل تلك الضلالات فانا ظالمون فاستانف جوابهم بان قال لهم كما يقال للكلب اخسئوا
اي انزجروا وانطردوا عن مخاطبتي ساكتين سكوت هوان فيها اي في النار ولا تكلمون اصلا فانكم لستم اهلا لمخاطبتي
لانكم لم تزالوا متصفين بالظلم ومنه سؤالكم هذا المفهم ان اتصافكم به لا يكون الا على تقدير عودكم بعد اخراجكم ولما
كانت الشماتة اسر للشرور للشامت واخزي الخزي للمشموت به علل ذلك بقوله انه كان فريق من عبادي اي
الذين هم اهل للاضافة اي جنابي لخلوصهم عن الاهوا يقولون ربنا ايها المحسن الينا بالخلق والرزق امنا اي اوقعنا الايمان بجميع ما جانا به الرسل لوجوب ذلك علينا لا امر لنا به ولما كان عظم المقام موجبا للتقصير العابر وكان
الاعتراف بالتقصير جابرا له قالوا فاغفر لنا اي استر عيوبنا التي كان تقصيرنا فيها وارحمنا اي افعل بنا فعل الراحم الذي
هو على صورة الحنو والشفقة والعطف ولما كان التقدير فانت خير الغافرين فانك اذا سترت ذنبا انسيته
لكل احد حتى للحفظة عطف عليه قوله وانت خير الراحمين لانك تخلص من رحمته من كل شقا وهوان باخلاص الايمان
والخلاص من كل كفران ولما تسبب عن ايمان هولا كفران اوليك قال فاتخذتموهم سخريا اي موضعا للهزء والتلهي
حتى انسوكم ذكري ان تذكروني فتخافوني باقبالكم بكليتكم على ذلك منهم وكنتم منهم تضحكون كانهم لما صرفوا قولهم
الى الاستهزاء بهم علة ضحككم من غيرهم عدما ولما تشوفت النفس بعد العلم بما فعل من اعدايهم الى جزايهم قال
اني جزيتهم اليوم بما صبروا اي على عبادتي ولم يشغلهم عنها تاملهم باذاكم ولا شغلكم عنها التذاذكم باها نتهم
نوزهم ... وهو معنى قوله انهم هم اي خاصة الفايزون اي الناجون الظافرون بالخير بعد الاشراف على الهلكة
ولما كان الفايز وهو الظافر من لم تحصل له بوس في ذلك الامر الذي فاز به كان ربما قيل ان اعداهم فازوا باللاستهزاء
بهم والرفعة عليهم في حال الدنيا فنبه على الجواب عن ذلك بايه الغلبة التي هي احقر من قطرة في جنب بحر عدم بقوله
قال تنبيها لهم تاسيفا على ما اضاعوا من عبادة يسير تورثهم سعادة لا انقضاء لها وارتكبوا من لذة قليلة
اعقبتهم بوسا لا اخر له كم لبثتم في الارض على تلك الحال التي كنتم تعدونها فوزا عدد سنين انتم فيها ظافرون ولا عداكم
قاهرون ولعله عبر بما منه الاسنان الذي معناه القحط اشارة الى ان ايام الدنيا ضيقه حرجه وان كان فيها سعة
ولا سيما للكفرة بكفرهم وخبثهم ومكرهم الذي جرهم الى اضيق الضيق واسوا العيش قالوا استقصارا له في جنب
ما راوا من العذاب واستنقاذا لانفسهم ظنا ان مدة لبثهم في النار يكون بمقدار سكنهم في الدنيا لبثنا يوما ثم
زادوا في التقليل فقالوا او بعض يوم ولما كان المكره في الدنيا اذا ارادوا تمشية كذبهم قالوا المنزاح خروج فتوقف
في خبرهم سل فلانا انا ثقا باخبارهم وسترا لعوارهم جروا على ذلك تماديا منهم في الجهل بالعليم القدير في قولهم
فاسئل العادين ولما كان ذلك على تقدير تسليمه لا ينفعهم لان الجزاء بالعذاب على عزمهم على التمادي في العناد على مر
الاباد المصدق منهم بالانهماك في الفساد اجابهم الى قصدهم في عدهم بعبارة صالحة صادقة على مدة لبثهم طال او قصر

قال ان اي ما لبثتم اي في الدنيا الا قليلا اي هو من القلة بحيث لا يسمى بل هو عدم لو انكم كنتم تعلمون اي لو كنتم في عداد
من يعلم في ذلك الوقت لما اثرتم الفاني على الباقي ولا قبلتم على ما ينفعكم وتركتم الخلاعة التي لا يرضاها عاقل ولا يكون
على تقدير الرضى بفعلها الا بعد الفراغ من المهم ولكنكم كنتم في عداد البهايم وفي ذلك تنبيه للمومنين الذين هم الوارثون
على الشكر على ما منحهم من السرور باهلاك اعدايهم وايراثهم ارضهم وديارهم مع اغترارهم والبركة في اعمارهم بعد اراحتهم
منهم في الدنيا ثم بادامة سعادتهم في الاخرة وشقاوة اعدايهم ولما كان حالهم في ظنهم ان لا بعث حتى اشتغلوا بالفرح
والبطر والمرح والاستهزا باهل الله حال من يظن العبث على الله الملك الحق المبين سبب عن ذلك عطفا على قوله
فاتخذتموهم سخريا انكاره عليهم في قوله افحسبتم ويجوز ان يكون معطوفا على مقدر نحو احسبتم انا نهملكم فلا
تنصف مظلومكم من ظالمكم فحسبتم انما خلقناكم عبثا لا لحكمة اظهار العدل والفضل حتى اشتغلتم بظلم انفسكم
وغيركم قال ابو حيان والعبث اللعب الخالي عن فايدة وانكم اي وحسبتم انكم الينا خاصة لا ترجعون لاظهار العدل والفضل
في الفصل واخرج ابن ابي حاتم في تفسيره وابو يعلى الموصلي في الجزء الرابع والعشرين من مسنده والبغوي في تفسيره
عن ابن مسعود رضي الله عنه انه مر على رجل مصاب فقرا في اذنه هذه الاية الى اخر السورة فبرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
والذي نفسي بيده لو ان رجلا موقنا قراها على جبل لزال وفي سندها ابن لهيعة قال ابن كثير وروى ابو نعيم عن محمد بن
ابرهيم بن الحرث عن ابيه قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية وامرنا ان نقول اذا امسينا واصبحنا افحسبتم
الاية قال فقراناها فغنمنا وسلمنا ولما كان التقدير ليس الامر كما حسبتم علل ذلك بقوله فتعالى الله اي عن العبث ثم
وصفه بما ينافي العبث فقال الملك اي المحيط باهل مملكته علما وقدرة وسياسة وحفظا ورعاية ولما كان بعض
الملوك الدنيا قد يفعل ما ينافي شيم الملوك من العبث بما فيه من الباطل اتبع ذلك بصفة تنزهه عنه فقال الحق
اي الذي لا تطرق للباطل اليه في شي من ذاته ولا صفاته فاني ياتيه العبث ولما كان الحق من حيث هو قد يكون
له ثان نفى ذلك في حقه تعالى بقوله لا اله الا هو فلا يوجد له نظير اصلا في ذات ولا صفة ومن يكون كذلك يكون حايزا
لجميع اوصاف الكمال وخلال الجلال والجمال متعاليا عن سمات النقص والعبث من اذى صفات النقص لخلوه عن الحكمة
التي هي اس الكمال ثم زاد في التعيين والتاكيد للتفرد بوصفه بصفة لا يدعيها غيره فقال رب العرش اي السرير
المحيط بجميع الكاينات العالي عليها علوا لا يدانيه شي ثم وصف العرش بقوله الكريم اي الذي تنزل منه الخيرات
الحاصلة للعباد مع شرف جوهره وعلو رتبته ومدحه ابلغ مدح لصاحبه والكريم من ستر مساوي الاخلاق
باظهار معاليها وتنزه عن كل دناة قال القزاز واصل الكرم في اللغة الفضل والرفعة ولما كان التقدير فمن دعا الله وحده
فاوليك هم المفلحون الوارثون في الدارين عطف عليه ومن يدع مع الله الها اخر ثم ايقظ من سنة الغفلة ونبه على الاجتهاد
والنظر في ايام المهلة بقوله لا اعدل منه ولا انصف فقال لا برهان له به فانه اذا اجتهد في اقامة برهان على ذلك لم
يجد بل وجد البراهين كلها قايمة على نفي ذلك داعية الى الفلاح باعتقاد التوحيد والصلاح فانما حسابه اي جزاوه
عند ربه الذي رباه ولم يتربه احد سواه وغمره بالاحسان ولم يحسن اليه احد غيره الذي هو اعلم بسريرته
وعلانيته نفسه فلا يخفى عليه شي من امره ولما افهم كون حسابه عند هذا المحسن احد امرين اما الصفح
بدوام الاحسان واما الخسران بسبب الكفران قال على طريق الجواب لمن يسال عن ذلك انه لا يفلح ووضع الكافرون
موضع ضميره تنبيها على كفره وتعميما للحكم فصار اول السورة واخرها منهما لان الفلاح مختص به المومنون
ولما كان الامر كذلك امر نبيه صلى الله عليه وسلم بالاجتهاد في انقاذ عباده حتى بالدعا لله في اصلاحهم فقال

عاطفا

عاطفا على قوله ادفع بالتي هي احسن فانه لا احسان احسن من الغفران وعلا ويكون التقدير فاخلص العبادة
له وقل لاجل ان احدا لا يقدر الله حق قدره رب ايها المحسن الي اغفر وارحم اي اكثر من هاتين الصفتين فان سنتي
لتكثرهما فان في ذلك شرفا لي ولهم فانت خير الغافرين وانت خير الراحمين فمن رحمته افلح عاتوفقه له من امتثال ما
اشرت اليه اول السورة فكان من المومنين فكان من الوارثين الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون
فقد انطبق هذا على الاول هذا الاخر بفوز كل مومن وخيبة كل كافر فنسال الله تعالى ان يكون لنا ارحم راحم
وخير غافر انه متولي السراير والمرجو لصلاح الضماير سورة النور مقصودها مدلول اسمها المودع
قلبها المراد منه انه تعالى شامل العلم اللازم منه تمام القدرة اللازم منه اثبات الامور على غاية الحكمة اللازم
منه تاكيد الشرف للنبي صلى الله عليه وسلم اللازم منه شرف اختياره لصحبته على منازل لقربهم منه واختصاصهم
به اللازم منه غاية النزاهة والشرف والطهارة لام المومنين عايشة رضي الله عنها التي مات النبي صلى الله عليه وسلم
وهو عنها راض وما انتهى هي رضي الله عنها صالحة محسنة وهذا هو المقصود بالذات ولكن اثباته محتاج الى تلك
المقدمات بسم الله الذي تمت حكمته فبهرت قدرته الرحمن الذي ظهرت الخلايق كلها بشمول رحمته الرحيم
الذي شرف من اختاره بخدمته لما تقدم في التي قبلها تحريم الزنا والحث على الصيانة وختم تلك الاية بذكر الجنة
المتضمن للبعث استدل عليه وذكر ما يتبعه من تهديد وعمل الى ان فرغت السورة واخبر في اخرها بتبكيت
المعاندين يوم التناد بقوله الم تكن اياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون وبقوله افحسبتم انما خلقناكم عبثا كل ذلك
رحمة منه لخلقه ليرجع منهم من قضى بسعادته ثم ختم بقوله وانت خير الراحمين فابتدا سبحانه هذه السورة بانه من
على المخاطبين ببيان ما خلقوا له من الاحكام لانهم لم يخلقوا سدى بل للتكاليف تعبدهم بها برفع التنازع
وتحسم مادة الشر لتوجب الرحمة والعطف لسلامة الصدر بما فيهم من الجنسيه فقال سورة اي عظيمة هذه سورة
عظيمة ثم رغب في امتثال ما فيها مبينا ان تنوينها للتعظيم بقوله انزلناها اي بما لنا من العظمة وتمام العلم
والقدرة وفرضناها اي قررناها وقدرناها واكثرنا فيها من الفروض واكدناها وانزلنا فيها بشمول علمنا
ايات من الحدود والاحكام والمواعظ والامثال وغيرها بينات لا اشكال فيها رحمة منا لكم فمن قبلها دخل في
دعوة نبينا التي لقناه اياها في اخر تلك فرحمه خير الراحمين ومن اباها ضل فدخل في التبكيت بقولنا الم تكن اياتي
تتلى عليكم ونحو ذلك معنى قوله لعلكم تذكرون اي لتكونوا اذا تاملتموها مع ما فيها من الايات المرققة والقصص
المحذرة على رجاء عند من لا يعلم العواقب من ان تذكروا بما ترون فيها من الحكم ان الذي نصبها لكم
وفصلها الى ما ترون لا يتركم سدى فتقبلوا على جميع اوامره وتنتهوا عن زواجره ليغفر لكم ما قصرتم فيه
من طاعته ويرحمكم بتنويل ما لا وصول لكم اليه الا برحمة منه وتتذكروا ايضا بما تبين لكم من الامور ويكشف
عنه الغطا من الاحكام التي اعمت عنها حجب النفوس وسترتها ظلمات الاهوية ما جبل عليه الادميون فتعلموا
ان الذي تحبون ان يفعل معكم تحب غيركم ان يفعلوه معه والذي تكرهونه من ذلك يكرهه غيركم فيكون ذلك
حاملا لكم على النصفة فيثمر الصفا والالفة والوفا فتكونوا من المومنين المفلحين الوارثين الداخلين في دعوة
البشير النذير بالرحمة وقال الامام ابو جعفر بن الزبير في برهانه لما قال تعالى فمن ابتغى وراء ذلك فاوليك هم
العادون استدعى الكلام بيان حكم العادي في ذلك ولم يبتين فيها فاوضحه في سورة النور فقال تعالى الزانية
والزاني الاية ثم اتبع ذلك بحكم اللعان والقذف وانجر مع ذلك الاخبار بقصة الافك تحذيرا للمومنين من زلل

الا لسنة رجما بالغيب وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم واتبع ذلك بعد بوعيد محبي شياع الفاحشة في المومنين بقوله تعالى ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المومنات الايات ثم بالتحذير من دخول البيوت الا بعد الاستيذان المشروع ثم بالامر بغض الابصار للرجال والنساء ونهي النساء عن ابداء الزينة الا لمن سمى الله سبحنه في الاية ه
وتكررت هذه المقاصد في هذه السورة الى ذكر حكم العورات الثلاث ودخول بيوت الاقارب وذوي الارحام وكل هذا مما تبرا ذمة المومن بالتزام ما امر الله فيه من ذلك والوقوف عند ما حده تعالى من ان يكون من العادين المذمومين في قوله تعالى فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون وما تخلل الاي المذكورات ونسق عليها مما ليس من الحكم المذكور فلاستجرار الاي اياه واستدعائه ومظنة استيفاء ذلك وبيان ارتباطه التفسير وليس من شرطنا هنا والله سبحنه يوفقنا الفهم كتابه انتهى ولما كان مبني هذه الدار على الانساب في التوارث والاما منة والنكاح وغير ذلك ومبني تلك الدار على الاعمال لقوله تعالى فلا انساب بينهم يوميذ وكان قد حث في اخر تلك على الستر والرحمة حذر سبحنه رحمة منه في اول هذه من لبس الانساب ولبس الاعراض وقطع الاسباب معلما ان الستر والرافة ليسا على عمومهما بل على ما يحده سبحنه فقال الزانية وقدمها لان اصل الفتنة بهتك ما امرت به من حجاب التستر والتصون والتحذر والزاني فاجلدوا اي فاضربوا وان كان اصله ضرب الجلد بالسوط الذي هو جلد كل واحد منهما اذا لم يكن محصنا بل كان مكلفا بكرا مائة جلدة فبدا بحد الزنا المشار اليه اول تلك بقوله تعالى فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون وفي التعبير بلفظ الجلد الذي هو ضرب الجلد اشارة الى انه يكون مبرحا بحيث يتجاوز الالم الى اللحم ولما كان هذا ظاهرا في ترك الشفقة عليهما صرح به في قوله ولا تاخذكم بهما رافة اي لين ولعله عبر بها اعلاما بانه لم ينه عن مطلق الرحمة لان الرافة اشد الرحمة اوارقها وكذا قوله في دين الله اي الذي شرعه لكم اشارة الى ان الممنوع منه رحمة تودي الى ترك الحد او شي منه او التهاون به او الرضي عن منتهكه لا رقة القلوب المطبوع عليها البشر كما يحكى عن ابي الدرداء رضي الله عنه انه بكى يوم فتحت قبرس وضربت رقاب ناس من اسراها فقيل له هذا يوم سرور فقال هو كذلك ولكني ابكي رحمة لهولاء العباد الذين عصوا الله فخذلهم وامكن منهم ولما علم سبحنه ما طبع عليه عباده من رحمة بعضهم لبعض حث على هذا الحكم بالامر والنهي زاد في التهييج اليه والحض عليه بقوله ان كنتم تومنون بالله الذي هو ارحم الراحمين فما شرع ذلك الا رحمة للناس عموما وللزانيين خصوصا واليوم الاخر الذي يحاسب فيه على النقير والقطمير والخفي والجلي ولما كان الخزي والفضيحة اعظم عند بعض الناس من ضرب السيف فضلا عن ضرب السوط قال وليشهد اي يحضر عذابهما طايفة اي جماعة يمكن اطافتها اي تحلقها وحفوفها بكل منهما من المومنين اشهارا لامرهما نكالا لهما وعن نصر بن علقمة ان ذلك ليدعا لهما بالتوبة والرحمة وفي كل هذا اشارة ظاهرة الى ان اقامة الحدود والغلظة فيها من رحمته سبحنه المشار اليها بقوله وانت ارحم الراحمين ولما كان في ذلك من الغلظة على الزاني لما ارتكب من الحرام المتصف بالعار ما يفهم مجانبته صرح به مانعا من نكاح المتصف بالزنا من ذكر وانثى اعلاما بان وطء من اتصف به من رجل او امرة لا يكون الا زنا وان كان بعقد فقال واصلا له بما قبله الزاني لا ينكح اي لا يتزوج الا زانية او مشركة اي المعلوم اتصافه بالزنا مقصور نكاحه على زانية او مشركة وذلك محرم فهذا تنفير للمسلم عن نكاح المتصف بالزنا حيث سويت بالمشركة ان عاشرته وذلك يرجع الى من نكحت زانيا فهي زانية او مشركة اي فهي مثله او شر منه ولو اقتصر على ذلك لم يكن تمنع من ان ينكح العفيف الزانية فقال تعالى مانعا من ذلك والزانية لا ينكحها اي لا يتزوجها الا زان او مشرك

اي والمعلوم اتصافها بالزنا مقصور نكاحها على زان او مشرك وذلك محرم فهو تنفير للمسلم ان يتزوج من اتصف بالزنا حيث سوي في ذلك بالمشرك وهو يرجع الى ان من نكح زانية فهو زان او مشرك اي فهو مثلها او شر منها واسند النكاح في الموضعين تنبيها على ان النساء لاحق لهن في مباشرة العقد ثم صرح بما افهمه صدر الاية بقوله وحرم ذلك اي نكاح الزاني والزانية على المومنين وعلم من هذا ان ذكر المشرك والمشركة لزيادة التنفير ثم ان هذا الحكم نسخ كما قال امامنا الشافعي رحمه الله موافقة لابن المسيب بقوله تعالى وانكحوا الايامى منكم وهو جمع ايم وهو من لا زوج له من الذكور والاناث فاحل للزاني ان ينكح من شاء وللزانية ان تنكح من شاءت وقراة من قرا لا ينكح بالنهي راجعة الى هذا لان الطلب قد يعبر عنه بالخبر كما يعبر بالخبر عن الطلب والله اعلم قال الشافعي رحمه الله في الام في جزء مترجم باحكام القران وفي جزء بعد كتاب الحج الكبير والصغير والضحايا ما جاء في نكاح المحدثين وذكر الاية وقال اختلف اهل التفسير في هذه الاية اختلافا متباينا اخبرنا مسلم بن خالد عن ابن جريج عن مجاهد ان هذه الاية نزلت في بغايا من بغايا الجاهلية كانت على منازلهن رايات قال في الجزء الاخر وكن غير محصنات فاراد بعض المسلمين نكاحهن فنزلت الاية بتحريم ان ينكحهن الا من اعلن بمثل ما اعلن به او مشرك وقيل كن زواني مشركات فنزل لا ينكحهن الا زان مثلهن او مشرك وان لم يكن زانيا وحرم ذلك على المومنين وقيل هي عامة ولكنها نسخت اخبرنا سفين عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب انه قال هي منسوخة نسختها وانكحوا الايامى منكم فهي من ايامى المسلمين فهذا كما قال ابن المسيب ان شا الله تعالى وعليه دلايل من الكتاب والسنة ثم استدل على فساد هذا القول بان الزانية ان كانت مشركة فهي محرمة على زناة المسلمين وغير زناتهم بقوله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يومن الاية ولا خلاف في ذلك وان كانت مسلمة فهي بالاسلام محرمة على جميع المشركين بكل نكاح بقوله تعالى فان علمتموهن مومنات فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن ولا خلاف في ذلك ايضا وبانه لا اختلاف بين احد من اهل العلم ايضا في تحريم الوثنيات عفايف كن او زواني على من امن زانيا كان او عفيفا وبان النبي صلى الله عليه وسلم جلد بكرا في الزنا وجلد امراة ولم نعلمه قال للزاني هل لك زوجة فتحرم عليك اذا زنيت ولا يتزوج هذا الزاني ولا الزانية الا زانية او زانيا بل قد يروى ان رجلا شكى من امراته فجورا فقال طلقها قال اني احبها قال استمتع بها يشير الى ما رواه ابو داود والنسائي وغيرهما ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان امراتي لا تمنع يد لامس قال طلقها قال اني لا اصبر عنها قال فامسكها ورواه البيهقي والطبراني من حديث جابر رضي الله عنه وقال شيخنا ابن حجر انه حديث حسن صحيح وقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال لرجل اراد ان ينكح امراة احدثت انكحها نكاح العفيفة المسلمة انتهى بالمعنى وقال في الجزء الذي بعد الحج فوجدنا الدلالة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في زانية وزان من المسلمين لم نعلمه حرم على واحد منهما ان ينكح غير زانية ولا زان ولا حرم واحد منهما على زوجه ثم قال فالاختيار للرجل ان لا ينكح زانية وللمراة ان لا تنكح زانيا فان فعلا فليس ذلك بحرام على واحد منهما ليست معصية واحد منهما في نفسه تحرم عليه الحلال اذا اتاه ثم قال وسواء حد الزاني منهما او لم يحد او قامت عليه بينة او اعترف لا يحرم زنا واحد منهما ولا زناهما ولا معصية من المعاصي الحلال الا ان يختلف ديناهما بشرك وايمان انتهى وقد علم انه لم يرد ان هذا الحكم نسخ باية الايامى فقط بل انضم اليها من الاجماع وغيره من الايات والاحاديث بحيث صير ذلك دلالتها على ما ثبتا ولنه مثبتا كدلالة الخاص على ما ينا وله فلا يقال ان الشافعي رحمه الله خالف اصله في ان

الخاص لا ينسخ بالعام لان ما تناوله الخاص متيقن وما تناوله العام ظاهر مظنون وكان هذا الحكم وهو الحرمة في اول الاسلام بعد الهجرة ليلا يتغلب حال المفسد على المصلح فيخيل بعض الامر كما اشير اليه في البقرة عند ولا تنكحوا المشركات الاية وفي المايدة عند ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو من وادي قوله

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل خليل بالمخالل يقتدي

والجنسية علة الضم والمشاكلة سبب المواصلة والمخالفة توجب المباعدة وتحرم المؤالفة وقد روى ابو داود في الادب والترمذي في الزهد وقال حسن غريب عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الرجل على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل وروى الامام ابو يعلى الموصلي في مسنده قال ثنا يحيى بن معين ثنا سعيد بن الحكم ثنا يحيى بن ايوب حدثني يحيى بن سعيد عن عمرة بنت عبد الرحمن قالت كانت امراة بمكة مزاحة يعني فهاجرت الى المدينة الشريفة فنزلت على امراة شبه لها فبلغ ذلك عايشة رضي الله عنها فقالت صدق حبي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ايتلف وما تناكر منها اختلف قال ولا اعلم الا قال في الحديث ولا نعرف تلك المراة وسياتي عند والطيبات للطيبين تخريج الارواح جنود مجندة وقال الامام ابو بكر احمد بن مروان الدينوري في كتاب المجالسة حدثنا احمد بن علي الخراز ثنا مصعب بن عبد الله عن ابي عزية الانصاري قال قال الشعبي يقال ان لله ملكا موكلا بجمع الاشكال بعضها الى بعض انتهى وعزاه شيخنا الحافظ ابو الفضل ابن حجر في تخريج احاديث مسند الفردوس الى انس رضي الله عنه وقال بتاليف الاشكال ويروى ان امير المومنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه خطب اهل الكوفة ثلاثة ايام من مقدمه عليهم فقال يا اهل الكوفة قد علمنا شراركم من خياركم فقالوا كيف وما لك الا ثلاثة ايام فقال كان معنا شرار وخيار فانضم خيارنا الى خياركم وشرارنا الى شراركم فلما تقررت الاحكام واذعن الخاص والعام وضرب الدين بجرانه ولم يخش وهي شي من بنيانه نسخت الحرمة وبقيت الكراهة او خلاف الاولى والله الموفق وهذا كله توطية لبراة عايشة ام المومنين رضي الله عنها كما ياتي التصاحه عند والطيبات للطيبين لانها قرينة خير العالمين وانقاهم واعفهم ولان كلا منها ومن صفوان رضي الله عنهما بعيد عما رمي به شهير فضله واليه الاشارة بقول النبي صلى الله عليه وسلم من يعذرني في رجل بلغ اذاه في اهلي والله ما علمت على اهلي الا خيرا ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه الا خيرا وفي رواية ما علمت عليه من سوء قط ولا دخل بيتي قط الا وانا حاضر ويقول عايشة رضي الله عنها عن صفوان رضي الله عنه انه قتل شهيدا في سبيل الله وهذا سوى الايات المصرحة والاعلام المفصحة فهو والطيبون تلويح قبل بيان وتصريح واشارة بعد عيان وتوضيح ليجتمع في براة الصديقة رضي الله عنها دليلان عقليان شهوديان اكتنفا الدليل النقلي فكانا سورا عليه وحفظا من تصويب طعن اليه وفي ذلك من فخامة امرها وعظيم قدرها ما لا يقدر حق قدره الا الذي خصها به ولما نفر سبحانه من نكاح من اتصف بالزنا من رجل او امراة وبدا بنكاح المراة الزاني مظنة لزناها بتنفير الاناث عما يوهم اطلاق الزنا عليهن عم بنكاح من علم زناه وذلك بعد ان ابتدا في حد الزنا بالانثى ايضا لان زناها اكبر شرا واعظم فضيحة وضرا عطف على ذلك تحريم القذف بما يوجب تعظيم الرغبة في الستر وصيانة الاعراض واخفاء الفواحش فقال

والذين يرمون اي بالزنا المحصنات جمع محصنة وهي هنا المسلمة الحرة المكلفة العفيفة والمراد القذف بالزنا بما ارشد اليه السياق ذكورا كان الرامون او اناثا بما افهمه الموصول وخص الاناث وان كان الحكم عاما للرجال تنبيها على عظيم حق ام المومنين عايشة رضي الله عنها ولان الكلام في حقهن اشنع ولما كان اقدام الجزئي على القذف مما شرط فيه لدرء الحد ارادة الستر بعيدا اشار اليه باداة التراخي فقال ثم لم ياتوا اي الى الحاكم باربعة شهداء ذكور

لانهم

فاجلدوهم اي ايها المومنون من الايمة ونوابهم ثمانين جلدة ان كانوا احرارا ولا تقبلوا لهم اي بعد قذفهم على هذا الوجه شهادة ابدا للحكم بافترائهم ومن ثبت افتراؤه سقط الوثوق بكلامه ولما كان التقدير فانهم قد افتروا عطف عليه تحذيرا من الاقدام عن غير تثبت واولئك اي الذين تقدم ذمهم من اول السورة الى هنا هم الفاسقون اي المحكوم بفسقهم الثابت لهم هذا الوصف وان كان القاذف منهم محقا في نفس الامر الا الذين تابوا اي رجعوا اعاوقعوا فيه من القذف وغيره وندموا عليه وعزموا على ان لا يعودوا كما بين في البقرة في قوله الا الذين تابوا واصلحوا وبينوا واشار الى ان الجلد لا يسقط بالتوبة بقوله من بعد ذلك اي الامر الذي اوجب ابعادهم وهو الرمي والجلد فان التوبة لا تغير حكم الرامي في الجلد وانما تغيره في رد الشهادة وما تسبب عنه وهو الفسق واشار الى شروط التوبة بقوله واصلحوا ولما كان استثناؤهم من رد الشهادة والفسق فكان التقدير فاقبلوا شهادتهم ولا تصفوهم بالفسق علله بقوله فان الله غفور اي ستور لهم ما اقدموا عليه لرجوعهم عنه رحيم اي يفعل بهم من الاكرام فعل الراحم بالمرحوم في قبول الشهادة ولما كان لفظ المحصنات عاما للزوجات وكان لهن حكم غير ما تقدم اخرجهن بقوله والذين يرمون اي بالزنا ازواجهم اي من المومنات الاحرار والاما والكافرات ولم يكن لهم بذلك شهداء الا انفسهم وهذا يفهم ان الزوج اذا كان احد الاربعة كفى لكن يرد هذا المفهوم في الاية قبلها ثم لم ياتوا باربعة شهداء فانه يقتضي كون الشهداء غير الرامي ولعله استثناه من الشهداء لان لعانه يكون بلفظ الشهادة ومذهب الشافعي رضي الله عنه انه لا يقبل في ذلك على زوجته قال ابن الرفعة في الكفاية لامرين احدهما ان الزنا تعرض لمحل حق الزوج فان الزاني مستمتع بالمنافع المستحقة له فشهادته في صفته يتضمن اثبات جناية الغير على ما هو مستحق له فلم تسمع كما اذا شهد انه جنى على عبده والثاني ان من شهد بزنا زوجته فنفس شهادته دال على اثبات العداوة لان زناها يوعز صدره بتلطيخ فراشه وادخال العار عليه وعلى ولده وهو ابلغ في العداوة من مولم الضرب وفاحش السب قال القاضي الحسين والى هذه العلة اشار الشافعي رحمه الله وهي التي حكاها القاضي ابو الطيب في باب حد قاطع الطريق عن الشيخ ابي حامد فشهادة احدهم اي على من رماها اربع شهادات من خمس في مقابلة اربعة شهداء بالله اي مقرونة بهذا الاسم الكريم الاعظم الموجب لاستحضار جميع صفات الجلال والجمال انه لمن الصادقين اي فيما قذفها به والخامسة ان لعنة الله عليه اي على القاذف نفسه ان كان من الكاذبين فيما رماها به ولا يصح اللعان الا عند حاكم ولا يخفى ما في هذا من الابعاد عن القذف بوجوب مزيد الاحتياط لما في ذلك من التكرير والاقتران بالاسم الاعظم والجمع بين الاثبات وما يتضمن النفي والدعا باللعن المبعد لصفة المومن فاذا فعل الزوج ذلك سقط عنه العذاب بحد القذف واوجبه على المقذوف فلذلك قال تعالى ويدرؤا اي يدفع عنها اي المقذوفة العذاب اي الحد الذي اوجبه عليها ما تقدم من شهادة الزوج ان تشهد اربع شهادات من خمس بالله كما تقدم في الزوج انه لمن الكاذبين فيما قاله عنها والخامسة من الشهادات ان غضب الله عليها وهو ابلغ من اللعن الذي هو الطرد لانه قد يكون بسبب غير الغضب وسبب التغليظ عليها الحث على اعترافها بالحق لما يعضد الزوج من القرينة من انه لا يتجشم فضيحة اهله المستلزم لفضيحته الا وهو صادق ولانها مادة الفساد وهاتكة الحجاب ومخالطة الانساب ان كان من الصادقين اي فيما رماها به روى البخاري في التفسير وغيره عن ابن عباس وغيره رضي الله عنهم ان هلال بن امية رضي الله عنه قذف زوجته بشريك ابن سحما فقال النبي صلى الله عليه وسلم البينة او حد في ظهرك قال يا رسول الله اذا راى احدنا على امراته رجلا ينطلق

تعالي

بلغت البينة فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول البينة والا حد في ظهرك فقال هلال والذي بعثك بالحق اني لصادق
ولينزلن الله ما يبرئ ظهري من الحد فنزل جبريل وانزل عليه والذين يرمون ازواجهم فقرأ حتى بلغ ان كان من الصادقين
فانصرف النبي صلى الله عليه وسلم فارسل اليهما فجاء هلال فشهد والنبي صلى الله عليه وسلم يقول ان الله يعلم ان احدكما كاذب فهل
منكما تائب ثم قامت فشهدت فلما كانت عند الخامسة وقفوها وقالوا انها موجبة فتلكأت ونكصت حتى ظننا انها
ترجع ثم قالت لا افضح قومي سائر اليوم فمضت وقال النبي صلى الله عليه وسلم ابصروها فان جاءت به اكحل العينين سابغ
الاليتين خدلج الساقين فهو لشريك بن سحماء فجاءت به كذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم لولا ما مضى من كتاب الله
لكان لي ولها شان وقد روى البخاري ايضا عن سهل بن سعد رضي الله عنه ان سبب نزولها قصة مثل هذه لعويمر وقد
تقدم انه لا يمتنع ان يكون للاية الواحدة علة اسباب معا او متفرقة ولما حرم سبحانه بهذه الجمل الاعراض والانساب
فضلا عن ذلك الدماء والاموال علم ان التقدير فلولا انه سبحانه خير الغافرين وخير الراحمين لما فعل بكم ذلك ولفضح المذنبين
واظهر سرائر المستخفين ففسد النظام واطبقتم على التهاون بالاحكام فعطف على هذا الذي علم تقديره ولولا فضل الله
اي بما له من الكرم والجمال والانصاف بصفات الكمال عليكم ورحمته اي بكم وان الله تواب اي رجاع بالعصاة الى حكم
حكيم الامور فيمنعها من الفساد بما يعلم من عواقب الامور لفضح كل عاص ولم يوجب اربعة شهداء ستر الكم ولامر بعقوبته
عما توجبه معصيته ففسد نظامكم واختل نقضكم وابرامكم ثم على بما اقتضته لولا من نحو ولكنه لم يفعل ذلك افضالا
عليكم ورحمة لكم بقوله على وجه التاكيد لما عرف من حال كثير منهم من غضب لله ولرسوله من ارادة العقوبة للآفكين بضرب
الاعناق منبها لهم على ان ذلك يجر الى مفسدة كبيرة ان الذين جاءوا بالافك اي اسوا الكذب لانه القول المصروف
عن مدلوله الى ضده المقلوب عن وجهه الى قفاه وعرف زيادة تبشيعه له في هذا المقام حتى كانه لا افك الا هو لانه في
حق ام المومنين عايشة رضي الله عنها وهي من احق الناس بالمدحة لما كانت عليه من الحصانة والشرف والعفة والكرم
لمن رماها بسوء فقد قلب الامر على احسن وجوهه الى اقبح اقفائه وترك تسميته تنزيها لها عن هذا المقام وابعادا
لمصون جانبها العلي عن هذا المرام عصبة اي جماعة اقلهم عشرة واكثرهم اربعون فهم لكونهم عصبة يحمي بعضهم لبعض
فيشتد امرهم لان مدار مادة عصب على الشدة وهم مع ذلك منكم اي ممن يعد عندكم في عداد المسلمين فلو فضحهم الله في جميع
ما اسروه واعلنوه وامركم بان تعاقبوهم بما يستحقون على ذلك لفسدت ذات البين بحمايتهم لانفسهم ولهم كبير وتعصب
لو دايم لهم الايام خارق بعضهم به من ذلك ما كشفت عنه التجربة حين خطب النبي صلى الله عليه وسلم وقال من يعذرني من رجل
بلغ اذاه في اهلي حين كانوا يقتتلون لولا سكنهم النبي صلى الله عليه وسلم فانه تعالى برحمته بكم يمنع من كيدهم ببيان كذبهم ويمكنه
يستر عليهم ويخفيهم لينحسم مادة مكرهم وينقطع اسباب ضرهم ولما كان هذا مقتضيا للاهتمام بشانهم اتبعه
قوله تخفيفا لامرهم لا تحسبوه اي الافك شرا لكم بان يصدقه احد وينشأ عنه فتنة بل هو خير لكم بثبوت البراة
الموجبة للفخر الذي لا يلحق بتلاوتها على مر الدهور بالنسبة من لا يحصى من العباد في اكثر البلاد وتسلية الرسول
والصديقين بذلك مع الثواب الجزيل بالصبر على مرارة هذا القيل وثبوت اعجاز القران بصدقه في صيانة من اثنى
عليها في ذلك الدهر الطويل الذي عاشته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعده الى ان ماتت رضي الله عنها انقى الناس
ديانة واطهرهم صيانة وانقاهم عرضا واطيبهم نفسا فهو لسان صدق في الدنيا ورفعة منازل في الاخرة
الى غير ذلك من الحكم التي رتبها بارئ النسم ولما كان لا شفاء لغيظ الانسان اعظم من انتصار الملك الديان له علل
ذلك بقوله لكل امرئ منهم اي الآفكين ما اي جزاء ما اكتسب بخوضه فيه من الاثم الموجب لعقابه وصيغة الافعال

من كسب يستعمل في الذنب اشارة الى ان الاثم يترتب على ما حصل فيه تصميم وعزم قوي صدقه العمل بما فيه
من الجد والنشاط وبجرده في الخير اشارة الى ان الثواب يكتب بمجرد فعل الخير بل ونيته والذي تولى كبره اي معظمه
باشاعته والمجاهرة به منهم له عذاب عظيم اعظم من عذاب الباقين لانهم لم يقولوا شيئا الا كان عليه مثل
وزره من غير ان ينقص من اوزارهم شيئا وقصة الافك معروفة في الصحيح والسنن وغيرها شهيرة جدا
وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم غزا بني المصطلق بعدما نزلت اية الحجاب وكانت معه الصديقة بنت الصديق
زوجته ام المومنين عايشة رضي الله عنها تحمل في هودج فافتقدت عقدا لها ليلة فرجعت الى الموضع الذي
تظنت فيه فالتمسته فرحل النبي صلى الله عليه وسلم وحمل حمالوها هودجها وهم يظنونها فيه فلما رجعت فلم تجد احدا
اضطجعت في مكان هودجها رجاء ان يعلموا بها فيرجعوا وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني رضي الله عنه
قد عرس من وراء الجيش فاصبح في مكانهم فلما راها وكان يراها قبل الحجاب استرجع واناخ راحلته فوطئ على يدها ولم
يتكلم بكلمة غير استرجاعه فركبتها ام المومنين رضي الله عنها ثم اقبل بها حتى لحق بالجيش وهم نزول في نصف النهار فتكلم
اهل الافك فيهما رضي الله عنهما وكان ممن سمي منهم عبد الله بن ابي المنافق وزيد بن رفاعة ومسطح بن اثاثة وحمنة
بنت جحش وحسان بن ثابت قال عروة بن الزبير في ناس اخرين لا علم لي بهم غير انهم عصبة كما قال الله تعالى هكذا
ذكروا حسان منهم وانا والله لا اظن به ذلك اصلا وان جاءت تسميته في الصحيح فقد يخطئ الثقة لاسباب لا تحصى
كما يعرف ذلك من مارس نقل الاخبار وكيف يظن به ذلك ولا شغل له الا مدح النبي صلى الله عليه وسلم والمدافعة عنه
والذم لاعاديه وقد شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان جبريل عليه السلام معه فاقسم بالله الذي ايده بجبريل ما كان
يكله الى نفسه في مثل هذه الواقعة وقد سبقني الى الذب عنه الحافظ عماد الدين بن كثير الدمشقي رحمه الله وكيف
لا ينافح عنه وهو القايل ؛ فان ابي ووالده وعرضي ؛ لعرض محمد منكم وقاء ؛ وهو القايل يمدح عايشة رضي الله عنها
ويكذب من نقل عنه ذلك

حصان رزان ما تزن بريبة ؛ وتصبح غرثى من لحوم الغوافل
حليلة خير الناس دينا ومنصبا ؛ نبي الهدى والمكرمات الفواضل
عقيلة حي من لؤي بن غالب ؛ كرام المساعي مجدها غير زائل
مهذبة قد طيب الله خيمها ؛ وطهرها من كل شين وباطل
فان كان ما بلغت عني قلته ؛ فلا رفعت سوطي الي اناملي
وكيف وودي ما حييت ونصرتي ؛ لآل رسول الله زين المحافل
له رتب عال على الناس فضلها ؛ تقاصر عنها سورة المتطاول

واستمر اهل الافك في هذا اكثر من شهر والله تعالى عالم بما يقولون وان قولهم يكاد يقطع اكباد احب خلقه
اليه وهو قادر على تكذيبهم عند اول ما خاضوا فيه ولكنه سبحانه اراد للناس رفعة الدرجات وللآخرين الهلاك
فيا سه ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم والصديق واله رضي الله عنهم وكل من احبهم وهم خير الناس والله سبحانه يملي للآفكين ويمهلهم
وكان له الامر كما قال ابو تمام الطائي في قصيدة ؛ كذا فليجل الخطب وليفدح الامر وليس لعين لم يفض دمعها عذر ؛
وحين سمعت عايشة رضي الله عنها بقول اهل الافك سقطت مغشيا عليها واصابتها حمى بنافض واستاذنت رسول
الله صلى الله عليه وسلم في اتيان بيت ابيها فاذن لها فسالت امها عن الخبر فاخبرتها فاستعبرت وبكت وكان ابو بكر رضي الله عنه
في علية يقرا فسمع حسها فنزل فسال امها فقالت بلغها الذي ذكر من شانها ففاضت عيناه واستمرت هي تبكي

حتى ظننت ان البكا فالق كبدها وساعدتها على البكا امراة من اولي الوفا والمواساة والكرم والايثار ومعالي
الشيم الانصار رضي الله عنهم فكانت تبكي معها وسال رسول الله صلى الله عليه وسلم جاريتها بريرة رضي الله عنها فاستنطقها
فاستعظمت ان يظن في عايشه مثل ذلك وقالت سبحان الله والله ما علمت عليها الا ما يعلم الصايغ على تبر الذهب
الاحمر وخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس على المنبر واستعذر ممن تكلم في اهله وما علم عليهم الا خيرا وشهد صلعم
وهو الصادق المصدوق بصلاح صفوان بن المعطل رضي الله عنه وانه ما علم عليه الا خيرا فكاد الناس يقتتلون
فسكنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم دخل بعد ان صلى العصر على عايشة رضي الله عنها وهي تبكي والانصارية معها
فوعظها فاجابت واجادت فانزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم في ذلك المجلس فاخذه ما كان ياخذه من البرحا
قالت عايشه رضي الله عنها فاما انا حين رايت من ذلك ما رايت فوالله ما فزعت وما باليت قد عرفت اني بريه
وان الله غير ظالمي واما ابواي فوالذي نفس عايشة بيده ما سري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننت لتخرجن
انفسهما فرقا من ان ياتي من الله تحقيق ما قال الناس قالت فسري عنه واني لاتبين السرور في وجهه وهو يمسح على جبينه
العرق ويقول ابشري يا عايشة قد انزل الله براءتك فكنت اشد ما كنت غضبا فقال لي ابواي قومي اليه فقلت لا
والله لا اقوم اليه ولا احمده ولا احمدكما ولا احمد الا الله الذي انزل براتي لقد سمعتموه فما انكرتموه ولا غيرتموه وانزل
الله تعالى ان الذين جاووا بالافك العشر الايات كلها قالت عايشة رضي الله عنها والله ان الرجل الذي قيل له ما قيل
ليقول سبحان الله والذي نفسي بيده ما كشفت كنف انثى قط قالت ثم قتل بعد ذلك شهيدا في سبيل الله ولما
اخبر سبحانه بعقابهم وكان في المومنين من سمعه فسكت وفيهم من سمعه فتحدث به متعجبا من قايله او مستثبتا في اس
ومنهم من كذبه اتبعه سبحانه بعتابهم في اسلوب خطابهم مثنيا على من كذبه فقال مستانفا لولا اي هلا اذ سمعتموه اي
المدعون للايمان ولما كان هذا الافك قد رمي لاجله رجال ونسا قال ظن المومنون اي منكم والمومنات وكان الاصل
ظننتم ولكنه صرح بالنسا ونبه على الوصف المقتضي لحسن الظن تخويفا للذي يظن السو من سو الخاتمة بانفسهم
خيرا وهم دون من كذب عليهم فقطعوا ببراءتهم لان الانسان لا يظن في الناس الا ما هو متصف به وقالوا هذا افك
اي كذب عظيم مبين اي واضح وبيانه وظهوره ان المرتاب يكاد يقول خذوني فهو يسعى في التستر جهده فاتيان
صفوان بعايشة رضي الله عنها راكبة على جمله داخلا الجيش في نحر الظهيرة والناس كلهم يشاهدون ورسول الله
صلى الله عليه وسلم بين اظهرهم ينزل عليه الوحي اذ لا يحسن عليه غافلا عما يظن به اهل الريب ادل دليل على البراة
وكذب القاذفين ولو كان هناك ادنى ريبة لجا كل منهما وصل على وجه من التستر والذعر يعرف به خيانته والقدم
فالامور نفاق ولا يظن الانسان بالناس الا ما في نفسه ولو عمل ابو ايوب الانصاري وصاحبته رضي الله عنهما
بما اشارت اليه هذه الاية قال ابن اسحق حدثني ابي اسحق بن يسار عن بعض رجال بني النجار ان ابا ايوب خالد بن
زيد رضي الله عنه قالت له امراته ام ايوب يا ابا ايوب الا تسمع ما يقول الناس في عايشة رضي الله عنها فقال بلى
وذلك الكذب اكنت يا ام ايوب فاعلة قالت لا والله ما كنت لافعله قال فعايشة والله خير منك ثم علل سبحانه
بيان كذب الافكين بان قال موبخا لمن اختلقه واذاعه ملقنا لمن ندبه الى ظن الخير لولا اي هلا جاووا اي المفترون اهلوا
عليه باربعة شهدا كما تقدم ان القذف لا يباح الا بها ولما تسبب عن كونهم لم ياتوا بالشهدا كذبهم قال فاذ اي فحين
لم ياتوا بالشهدا فاولئك اي البعدا البغضا عند الله في حكمه بل وفي هذه الواقعة بخصوصها في علمه هم الكاذبون الكذب
العظيم ولما تبين لهم باقامة الدليل على كذب الخايضين في هذا الكلام انهم استحقوا الملام وكان ذلك شرعا لاهل

النفوى

النفوى بين انهم استحقوا بالتقصير في الانكار عموم الانتقام في سياق مبشر بالعفو فقال عاطفا على ولولا
الماضيه ولولا فضل الله عليكم ورحمته اي معاملته لكم بمزيد الانعام الناظر الى الفضل والاكرام اللازم للرحمة
في الدنيا بقبول التوبة والمعاملة بالحلم والاخرة بالعفو عمن يريد ان يعفو عنه منكم لمسكم اي عموما فيما افضتم
فيه بعضكم حقيقة وبعضكم مجازا بعدم الانكار عذاب عظيم اي عاجل يحتقر معه اللوم والجلد بان يهلك فيتصل
به عذاب الاخرة ثم بين وقت حلوله وزمان تعجيله بقوله اذ اي مسكم حين تلقونه اي تجتهدون في تلقي اي
قبول هذا الكلام الفاحش والقاية بالسنتكم باشاعة البعض وسوال اخرين وسكوت اخرين وتقولون وقوله
بافواهكم تصوير لمزيد قبحه واشارة الى انه قول لا حقيقة له فلا يمكن ارتسامه في القلب بنوع دليل واكد هذا
المعنى بقوله ما ليس لكم به علم بوجه من الوجوه فتنكيره للتحقير وتحسبونه بدليل سكوتكم عن انكاره هينا وهو
اي والحال انه عند الله عظيم اي في حد ذاته ولو كان في غير ام المومنين رضي الله عنها فكيف وهو في جنابها المصون
وهي زوجة خاتم الانبيا وامام المرسلين عليه افضل الصلاة والسلام لتسليم ولما بين فحشه وشناعته وقبحه
وفظاعته عطف على التاديب الاول في قوله لولا اذ سمعتموه تاديبا ثانيا فقال ولولا اذ سمعتموه قلتم اي حين السماع
من غير توقف ولا تلعثم ما يكون اي ما ينبغي وما يصح لنا ان نتكلم حقيقة بالنطق ولا مجازا بالسكوت بهذا اي بمثله
في حق ادنى الناس فكيف عن اختارها العليم الحكيم لصحبة اكمل الخلق شد النفرة على شدة نفرتكم منه بان وصلتم بهذا النفي
قولكم سبحانك تعجبا من ان يخطر بالبال في حال من الاحوال ولما كان تنزيه الله تعالى في مثل ذلك وان كان للتعجب
اشارة الى تنزيه المقام الذي وقع فيه التعجب تنزيها عظيما حسن ان يوصل بذلك هذا بهتان ثم هوله بقوله عظيم
فالمراد ان الذي ينبغي للانسان اولا ان لا يظن باخوانه المسلمين ولا يسمع فيهم الا خيرا فان غلبه الشيطان وارتسم
شي من ذلك في ذهنه فلا يتكلم به ويبادر الى تكذيبه ولما كان هذا كله وعظا لهم واستصلاحا ترجمه بقوله
يعظكم الله اي يرقق قلوبكم بالتحذير على وجه الاستعطاف ان اي كراهية ان تعودوا لمثله ابدا اي ما دمتم
اهلا للسماع هذا القول ثم عظم هذا الوعظ والهب سامعه بقوله ان كنتم مومنين اي متصفين بالايمان راسخين
فيه فان عدم فانتم غير صادقين في دعواكم الاتصاف به ويبين الله اي بما له من الاتصاف بصفات الجلال لكم الايات
اي العلامات الموضحة للحق والباطل من كل امر ديني او دنيوي والله عليم فثقوا ببيانه حكيم لا يضع شيا الا في احكم
مواضعه وان دق عليكم فهم ذلك فلا تتوقفوا في امر من اوامره واعلموا انه لم يختر لنبيه عليه الصلاة والسلام الا الخلص
من عباده على حسب منازلهم عنده وقربهم من قلبه ولما كان من اعظم الوعظ بيان ما يستحق على الذنب من العقاب
اذ بهم تاديبا ثالثا اشد من الاولين فقال واعظا ومقبحا لحال الخايضين في الافك ومحذرا ان الذين يحبون
عبر بالحب اشارة الى انه لا يرتكب هذا مع شناعته الا محب له ولا يحبه الا بعيد عن الاستقامة ان تشيع اي
تنتشر الفاحشة اي الفعلة الكبيرة القبح في الذين امنوا ولو كانوا في ادنى درجات الايمان فكيف بمن تسنم ذروته
وتبوا غايته لهم عذاب اليم ردعا لهم عن اشاعة مثل ذلك لما فيه من عظيم الاذى في الدنيا بالحد وغيره مما يختص الله منهم
به والاخرة فان الله يعلم هو كفر الحد عنهم جميع من يكيدهم ام لا والله يعلم مقادير الاشيا ما ظهر منها وما بطن وما الحكمة
في سترها واظهارها وغير ذلك من جميع الامور وانتم لا تعلمون ذلك اي ليس لكم علم من انفسكم فاعملوا بما علمكم الله ولا تتجاوزوه
تضلوا ولما ختم بالحكم عليهم بالجهل وكان التقدير كما ارشد اليه ما ياتي من العطف على غير معطوف عليه فلولا فضل الله عليكم
ورحمته بكم لعجل اهلاك المحبين لشيوع ذلك بعذاب الدنيا ليكون موصولا بعذاب الاخرة عطف عليه قوله ولولا فضل الله اي

الجامع لجميع الجلال والاكرام عليكم ورحمته وان اي ولولا ان الله روف بكم في نصب ما يزيل جهلكم عما يحفظ من
سرايركم بارسال وبيان الكتب ونصب الحدود الزاجر عن الجهل الحاملة على التقوى التي هي ثمرة العلم فان الرافة كما
تقدم في الحج ومزها تعم المعروف به لانه الطف الرحمة وابلغها على اقوام سنن حتى تحفظ سرايرها في نفس ظهر ربما
يستدعي العفو وتارة يكون هذا الحفظ بالقوة بنصب الادلة وتارة يضم الى ذلك الفعل على الهداية في القلب
رحيم بما يثيب لكم من الدرجات على ما يحكم به من ثمرات ذلك الحفظ من الاعمال المرضية لترككم في ظلمات الجهل
تعمهون فثارت بينكم الفتن حتى تفانيتم ووصلتم الى العذاب الدايم بعد الهم اللازم ولما اخبرهم بانه ما انزل
لهم هذا الشرع على لسان هذا الرسول الروف الرحيم الا رحمة لهم بعد ان حذرهم موارد الجهل نهاهم عن التمادي
فيه في سياق معلم ان الداعي اليه الشيطان العدو المبين فقال سارا اليهم بالاقبال عليهم بالندا يايها الذين امنوا
اي اقروا بالايمان لا تتبعوا خطوات اي طرق الشيطان اي لا تقتدوا به ولا تسلكوا مسالكه في شي من الاشياء
فانه من تنكب عن طريقه ياتي بالحسنى والمعروف ومن يتبع خطوات الشيطان اي يقتدي به يقع في مهاوي الجهل
لان شانه كل شي شر فانه اي الشيطان يامر بالفحشا وهي ما اعرق في القبح والمنكر وهو ما لم يجوزه الشرع فهو
اولا يقصد اعلا الضلال فان لم يحصل نزل الى ادناه ومن عاديته بغير ذلك ومن المعلوم ان من اتبع من هذا سبيله
عمل بعمله فصار في غاية السفول وهذا اشد من التنفير من اعادة الضمير فانه على من وانه الموفق ولما كان التقدير
فلولا فضل الله عليكم لاتبعتم الشيطان مع انه امر بالقبايح عطف عليه قوله ولولا فضل الله عليكم اي بتطهير نفوسكم ورفعها
عما تعشقه من الدنايا الى المعالي ورحمته لكم بشرع التوبة المكفرة لما جر اليه الجهل من ناقص الاقوال وسفساف الافعال
ما زكى اي طهر منكم واكد الاستغراق بقوله من احد وعم الزمان بقوله ابدا ولكن الله اي بجلاله وكماله يزكي اي يطهر
من يشاء من عباده من جميع ادناس نفسه وامراض قلبه وان كان العباد واخلاقهم في الانتشار والكثرة بحيث لا يحصيهم
غيره ثم ختم الاية بما لا تصح التزكية بدونه فقال والله سميع اي لجميع اقوالهم عليم بكل ما يخطر في بالهم وينشا عنه من احوالهم
وافعالهم فهو خبير بمن هو اهل للتزكية ومن ليس باهل لها فاشكروا الله على تزكيته لكم من الخوض في مثل ما خاض
فيه غيركم ممن خذله نوع من الخذلان واصبروا على ذلك منهم ولا تقطعوا احسانكم عنهم فان ذلك يكون زيادة
في زكاتكم وسببا لاقبال من علم فيه الخير منهم فتقبل توبته وغسلت حوبته وهذا المراد من قوله ولا ياتل
اي يحلف مبالغا في اليمين اولوا الفضل منكم الذين جعلتهم بما اثبتهم من العلم والاخلاق الصالحة اهلا لبر غيرهم والسعة
اي بما اوسعت عليهم في دنياهم ولما كان السياق والسباق واللحاق موضحا للمراد لم يحتج الى ذكر اداة النفي
فقال ان يوتوا ثم ذكر الصفات المقتضية للاحسان فقال اولي القربى وعددها باداة العطف تكثيرا لها وتعظيما
لامرها واشارة الى ان صفة منها كافية في الاحسان فكيف اذا اجتمعت فقال والمساكين اي الذين لا يجدون ما
يغنيهم وان لم تكن لهم قرابة والمهاجرين لاهليهم وديارهم واموالهم في سبيل الله وان اتفق عنهم الوصفان فان
الصفات موذنة بانهم ممن زكى الله وتعدادها بجعلها علة للعفو دليل على ان الزاكي من غير المعصومين قد يزل
فتدركه الزكاة بالتوبة فيرجع كما كان ولما كان النهي عن ذلك غير صريح في العفو وكان التقدير فليوتوا توهم عطف عليه
مصرحا بالمقصود قوله وليعفوا اي عن الهفوات بمحو ويغطوا بما يسبلوه عليه من استار الحلم حتى لا يبقى له
اثر ولما كان المحو لا ينفي التذكر قال وليصفحوا اي يعرضوا عنه اصلا وراسا فلا يخطروه لهم على بال ليثمر ذلك
الاحسان ومنه الصفوح وهو الكريم ولما كانت لذة الخطاب تنسي كل عتاب اقبل سبحانه بفضله ومنه وطوله

على اولي الفضل منكم فيما في ان يفعلوا بغيرهم ما يحبون في ان يفعل بهم مرهبا من ان يشدد عليهم ان شددوا فقال
الا تحبون اي يا اولي الفضل ان يغفر الله لكم اي ما قصرتم في حقه وسبب نزولها كما في الصحيح من حديث عايشة رضي الله عنها
ان اباها رضي الله عنه كان حلف بعد ما برا الله عايشة رضي الله عنها ان لا ينفق على مسطح ابن خالته لكونه خاض مع اهل
الافك وناهيك بشهادة الله جل جلاله للصديق بانه من اولي الفضل فيا لها من شرف ما اجلاه ومن سودد وفخار
ما اعلاه ولا سيما وقد صدقه رضي الله عنه بالعفو عن شتم على ثمرة فواده ومهجة كبده وهي الصديقة زوجة خاتم
المرسلين وخير الخلايق اجمعين والحلف على انه لا يقطع النفقة عنه ابدا فيا لله من اخلاق ما ابهاها وشمايل ما
اطهرها وازكاها واشرفها واسناها ولما كان الجواب قطعا كما اجاب الصديق رضي الله عنه بلى والله انا نحب ان
يغفر الله لنا وكان كانه قيل فاغفروا والمراسا اليكم فالله حكم عدل يجازيهم على اساتهم اليكم ان شا والله عليم بشكركم
شكور يشكر لكم ما صنعتم اليهم عطف عليه قوله والله اي مع قدرته الكاملة وعلمه الشامل غفور رحيم من صفته
ذلك ان شاء يغفر لكم ذنوبكم بان يمحوها فلا يدع لها اثرا ويرحمكم بعد محوها بالفضل عليكم كما فعلتم معهم فان الجزاء
من جنس العمل ولما كان الختم بهذين الوصفين بعد الامر بالعفو ربما جرا على مثل هذه الاساة وصل به مرهبا من الوقوع
في مثل ذلك قوله معمما الحكم ان الذين يرمون اي بالفاحشة المحصنات اي اللاتي جعلن انفسهن من العفة في مثل الحصن
ولما كان هذا الهاتم بالشي والمقدم عليه عالما بما يرمي به جاعلا له نصب عينه اكد معنى الاحصان بقوله الغافلات
اي عن السو حتى عن مجرد ذكره ولما كان وصف الايمان حاملا على كل خير ومانعا من كل سو نبه على ان الحامل على الوصفين
المتقدمين انما هو التقوى فقال المومنات ولما ثبت بهذه الاوصاف البعد عن السو ذكر جزاء القاذف كفا عنه وتحذيرا
منه فقال لعنوا اي ابعدوا عن رحمة الله وفعل معهم فعل المبعد من الحد وغيره في الدنيا والاخرة ثم زاد في تعظيم القذف لمن هذه
اوصافهن فقال ولهم اي في الاخرة عذاب عظيم وقيد بوصف الايمان لان قذف الكافرة وان كان محرما ليس فيه هذا المجموع
وهذا الحكم وان كان عاما فهو لاجل الصديقة بالذات وبالقصد الاول وفيما فيه من التشديد الذي قل ان يوجد مثله في
القران من الاعلام بعلي قدرها وجلي امرها في عظيم فخرها ما يجل عن الوصف ثم اتبع ذلك ذكر اليوم الذي يكون فيه اثر
ذلك على وجه زاد الامر عظما فقال يوم تشهد عليهم اي يوم القيمة في ذلك المجمع العظيم السنتهم ان نزعوا عن الكذب
وايديهم وارجلهم ان انكرت السنتهم كذبا وفجورا ظنا ان الكذب ينفعهم بما كانوا يعملون من هذا القذف وغيره ثم
زاد في التهويل بقوله يوميذ اي اذ تشهد عليهم هذه الجوارح يوفيهم الله دينهم اي جزاهم الحق اي الذي يظهر لكل احد من اهل
ذلك المجمع العظيم انهم يستحقونه فلا يقدر احد على نوع طعن فيه ويعلمون اي اذ ذاك لانقطاع الاسباب ورفع كل حجاب
ان الله هو اي وحده الحق الثابت امره لا امر لاحد سواه المبين الذي لا اوضح من شانه في الوهيته وعلمه وقدرته وتفرده
بجميع صفات الكمال وتنزهه عن جميع صفات النقص فيندمون على ما فعلوا في الدنيا مما يقدح في المراقبة ويجري على الغفلة
قال ابن كثير وامهات المومنين اولى بالدخول في هذا من كل محصنة لا سيما التي كانت سبب النزول وهي عايشة بنت الصديق
رضي الله عنهما وقد اجمع العلما قاطبة على ان من سبها بعد هذا ورماها بما رماها الذين ذكروا في الاية فانه كافر لانه معاند للقران
وفي بقية امهات المومنين رضي الله عنهن قولان اصحهما انهن كهي والله اعلم ولما تضمن ما ذكر من وصفه تعالى علمه بالخبيثات
اتبعه ما هو كالعلة لاية الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة دليلا شهوديا على براة عايشة رضي الله عنها فقال الخبيثات اي من
النسا وقدم هذا الوصف لان كلامهم فيه فاذا انتفى ثبت الطيب للخبيثين اي من الرجال ولما كان ذلك لا يفهم ان الخبيث مقصور
على الخبيثة قال والخبيثون اي من الرجال للخبيثات اي من النسا ولما انتج هذا براتها رضي الله عنها لانها قرينة اطيب الخلق اكرمهم

بقوله والطيبات اي منهن للطيبين اي منهم والطيبون للطيبات بذلك قضى العليم الخبير ان كل شكل ينضم الى شكله ويفعل افعال مثله وهو سبحانه قد اختار لهذا النبي الكريم لكونه اشرف خلقه خلص عباده من الازواج والاولاد والاصحاب كنتم خير امة اخرجت للناس خيركم قرني وكلما ازداد الانسان منهم من قلبه صلى الله عليه وسلم قربا ازداد طهارة وكفى بهذا البرهان دليلا على براة الصديقة رضي الله عنها فكيف وقد انزل الله العظيم في براءتها صريح كلامه القديم وحاطة من اوله واخره بهاتين الايتين المشيرتين الى الدليل العادي وقد تقدم عند اية الزاني ذكر لحديث الارواح جنود مجندة وما لائمه لكنه لم يستوعب تخريجه وقد خرجه مسلم في صحيحه من حديث ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وهذا الحديث روي ايضا عن عايشة ام المومنين وعلي بن ابي طالب وسلمان الفارسي وعبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمرو وعمرو بن عبسة رضي الله عنهم وقد علق البخاري في صحيحه حديث عايشة رضي الله عنها بصيغة الجزم ووصله في كتاب الادب المفرد وكذا الاسمعيلي في المستخرج وابو الشيخ في كتاب الامثال وتقدم عزوه الى ابي يعلي ولفظ حديث ابن عمر رضي الله عنهما فما كان في الله ائتلف وما كان في غير الله اختلف اخرجه ابو الشيخ في الامثال ولفظ حديث ابن مسعود رضي الله عنه فاذا التقت تشام كما تشام الخيل فما تعارف منها ائتلف الحديث واما حديث علي رضي الله عنه فرواه الطبراني في الاوسط في ترجمة محمد بن الفضل السقطي وابو عبد الله ابن منده في كتاب الروح عن سالم بن عبد الله بن عمر عن ابيه قال قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه يا ابا الحسن ربما شهدت وغبنا وربما شهدنا وغبت ثلاث اسالك عنهن هل عندك منهن علم قال علي وما هن قال الرجل يحب الرجل ولم ير منه خيرا والرجل يبغض الرجل ولم ير منه شرا فقال علي نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف قال عمر واحدة والرجل يحدث الحديث اذ نسيه اذ ذكره فقال علي رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من القلوب قلب الا وله سحابة كسحابة القمر بينما القمر مضي اذ علته سحابة فاظلم اذ تجلت عنه فذكر عمر اثنتان وقال الرجل يرى الرويا فمنها ما يصدق ومنها ما يكذب قال نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد ولا امة ينام فيستثقل نوما الا عرج بروحه الى العرش فالتي لا تستيقظ الا عند العرش فتلك الرويا التي تصدق والتي تصدق دون العرش فتلك الرويا التي تكذب فقال عمر ثلاث كنت في طلبهن فالحمد لله الذي اصبتهن قبل الموت وكذا اخرج الطبراني حديث سلمان كحديث ابي هريرة رضي الله عنهما

وانشدوا لابي نواس في المعنى ، ان القلوب لاجناد مجندة ، لله في الارض بالاهوا تعارف

فما تعارف منها فهو موتلف ، وما تناكر منها فهو مختلف ، ولما ثبت هذا كانت نتيجته قطعا اولئك اي العالوا الاوصاف بالطهارة والطيب مبراون ببراة الله وبراة كل من له تامل في مثل هذا الدليل مما يقولون اي القذفة الاخابث لانهن لا تكون زوجة اطيب الطيبين الا وهي كذلك ولما اثبت لهم البراة استانف الاخبار بجزايهم فقال لهم مغفرة اي لما قصروا فيه ان قصروا ولما كان في معرض الحث على الانفاق على بعض الافكين قال ورزق كريم اي يحيون به حياة طيبة ويحسون به الى من اساء اليهم ولا ينقص ذلك لكرمه في نفسه بسعته وطيبه وغير ذلك من خلال الكرم ولما انتهى سبحانه الامر في براة عايشة رضي الله عنها على هذا الوجه الذي كساها به من الشرف ما كساها وحلاها به ونقله من مزايا الفضل ما حلاها وكان اهل الافك قد فتحوا بافكهم هذا باب الظنون السيئة عداوة من ابليس لاهل هذا الدين بعد ان كانوا في ذلك وفي كثير من سجاياهم اذ كانوا فيما ينهم بداء الشرك على الفطرة الاولى امر تعالى في دوا لما اثار بوسوسته من الداء بالنهي عن مواقع التهم والتلبس بما يحسم الفساد فقال يا ايها الذين امنوا اي الزموا انفسهم هذا الدين لا تدخلوا بيوتا

غير بيوتكم التي هي سكنكم حتى تستانسوا اي تطلبوا بالاستيذان ان يانس بكم من فيها وتانسوا به فلو قيل له انا لم يحصل الاستيناس لعدم معرفته بل الذي عليه ان يقول انا فلان يسمي نفسه بما يعرف به فيوذن له او ينفر منه فيرد وتسلموا على اهلها اي الذين هم سكانها ولو بالعارية منكم فتقولوا السلام عليكم ادخل او يطرقوا الباب ان كان قد لا يسمع الاستيذان ليوذن لكم ذلكم الامر العالي الذي امرتم به خير لكم مما كنتم تفعلونه من الدخول بغير اذن ومن تحية الجاهلية لانكم اذا دخلتم بغير اذن ربما رايتم ما يسوكم واذا استاذنتم لم تدخلوا على ما تكرهون هذا في الدنيا واما في الاخرة فاعظم وقد روى ابو موسى الاشعري رضي الله عنه انه اذا استاذن ثلاثا فلم يجبه احد فليرجع وكان هذا اذا ظن ان صاحب البيت سمع ولما كان كل انسان لا ينفك عن احوال يكره ان يطلع عليها او يقتطع عليه قال لعلكم تذكرون اي ليكون حالكم حال من يرجى ان يتذكر برجوعه الى نفسه عند سماع هذا النهي فيعرف ان ما يسوه من غيره يسو غيره منه فيفعل ما يحب ان تفعله معه خوفا من المقابلة لان الجزاء من جنس العمل وكل ما يجب عليه في غير بيته يستحب في بيته بنحو التنحنح ورفع الصوت بالذكر ونحوه على ما اشار اليه حديث النهي عن الطروق لكيلا يرى من اهله ما يكره ولما كان السكان قد يكونوا غايبين والانسان لكونه عورة لا يحب ان يطلع غيره على جميع اموره قال فان لم تجدوا فيها اي البيوت التي ليس لكم سكناها احدا يأذن لكم منهم لتعذرها المفاسد فلا تدخلوها ابدا حتى يوذن لكم باذن شرعي من الساكن او غيره ولما كان كانه قيل فان اذن لكم في شيء مما استاذنتم فيه فادخلوا عطف عليه قوله وان قيل لكم اي اذا استاذنتم ارجعوا فارجعوا اي ولا تستنكفوا من ان تواجهوا بما تكرهون من صريح المنع فان الحق احق ان يتبع وللناس عورات وامور لا يحبون اطلاع غيرهم عليها ولما كان في المنع نقص يوجب غضاضة ووحرا في الصدر وعد تحته عكيه بما يجبر ذلك فقال على طريق الاستيناف هو اي الرجوع ازكى اي اطهر وانمى لكم فان فيه طهارة من غضاضة الوقوف على باب الغير ونما بما يلحق صاحب البيت من الاستحيا عند امتثال الامر في الرجوع مع ما في ذلك عند الله ولما كان التقدير فالله يجازيكم على امتثال الامر وكان الانسان قد يفعل في البيوت الخالية وغيرها من الامور الخفية ما يخالف ما ادب به سبحانه مما صورته صلحة وهو مفسدة عطف على ذلك المقدر قوله والله بما تعملون اي وان التبس امره على احذق الخلق عليم لا يخفى عليه شيء منه وان دق فاياكم ومشتبهات الامور فاذا ونفهم الاستيذان فلا تقفوا تجاه الباب ولكن عن يمينه او يساره لان الاستيذان انما جعل من اجل البصر وتحاموا النظر الى الكوى التي قد ينظر منها احد من اهل البيت ليعرف من على الباب هل هو ممن يونس به فيوذن له او لا فيرد ونحو هذا من اشكاله مما لا يخفى على متسرع فطن بطرفكر في فسيح ما اشار اليه مثل قوله صلى الله عليه وسلم اذا حدث الرجل فالتفت فهي امانة رواه احمد وابو داود والترمذي عن جابر رضي الله عنه ولما كان من الاماكن التي قد لا يوجد بها احد ما يباح الدخول اليه لخلوة او عدم اختصاص انسان به كالخانات والربط الرباط ونحوها سا تقدم التحريم بانه لم يدخل في النهي فقال مستانفا ليس عليكم جناح اي اصلا ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة ثم وصفها بقوله فيها متاع اي استمتاع لكم بنوع انتفاع ويدخل فيه المعد للضيف اذا اذن فيه صاحبه المحصول في اول الامر وضع الضيف ما عنده ولما كان التقدير فالله لا عنعكم ما ينفعكم ولا يضر غيركم عطف عليه والله يعلم في كل وقت ما تبدون وما تكتمون تحذيرا من ان تتزاحموا احدا في مباح مما يوذيه ويضيق عليه متعللين باصل الاباحة او يوذن لكم في منزل فتتبطنوا فيه الخيانة فانه وان وقع الاحتراز من الخونة بالحجاب فلا بد من الخلطة لما بني عليه الانسان من الحاجة الى العشرة ولذلك اتصل به على طريق الاستيناف قوله مقبلا على اعلى خلقه فهما واشدهم لنفسه ضبطا دون نعتهم اشارة الى صعوبة الامر وخطر المقام مخوفا لهم بالاعراض عنهم بالتزكية برداء الكبر والاحتجاب في مقام القهر قل للمومنين فعبر

بالوصف اشارة الي عدم القدرة علي الاحتراز من المخالط بعد الخلطة وانه لا يعف فيها الامن ربح الاعمال وقلبه لخفاء الخيانة حينيذ بخلاف ما سبق في المنع من الدخول حيث كان التعبير بالذين امنوا يغضوا اي يحفظوا ولا يرفعوا بل يكفوا عما نهوا عنه ولما كان الامر في غاية العسر قال من ابصارهم باثبات من اشارة الي العفو عن النظرة الاولي وان الماخوذ به انما هو التمادي ولما كان النظر بريد الزنا قدمه ولما كان حفظ الفرج لخطره اوفق اسهل من حفظ البصر لانه لا يفعل به عن غير اختيار حذف من فقال ويحفظوا فروجهم اي عن كل حرام من كشف وغيره ولم يستثن الزوجة وملك اليمين استغناء عنه بما سبق في المومنون ولان المقام للتهويل في امر الحفظ والتشديد ذلك اي الامر العالي العظيم من كل من الغض والحفظ الذي امرتهم به ازكي لهم اي اقرب الي ان ينموا ويكثروا ويطهروا احساً ومعني ويبارك لهم اما الحسي فهو ان الزنا مجلبة للموت بالطاعون ويورث الفقر وغيرهما من البلايا ما من قوم ظهر فيهم الزنا الا اخذوا بالسنة رواه احمد عن عمرو بن العاصي الزنا يورث الفقر رواه البيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما اذا ظهر الزنا ظهر الفقر والمسكنة رواه ابن ماجة والبزار وهذا لفظه عن ابن عمر رضي الله عنهما والبيهقي ولفظه ما ظهرت الفاحشة في قوم قط يعمل بها فيهم علانية الا ظهر فيهم الطاعون والاوجاع التي لم تكن في اسلافهم ورواه عنه ابن اسحق في السيرة في سرية عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه الي دومة الجندل ولفظه انه لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتي يعلنوا الا ظهر فيهم الطاعون والاوجاع التي لم تكن في اسلافهم الذين مضوا ولم ينقصوا المكيال والميزان الا اخذوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان ولم يمنعوا الزكاة من اموالهم الا منعوا القطر من السما فلولا البهايم ما مطروا وما نقضوا عهد الله وعهد رسوله الا سلط عليهم عدو من غيرهم فاخذ بعض ما كان في ايديهم وما لم يحكم ايمتهم بكتاب الله ويتخيروا فيما انزل الله الا جعل الله باسهم بينهم وفي اخر التتمة عن ابي بكر رضي الله عنه في خطبة عند تولية الخلافة لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله الا ضربهم الله بالذل ولا تشيع الفاحشة قط في قوم قط الا عمهم الله بالبلا اذا ظهر الربا والزنا في قرية اذن الله في هلاكها رواه الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما واما المعنوي فروي الامام احمد عن ابي امامة رضي الله عنه قال ما من مسلم ينظر الي محاسن امراة ثم يغض بصره الا اخلف الله له عبادة يجد حلاوتها قال ابن كثير وروي هذا مرفوعا عن ابن عمرو وحذيفة وعايشة رضي الله عنهم ولكن في اسانيدها ضعف وساق له شاهدا من الطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه بلفظ ان النظرة سهم من سهام ابليس مسموم من تركها من مخافتي ابدلته ايمانا يجد حلاوته في قلبه فعلم من ذلك ان من تخلق بما امره الله هنا كان قلبه موطنا للحكمة وصلا اهلا للفتح وذكره معتوقا بالقبول ولما كان المقام صعبا لميل النفوس الي الدنايا واتباعها للشهوات علل هذا الامر مرغبا ومرهبا بقوله ان الله خبير ولما كان نوازع الجوامح ذلك مانعا عظيما فلا يخالفا الا بعالجة وتدرب عربا لصنعة فقال بما يصنعون اي وان تنا هوا في خفايه ودققوا في تدبير المكر فيه ولما بدا بالقومة من الرجال ثني بالنساء فقال وقل للمومنات فرغب ايضا بذكر هذا الوصف الشريف يغضضن من ابصارهن فلا يتبعنها النظر الي منهي عنه من رجل او غيره واجابوا عن حديث عايشة رضي الله عنها في النظر الي لعب الحبشة في المسجد باحتمال انها كانت دون البلوغ لانها قالت فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة علي اللهو ويحفظن فروجهن عما لا يحل لهن من كشف وغيره ولما كان النسا جابل الشيطان امرن بزيادة الستر بقوله ولا يبدين زينتهن اي كالحلي والفاخر من الثياب فكيف بما وراها الا ما ظهر منها اي كان بحيث يظهر فيشق التحرز في اخفايه فبدا من غير قصد ولما كان اكثر الزينة في الاعناق والايدي والارجل وكان دوام ستر الاعناق ايسر واكثر خصها فقال وليضربن من الضرب وهو وضع الشي بسرعة وتحامل يغال الضرب

هي القلوب ولالاوها ما يشتمل عليه من المعاني الحاملة علي الذكر والشجرة الموصوفة هي مثال الابدان التي صانها الله من الادران وطبعها علي الاستقامة والزيت مثال لما وضع شحنه فيها من جبل الاسرار وقد ورد في بعض الاخبار ان المساجد لاهل السماء كالنجوم لاهل الارض وفي معجم الطبراني الاوسط عن ابن عمر رضي الله عنهما كمشكاة قال الجوف محمد صلي الله عليه وسلم والزجاجة قلبه والمصباح النور الذي في قلبه والشجرة ابرهيم عليه السلام لا شرقية ولا غربية لا يهودي ولا نصراني ولما بين تعالي ان افعال هولاء الرجال التي اقبلوا بها عليه واعرضوا بها عما عداه بين غايتهم فيها فقال ليجزيهم اي يفعلون ذلك ليجزيهم الله بعظمته وجلاله وكرمه وجلاله احسن ما عملوا اي جزاءه ويغفر لهم سيئته ويزيدهم من فضله علي العدل من الجزاء ما لم يستحقوه كما هي عادة اهل الكرم ولما كان التقدير فان الله بجلاله وعظمته وكماله لا يرضي ان يقتصر في جزاء المحسن علي ما يستحقه عطف عليه بيانا لان قدرته وعظمته لا حد لها قوله والله يرزق من يشاء ولما كان المعني رزقا يفوق الحد ويفوت العد عبر عنه بقوله بغير حساب روي ابن كثير من عند ابن ابي حاتم بسنده عن اسماء بنت يزيد رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلي الله عليه وسلم اذا جمع الله الاولين والاخرين يوم القيمة جاء مناد فنادي بصوت يسمع الخلايق سيعلم اهل الجمع من اولي بالكرم ليقم الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فيقومون وهم قليل ثم يحاسب ساير الخلايق ولما اخبر تعالي ان الذين اتبعوا نور الحق نجحوا وصلوا من جزايه الي حقايق هي في نفس الامر الحقايق اخبر عن اضدادهم الذين اتبعوا الباطل فحالت حيالة الوعرة الشامخة بين ابصار بصايرهم وبين تلك الانوار بفضح حالهم فقال والذين كفروا اي ستروا ما لزمهم من الضلال ما انتشر من نور الله اعمالهم كسراب وهو ما تراه نصف النهار في البراري لاصقا بالارض يلمع كانه ماء وكلما قربت منه بعد حتي تصل الي جبل ونحوه فيختفي قال الرازي في اللوامع والسراب شعاع ينكشف فينسرب ويجري كالماء تخيلا وقال ابن كثير يري عن بعد كانه بحر طام وانما يكون ذلك بعد نصف النهار واما الال فانما يكون اول النهار يري كانه ماء بين السما والارض وقال البغوي والال ما ارتفع من الارض وهو شعاع بين السما والارض بالغدوات شبه الملاة يرفع الشخوص يري فيه الصغير كبيرا والقصير طويلا والرقراق وهو ما يكون بالعشايا وهو ما ترقرق من التراب اي جاء وذهب بقيعة جمع قاع وهي ارض سهلة مطمينة قد انفرجت عنها الجبال والاكام قاله في القاموس وقال ابو عبد الله القزاز في ديوانه القيعة والقاع واحد وهما الارض المستوية الملسا تخفق فيها التراب الغراء القيعة جمع قاع كجار وجيرة وقال الصغاني في مجمع البحرين والقاع المستوي من الارض والجمع اقواع واقوع وقيعان صارت الواو ياء لكسرة ما قبلها والقيعة مثل القاع وهو ايضا من الواو وبعضهم يقول هو جمع وقال ابن جرير والقاع ما انبسط من الارض واتسع وفيه يكون السراب وقال عبد الغافر الفارسي في مجمع الغرايب قال القزاز القاع مستنقع الماء والقاع المكان المستوي الواسع في وطاءة من الارض يعلوه المطر فيمسكه ويستوي نباته وجمعه قيعة وقيعان يحسبه الظمان اي العطشان ماء فيقصده ولا يزال الحتي اذا جاءه اي جاء الموضع الذي توهمه به لم يجده شيئا من الاشياء فلم يغن قصده غير زيادة العطش بزيادة التعب وبعده عن مواطن الرجاء فيشتد ياسه وينقطع حيله فيهلك وهكذا الكافر يظن اعماله تجديه شيئا فاذا هي قد اهلكته ولما كان الله محيطا بعلمه وقدرته بكل مكان قال ووجد الله اي قدرته عنده اي عند ذلك الموضع الذي قصده لما تخيل فيه الخير فخاب ظنه فوفاه حسابه اي جزاء عمله علي ما يقتضيه اعماله علي حكم العدل ولما كان سبحانه لا يحتاج الي كاتب ولا يدخل عليه لبس ولا يصعب عليه ضبط شي وان كثر ولا يقدر احد ان يتاخر عما يريده

ولما كان الزكا يتضمن التكثير والتطهير وكان الكلام هنا في غض البصر وكان ظاهرا جدا في الطهارة لم يدع داع الي التاكيد بالطهارة واما اية البقرة فلما كانت في العضل وكان لا يكون الا عن ضغاين واحن كان الوصف ربما ظن ان منعها عن عضلها عنه اطهر له ... العبارة بعطف الزكا بالتصريح بما انه من الطهارة

به بنوع حيلة عبر عن ذلك بقوله والله سريع الحساب اي لانه لا يحتاج الى حفظ بقلب ولا عقد باصابع ولا شي غير ذلك
ولكنه عالم بذلك كله قبل ان يعمله العبد وبعد عمله لا يعزب عنه ولا من شي وشي ولما بين بهذا المثال انهم لم يصلوا الي
شي غير التعب المتم للعطب وكان هذا لا يفعله بنفسه عاقل ضرب مثالا اخر يتبين فيه الحاصل لهم علي الوقوع في منزل
الاول وهو السير بغير دليل الموقع في خبط العشوا كالماشي في الظلام فقال عاطفا علي قوله كسراب قوله او
كظلمات في بحر لجي اي ذي لج هو اللج اشارة الى انه عميق لا يدرك له قرار لان اللج معظم الما ويكون جمع لجة ايضا
والاوفق هنا ان يكون منسوبا الي الجمع لانه اهول والمقام للتهويل قال القزاز في ديوانه ولجة البحر معروفة وهو
الموضع الذي لا ترى منه ارضا ولا جبلا وبحر لجي واسع اللجة وجمع اللجة لجج ولج يغشاه اي يغطي هذا البحر
ويعلوه موج كاين من فوقه موج اخر من فوقه اي هذا الموج الثاني المركوم علي الاول سحاب فلا سما تبصر
ولا ارض ولما كان هذا امرا مهولا اشار الي هوله بقوله ظلمات اي من البحر والموجين والسحاب بعضها فوق
بعض متراكمة فلذلك بعد كل البعد ان يعدو فيها بصر ولذلك قال اذا اخرج اي الكاين في هذه الظلمات يده لم
يكد اي يقرب يراها لان الله ستر عنه كل نور بهذه الظلمات المتكاثفة ومن لم يجعل الله له نورا من الانوار فما
له من نور اصلا لانه تحته يستر نوره وان كان مل السموات والارض عمن يشا بحجب الاهويه لانه قادر علي
ما يريد ولما كان قيام الامور وظهورها كل ظهورا انما هو بالنور حسا بالايجاد ومعنى بجعل الموجودات ايات
مرئيات تدل علي موجدها قال تعالى الاعلي ما اخبر به من انه نور السموات والارض اي موجدها بعلمه وقدرته ولهي
ومن اعراه من النور هلك الم تر اي تعلم يا راس الفايزين برتبة الاحسان علما هو في ثباته كالمشاهدة ان الله مزهر
الحايز لصفات الكمال يسبح له من في السموات والارض اي عما وكل من فيهما ينزهه عن كل شايبة نقص ويقدره حق
قدره بلسان حاله او اله مقاله وعرف ان المتكلم المراد العموم بعطفه بعضها لا يعقل وعبر بمن لان المخبر به من
وظايف العقلا ولما كان اسرار الطيران لانه اعجب قال والطير صافات اي باسطات اجنحتها في جو السما لا شبهة
في انه لا يمسكهن الا الله ولما كان العلم يوصف به ما هو سببه كالكتاب المصنف ونحوه ويشتق للشي اسم فاعل
مما لابسه كما يقال ليله نايم ونهاره صايم ولا تزال تطلع علي خاينة منهم وكانت اسطر القدرة مجودة علي كل كاين
شديدة الوضوح في صفحات كل شي فكانت بذلك دالة علي خالقها وما له من كل صفة كمال صح اطلاق العلم عليها واسناده
اليها فقال كل اي من المخلوقات قد علم اي بما كان سببا له من العلم بما فيه من الايات الدالة المعلمة بما لموجده من صفات
الكمال صلاته اي الوجه الذي به وصلته بمولاه ونسبته اليه وتسبيحه اي الحال الذي به براءة صانعه من الشين
وتعاليه عن النقص قد صرحت بذلك ألسن احوالها نيابة عن بيان مقالها هذا بقيامه صامتا جامدا وهذا بنمو
مهتزا رابيا الجا وقهرا وهذه بحركته بالارادة وقصده وجوه منافعه وبعده عن احوال المضار بمجرد فطرته
وما اودع في طبيعته وهذا بنطقه وعقله ونباهته وفضله مع ان نسبة كل منهم الي الارض والسما واحدة فالله
قدير علي جميع تلك الشوون والله عليم بما يفعلون بما ثبت بما اخبركم به في هذه السورة عن دقايق اقوالكم واحوالكم
وضمايركم وافعالكم وقد تقدم في الاعراف عند اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض ما ينفع هنا ولما اخبر بما في
الكونين مما لا يستلزم الملك اخبر عنهما بالتصريح به فقال ولله ملك السموات والارض مع كونه مالكا مستغرقا متصرفا
لجميع ذلك فهو جامع للملك والملك ولما كان التقدير فمن الله المبدا بالايجاد من العدم عطف عليه قوله والي الله المصير
اي بعد الفنا واعاطوي هذا المقدر لانه لا خلف فيه ولما اخبر بذلك فتقرر ملكه بعد ان تحرر ملكه دل عليه بتصرفه في

العالم

العالم العلوي والسفلي بما يدل علي القدرة علي الاعادة فقال الم تر ان الله اي ذا الجلال والجمال يزجي اي يسوق
بالرياح وسياتي الكلام عليها في النمل وقال ابو حيان ان الازجا يستعمل في سوق الثقيل برفق سحابا اي بعد ان
انشاه من العدم تارة من السفل وتارة من العلو ضعيفا رقيقا متفرقا قال ابو حيان وهو اسم جنس واحده سحابة
والمعنى يسوق سحابة الى سحابة وهو معنى ثم يولف بينه اي بعد ان كان قطعا في جهات مختلفة ثم يجعله ركاما في غاية
العظمة متراكبا بعضه علي بعض بعد ان كان في غاية الرقة فترى الودق اي المطر قال القزاز وقيل هو احتفال المطر
يخرج من خلاله اي فتوقه التي حدثت بالتراكم وانعصار بعضه من بعض وينزل من السما اي من جهتها من جبال فيها
اي في السما وهي السحاب الذي صار بعد تراكمه كالجبال من برد وبين ان ذلك بارادته واختياره بقوله فيصيب به
اي البرد والمطر علي وجه النقمة او الرحمة من يشا من الناس وغيرهم ويصرفه عمن يشا فترفعه عنه ثم نبه علي ما هو غاية
في التعجيب من ذلك بما في الما من النار التي ربما نزلت منها صاعقة فاحرقت ما لا تحرق النار فقال يكاد سنا اي ضو
برقه وهو اضطراب النور في خلاله يذهب بالابصار لشدة لمعه وتلالوه ثم ذكر ما هو ادل علي الاختيار فقال يقلب الله
اي بتحويل الظلام ضيا والضيا ظلاما والنقص تارة والزيادة اخرى الليل والنهار فينشا عن ذلك التقلب من الحر
والبرد والينوع واليبس ما يبهر العقول ولهذا قال ان في ذلك اي الذي ذكرت من جميع ما تقدم لعبرة لاولي الابصار
اي النافذة والقلوب الناقدة يعبرون منها الي معرفة ما له من ذلك من القدرة التامة والعلم الشامل الدال قطعا
علي الوحدانية ولما ذكر ما يسقي الارض وطوى ذكر ما ينشا عنه من النبات للعلم به ذكر ما يتكون به من الحيوانات
فقال والله خلق كل دابة من ما اي دافق كما خلق النبات من ما هو حسا هامر فمنهم اي الدواب ولما كان في سياق التعظيم
وكان قد اتى كل نفس من الادراك ما تعرف به منافعها ومضارها عبر عن الكل باداة من يعقل فقال من يمشي علي بطنه
اي من غير رجل وقدم هذا لكونه ادل علي القدرة ومنهم من يمشي علي رجلين اي ليس غير ومنهم من يمشي علي اربع اي من الايدي
والارجل وفي هذا تنبيه علي من يمشي علي اكثر من ذلك واليه الاشارة بقوله يخلق الله وعبر باسم الجلالة اعلاما بتناهي
العظمة وقال ما يشا دلالة علي ان فعله بقدرته واختياره لا مدخل للشي غير ذلك فيه الا بتقدير العزيز العليم والله علي كل شي
من ذلك وغيره قدير ولما اتضح بهذا ما له تعالى من صفات الكمال والتنزه عن كل شايبة نقص وقامت ادلة الوحدانية
علي ساق واتسقت براهين الالوهية اي اتساق قال لقد انزلنا اي في هذه السورة وما تقدمها ايات اي الحكم والاحكام
والادلة والامثال مبينات لا خفا في شي منها عند احد من الخلق لان الله قد اراد هدايتكم بعضكم بالبيان وبعضكم بخلق الاذعان
والله يهدي من يشا من العبا مكلفهم الي صراط مستقيم بالقوة بانزال الايات وبالفعل بخلق الايمان والاخبات فيوسون
ايمانا قلبيا ثابتا ولما كان اخفاء هذه الايات عن البعض بعد بيانها اعجب من ابتداء نصبها فكان السياق ظاهرا في
التقدير والله يضل من يشا فيكفرون بالايات والذكر الحكيم وكان الخروج من نورها بعد التلبس بها الي الظلام اشد غرابة
عطف علي ما قدرته مما دل عليه السياق اتم دلالة قوله دليلا شهوديا علي ذلك المطوي تعجبا ممن عمي عن دلايل التوحيد التي
اقامها تعالى وعددها واوضحها بحيث صارت كما ذكر تعالى اعظم من نور الشمس ويقولون اي الذين ظهر لهم نور الله بالسنتهم
فقط امنا بالله الذي وضح لنا جلاله وعظمته وكماله وبالرسول الذي علمنا رسالته بما اقام عليها من الادلة واطعنا اي
واوجدنا الطاعة لله وللرسول ثم يتولى اي يرتد بالكلية بالقلب ويعرض عن طاعة الله ورسوله فريق منهم اي من هولا الذين
قالوا هذه المقالة ولما كان ينبغي ان يكون وقوع الارتداد منهم في غاية البعد ارشد اليه باداة التراخي واكد ذلك بقوله
من بعد ذلك اي القول السديد الشديد المؤكد مع الله الذي هو اكبر من كل شي ومع رسوله الذي هو اشرف الخلايق وما اوليك

اي البعداء البغضاء الذين صاروا بتوليهم في محل البعد بالمومنين اي بالكاملين في الايمان قولا وعقدا وانما هم من اهل
الوصف اللساني المجرد عن المعني الايقاني فالاية من الاحتباك ذكر الهداية اولا دليل علي حذف الضلال ثانيا وذكر
الايمان باللسان مع الاعراض الدال علي الكفران ثانيا دليل علي حذف الايمان بالقلب اولا ولما فضحهم بما اخفوه من
توليهم قبح عليهم ما اظهروه فقال واذا دعوا اي الذين ادعوا الايمان الي الله اي ما نصب من احكامه ورسوله ليحكم
اي الرسول بينهم بما اراه الله اذا فريق منهم معرضون اي فاجاوا الاعراض ان كان الحق عليهم لاتباعهم اهواهم
وان يكن لهم الحق اي بلا شبهة ياتوا اليه اي الي الرسول مذعنين اي منقادين اتم انقياد لما وافق من اهوايهم لعلمهم
انه داير مع الحق لهم وعليهم لا لطاعة الله ورسوله ولما كان سبب فعلهم هذا بعدا لهم عن الطاعة مشكلا ناسب
ان يسال عنه فقال تعالي افي قلوبهم مرض اي نوع فساد من اصل الفطرة يحملهم علي الضلال ام ارتابوا بان حدث لهم شبهة
اعمتهم عن الطريق ام ليس فيهم خلل لا اصلي ولا طاري بل الخلل في الحاكم فهم يخافون ان يحيف اي يجور الله الغني عن كل شي
عليهم بنصب حكم جاير وهو منزه عن الاغراض ورسوله الذي لا ينطق عن الهوي بضرب امر زايغ وقد ثبتت عصمته عن
الادناس ولما لم يكن شي من ذلك كاينا اضرب عنه فقال بل اولئك اي البعداء البغضاء هم خاصة الظالمون اي الكاملون
في الظلم لان قلوبهم مطبوعة علي المرض والريب لا زيغها نوع اسنه وليسوا يخافون الجور بل هم مرادهم اذا كان الحق
عليهم ولما نفي عنهم الايمان الكامل بما وصفهم به كان كانه سيل عن حال المومنين فقال انما كان اي دايما قول المومنين
اي العريقين في ذلك الوصف واطبق السبعة علي نصب القول ليكون اسم كان اوغل الاسمين في التعريف وهو ان
وصلتها لانه لا سبيل عليه للتنكير ولشبهه كما قال ابن جني في المحتسب بالمضمر من حيث انه لا يجوز وصفه كما لا يجوز
وصف المضمر وقرا علي رضي الله عنه بخلاف وابن ابي اسحق قول بالرفع اذا دعوا الي الله اي ما انزل من احكامه ورسوله
ليحكم بينهم اي في حكومة من الحكومات لهم او عليهم ان يقولوا سمعنا اي الدعا واطعنا اي بالاجابة لله ورسوله
واولئك اي العالوا الرتبة هم خاصة المفلحون الذين تقدم في اول المومنين وصفهم بانهم يدركون جميع ما مولهم
ولما رتب سبحانه الفلاح علي هذا النوع الخاص من الطاعة اتبعه عموم الطاعة فقال ومن يطع الله ورسوله اي في
الاذعان للقضاء وغيره فيما ساه وسره من جميع الاعمال الظاهرة ويخش الله بقلبه لما مضي من ذنوبه ليحمله ذلك
علي كل خير كما كان الصحابة رضوان الله عليهم اذا وقع احد منهم في تقصير ياتي الي النبي صلي الله عليه وسلم فيقول طهرني ويلقن
احدهم الرجوع فلا يرجع ومن تطهيره الاتيان علي نفسه ومع ذلك لرجالهم ونسايهم رضي الله عنهم اجمعين واحيانا علي
منهاجهم وحشرنا في زمرتهم ويتقه اي فيما يستقبل بان يجعل بينه وبين ما يسخطه من المباحات فيتركها ورعا
فاولئك العالوا الرتبة هم الفايزون بالملك الابدي ولا فوز لغيرهم ولما ذكر سبحانه ما رتب علي الطاعة الظاهرة
التي هي دليل الانقياد الظاهر الباطن ذكر حال المنافقين فيه فقال عاطفا علي ويقولون لانه ليس المراد منه الا
مجرد القول من غير ارادة تقييد بزمان معين واقسموا بالله جهد ايمانهم اي غاية الاقسام لين امرتهم اي بامر من الامور
ليخرجن مما هم متلبسون به من خلافه كاينا ما كان الي ما امرتهم به وذلك انهم كانوا يقولون لرسول الله صلي الله عليه وسلم
اينما كنت نكن معك ان خرجت خرجنا وان اقمت اقمنا وان امرتنا بالجهاد جاهدنا قاله البغوي فكانه قيل ماذا يفعل في
اختبارهم فقيل الاسراع ضمن ذلك فان لكل حق حقيقة ولكل فعل ادلة قل لهم لا تقسموا اي تحلفوا فان العلم بما انتم عليه
لا يحتاج الي الاقسام ثم علل ذلك بقوله طاعة اي هذه الحقيقة معروفة اي منكم من غيركم وارادة الحقيقة هو الذي سوغ الابتدا
بها مع تنكير لفظها لان العموم كما قالوا من اعرف المعارف ولم تعرف بال ليلا يظن انها لعهد ذكري او نحوه والمعني ان الطاعة

وان

وان اجتهد العبد في اخفايها لا بد ان تظهر مخايلها علي شمايله وكذا المعصية لانهما ما اسر عبد سريرة الا البسه الله رداها
رواه الطبراني عن جندب رضي الله عنه وروي مسدد عن عثمن بن عفان رضي الله عنهما قال لو ان رجلا دخل بيتا في جوف بيت
فادمن هناك عملا اوشك الناس ان يتحدثوا فيه به وما من عامل عمل عملا الا كساه الله رداء عمله ان كان خيرا فخير وان كان
شرا فشر ولابي يعلي والحاكم وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه عن ابي سعيد رضي الله عنه عن رسول الله صلي الله عليه وسلم انه
قال لو ان احدكم يعمل في صخرة صما ليس لها باب ولا كوة تخرج عمله للناس كاينا من كان ثم علل الظهور للحجة بقوله ان الله
خبير بما تعملون وان اجتهدتم في اخفايه فهو ينصب عليه دليلا يعرفه به عباده فالحلف غير مغن عن الحالف والتسليم غير
ضار للمسلم ولما نبه علي خداعهم واشار الي عدم الاغترار بايمانهم والي قبول شهادة التوسم فيهم امر بترغيبهم وترهيبهم
مشيرا الي الاعراض عن عقوبتهم فقال قل اطيعوا ايها الذين اقروا بالايمان الله واطيعوا الرسول ظاهرا وباطنا فان تولوا
اي توجد منكم التولية عن ذلك عصيانا لله فتضلوا فلا تضروا الا انفسكم وهو معني قوله فانما عليه اي الرسول ما حمل اي
من التبليغ وعليكم ما حملتم من القبول وليس عليه ان يقسركم علي الهداية وافهم بقوله وان تطيعوه اي بالاقبال علي
كل ما يامركم به تهتدوا اي الي كل خير لا هداية لكم بدون متابعته ولما كان ما حمله الرسول صلي الله عليه وسلم مبهما
عينه بقوله وما علي الرسول اي من جهة غيره الا البلاغ المبين اما بالاتيان بضاح وحده او مضموما الي السيف فما دونه
من انواع الزواجر ولما لاح بهذا الاذن في الكف عن قتل النبي صلي الله عليه وسلم للمنافقين ليلا يقول الناس ان محمدا
انتصر بقوم فلما نصره الله بهم اقبل يقتلهم فيمتنع من يسمع ذلك من الدخول في الاسلام فيكون مفسدة قتلهم اعظم
من مفسدة ابقايهم لان الدين لم يكن حينيذ تمكن تمكنا لا يوثر فيه مثل ذلك تشوفت النفوس الي ان هذا الحال هل يستمر
فجلي الله عنها هذا الكرب بقوله وعد الله الذين امنوا وهو مع ذلك كالتعليل لما قبله ترغيبا لمن نظر الي الدنيا نوع نظر وقيد
بقوله منكم تصريحا باهل القرن الاول ليكون ظاهرا في اخراج المنافقين المتولين بالاعراض اشارة الي انهم لا يزالون في
ذل وضعة وعملوا تصديقا لايمانهم الصالحات من الاذعان للاحكام وغيرها ليستخلفنهم في الارض اي ارض العرب
والعجم بان يمد زمانهم وينفذ احكامهم كما استخلف الذين من قبلهم اي من الامم من بني اسرايل وغيرهم من كل من حصلت له
مكنة وظفر علي الاعدا كما كتب في الزبور ان الارض يرثها عبادي الصالحون وكما قال موسي عليه السلام ان الارض لله يورثها
من يشا من عباده والعاقبة للمتقين وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضي لهم حتي يقيموا الحدود فيه من قتل وغيره علي الشريف
والوضيع سوا كان الواقعون في ذلك عصبة اولا لا يراعون احدا ولا يخافون لومة لايم لانه لا يضرهم اذ ذاك
مدبر كما قال النبي صلي الله عليه وسلم عن الحرورية كافة انه ان ادركهم ليقتلنهم قتل عاد بعد ان كف عن قتل اسهمهم ونهي عن قتله
في غزوة حنين ولما بشرهم بالتمكين اشار لهم الي معاداة بقوله وليبدلنهم من بعد خوفهم هذا الذي هم فيه الان امنا
عظيما عقدا رهذا الخوف ثم اتبع ذلك نتيجته بقوله تعليلا للتمكين وما معه يعبدونني اي وحدي وصرح بالمراد
بيانا لحال العبادة النافعة بقوله لا يشركون بي شيا روي الطبراني في الاوسط عن ابي بن كعب رضي الله عنه قال
لما قدم النبي صلي الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم المدينة واوتهم الانصار رمتهم العرب عن قوس واحدة فنزلت
ليستخلفنهم في الارض الاية ولقد صدق الله سبحانه ومن اصدق من الله حديثا ففتح سبحانه لهم البلاد ونصرهم علي جبابرة
العباد فاذلوا رقاب الاكاسرة واستعبدوا ابنا القياصرة ومكنوا شرقا وغربا مكنة لم تحصل قبلهم لامة من
الامم كما قال صلي الله عليه وسلم ان الله زوي لي الارض فرايت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها
يعرف ذلك من طالع فتوح البلاد واجمعها واحسنها النصف الثاني من سيرة الحافظ ابي الربيع بن سالم الكلاعي

وكتاب شيخنا ابن جبيش ايضا جامع ولا اعلم شيا انفع في رسوخ الايمان بعد حفظ القران من مطالعة السيرة والفتوح
وسيرة الكلاعي جامعة للامرين وعظي ونظمي للسيرة اجمع السير يسر الله اكمال شرحها امين ولما كان التقدير
فمن ثبت على دين الاسلام وانقاد لاحكامه واستقام نال هذه البشرى عطف عليه قوله ومن كفر اي بالاعراض عن الاحكام
او غيرها او هو عطف على يعبدونني لان معناه ومن لم يعبدني بعد ذلك اي الاستخلاف على الوجه المشروح فاولئك
البعداء من الخير هم خاصة الفاسقون اي الخارجون من الدين خروجا كاملا لا تقبل معه معذرة ولا تقال لصاحبه
عثرة بل تقام عليهم الاحكام بالقتل وغيره ولا يراعى فيهم سلام ولا ياخذهم رافة عند انتقام كما تقدم اول السورة في من
لزم الجلد ولعل الاية مشيرة الى اهل الردة ولما تمت هذه البشرى وكان التقدير فاعملوا واعبدوا اعطف عليه قوله
واقيموا الصلاة اي فانها قوام ما بينكم وبين ربكم مع انه يصح عطفه على قوله اطيعوا الله فيكون من مقول قل واتوا الزكاة
فهي نظام ما بينكم وبين اخوانكم واطيعوا الرسول في كل ما يامركم به فانما هو عن امرنا لعلكم ترحمون اي لتكونوا على رجاء من
الرحمة ولما كان الكفار من الكثرة والقوة بمكان كان الحال جديرا بتاكيد معنى التمكين جوابا لسوال من كانه قال وهل
ذلك ممكن فقال لا تحسبن الذين كفروا اي وان زادت كثرتهم على العد وتجاوزت عظمتهم الحد معجزين لاهل ودنا
في الارض فانهم ماخوذون لا محالة وماواهم اي مسكنهم ومنزلهم بعد الاخذ النار ولما كانت سكنى الشي لا تكون
الا بعد الصيرورة اليه قال ولبيس المصير مصيرها فكيف اذا كان على وجه السكنى ولما كان الملال من شيم النفوس
فكان تدريج الكلام في المقاصد لا سيما الاحكام شيا فشيا خلال مقاصد اخرى اوقع في القلب واشهى الى الطبع زين الله
تاصيلها بتفصيلها فابتدا السورة بطائفة منها وفصلها بدرر الوعظ وجواهر الحكم والحث على معالي الاخلاق
ومكارم الاعمال ثم وصلها بالهيئات التي هي اصولها وعن علي مقاماتها تفرعت فصولها فلما ختمها بالتمكين لاهل هذا
الدين وتوهين امر المعتدين شرع في اكمالها باثبات بقية احوالها تاكيدا لما حكم به على من التمكين وما ختم به من ذلك
من التوهين وتحقيقا لما التزم به من الطاعة ولزم السنة والجماعة فقال واصلا بما ختم به من الاحكام الاولى من الامر
بانكاح الايامى والكف عن اكراه البغايا اثر الذين لم يظهروا على عورات النسا يا ايها الذين امنوا اي من الرجال والنسا
ليستاذنكم تصديقا لدعوى الايمان الذين ملكت ايمانكم من العبيد والاماء البالغين ومن قاربهم كراهة الاطلاع على عوراتكم
والتطرق بذلك الى مساتكم والذين ظهروا على عورات النسا ولكنهم لم يبلغوا الحلم وقيده بقوله منكم ليخرج الارقا والكفار
ثلاث مرات في كل دور ويمكن ان يراد ثلاث استيذانات في كل مرة فان لم يحصل الاذن رجع المستاذن كما تقدم المرة
الاولى من الاوقات الثلاث من قبل صلاة الفجر والثانية حين تضعون ثيابكم من الظهيرة للقايلة والثالثة من بعد صلاة
العشا ثم علل ذلك بقوله ثلاث عورات اي اختلالات واصل العورة كما قال البيضاوي الخلل ولانه لما كانت تبدو
فيها سميت بها لكم لانها ساعات وضع الثياب والخلوة بالاهل وبين حكم ما عدا ذلك بقوله ليس عليكم اي في ترك الامر
ولا عليهم يعني العبيد والخدم والصبيان في ترك الاستيذان جناح اي اثم واصله الميل بعدهن اي بعد هذه الاوقات اذا
هجموا عليكم ثم علل الاباحة في غيرها تخرجا لغيرهم سيما ان حكمة الاستيذان في كل وقت كما مضى بقوله طوافون عليكم
اي بعمل ما يحتاجونه كما انتم طوافون عليهم لعمل ما يصلحهم بعضكم طواف على بعض لعمل ما يعجز عنه الاخر او يشق
عليه ولما اعلى سبحانه البيان في هذه الايات الى حد يعجز الانسان وكان السامع لما جبل عليه من النسيان يذهل عن
ان هذا هو الشان في جميع القران قال مشيرا الى عظم شانها في تعريفها وبيانها كذلك اي مثل هذا البيان يبين الله
لكم الايات في الاحكام وغيرها بعلمه وحكمته والله عليم بكل شي حكيم متقن ما يريده فلا يقدر احد على نقضه وختم الاية بهذا

الوصف

الوصف يدل على انها محكمة لم ينسخ كما قال الشعبي وغيره افاده ابن كثير ولما بين حكم الصبيان والارقا اتبعه
حكم البالغين من الاحرار فقال واذا بلغ الاطفال منكم اي من احراركم الحلم اي السن الذي يكون فيه اثر الى رؤية
الجماع في النوم هذا اصله والمراد سن مطلق الانزال فليستاذنوا على غيرهم في جميع الاوقات كما استاذن الذين من
قبلهم على ما بيناه في اول الايات القايلة لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستاذنوا ونقل ابن كثير عن يحيى بن ابي كثير
وسعيد بن جبير ان الغلام اذا كان رباعيا يستاذن في العورات الثلاث على ابويه فاذا بلغ الحلم فليستاذن على كل حال
ولما كانت ايات الاستيذان انفع حاسم لمواد الشر وتركها اعظم فاتح لابواب الفتن وكان فطم النفوس عما الفته
في غاية من العسر شديدة اشار سبحانه الى ذلك بتكرير اية البيان فقال كذلك اي مثل ذلك البيان الذي بينه في
ايات الاحكام يبين الله اي الذي له صفات الكمال لكم مع ما لكم من خلال النقص اياته اي العلامات الدالة عليه من
هذه الفرعيات وما رقيت عليه اليه من الاصليات واضافها اليه سبحانه تعظيما لها اشارة الى انها مقدمات للايات
الالهيات لان من لم يتفرغ عن مكدرات الافكار لم يطر ذلك المطار وحثا على تدبر ما تقدم منها لاستحضار
ما دعت اليه من الحكم وفصلت به من المواعظ وتنبيها على ما بها من العلوم النافعة دينا ودنيا وزاد في الترغيب في
العلم والحكمة اشارة الى ان ذلك سبب لكل سعادة فقال والله عليم حكيم روى الطبراني وغيره عن انس رضي الله عنه قال لما
كانت صبيحة احتلمت دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته اني قد احتلمت فقال لا تدخل على النسا فما اتى علي
يوم كان اشد منه ولما ذكر سبحانه اقتبال الشباب في تغيير حكم الحجاب اتبعه الحكم عند ادبار الشباب في القاء
الظاهر من الثياب فقال والقواعد من النساء جمع قاعد وهي التي قعدت عن الولد وعن الحيض كبرا وعن الزوج ولما
كان هذا الاخير قطعيا قال اللاتي لا يرجون نكاحا اي لعدم رغبتهن فيه او لوصولهن الى حد لا يرغب فيهن معه
فليس عليهن جناح اي شي من الحرج في ان يضعن ثيابهن اي الظاهرة فوق الثياب الساترة بحضرة الرجال بدليل قراة ابن مسعود
رضي الله عنه من ثيابهن قال ابو صالح تضع الجلباب وهو ما يغطي ثيابها من فوق كالملحفة وتقوم بين يدي الرجال بالدرع
والخمار غير متبرجات بزينة اي متعمدات بوضع ما اتيح لها وضعه اظهار وجوههن مع الزينة او غير متظاهرات بالزينة
قال في الجمع بين العباب والمحكم تبرجت المراة اظهرت وجهها وفي القاموس تبرجت اظهرت زينتها للرجال انتهى ومادة
برج تدور على الظهور كما مضى في الحجر وقال البيضاوي واصل التبرج التكلف في اظهار ما يخفى انتهى وكانه اشير بصيغة
التفعيل الى ان ما ظهر منها من وجهها او زينتها عفوا غير مقصود به الفساد لا حرج فيه ولما كان ابدا الوجه داعيا الى
الريبة اشار اليه بقوله وان يستعففن اي يطلبن العفة بدوام الستر وعدم القاء الجلباب والخمار خير لهن من الالقا
المذكور ولما كان ما ذكر من حالهن من الخلطة على ذلك الوصف معلوما انه لا يخلو عن كلام كان التقدير فالله في
وضع الحرج عنهن روف بهن رحيم عطف عليه قوله والله سميع اي لكلامهن اذا خاطبن الرجال هل يخضعن فيه
ويتصنعن في ترخيم الصوت او تليينه على الحالة المعروفة غير المنكرة عليم بما يقصدون به وبكل شي ولما اتم
سبحانه ما ذكر من حرمات البيوت المستلزمة لصيانة الابضاع على وجه يلزم منه احراز الاموال اتبعه ما يبلغ
من ذلك للاكل الذي هو من اجل مقاصد الاموال اجتماعا وانفرادا فقال في جواب من كانه سال هل هذا التحجير والتستر
سار في الاقارب وغيرهم في جميع الاحوال ليس على الاعمى حرج اي في مواكلة غيره وما ياتي من الاحكام فانه مرحوم ولا استيذان
من اجل البصر ولا على الاعرج اي الذي لا يرجى حرج فانه بجامعه في انه يرحم لنقصه ولا على المريض اي مرضا يرجى برؤه
او غيره حرج كذلك لمرضه واخره لرجا برئه ولا على انفسكم ولا على غير من ذكر وعبر بذلك تذكيرا بان الكل من نفس واحدة

ان تاكلوا من بيوتكم اي التي فيها عيالكم وذكرها تنبيها لئلا يحصل من تركها لو تركها ريبة وليدخل فيها بيوت الاولاد لانهم
من كسب الاب اطيب ما اكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه انت ومالك لابيك او بيوت اباءكم فانها مرباكم
وحرمتها حرمتكم او بيوت امهاتكم كذلك وقدم الاب لانه اجل وهو حاكم بيتهم دايما والمال له او بيوت اخوانكم فانهم من
اولى من رضي بذلك بعد الوالدين لانهم اشقاؤكم وهم اولياء بيوتهم او بيوت اخواتكم فانهن بعدهم من اجل ان ولي البيت اذا كن
مزوجات الزوج او بيوت اعمامكم فانهم اشقاء اباءكم او بيوت عماتكم فهن بعد الاعمام لضعفهن ولانه ربما كان اولياء بيوتهن
الازواج او بيوت اخوالكم لانهم اشقاء امهاتكم او بيوت خالاتكم اخرهن لما ذكر او ما ملكتم مفاتحه اي التصرف فيه بوجه من
الوجوه كالوكالة او صديقكم الذي تعرفون رضاه بذلك ولو بقرينة لما هو الغالب ولذلك اطلقه وان لم يكن اسكنكم من
مفاتحه بل كان عياله فيه كل ذلك لكن من غير افساد ولا حمل ولا ادخار وقد عدل الصديق هنا بالقريب تنبيها على شريف
رتبة الصداقة ولطيف سرها وخفيف امرها ولما ذكر معدن الاكل ذكر حاله فقال ليس عليكم جناح اي شيء من الاثم في
ان تاكلوا جميعا اي مجتمعين وان كان بعضكم ناقص الخلقة لان من كان من معرة الافات جديرا بان يرحم المبتلى فلا يستقذره
حذرا من انعكاس الحال او اشتاتا اي متفرقين لغير قصد الاستقذار والترفع والاضرار وان كان الاكل في جماعة افضل وابرك
فقد روى ابو داود الامام احمد وابو داود وابن ماجة عن وحشي بن حرب عن ابيه عن جده ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم
انا ناكل ولا نشبع قال لعلكم تاكلون متفرقين اجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله يبارك لكم فيه ولابن ماجة عن عمر
رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كلوا جميعا ولا تفرقوا فان البركة مع الجماعة ولما ذكر مواطن الاكل ذكر
وكيفية ذكر الحال التي يكون عليها الداخل الى تلك المواطن او غيرها فقال فاذا دخلتم اي بسبب ذلك او غيره بيوتا
اي ماذونا فيها اي بيوت كانت فسلموا عقب الدخول على انفسكم اي اهلها الذين هم منكم دينا وقربا وعبر بذلك ترغيبا
في السلام والاحسان في الاكرام ولتصلح العبارة لما اذا لم يكن فيها احد فيقال حينئذ السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
فيكون من الاستعمال في الحقيقة والمجاز تحية مصدر من المعنى دون اللفظ من عند الله اي جديرة لتمام حسنها ان تضاف
اليه تحية مباركة اي ثابتة اعظم ثبات بكونها موافقة لما شرع الله ومن خالص قلوبكم طيبة تلذ في السمع ثم اكد وصف
البيان تنبيها على ما في هذه الايات من الحسن والاحسان فقال كذلك اي مثل هذا البيان العظيم الشان يبين الله لكم الايات
التي اكملتها ولما كان الله تعالى بعلمه وحكمته وعزه وقدرته ولطفه وخبرته قد خلق عقلا نيرا يهدي الى الحق والى طريق
مستقيم وقسمه بين عباده وخلق فيهم انواعا من العوايق لذلك العقل عن النفوذ على سمت الاستقامة من الهوى والكسل
والفتور والملل جعلها حجبا تحجبه عن النفوذ وتستر عنه المدارك وتمنعه من البلوغ الا برياضات ومجاهدات تكل عنها القوى
وتضعف عندها العزايم فلا يكاد الماهر منهم يرتب قياسا سالما من الغلط في المقدمات فتكون النتيجة حينئذ فاسدة القاعدة
واهية الاساس فكانوا لا يزالون لذلك مختلفين حتى يوصلهم الاختلاف الى الاحن والمشاجرة والفتن فيجرهم الى السيف وذهاب
النفوس وتلف الارواح فانزل سبحانه لهم في كل وقت شرعا يليق بذلك الزمان على لسان رسول من رسله عليهم الصلاة والسلام
جعل ذلك الشرع هو العقل السوي والنور الضوي والمنهل الروي والسبب القوي من تمسك به هدي ولم يزغ عنه وفيه حدود
واثام فيه زواجر لتظهر حكمته وتتضح علمه وقدرته فصارت شرايع متفقة الاصول مختلفة الفروع بحسب الازمنة اشارة الى
ان الفاعل في تغيير الاحكام بحسب الازمان واحد مختار وامتحانا للعباد تمييزا لاهل الصلاح منهم من اهل الفساد وكان
الاغترار على شيء من الاعراض والاموال على غير ما اذن فيه تذهب العقول وتعمي البصائر ختم الاية بقوله لعلكم تعقلون اي لتكونوا
على رجاء من ثبات هذا الوصف لكم وهو ضبط النفوس وردها عن الاهوية باتباع ايات الشرع التي انزلها الذي كثر وصفه

كل واحد يخلف صاحبه والقوم خلفة اي مختلفون ولما كان الذي لا ينتفع بالشيء كالعادم لذلك الشيء خص
الجعل بالمجتني للثمرة فقال لمن اراد ان يذكر اي ما يدله عليه عقله من ان التغير على هذه الحالة العظيمة لا يكون
بدون مغير قادر عظيم القدرة مختار فيؤديه بذكره الى الايمان ان كان كفورا او اراد شكورا ليحمله ذلك على
الشكر ان كان مؤمنا بسبب ما انعم به من الاتيان بكل منهما بعد هجوم الاخر لاجتناء ثمراته ولو جعل احدهما
دايما لفاتت مصالح الاخر ولحصلت السامة به والملل منه والتواني في الامور المقدرة بالاوقات والكسل
وفتر العزم الذي انما يثير لتداركها دخول وقت اخر وغير ذلك من الامور التي احكمها العلي الكبير ولما ذكر عباده
الذين خذلهم بتسليط الشيطان عليهم فصاروا حزب الشيطان ولم يضفهم الى اسم من اسمايه ايذانا باهانتهم لهوانهم
عنه وهم الذين صرح بهم قولهم اول السورة نذيرا وختم بالتذكر والشكر اشارة الى عباده الذين اخلصهم لنفسه
واشار اليهم سابقا بتخصيص الوصف بالفرقان فاتبع ذلك ذكرهم فقال عاطفا على جملة الكلام في قوله واذا قيل لهم
ولكنه رفعهم بالابتداء تشريفا لهم وعباد ويجوز ان يقال ولعله احسن انه سبحانه لما وصف الكفار في هذه السورة
بما وصفهم به من الفظاظة والغلظة على النبي صلى الله عليه وسلم وعداوتهم له ومظاهرتهم على خالقهم ونحو ذلك من
جلافتهم وختم بالتذكر والشكر لتشوق النفس الى معرفة من يخلصهم لنفسه كان التقدير فعباد الشيطان لا يتذكرون
ولا يشكرون لما لهم من القسوة عطف على هذا المقدر اضدادهم واصفا لهم باضداد اوصافهم مبشرا لهم بضد
جزائهم فقال وعباد الرحمن فاضافهم اليه رفعة لهم وان كان كل الخلق عباده واضافهم الى وصف الرحمة الابلغ
الذي انكروه اولئك تبشيرا لهم ثم وصفهم بضد ما وصف به المتكبرين عن السجود اشارة الى انهم تخلقوا من هذه
الصفة التي اضيفوا اليها بامر كبير فقال الذين يمشون وقال على الارض تذكيرا بما هم منه وما يصيرون اليه وحثا
على السعي في معالي الاخلاق للترقي عنه هونا اي ذوي هون اي لين ورفق وسكينة ووقار واخبات وتواضع
لا يؤذون احدا ولا يعجزون رحمة لانفسهم وغيرهم غيرة بعيدة ما فيهم من الحرارة الشيطانية فبريوا من حظوظ
الشيطان لان من كان من الارض واليها يعود لا يليق به الا ذلك والاحسن ان يجعل هذا خبر العباد ويكون اولئك
يجزون الغرفة استينافا متشوفا اليه تشوف المستنتج الى النتيجة ولما ذكر ما اثمر لهم العلم من الفعل في انفسهم
اتبعه ما انتجه لهم من القول لغيرهم فقال واذا دون ان لقضاء العادة بتحقق مدخولها ولم يقل والذين لكيفية المعطوف
لان الخصلتين كشيء واحد من حيث رجوعهما الى التواضع خاطبهم خطابا ما بجهل او غيره الجاهلون اي الذين يفعلون
ما يخالف العلم والحكمة قالوا سلاما اي ما فيه سلامة من كل سوء وليس المراد التحية نقل ذلك سيبويه عن ابي الخطاب
قال لان الاية فيما زعم مكية ولم يومر المسلمون يومئذ ان يسلموا على المشركين ولكنه على قولك تسلما لا خير بيننا
وبينكم ولا شر انتهى وكانه اطلق الخطاب اعلاما بان اكثر قول الجاهل الجهل ولما ذكر ما بينهم وبين الخلق من القول
والفعل وكان الغالب على ذلك ان يكون نهارا ذكر ما بينهم وبين خالقهم من ذلك ليلا وذكر هذه المعطوفات التي هي
صفات بالواو تنبيها على ان كل واحدة منها تستقل بالقصد لعظيم خطرها وكبر اثرها فقال والذين يبيتون
وافاد الاختصاص بتقديم لربهم اي المحسن اليهم رجاء نعيم رحمة لا نفسهم وشكرا لفضله ولما كان السجود اشد
اركان الصلاة تقريبا الى الله سبحانه الذي اباه الجاهلون قدمه فقال سجدا واتبعه ما هو تلوه في المشقة فقال
وقياما اي ولم يفعلوا فعل الجاهلين من النفور عن السجود بل كانوا كما قال الحسن رحمه الله نهارهم في خشوع وليلهم
في خضوع ولما ذكر تهذيبهم لانفسهم للخلق والخالق اشار الى انه لا اعجاب عندهم بل هم وجلون وان كانوا

لهم على ذلك الايمان بالاخرة التي كذب بها الجاهلون وقدموا الدعاء بالنجاة اهتماما بدرء المفسدة واشعارا
بانهم مستحقون لذلك وان اجتهدوا والتقصير هم عن ان يقدروه سبحانه حق قدره فقال والذين يقولون ربنا ايها
المحسن الينا اصرف عنا عذاب جهنم الذي احاط بنا لاستحقاقنا اياه الان بتداركنا بعفوك ورحمتك بما
وفقتنا له من اعمال يرضيك بطلاقة الوجه لا بالتجهم ثم علل سؤالهم بقولهم ان عذابها كان غراما اي محيطا بما يعلق
به من لازما له لازما لا ينفك عنه وعرفتنا تيسر على من اذاقنا ولما ثبت لها هذا الوصف انتج قوله انها سات
مستقرا اي موضع استقرار ومقاما اي موضع اقامة ولما ذكرنا لهم واقع الهم فيما بينهم وبين الخلق وقدمه
والخالق واخره لان وجوبه يكون بعد ذلك ذكر احوالهم في اموالهم نظرا الى قول الكفرة او يلقى اليه كنز وهدايه
الى طريق الغنى لانه ما عال من اقتصد فقال والذين اذا انفقوا اي للخلق او الخالق في واجب او مستحب لم يسرفوا
فيضيعوا الاموال في غير حقها فيكونوا اخوان الشيطان الذين هم من النار ففعلهم فعلها ولم يقتروا فيضيعوا الحقوق
ثم بين العدل بقوله وكان اي انفاقهم بين ذلك اي الفعل الذي لا يحب اعاده وما علم ان ما بين الطرفين المذمومين
فيكون عدلا صرح به في قوله قواما نحلنا بهذه الصفة اذ لو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض ولكن ينزل بقدر
ما يشاء ولما ذكر ما تحلوا به من اصول الطاعات بما لهم من العدل والاحسان بالافعال والاقوال في الابدان والاموال
اتبعه ما تخلوا عنه من امهات المعاصي التي هي الفحشاء والمنكر فقال والذين لا يدعون رحمة لانفسهم واستعمالا للعدل
مع الله الها اخر دعا جليا بالعبادة له ولا خفيا بالريا فيكونوا ممن ارسلت عليهم الشياطين فازتهم ازا ولما نفى عنهم
ما يوجب قتل انفسهم بخسارتهم اياها اتبعه قتل غيرهم فقال ولا يقتلون اي بما تدعوا اليه الحدة النفس اي رحمة
للخلق وطاعة للخالق ولما كان من الانفس ما لا حرمة له بين المراد بقوله التي حرم الله اي قتلها الا بالحق بان
تعمل ما يبيح قتلها ولما ذكر القتل الجلي اتبعه الخفي بتضييع نسب الولد فقال ولا يزنون اي رحمة لما قد يحدث
من ولد ابقاء على نسبه ورحمة للمزني بها ولا قادرة ان تنتهك حرمتها مع حرمته لنفسه على ان الزنا ايضا جار الى
القتل والفتن وفيه التسبب لايجاد نفس بالباطل كما ان القتل تسبب الى اعدامها بذلك وقد روى في الصحيح عن عبد الله
ابن مسعود رضي الله عنه انه سال النبي صلى الله عليه وسلم اي الذنب اعظم وفي رواية اكبر عند الله قال ان تدعو لله ندا وهو
خلقك قال ثم اي قال ان تقتل ولدك مخافة ان يطعم معك قال ثم اي قال ثم ان تزاني بحليلة جارك فانزل الله تصديق
ذلك والذين لا يدعون مع الله الها اخر الاية وقد استشكل تصديق الاية للخبر من حيث ان الذي فيه قتل خاص وزني
خاص والتقييد بكونه اكبر والذي فيها مطلق القتل والزني من غير تعرض لعظم ولا اشكال لانها نطقت بتعظيم ذلك
من سبعة اوجه الاول الاعتراض بين المبتدا الذي هو وعباد وما عطف عليه والخبر الذي هو اولئك يجزون على
احد الرايين بذكر جزاء هذه الاشيا الثلثة خاصة وذلك دال على مزيد الاهتمام الدال على الاعظام الثاني الاشارة
باداة البعد في قوله ومن يفعل ذلك مع قرب المذكور استدلالا على ان البعد في رتبها الثالث التعبير باللقي مع المصدر
المزيد الدال على زيادة المعنى في قوله يلق اثاما دون يأثم او يلق اثما الرابع التقييد بالمضاعفة في قوله في جواب من
كانه قال ما ذلك الاثام يضاعف له العذاب جزاء ما اتبع نفسه هواها بما فيه من الحرارة الشيطانية الخامس
التهويل بقوله يوم القيمة الذي هو لهول من عزم عما لا يقاس السادس الاخبار بالخلود الذي اقل درجاته
ان يكون مكثا طويلا فقال ويخلد فيه السابع التصريح بقوله مهانا ولعله للاحتراز عما يجوز من ان بعض عصاة هذه
الامة الذين يريد الله تعذيبهم يعلمون انهم ينجون ويدخلون الجنة فيكون اقلقهم مع العلم بالمال ليس على وجه الاهانة

فلما عظم الامر من هذه الاوجه علم ان كلا من هذه الذنوب كبير واذا كان الاعم كبيرا كان الاخص المذكور اعظم من مطلق
الاعم لانه زاد عليه بما صار به خاصا فثبت بهذا انها كبائر وان قتل الولد والزني بحليلة الجار اكبر لما ذكر فوضح
وجه تصديق الاية للخبر ولا يقال ان الاشارة ترجع الى المجموع فالتهويل خاص بمن ارتكب مجموع هذه الذنوب لانا
نقول السياق يأباه لان تكرير لا افاد كما حققه الرضي ورود النفي على وقوع الخصال الثلاث حال الاجتماع والانفراد
فالمعنى لا يوقعون شيا منها فكان من وقع ومن يفعل ذلك ومن يفعل شيا من ذلك ليرد الاثبات على ما ورد عليه النفي فيحصل
التناسب واما دلالة الاية على الترتيب فمن وجهين الاول ان الاصل في التقديم الاهتمام فيكون كل واحد منها اعلى
مما بعده الثاني ان الواو لا تنافيه وقد وقعت الافعال مرتبة في الذكر كما رتبت في الحديث بثم فيكون مرادا بها الترتيب
والله الهادي ولما اتم سبحانه تهديد الفجار على هذه الاوزار اتبعه ترغيب الابرار في الاقبال الى العزيز الغفار فقال
الا من تاب اي رجع عن شي مما كان فيه من هذه النقائص وامن اي اوجد الايمان او اكده وجوده وعمل عملا صالحا اي مؤسسا
على اساس الايمان ثم زاد في الترغيب بالاتيان بالفاء ربطا للجزاء بالشرط دليلا على انه سببه فقال فاولئك يبدل الله
وذكر الاسم الاعظم تعظيما للامر واشارة الى انه سبحانه لا منازع له سياتهم حسنات اي ندمهم على تلك السيات لكونها
ساكانت حسنات فيكتب لهم ثوابها بعزيمتهم الصادقة على ضدها لو استقبلوا من امرهم ما استدبروا ولما كان هذا امرا
لم تجر العادة بمثله اخبر انه صفته سبحانه ازلا وابدا فقال وكان الله غفورا اي ستورا للذنوب كل من تاب رحيما له بان
يعامله بالاكرام كما يعامل المرحوم فيعطيه مكان كل سيئة حسنة روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما ان هذه
الاية نزلت في اهل الشرك لما نزل صدرها فقال اهل مكة فقد عدلنا بالله وقتلنا النفس التي حرم الله واتينا الفواحش
فانزل الله الا من تاب الى رحيما وروي عنه ايضا انه قال هذه مكية نسختها اية مدنية التي في سورة النساء اي على تقدير
كونها عامة في المشركين وغيرهم وروي عنه انه قال ان اية النساء نزلت في اخر ما نزل ولم ينسخها شي وقد تقدم في سورة
النساء الجواب عن هذا وكذا ما رواه البخاري عنه في التفسير ان ناسا من اهل الشرك كانوا قد قتلوا واكثروا وزنوا
واكثروا فاتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فقالوا ان الذي تقول وتدعوا اليه لحسن لو تخبرنا ان لما عملنا كفارة فنزل والذين لا يدعون
مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ونزل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا
تقنطوا من رحمة الله ولما اشعرت الفاء بالتسبب ودل تاكيد الفعل بالمصدر على الاحتياج الى عمل كثير ومعالجة
عن طرق الشر واشار الى التطويق له بالوصفين العظيمين اتبع ذلك بيان الطريق اليه بما اجرى من العادة فقال
ومن تاب اي عن المعصية كبيرة كانت او ما دونه وعمل صالحا ولو كان من نيته وعمله ضعيفا فانه يتوب اي يرجع واصلا
الى الله متابا اي رجوعا عظيما جدا بان يرغبه الله في الاعمال الصالحة فلا يزال كل يوم في زيادة في نيته وعمله فيخف
عليه ما كان عسيرا ويسهل عليه ما كان صعبا كما تقدم في ان الذين امنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم ولا يزال
كذلك حتى يحبه فيكون سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها
ولما وصف عباده سبحانه بانهم تحلوا باصول الفضائل وتخلوا عن امهات الرذائل ورغب في التوبة لان الانسان
لعجزه لا ينفك عن النقص وكان قد مدحهم بعد الاولى من صفاتهم بالحلم عن الجهل مدحهم قبل الاخرى من امداحهم
وعقبه تركهم الزنا بالاعراض اصلا عن اللغو الذي هو اعظم مقدمات الزنا فقال والذين لا يشهدون اي يحضرون
انحرافا مع الهوى كما يفعل النار التي الشيطان منها الزور اي القول المنحرف عن الصدق كذبا كان او مقاربا له فضلا عن
ان يتفوهوا به ويقروا عليه قال ابن جرير واصل الزور تحسين الشي ووصفه بخلاف صفته حتى يخيل الى من يسمعه

اويراه انه علا ف ماهو به والشرك قد يدخل في ذلك لانه محسن لاهله حتي ظنوا انه حق وهو باطل ويدخل فيه
الغنا لانه ايضا مما يحسن بترجيع الصوت حتي يستحلي سامعه سماعه والكذب ايضا يدخل فيه بتحسين صاحبه
اياه حتي يظن انه حق وعطف عليه ما هو اعم منه فقال واذا مروا باللغو اي الذي ينبغي ان يطرح ويبطل سوا كان
من وادي الكذب او العبث الذي لا يجدي قال ابن جرير وهو في كلام العرب كل كلام او فعل باطل لا حقيقة له ولا
اصل اوما يستقبح مروا كراما اي امرين بالمعروف ناهين عن المنكر ان تعلق بهم امر او نهي باشارة او عبارة علي حسب
ما يرونه نافعا او معرضين ان كان لا يصلح شي من ذلك لاثارة مفسدة اكبر من ذلك او نحو رحمة لانفسهم وغيرهم
ولما ذكر وصفهم الذي فاقوا به اشار الي الاية وصف الجهلة الذي سفلوا به فقال والذين اذا ذكروا اي ذكرهم
غيرهم كاينا من كان لانهم يعرفون الحق بنفسه لا بقايله بايات ربهم اي الذي وفقهم لتذكر احسانه اليهم في حسن
تربيته لهم بالاعتبار بالايات المرئية والمسموعة لم يخروا اي لم يفعلوا فعل الساقطين عليها الساترين لها تم
زاد في بيان اعراضهم وصدهم عنها فقال صما وعميانا اي كما يفعل المنافقون والكفار في الاقبال عليها سماعا واعتبارا
والاعراض عنها تغطية لما عرفوا من حقيتها وسترا لما راوا من نورها فعل من لا يسمع ولا يبصر كما تقدم عن ابي جهل
وابي سفين والاخنس بن شريق وذلك وصف لعباد الرحمن بفعل ضد هذا اي انهم يسقطون عند سماعها ويكبون
عليها سقوط سامع منتفع بسمعه بصير منتفع ببصره وبصيرته سجدا يبكون كما تقدم في اول اوصافهم ولما ذكر
هذه الخصلة المثمرة لما يلي الخصلة الاولي ختم بما ينتج الصفة الاولي فقال والذين يقولون علما منهم بعدما تصافهم
بجميع ما مضي انهم اهل للامامة ربنا هب لنا من ازواجنا اللاي قرنتهما بنا كما فعلت لنبيك صلي الله عليه وسلم فرحت
زوجه في كلامك القدم وجعلت مدحها يتلي علي تعاقب الازمان والسنين وذريتنا قرة اعين اي بانهم يتناولون
الاقربين اولي بالمعروف ولا شي اسر للمومن ولا اقر لعينه من ان يري حبيبه يطيع الله واجعلنا واياهم للمتقين اي من
الاقارب والاجانب اماما فيكون علما يحتذي متواضعين كما هو شان امامة التقوي في افادة التواضع والسكينة
لنحوز الاجر العظيم اذ الانسان له اجره واجر من اهتدي به فعمل بعمله من سن سنة حسنة كان له اجرها واجر من
عمل بها الي يوم القيمة ولما وصف سبحانه عباده المومنين بضد اوصاف الكافرين من الرفق والسكينة والتواضع والحلم
والطانينة والشكر لربهم والرغبة اليه والرهبة منه وقال الرازي فوصف مشيهم وخطابهم وانتصابهم له ودعاهم
ونفقاتهم ونزاهتهم وتيقظهم وانتباههم وصدقهم ومحبتهم ونصحهم تشوف السامع الي ما لهم عنده بعد المعرفة
بما للكافرين فابتدا الخبر عن ذلك بتعظيم شانهم فقال اوليك اي العالوا الرتبة العظيموا المنزلة يجزون اي فضلا من
الله علي ما وفقهم له من هذه الاعمال الزاكية والاحوال الصافية الغرفة اي التي هي لعلوها واتساعها وطيبها لا غرفة
غيرها لانها منتهي الطلب وغاية الارب لا يبغون عنها حولا ولا يريدون بها بدلا والظاهر ان المراد بها الجنس ولما كانت
القرب في غاية التعب لمنافاتها لشهوات النفس وهواها وطبع البدن رغب فيها بان جعلها سببا لهذا الجزا فقال
بما صبروا اي علي مرارة غربتهم بين الجاهلين في افعالهم واقوالهم واحوالهم ولما كان المنزل لا يطيب الا بالكرامة والسلامة
قال ويلقون اي يجعلهم الله لاقين وعلي قراة التخفيف الاسرواضح فيها تحية اي دعا بالحياة من الملايكة الذين يردد علاهم
ولا يمري في اخبارهم لانهم عن الله ينطقون وذلك علي وجه الاكرام والاعظام مكان ما اهانهم عباد الشيطان وسلاما اي
وسلامة من كل افة مكان ما اصابوهم بالمصايب ولما كان هذا نا طقا بدوام حياتهم سالمين بصريحه وبعظيم شرفهم بلازمه
دل علي انهم لا يبرحون عنه بقوله خالدين فيها اي الغرفة مكان ما ازعجوهم من ديارهم حتي هاجروا ودل علي علو امرها وعظم قدرها

بابراز مدحها في مظهر التعجب فقال حسنت اي ما احسنها مستقرا اي موضع استقرار ومقاما اي موضع اقامة
ولما ثبت تمام الرحمانية فظهر امر الرحمن وما علي عباده من الدعا الذي هو الخضوع والاخلاص وختم اوصافهم الحسنة
بالدعا حقيقة الدال علي الاخلاص في الخضوع وذكر حسن جزائهم وكرمهم ستقبلهم امر النذير ان يقول لعباد الشيطن
الذين تكبروا عن السجود للرحمن وعن الاعتراف والايمان ان ربه لا يعتد من لا يدعوه فمن ترك دعاه فليرتقب العذاب
الاليم الدايم فقال قل ما يعبا اي يعتد ويبالي ويجعلكم ممن يستديه في موضع التعجبيه الان علي ان ما نافية بكم
اي ايها الكافرون ربي اي المحسن الي والكم برحانيته المخصص لي بالاحسان برحيميته وانما خصه بالاضافة
لاعترافه دونهم لولا دعاوكم اي نداوكم له في وقت شدايدكم الذي انتم تبادرون اليه خضوعا له به ليخيكم فاذا فعلتم ذلك
انقذكم مما انتم فيه معاملة لكم معاملة من يبالي بالانسان ويعتد به ويراعيه ولولا دعاوه اياكم لتعبدوه رحمة لكم لتزكوا
انفسكم وتصفوا اعمالكم ولا تكونوا حطب النار فقد كذبتم اي فتسبب عن ذلك لسو طباعكم ضد ما كان ينبغي لكم من
الشكر والخزيان عليتم بالاغا وحففتم وديتم التكذيب بالرحمن بعد رحمتكم بالبيان مع ضعفكم وعجزكم وتركتم ذلك الدعا
له وعبدتم الاوثان وادعيتم له الولد وغيره من البهتان او ما يصنع بكم لولا دعاوه اياكم الي طاعته لكم لانكم قد كذبتم فكنتم
شرا من البهايم فدعاكم فتسبب عن دعايه اياكم انكم فاجاتم الداعي بالتكذيب والحاصل انه ليس فيكم الا ما يصلح ان يعتد
بكم لاجله الا الدعا لانكم مكذبون وانما قلت الان لان ما لا يدخل الا علي مضارع بمعني الحال عكس لا فسوف اي فتسبب
عن تكذيبكم انه يجازيكم علي ذلك ولكنه مع قدرته وقوته واختياره لا يعاجلكم بل يكون جزا هذا التكذيب عند انقضا
ما ضربه لكم من الاجال وكل بعيد عندكم قريب عنده وكل ات قريب فتهيوا له واعتدوا لذلك اليوم لزاما اي لازما لكم
لزوما عظيما لا انفكاك لكم عنكم بحال وهذا تنبيه علي ضعفهم وعجزهم وذلهم وقهرهم لان الملزوم لا يكون الا كذلك
فاسرهم يوم بدر من افراد هذا التهديد فقد انطبق اخر السورة علي اولها بالانذار بالفرقان لمن انكر حقية الرحمن
واسول التوفيق بالايمان سورة الشعرا مقصودها ان هذا الكتاب بين في نفسه باعجازه انه من عند الله مبين لكل
ملتبس ومن ذلك بيان اخر التي قبلها بتفصيله وتنزيله علي احوال الامم وتمثيله وتسكين اسفه صلي الله عليه وسلم خوفا
من ان يعم امته الهوان بعدم الايمان وان يشتد قصدهم لاتباعه بالاذي والعدوان بما تفهمه سوف من طول الزمان
بالاشارة الي اهلاك من علم منه دوام العصيان ورحمة من اراده للهداية والاحسان وتسميتها بالشعرا ادل
دليل علي ذلك عما فارق به القران الشعر من علو مقامه واستقامة مناهجه وعز مرامه وصدق وعده ووعيده
وعدل تبشيره وتهديده بسم الله الذي دل بحكمه علو كلامه علي عظمة شانه وعز مرامه الرحمن الذي لا يعجل علي من
عصاه الرحيم الذي يحيي قلوب اهل وده بالتوفيق لما يرضاه طسم لما فرق سبحانه في تلك بين الدين الحق والمذهب
الباطل وبين ذلك غاية البيان وفصل عباد الرحمن من عباد الشيطان واخبر انه عم برسالته جميع الخلايق وختم
بشديد الانذار لاهل الادبار بعد ان قال فقد كذبتم وكان من حزنه ولما لم يسلم منهم الا القليل وكان ذلك رعا اوهم
قرب اهلاكم وانزال البطش بهم كما كان في اخر سورة مريم فاوجب الاسف علي فوات ما كان يرجي من رحمتهم بالايمان
والحفظ عن نوازل الحدثان وكان ذلك ايضا ربما اوجب ان يظن ظان ان عدم اسلامهم لنقص في البيان ازال ذلك سبحانه
اول هذه فقال تلك اي الايات العالية المرام الحايزة لعلي مراتب التمام ايات الكتاب اي الجامع لكل فرقان المبين اي
الواضح في نفسه الفارق لكل ملتبس بغاية البيان فصح انه فرقان كما ذكر في التي قبلها فان الابانة هي الفصل والفرق
فصار الاخبار بانه فرقان مكتنفا الانذار اول السورة التي قبل واخرها والله الموفق وقال الامام ابو جعفر بن الزبير

لما عرفت سورة الفرقان بتشنيع مرتكبي الكفر المعاندين وختمت بما ذكر من الوعيد كان ذلك مظنة لاشفاقه عليه السلام
وتاسفه على فوت ايمانهم لما جبل عليه من الرحمة والاشفاق فافتتحت السورة الاخرى بتسليته عليه السلام وانه سبحانه
لو شا لانزل عليهم اية تبهرهم وتذل جبابرتهم فقال سبحانه لعلك باخع نفسك الاية وقد تكرر هذا المعنى عند ارادة
تسليته عليه السلام كقوله تعالى ولو شا الله لجمعهم على الهدى ولو شينا لاتينا كل نفس هداها ولو شا ربك لامن من في
الارض كلهم جميعا ولو شاء الله ما فعلوه ثم اعقب سبحانه بالتنبيه والتذكير اولم يروا الى الارض كم انبتنا فيها من كل زوج
كريم واذ نادى ربك موسى وقل ما يجد في الكتاب العزيز ورود تسليته عليه السلام الا معقبه بقصص موسى عليه السلام
وما كابد من بني اسرايل وفرعون وفي كل قصة منها احراز ما لم تحرز الاخرى من الفوايد والمعاني والاخبار حتى تجد
قصة تتكرر وان ظن ذلك من لم يمعن النظر فما من قصة من القصص المتكررة في الظاهر الا ولو سقطت او قدر انها
لنقص من الفوايد ما لا يحصل من غيرها وسنوضح هذا في التفسير بحول الله ثم اتبع جل وتعالى قصة موسى بقصص غيره
من الانبيا عليهم السلام مع اممهم على الطريقة المذكورة وتانيسا له عليه السلام حتى لا يهلك نفسه اسفا على فوت ايمان
قومه ثم اتبع سبحانه ذلك بذكر الكتاب وعظيم النعمة به فقال وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك
فيا لها من كرامة تقصر الالسنة عن شكرها وتعجز العقول عن تقديرها ثم اخبر تعالى انه بلسان عربي مبين ثم اخبر سبحانه
بعلي امر هذا الكتاب وشايع ذكره على السنة الرسل والانبيا فقال وانه لفي زبر الاولين واخبر ان علم بني اسرايل من اعظم
اية واوضح برهان وبينة وان تامل ذلك كاف واعتبار شاف فقال اولم يكن لهم اية ان يعلمه علما بني اسرايل كعبد الله
ابن سلام واشباهه ثم وبخ تعالى متوقفي العرب فقال ولو نزلناه على بعض الاعجمين الاية ثم اتبع ذلك بما يتعظ به المومن
الخايف من ان الكتاب مع انه هدى ونور قد يكون محنة في حق طايفة كما قال تعالى يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا واما الذين
في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم فقال تعالى في هذا المعنى كذلك سلكناه في قلوب المجرمين لا يومنون به حتى
يروا العذاب الاليم ثم عاد الكلام الى تنزيه الكتاب واجلاله عن ان تتسور الشياطين على شي منه او تصل اليه فقال سبحانه
وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم ان ليسوا اهلا له ولا يقدرون على استراق سمعه بل هم معزولون عن السمع بعد
مرجومون بالشهب ثم وصى تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم والمراد المومنون فقال تعالى فلا تدع مع الله الها اخر فتكون من
المعذبين ثم امره بالانذار ووصاه بالصبر فقال وانذر عشيرتك الاقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المومنين
ثم اعلم تعالى بموقع ما توهموه واهلية ما تخيلوه فقال هل انبيكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك اثيم ثم
وصفهم وكل هذا تنزيه لنبيه عليه السلام عما تقولوه ثم هددهم وتوعدهم فقال وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون
انتهى ولما كان قد قدم في تلك انه عم برسالته جميع الخلايق وختم بالانذار على تكذيبهم في تخلفهم مع ان اجابة جميع العقلا
ونفي كل خلل وكان ذلك مما يقتضي شدة اسفه صلى الله عليه وسلم على المتخلفين كما هو مضمون ان قومي اتخذوا هذا القران
مهجورا على ما تقدم وذلك لما عنده صلى الله عليه وسلم من مزيد الشفقة وعظيم الرحمة قال تعالى يسليه ويزيل من اسفه
ويعزيه على سبيل الاستيناف مشيرا الى انه لا تقصير في انذاره ولا في كتابه الذي ينذر به يكون سببا لوقوفهم عن
الايمان وانما السبب في ذلك محض ارادة الله لعلك باخع نفسك اي مهلكها غما وقاتلها اسفا من بخع الشاة
اذا بالغ في ذبحها حتى قطع البخاع بكسر الموحدة وهو عرق باطن في الصلب غير النخاع بضم النون ان اي لاجل الا
يكونوا مومنين فكان كانه قيل هذا الكتاب في غاية البيان في نفسه والابانة للغير وقد تقدم في غير موضع انه ليس
عليك الا البلاغ اعاف وتشفق على نفسك من الهلاك غما واسفا على عدم ايمانهم والحال انا لو شينا لهديناهم طوعا

او كرها والظاهر ان جملة الاشفاق حال من اسم الاشارة كان الاية التي بعدها في موضع الحال منها اي نحن نشير الى
الايات المبينة لمرادنا فيهم والحال انك لمزيد حرصك على نفعهم بحال يشفق فيها عليك من ان تقتل نفسك غما لاباتهم
والحال انا لو شينا اتيناهم بما يقهرهم ويذلهم للايمان وغيره ولما كان المحب ميالا الى ما يريد حبيبه اعلمه ان كلا ما
هم فيه بارادته فقال ان نشا وعبر بالمضارع في قوله ننزل اعلاما بدوام القدرة ولما كان ذلك الانزال من باب القسر
والجبروت والقهر قال عليهم وقال من السما اي التي جعلنا فيها بروجا للمنافع واشار الى تمام القدرة بتوحيدها فقال
اية اي قاهرة كما فعل ببعض من قبلهم واشار الى تحقق اثرها بالتعبير بالماضي في قوله فظلت اي عقب الانزال من
غير مهلة اعناقهم التي هي موضع الصلابة وعنها تنشا حركات الكبر والاعراض لها اي للاية دايما ولكنه عبر بما
يفهم النهار لانه موضع التقوى على جميع ما يراد من التقلب والحيل والمدافعة خاضعين جمعه لذلك لان الفعل لاصحابها
ليدل على ان ذلهم لها يكون مع كونهم جميعا ولا يغني جمعهم وان زاد شيا والخضوع التطامن والسكون واللين ذلا
وانكسارا وما اي هذه صفتنا والحال انه ما ياتيهم من ذكر اي شي يذكرون ربنا به فيكون سببا ذكرهم وشرفهم من
الرحمن اي الذي انكرره مع احاطة نعمه بهم محدث اي بالنسبة الى علمهم به واشار الى دوام كبرهم بقوله الا
كانوا عنه معرضين اي اعراضا هو صفة لهم لازمة ولما كان حال المعرض عن الشي حال المكذب به قال فقد
اي فتسبب عن هذا الفعل منهم انهم قد كذبوا اي حققوا التكذيب وقربوه كما تقدم اخر تلك ولما كان التكذيب
بالوعيد سببا في ايقاعه وكان حالهم في تكذيبهم له صلى الله عليه وسلم حال المستهزي قال فسياتيهم سببه بالفا
وحققه بالسين وقلل التنفيس عما في اخر الفرقان انبا اي عظيم اخبار ما اي العذاب الذي كانوا به يستهزون
اي يهزاون ولكنه عبر بالسين اشارة الى ان حالهم في شدة الرغبة في ذلك الهزء حال الطالب له ولما كانت
روبتهم للايات السماوية والارضية الموجبة للانقياد والخضوع موجبة لانكار تخلفهم عما تدعو اليه فضلا عن
الاستهزاء وكان قد تقدم اخر تلك الحث على تدبر بروج السما وما يتبعها من الدلالات فكان التقدير الم يروا
الى السما كم اودعنا في بروجها وغيرها من ايات نافعة وضارة كالامطار والصواعق عطف عليه ما ينشا عن ذلك
في الارض في قوله اولم يروا ولما كانوا في عمى عن تدبر ذلك عبر للدلالة عليه بحرف الغاية فقال الى الارض اي
على سعتها واختلاف نواحيها وتربها كم انبتنا فيها بعد ان كانت يابسة ميتة لا نبات بها من كل زوج اي صنف مشاكل
بعضه لبعض كريم اي جم المنافع محمود العواقب من الاشجار والزروع وساير النباتات على اختلاف الوانها في
زهورها وانوارها وطعومها واقدارها ومنافعها وارواحها الى غير ذلك من امور لا يحصيها ويحيط بها حدا وتحصيلا عدا
الا الذي خلقها مع كونها تسقى بماء واحد ولما كان ذلك باهرا للعقل منبها له في كل حال على عظيم اقتدار صانعه وبديع
اختياره وصل به قوله ان في ذلك اي الامر العظيم من الانبات وما تقدمه من العظات لاية اي عظيمة جدا على تمام
القدرة على البعث وغيره كافية في الدعاء الى الايمان والزجر عن الطغيان والحال انه ما كان اكثرهم اي البشر مومنين
وان اي والحال ان ربك لهو ولما كان المقام لانزال الاية القاهرة قدم قوله العزيز اي القادر على كل من قسرهم على
الايمان والانتقام منهم الرحيم في انه لم يعاجلهم بالنقمة بل انزل عليهم الكتاب ترفقا بهم وبيانا لما يرضاه ليقيم به
الحجة على من اريد الهوان ويقبل بقلوب من يخصه منهم للايمان قال ابو حيان والمعنى انه عزيز في نقمته من الكفار رحيم
مومني كل امة انتهى ومن هنا شرع سبحانه في تمثيل اخر الفرقان في اظهار القدرة بالبطش عند النقمة حيث لم تشكر النعمة
بان ابى المدعو الاجابة لدعوة الرسل وترك الداعي عقب الانقياد من الشدايد التضرع للرسل وقص اخبار الامم على ما هي

عليه بحيث لم يفقد احد من اهل الكتاب الذين هم بين ظهرانيهم على انكار شي من ذلك ومن ثم قرع اسماعهم اول شي بقصتهم
مع فرعون وموسي عليه السلام فصح قطعا ان هذا الكتاب جلي الامر على القدر ليس بكهانة ولا شعر كما سيوكد ذلك عند
اظهار النتيجة في اخرها بل هو من عند رب العالمين على لسان سيد المرسلين وصح ان اكثر الخلق مع هذا هالك وان قام
الدليل ووضح السبيل وصح انه سبحانه على الهم ومنعم عليهم بعافية حياة اديانهم بارسال الرسل وانزال الكتب وما فيه حياة
ابدانهم بالابقاء من كل ما يحتاجونه اظهارا لصفة الرحمة ثم ينتقم منهم بعد طول المهلة وتماديهم في سكرات الغفلة
كشفا لصفة العزة كل ذلك تسلية له صلى الله عليه وسلم وتحقيقا عليه واعلاما بانه لا قصور في بيانه ولا تقصير لديه
ولما اقتضى وصف العزة الاهلاك ووصف الرحمة الامهال وكان الاول مقدما وكانت عادتهم تقديم ما يهتم به اهم وهم
اعني خيف غايلته فاتبع ذلك اخبار هذه الامم دلالة على الوصفين معا ترغيبا وترهيبا ودلالة على ان الرحمة سبقت
الغضب وان قدم الوصف اللايق به فلا يعذب الا بعد البيان مع طول الامهال واخلى قصة ابرهيم عليه السلام من ذكر
الاهلاك اشارة الى البشارة بالرفق بحنيفية العرب في الامهال لما رفق بهم في بالارسال والانزال ولما كان مع ذلك
في هذه القصة تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم فيما يقاسيه من الاذى والتكذيب وكانت التسلية بموسى وابرهيم عليهما
السلام اتم لما لهما من القرب والمشاركة في الهجرة والقصد الى الارض المقدسة وكان قد اختص موسى عليه السلام بالكتاب
الذي ما بعد القران مثله والايات التي ما اوتي مثلها احد قبله واقرار عينه بهداية قومه وحفظهم بعده بالكتاب
وسياسة الانبيا المجددين لشريعته وعدم استيصالهم بالعذاب والانتقام بايديهم من جميع اعدايهم وفتح بلاد
الكفرة على ايديهم بعده صلى الله عليه وسلم الى غير ذلك مما شابهوا به هذه الامة مع مجاورتهم للعرب حتى في دار الهجرة
وموطن النصرة ليكون في اقرارهم على ما يسمعون من اخبارهم اعظم معجزة واتم دلالة قدمها مقدما لموسى عليه السلام
عليهما السلام والتحية والاكرام فان كان القصد تسكين ما اورثه اخر تلك من خوف الملازمة بالعذاب نظرا الى وصف
العزة فالتقدير اذكر اثر رحمتنا بطول امهالنا لقومك وهم على اشد ما يكون من الكفر والضلال في ايام الجاهلية
برحمتنا الشاملة بارسالك اليهم وانت اشرف الرسل وانزال هذا الكتاب الذي هو اعظم الكتب واذكر اذ وعلى
تقدير التسلية يكون العطف على تلك لان المراد بها التنبيه فالتقدير خذ ايات الكتاب واذكر اذ نادى ربك
اي المحسن اليك بكل ما يمكن للاحسان به في هذه الدار وعلى تقدير الترهيب يكون التقدير اولم يروا اذ نادى ربك وعدوا
رأين لذلك لان اليهود في بلادهم وفي حد القرب منهم فاما ان يكونوا عالمين بالقصة بما سمعوا منهم او منتهين لذلك
لا سكانهم سواهم ثم ذكر المنادى فقال موسى واتبعه ما كان له النداء فقال ان ايت القوم اي الذين فيهم قوة واي قوة الظالمين
اي بوضعهم قوتهم في غير موضعها ولما كان كانه قيل اي قوم قال قوم فرعون ولما كان المقصود بالرسالة تخويفهم من باسه
واعلامهم بجلاله استانف قوله معلا بذلك في سياق الانكار عليهم والايذان بشديد الغضب منهم وانه قد طال
امهالهم وهم لا يزدادون الا عتوا ولزوما للموبقات الا يتقون ولما كان من المعلوم ان من اتى الناس بما يخالف
اهواءهم لم يقبل اخبرنا انه اجاب بما يقتضي الدعا بالمعونة لما عرف من خطر هذا المقام بقوله ملتفتا الى تحريم ان
قومي اتخذوا هذا القران مهجورا قال رب اي ايها الرفيق بي اني اخاف ان يكذبون اي فلا يترتب على اتياني اليهم اثر
ويبغون لي الغوايل فاجعل لي قبولا ومهابة تحرسني ممن يريدني بسوء وايضا يضيق صدري عند تكذيبهم لي
انفا لا كما هو شان اهل المروات وارباب علو الهمم لما غرز فيهم من الحدة والشدة في العزيمة اذا لم يجدوا اسعافا
ولا ينطلق لساني اي في التعبير عما ترسلني اليهم به لما فيه من الحبسة في الاصل فاذا وقع التكذيب وضاق القلب انقبض

الروح

الروح الى باطنها فازدادت الحبسة فتمست الحاجة الى معين يقوي القلب فيعين على الاطلاق اللسان عند الحبسة
لئلا تختل الدعوة فارسل اي فتسبب عن ذلك اني اسالك في الارسال الى هارون اخي ليكون لي عضدا على ما امضي له من
الرسالة فيعين على ما يحصل من ذلك ولما ذكر ما يتوقع الرسالة ووقوع الاشارة الى استكشافة لاتباعهم
اتبعه ما يترتب على سطوة الظاهرين فضلا عن مواجهتهم بما يكرهون فقال ولهم على اي ذنب فقتل نفسا منهم
وقال الذنب وان كان المقتول غير معصوم نسبة له بما يزعمونه ولذلك قبله بلهم وايضا فلكونه ما كان ان اتاه فيه من
الله تعالى امر بخصوصه فاخاف ان يقتلون اي بذلك مع ما اضمه اليه من التعرض لهم فلا اتمكن من ادا الرسالة
فاذا كان هارون معي عاضدني في ابلاغها وكل ذلك استكشاف للبلاء واستعلام للعاقبة لا توقف في القبول كما
مضى التصريح به في سورة طه ولما استشرفت النفس الى معرفة جوابه عن هذه الامور المهمة شفى غليلها بقوله
قال قول كامل القدرة شامل العلم كما هو وصفه كلا اي لا يكون شي مما خفته لا قتل ولا غيره وكانه لما كان التكذيب
مع ما قام على الصدق من البراهين المقوية لصاحبها الشارحة لصدره المطلقة للسانه عدما وقد اجبناك الى
الاعانة باخيك فاذهبا اي انت وهو متعاضدين الى ما امرتك به باياتنا الدالة على صدقكما ثم علل تاييده لهما بقوله
انا معكم عند وصولكما اليهم من اتبعكما من قومكما مستمعون اي بما لنا من العظمة في القدرة وغيرها من صفات الكمال
الى ما تقولان لهم ويقولون لكما فلا نغيب عنكم ولا تغيبون عنا فنحن نفعل معكما من المعونة والنصر فعل القادر الحاضر
لما يفعل بحبيبه المصغي له بجهده قال ابو حيان وكان شيخنا الاستاذ ابو جعفر بن الزبير يرجح ان يكون اريد بصورة
الجمع والخطاب موسى وهرون فقط لان لفظة مع تباين من يكون كافرا فانه لا يقال الله معه وعلى انه اريد بالجمع
التثنية حمله سيبويه وكانهما لشرفهما عند الله تعالى عاملهما في الخطاب معاملة الجمع اذ كان ذلك جايزا ان يعامل
به الواحد لشرفه وعظمته انتهى وهو كلام نفيس ويكون حينيذ خطابهما مشاكلا لتعظيم المتكلم سبحانه نفسه لان
المقام للعظمة وعظمة الرسول من عظمة المرسل على انه يجوز ان يكون ذلك اشارة الى البشارة بمن يتبعهما كما
قدرته ويجوز ان تكون المعية للكل كما في قوله تعالى ما يكون من نجوى ثلثة الاية ولما نفى سبحانه ان يكون شي مما خافه
موسى عليه السلام على هذا الوجه المؤكد وكان ظهور ذلك في مقارعة الراس ادل واظهر صرح به في قوله فاتيا اي فتسبب عن
ذلك الضمان بالحراسة والحفظ اني اقول لكما ايتيا فرعون نفسه وان عظمت مملكته وجلت جنوده فقولا اي له ولمن عنده
انا رسول انزده لان المقام لا اقتضاه للتنبيه على طلب نبينا صلى الله عليه وسلم الموازرة بخلاف ما مر في سورة طه رب العالمين
اي المحسن الى جميع الخلق المدبر لهم ثم ذكر له ما قصد من الرسالة اليه فقال ان ارسل ولعاد الضمير على معنى رسول فقال معنا
بني اسرايل اي قومنا الذين استعبدتهم ظلما ولا سبيل لك عليهم ولما كان من المعلوم انهما امتثلا تشوفت النفس الى
جوابه لهما فقال تعالى التفاتا الى مثل قوله في التي قبلها وقالوا ما لهذا الرسول ياكل الطعام وان يتخذونك الا هزوا وغير ذلك
تسلية لهذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم وتحقيقا لمعنى قوله تعالى كلا ومستمعون من ان فرعون وان بالغ في الابراق والارعاد
لا يروع موسى عليه السلام شي منه قال اي فرعون حين ابلغاه الرسالة مخاطبا لموسى عليه السلام علما منه انه الاصل فيها والاخ
انما هو وزير منكرا عليه مواجهته بمثل هذا وما اتى عليه لكن من جراته بتصويب مثل هذا الكلام اليه الم نربك فينا وليدا
اي صغيرا قريب عهد بالولادة ولبثت فينا من عمرك سنين اي كثيرة فلنا عليك بذلك من الحق ما ينبغي ان يمنعك من مواجهتنا
بمثل هذا ولما ذكره منته تحمله على الحيا منه ذكره ذنبا هو اهل لان يخاف من عاقبته فقال وفعلت فعلتك اي من قتل
القبطي ثم اكد نسبته الى ذلك مشيرا الى انه عامله بالحلم تخجيلا له فقال التي فعلت وانت اي والحال انك من الكافرين

اي لنعني وحق تربيتي بقتل من ينسب الي او عقد منهم لسكوتهم عنهم اذ ذاك لانه لم يكن قبل الرسالة مامورا فيهم بشي
فكان مجاملا لهم فكانه قال وانت منافقا لك الآن تنكر علينا وتنسبنا الي الكفر قال مقرا بما عاديه من عليه من القتل لانه لم يكن
متحققا لذلك ومانكر فتله الا انما سائليه فعلتها اذن اي اذ قتلته وانا من الضالين اي لا اعرف دينا فانا او اقع عن
كل وجه حتي يوجهني ربي الي ما يشا قال ابن جرير والعرب تضع الضلال موضع الجهل والجهل موضع الضلال انتهي
وقد تقدم في الفاتحة الحرالي في هذا كلام نفيس علي ان هذه الفعلة كانت من خطا ففررت اي فتسبب عن فعلها وتعقبه اني
فررت منكم اي منك لسطوتك ومن قومك لاغرائهم اياك علي لما خفتكم علي نفسي ان يقتلوني بذلك القتيل الذي قتلته
خطا مع كونه كافرا مهدر الدم فوهب لي ربي حكما اي علما اعمل به عمل الحكام الحكما وجعلني من المرسلين اي فاجهد الان
جهدك فاني لا اخافك لقتل ولا غيره ولما اجتمع في كلام فرعون من وتعيير بدا بجوابه عن التعيير لانه اهم ثم عطف
عليه جوابه عما من به فقال موبخا له مبكتا منكرا عليه غير انه حذف حرف الانكار اجلالا في القول واحسانا في الخطاب
وتلك اي التربية التي ذكرتها نعمة تمنها علي وبين انها في الحقيقة لانه كان سببها ظلمه لقومه جعله نفسه فقال مبدلا منها ان عبدت قومي
بني اسرايل اي جعلتهم عبيدا ظلما وعدوانا وهم ابنا الانبيا ولسلفهم يوسف عليه السلام عليكم من المنة باحيا نفوسكم اولا
وعتق رقابكم ثانيا ما لا يقدرون له علي جزاء اصلا ثم ما كفاك ذلك حتي فعلت ما لم يفعله مستعبد فامرت بقتل ابنائهم
فكان ذلك سبب وقوعي اليك لاسلم من ظلمك كما مر بيانه ويأتي ان شا الله تع مستوفي في سورة القصص ولما كان الكليم
القديم الكليم العظيم يما رجي ان يكفه عن مواجهته بما يكره ويرجعه الي مداراته فلم يفعل وفهم ما في جوابه هذا الاخير
الذي له والتعجيز واثبات القدرة التامة والعلم الشامل به مما دبر في امر موسي عليه السلام وانه لا ينهض لذلك بجواب ولا
يجد له فيه قول عدل عنه الي جوابه عن الرسالة بما يموه به ايضا علي قومه لئلا يرجعوا عنه فاخبر تعالي عن محاورته
في ذلك بقوله علي طريق الجواب لمن كانه قال ما قال لهذا الجواب الهذا الكلام الذي كانه السلام قال فرعون حائدا عن جواب
موسي عليه السلام لما فيه من بانيه وتعجيز منكر الخالقه علي سبيل التجاهل كما اكرهه الرحمن متجاهلين وهم اعرف الناس
بخالب افعاله كما كان فرعون يعرف لقول موسي عليه السلام لقد علمت ما انزل هؤلا الا رب السموات والارض
ومارب العالمين اي الذي زعمت انك رسوله فسال بما عن حقيقته وانما اراد في الحقيقة انكاره قال اي موسي عليه
السلام معرفا له باظهر افعاله مما لا يقدر احد علي ادعاء المشاركة فيه مشيرا الي خطابه في طلب الماهية بانه لا
مماثل له اقول لك ولمن اردت بطلب الحقيقة التمويه عليهم هو رب السموات والارض وما بينهما وذلك اظهر العالم الذي
هو صنعته وانتم غير مستغنين عنه طرفة عين فهذه هي المنة لا امتنك علي بالتربية الي حين استخفيت عنك وهذا هو
الاستعباد بالاحسان مع العصيان بالكفران لا استعبادك لقومي باهلاكهم وهم في طاعتك ولسلفهم عليكم من المنة
ما لا تجهلونه ان كنتم موقنين اي متصفين بما عليه اهل العلم باصول الدين من الثقة بما يعتقدون والجواب علم
ذلك لان المذكور متغير فله مغير لا يتغير وهو هذا الذي ارسلنا اي ان كان لكم تمييز فانتم تعرفونه لشدة ظهوره وعموم
نوره قال فرعون لمن حوله ممن هم ايضا الا تستمعون اي تصغون اليه بجميع جهدكم وهو كلام ظاهره انه نبههم علي الاشكال
لانه سال عن الماهية فاجيب بغيرها ويحتمل غير ذلك لو صغوا فيه فهو من خفي مكره قال موسي مخصصا بعد ما عمم ربكم
ورب ابائكم الاولين وفرعون الذي تقرون بانه ربكم كان اذ ذاك عدما محضا او ما صرفا في ظهر ابيه فبطل كون
احد منهم ربا لمن بعده كما بطل كون احد منهم ممن قبلهم من الهالكين ربا لهم لان الكل عدم فلما اوضح بذلك بطلان ما
حملهم علي اعتقاده من ربوبيته لم يتمالك ان قال ان رسولكم علي طريق التهكم اشارة الي ان الرسول ينبغي ان يكون اعقل الناس

ثم زاد الامر بقوله الذي ارسل اليكم اي وانتم اعقل الناس لمجنون حيث لا يفهم اني اسال عن حقيقة مرسله فلما اسا الادب
ذكرنا لا يمكنهما ان يدعي طاعته له بان قال رب المشرق والمغرب اي الشروق والغروب وموضعهما وما بينهما اي
من الناس الذين ليسوا في طاعتكم والحيوان والجماد بسبب ما ترون من قدرته علي تقليب النيرات من بزوغ الشمس
والقمر والنجوم وافولها علي تصاريف مختلفة وحركات متقنا وتداول لا ثم لما علمتم شيا من اموركم ولا تمكنتم من احوالكم
وهذا الدليل ابين الكل لتكرر الحركة فيه وغير ذلك من معالمه ولذلك بهت نمرود لما القاه عليه الخليل عليه السلام
ولما اسا الادب عليه في الجواب الماضي ختم هذا البرهان بقوله ان كنتم تعقلون اي فانتم تعلمون ذلك فخيرهم بين الاقرار
بالجنون او العقل بما اشار اليه من الادلة في مقابلة ما نسبه اليه من الجنون بسكوتهم وقول عظيمهم بغير شبهة
ردا لهم عن الضلالة وانقاذا من واضح الجهالة فلما علم انه قد قطعه بما اوضح من الامر ووصل معه في الفلقة الي ما
ان سكت عنه اوهن من حاله وفتر من عزائم رجاله قال عادلا عن الحجاج بعد الخوض فيه الي المغالبة التي هي ابين
علامات الانقطاع لئن اتخذت الها غيري اي تهددت اخذ لاجعلنك من المسجونين اي فيمن هم في سجني علي ما تعلم قال
ملاطفا بالتي هي احسن ارخا للعنان لارادة البيان حتي لا يبقي عذر لانسان رجا النزوع عن الطغيان والرجوع الي
الايمان اولو اي اتسجنني ولو جئتك بشي مبين اي لرسالتي قال طمعا في ان يجد موضعا للتكذيب او التلبيس فات به
اي تسبب عن قولك هذا ان اقول لك ائت بذلك الشي ان كنت من الصادقين وهذا اشارة الي انه بكلامه المتقدم قد صار
عنده في عداد الكاذبين فالقي اي فتسبب عن ذلك وتعقبه ان القي موسي عليه السلام عصاه اي التي تقدم ان الله تعالي اراه اياها
فاذا هي ثعبان اي حية في غاية الكبر مبين اي لا شك عند رائيه فيه لا كما يكون عند الامور السحرية ونزع يده اي التي
كانت احترقت لما اخذ الجمرة وهو في حجر فرعون وبذل فرعون جهده في علاجها بجميع من قدر عليه من الاطبا فعجز
عن ابرائها نزعها من جيبه بعد ان اراه اياها علي ما يعهد منها ثم ادخلها في جيبه فاذا هي بعد النزع بيضا للناظرين اي
بياضا تتوفر الدواعي علي نظره لخروجه عن العادة بان له نورا كنور الشمس يكاد يغشي الابصار قال اي فرعون
للملا حوله لما وضح له الامر معرته علي عقولهم خوفا من ايمانهم ان هذا لساحر عليم اي شديد المعرفة بالسحر وخص في
هذه السورة اسناد الكلام اليه لان السياق كله لتخصيصه بالخطاب لما تقدم ونظرا الي ظلال اعناقهم لها خاضعين
لان خضوعهم هو خضوع من دونه فدلالته علي ذلك اظهر ولا ينفي ذلك ان يكون قومه قالوا ما ظهر الطواعية كما
مضي في الاعراف ولما او تفهم بما خيلهم به احاهم لا نفسهم فقال ملقيا بجلباب الانفة لما قهره من سلطان
المعجزة يريد ان يخرجكم من ارضكم اي هذه التي هي قوامكم بسحره اي بسبب ما اتي به منه فانه يوجب استتباع الناس
فيتمكن بما يريد ثم قال ما دل علي انه خارت قواه حتي جعل نفسه مامورا بعد ان كان يدعي كونه الها قادرا
فماذا تامرون اي في مدافعته عما يريد بنا قالوا اي الملا الذين كانوا يامرون به قبل المعجزة ليقتلوه ارجه اي اخر
واخاه ولم يامروا بقتله ولا بشي مما يقاربه فسبحان من يلقي الروح من امره علي من يشا من عباده فبيده كل شي
ولا يحجب هو عن خالقه وابعث في المداين حاشرين اي رجالا يحشرون السحرة واصل الحشر الجمع بكثرة ياتوك
وكانهم فهموا شدة قلقه فسكنوه بالتعبير باداة الاحاطة وصيغة المبالغة فقالوا بكل سحار اي بليغ السحر عليم
اي متناه في العلم به مساوا له في النجريه وعبر بالبنا للمفعول اشارة الي عظمة ملكه فقال فجمع السحرة كما تقدم غير مرة
لميقات يوم معلوم وهو ضحي يوم الزينة كما سلف في طه وقيل للناس اي كافة حثا لهم علي الاسراع الي الاجتماع بامر فرعون
عنانا افهم رجعوا عن دينه علما منه بان ما ظهر من المعجزة التي عجز عن نوع اذي لمن واجهه بما لا يستطيع في مواجهته

فكان هذا انه غير ملبس الامر بصريح باسمه اكتفا بتعريض نفاذا

ولزم عليه انه لا ياتي بالمعجزة الا الصادق لانه تصديق من الله للمدعي وعادة يشتمل يجري فيه انه لا يصدق الكاذب

من السحرات والتشبيهات

بادناه لم يدع لبسا في انه مربوب مقهور وان ذلك موجب لاتباع موسي عليه السلام هل انتم مجتمعون اي كلكم ليكون اهيب
لكم لعلنا نتبع السحرة لان من امتثل امر الملك كان حاله حال من يرجي منه اتباع حزبه ان كانوا هم الغالبين اي ونعرض
عن امر موسي الذي ينازع الملك في امره وعبر باداة الشك اظهارا للانصاف استجلابا للناس مع تقديرهم لقطعهم
بظفر السحرة لما رسخ في اذهانهم في الازمنة المتطاولة من الضلال الذي لا غفلة لابليس عن تزيينه مع ان تغيير المالوف
امر في غاية العسر وقال فلما بالفا ايذانا بسرعة حشرهم اشارة الي ضخامة ملكه وو فور عظمته جا السحرة اي
الذين كانوا في جميع بلاد مصر قالوا لفرعون مشترطين الاجر في حال الحاجة الي الفعل ليكون ذلك اجدر بحسن الوعد
ونجاح القصد اين لنا لاجرا وساقوه مساق الاستفهام ادبا معه وقالوا ان كنا نحن الغالبين باداة الشك مع جزمهم
بالغلبة تخويفا له بانه ان لم يحسن في وعدهم لم ينصحوا له ثم قيل في جواب من كانه سال عن جوابه قال مجيبا الي ما سالوا
نعم وزادهم ما لا احسن منه عند اهل الدنيا موكدا له فقال وانكم اذا اي اذا غلبتم لمن المقربين اي عندي وزاد اذن
هنا زيادة في التاكيد لما يتضمن ذلك من ابعادهم عن الايمان مع وضوح البرهان تخفيفا علي المخاطب بهذا كله صلي الله عليه وسلم
تسلية له في الحمل علي نفسه ان لا يكون من يدعوهم مومنين وما بعد ذلك من مسارعة السحرة للايمان بعد ما ذكر من
اقسامهم بعزته بغاية التاكيد تحقيق لاية فظلت اعناقهم لها خاضعين ولما تشوف السامع الي جواب موسي عليه السلام
اجيب بقوله قال لهم موسي اي مريدا الابطال سحرهم لانه لا يتمكن منه الا بالقايهم لا لمجرد القايهم غير مبال بهم في كثرة
ولا علم بعد ما خيروه كما في غير هذه السورة القوا ما انتم ملقون كاينا ما كان ازدرا له بالنسبة الي امر الله فالقوا اي
فتسبب عن قول موسي عليه السلام وتعقبه ان القوا حبالهم وعصيهم التي اعدوها للسحر وقالوا مقسمين بعزة فرعون موكدين
بانواع التاكيد انا لنحن الغالبون قول واثق من نفسه من مع علي ان لا يدع بابا من السحر يعرفه الا اتي به ولما تقدم غير
مرة في غير سورة ما بين ان الفاعل في فالقي هو موسي عليه السلام ترك ذكره هنا وذكر المفعول ايضاحا له ولانه موضع
المعجزة فقال عصاه اي التي جعلناها اية له فاذا هي تلقف اي تبتلع في الحال بسرعة ونهمة ما يافكون اي يصرفونه
عن وجهه وحقيقته التي هي الجمادية بحيلهم وتخييلهم الي ظن انه حيات تسعي فالقي اي عقب فعلها من غير تلبث
السحرة ساجدين اي حتي كان ملقيا القاهم من قوة اسراعهم علما منهم بان هذا من عند الله ولما كان كانه قيل هذا
فعلهم فما كان قولهم قيل قالوا امنا برب العالمين اي الذي دعا اليه موسي عليه السلام اول ما تكلم ثم خصوه عما لا يحتمل غيره
فقالوا رب موسي وهرون اي اللذين احسنا الينا بالتنبيه عليه والهداية اليه ولما خاف فرعون اتباع الناس لهم
لما يرون مما هالهم من امرهم وكان قد تقدم ما يعرف ان المنكر عليهم فرعون نفسه قال تعالي قال من غير ذكر الفاعل اي
فرعون منكرا ابادرا رواسهم لانه انما يعاقب علي المبادرة بغير اذن لا علي نفس الفعل وانه ما غرضه الا التثبت ليوخر
بهذا التخييل الناس عن المبادرة بالايمان الي وقت ما امنتم له اي لموسي عليه السلام قبل ان اذن لكم اي في الايمان
ثم علل فعلهم بما يقتضي انه عن مكر وخداع لا عن حسن اتباع فقال انه اي موسي عليه السلام لكبيركم الذي علمكم السحر
فتواعدتم معه علي هذا الفعل لتنزعوا الملك من اربابه هذا وكل من يسمعه يعلم كذبه قطعا فان موسي عليه السلام ما نشا الا
في بيته واستمر حتي فر منهم الي مدين لا يعلم سحرا ولا الم بساحر ولا سافر الا الي مدين ثم لم يرجع الا داعيا الي الله
ولكن الكذب غالب علي قطر مصر واهله اسرع شي سماعا له وانقيادا به ولما ارقف السامعين عما جلبه
من هذا الباطل المعلوم البطلان لكل ذي بصيرة اكد المنع بالتهديد فقال فلسوف تعلمون اي ما افعل بكم اي في غضب
عما فعلتم ان عاقبتكم عقوبة محققة عظيمة واتي باداة التنفيس خشية من ان لا يقدر عليهم فقطعا الجمه مجز... فو سوا مع ما

فيها في الخفيفة علي السحرة من التاكيد في الوعيد الذي لم يوثر عندهم في جنب ما اشهدهم الله من الاية التي مكنتهم في
عام الخضوع ثم فسر ما ابهم بقوله لاقطعن بصيغة التفعيل لكثرة القطع والمقطوعين ايديكم وارجلكم ثم بين كيفية
تقطيعها فقال من خلاف وزاد في التهويل فقال ولاصلبنكم اجمعين ثم استانف تعالي جوابهم بقوله قالوا لا ضير اي
لا علينا فيما هددتنا به وورد هذا النفي الشامل في هذه السورة ايذانا بانه لم يقدر فرعون علي عذابهم تخفيفا لما
في اول القصة من الاشارة الي ذلك بقوله ومستمعون فان الاسكان من ايعي موسي عليه السلام يوذيه ويضيق صدره
ولما اتي في القصص من صريح العبارة في قوله انتما ومن اتبعكما الغالبون ثم عللوا ذلك بقولهم انا اي بفعلك
ذلك فينا ان قدرك الله عليه الي ربنا اي المحسن الينا منقلبون اي ولا بد لنا من الموت فليكن علي ما حكم به ربنا من
الحالات وانما حكمك علي هذا الجسد ساعة من نهار ثم لا حكم علي الروح الا لله الذي هو جدير بان يثيبنا علي
ذلك نعم الابد وذلك معني قولهم معللين ما قبله انا نطمع ان يغفر اي يستر لنا ربنا الذي احسن الينا بالهداية
خطايانا اي التي قدمناها علي كثرتها ثم عللوا طمعهم مع كثرة الخطايا بقولهم ان كنا اول المومنين اي من اهل هذا المشهد
وعبروا بالطمع اشارة الي ان جميع اسباب السعادة منه تعالي فكانه لا سبب منهم اصلا ولما قص سبحانه من حال
الدعا ما كفي في التسلية من قصد هذين النبيين بالاذي والتهكم بمن دعوا اليه وجعلهما الاعلين لم يضرهما مع
ضعفهما وقلتهما ولا نفع عدوهما قوته وكثرته شرع يسلي بما اوقعه في حال السير فقال لطاويا ما بقي منه لان هذا
ذكره عاطفا علي القصة واوحينا الي موسي ان اسر اي سر ليلا لاجل اشتغال فرعون وجنوده بموت ابكارهم
وتجهيزهم لهم بعبادي اي بني اسرائيل الي ناحية بحر القلزم غير مبال بفرعون ولا منزعج منه ثم علل امره له بالسير
في الليل بقوله انكم متبعون اي لا تظن انهم لكثرة ما راوا من الايات يكفون عن اتباعكم فاسرع بالخروج لتبعدوا عنهم
الي الموضع الذي قدرت في الازل ان يظهر فيه مجدي والمراد توافيهم عند البحر ولم يكفوا اتباعهم عن موسي عليه السلام
لعدم تاثرهم بما تحقق عنده من الحفظ لما تقدم به الوعد الشريف بذلك التاكيد ولما كان التقدير فاسري بهم امتثالا
للامر بعد نصف الليل عطف عليه قوله فارسل فرعون اي لما اصبح واعلم بهم في المداين حاشرين اي رجالا يجمعون الجنود
ويقولون تقوية لقلوبهم وتحريكا لهممهم ان هولا اشارة باداة القرب تحقيرا لهم الي انهم في القبضة وان بعدوا لما بهم
من العجز وبال فرعون من القوة فليسوا بحيث يخاف قوتهم ولا امتناعهم لشرذمة اي طايفة وقطعة من الناس ولما
كان التعبير بالشرذمة مشعرا لانهم في غاية القلة ازال هذا الوهم بالتعبير بالجمع دون المفرد ليفيد انه جمع بعد جمع لا صفة
وان التعبير بالشرذمة انما هو للاشارة الي تفرق القلوب والحواد ل علي انهم اوزاع وفيه ايضا اشارة الي انهم مع ضعفهم
بقلة العدد ايسوا من اسعاف بمدد وليس لهم اهبة لقتال لعدم القوة لانهم لم يكونوا قط في عداد من يقاتل كما
تقول لمن تزدريه هو اقل من ان يفعل كذا فقال قليلون اي بالنسبة الي ما لنا من الجنود التي لا تحصي وان كانوا
في انفسهم كثيرين فلا كثرة لهم تمنعكم ابدا المحشورون من اتباعهم قال البغوي عن ابن مسعود رضي الله عنه كانوا
ستماية الف وتسعين الفا ولا تحصي عدد اصحاب فرعون انتهي وكل هذا بيان لان فرعون مع تناهي عظمته لم يقدر
علي ان يرتاب في موسي عليه السلام ولا من اتبعه تخفيفا لما تقدم من الوعد به اول القصة ولما ذكر ما يمنع الخوف من اتباعهم
ذكر ما يوجب الحث عليه ويحذر من التقاعس عنه فقال وانهم لنا لغايظون اي بما فجعونا به من انفسهم وما استعاروه
من الزينة من اواني الذهب والفضة وفاخر الكسوة فلا رحمة في قلوبكم تحبسهم ولما كان زيادة شرذمة علي التقطع
فكان في التعبير بها اشارة الي انهم مع القلة متفرقون ليسوا علي قلب واحد وذكر ان في اتباعهم شقا العلل اتبعه ما يسفي

عن المنا عدا لعلل فقال وانا لجميع اي انا وانتم جماعة واحدة يحذرون بالمالة الملك على قلب واحد ولما اشار بهذا الخبر الي ضد
ما عليه بنو اسرايل مع قلتهم مما هو سبب الجراة عليهم اخبر بخبر ثان يزيد الجراة عليهم وفيه مضادة لما اشير اليه بقليلون من
الاستضعاف فقال حذرون اي ونحن مع اجتماع قلوبنا من شاننا وطبعنا الحذر فنحن لا نزال على اهبة القتال ومقارعة الا
الابطال لا عايق لنا عنه بسفر ولا بغيره امامن جهتي فبافاضة الاموال عليكم وادرار الارزاق فيكم ووضع
الاشياء في مواضعها في الارض والرجال واما من جهتكم فباستعمال الامانة من طاعة الملك في وضع كل ما يعطيكم في
مواضعه من اعداد السلاح والمراكب والزاد وجميع ما يحتاج اليه المحارب مع ما لكم من العزة والقوة وشماخة الانوف وعظم
النفوس مع الجراة والاقدام والثبات في وقت الحقايق المحفوظ بالعقل المحوط بالحزم المانع من اجترا الاخصام عليكم
وبكرهم لديكم فانه يحكى انه كان يصرف في خراج مصر بان يجزئه اربعة اجزاء احدها لوزرايه وكتابه وجنده والثاني
لحفر الانهار وعمل الجسور والثالث له ولولده والرابع يفرق في مدن الكور فان لحقهم ظما او استبحار او فساد غلة او موت
عوامل قواهم به وروي انه قصد قوم فقالوا نحتاج الى ان نحفر خليجا لتتسع ضياعنا فاذن في ذلك واستعمل عليهم عاملا
فاستكثر ما حمل من خراج تلك الناحية الى بيت المال فسال عن سببه فما انفقوه على خليجهم فاذا هو مائة الف دينار فامر
بحملها اليهم فامتنعوا من قبولها فقال اطرحوها عليهم فان الملك اذا استغنى بمال رعيته افتقر وافتقروا وان الرعية اذا استغنت
بمال ملكهم استغنى واستغنوا ولما كان التقدير فاطاعوا امره ونفروا على كل صعب وذلول عطف عليه قوله معللا بما
آل اليه امرهم فاخرجناهم اي بما لنا من القدرة اخراجا حثيثا مما لا يسمح احد بالخروج منه من جنات اي بساتين يحق لها
ان تذكر وعيون لا يحتاج معها الى نيل ولا مطر وكنوز من الاموال تعرف مقدار ما هم فيه من النعم الفاضلة عنهم مع ما هم
فيه من تمام الاستعداد لمثل هذا المراد ومقام من المنازل كريم لانه على النهاية من الحسن لا يقال فيه ليته كان كذا او كان
فيه كذا ولما كان الخروج عن مثل هذا مما لا يستنكر اشار الى عظمة القدرة عليه بقوله كذلك اي مثل ذلك الاخراج العجيب
الذي اراده فرعون من قومه في السرعة وكمال الهيئة اخرجناهم نحن بان يسرنا له ولهم ذلك ووفرنا لهم الاسباب
لما اقتضته حكمتنا او مثل ذلك الخروج الذي قصصناه عليك اخرجناهم اي كان الواقع من خروجهم مطابقا لما عبرنا به
عنه او الامر الذي قصصناه كله كما قلنا واولها اقدرها واحسنها واجودها واورثناها اي تلك النعم السنية بمجرد خروجهم
بالقوة وباهلاكهم بالفعل بني اسرايل اي جعلناهم بحيث يرثونها لانا الزمنا لهم مانعا عنهم منها بعد ان كانوا مستعبدين
تحت ايدي اربابها ولما وصف الاخراج وصف اثره فقال مرتبا عليه بالفعل وعلى الايراث بالقوة فاتبعوهم اي جعلوا
انفسهم تابعة لهم مشرقين اي وقت شروق الشمس من صبيحة الليلة التي سار في نصفها بنو اسرايل ولولا تقدير العزيز
العليم بخرق ذلك للعادة لم يكن على حكم العادة في اقل من عشرة ايام فانه امر يعجز الملوك مثله فيا له من حشر ما
اسرعه وجهاز ما اوسعه واستمروا الى ان لحقوهم عند بحر القلزم كما تقدم شرح ذلك في الاعراف شرح ذلك عن التوراة
وتقدم سر تسييرهم في تلك الطريق فلما تراءى الجمعان اي صارا بحيث يرى كل منهما الاخر قال اصحاب موسى ضعفا وعجزا
استصحابا لما كانوا فيه عندهم من الذل ولانهم اقل منهم بكثير بحيث يقال ان طليعة ال فرعون كانت على عدد بني اسرايل
لانه كان يقدام كثير من غيرهم انا لمدركون اي لانهم قد وصلوا ولا طريق لنا وقد صرنا بين شرين من حديد وماء العدو
وراءنا والبحر امامنا قال اي موسى عليه السلام وثوقا بوعد الله ناطقا بمثل كلمة ربه في اول القصة من قوله كلا اي لا
يدركونكم اصلا ثم علل ذلك تسكينا لهم بقوله ان معي ربي فكانهم قالوا وماذا عساه يفعل وقد وصلوا قال سيهدين
اي الى الفعل ما فيه خلاصكم وتقدم في براءة سر تقدم المعية وخصوصها والتعبير باسم الرب فاوحينا اي فتسبب عن

ماهر

الدال على المراقبة انا او احينا وثوقا باسمه الكريم جزاء له على ثقته به سبحانه فقال الى موسى ان اضرب بعصاك البحر
اي الذي امامكم وهو بحر القلزم الذي يتوصل اهل مصر منه الى مكة المشرفة وما والاها فانفلق لما ضربه
امتثالا لامر الله وصار اثني عشر فرقا فكان كل فرق اي منه كالطود اي الجبل العظيم المتطاول في السما الثابت
لا يتزلزل ولما كان التقدير فدخلوا كل شعب منهم في طريق من تلك الطرق عطف عليه وازلفنا اي قربنا من
قوم موسى قال البغوي قال ابو عبيدة جمعنا ومنه ليلة المزدلفة اي ليلة الجمع ثم اي هنالك فانها ظرف مكان
للبعد الاخرين اي فرعون وجنوده وانجينا موسى ومن معه وهم الذين تبعوه من قومه وغيرهم اجمعين اي لم
يقدر على احد منهم الهلاك ثم اغرقنا الاخرين اي فرعون وقومه اجمعين لم نبق منهم احدا ولما قام عذر
موسى عليه السلام في ما استدفعه اول القصة من كيد فرعون بما ثبت له من العظمة والمكنة في كثرة الجند وعظم
الطاعة منهم له في سرعة الاجتماع الدالة على مكنتهم في انفسهم وعظمته في قلوبهم رغبة ورهبة وظهر مجد الله
في تحقيق ما وعد به سبحانه من الحراسة وزاد ما اقر به العيون وشرح به الصدور وكان ذلك امرا يهز القوي
سماعه ويروع الافهام تصوره وذكره قال منبها على ذلك ان في ذلك اي الامر العظيم العالي الرتبة من
قصة موسى وفرعون وما فيها من العظات لاية اي علامة عظيمة على ما قال الرسول موجبة للايمان به
وما كان اكثرهم اي الذين شاهدوها والذين وعظوا بسماعها مومنين اي متصفين بالايمان الثابت اما
القبط فما امن منهم الا السحرة ومومن ال فرعون وامراة فرعون على ما يقال واما بنو اسرايل فكان كثير
منهم متزلزلا يتعنت كل قليل ويقول ويفعل ما هو كفر حتى يتداركهم الله على يدي موسى عليه السلام ومن بعده
واول ما كان من ذلك سوالهم اثر مجاوزة البحر ان يجعل لهم الها كالاصنام التي مروا عليها واما غيرهم ممن
تاخر عنهم فحالهم معروف وامرهم مشاهد مكشوف وان ربك اي المحسن اليك باعلاء امرك واستنقاذ
الناس من ظلام الجهل على يدك لهو العزيز اي القادر على الانتقام من كل فاجر الرحيم اي الفاعل فعل البليغ
الرحمة فهو يمهل ويدر النعم ويحوط من النقم ولا يهمل بل يرسل رسلا وينزل معهم ما يبين به ما يرضيه وما
وما يسخطه فلا يهلك الا بعد الاعذار فلا تستوحش من لم يومن ولا يهمنك ذلك ولما اتم سبحانه ما اراد من
قصة موسى عليه السلام اتبعه دلالة على رحيميته قصة ابرهيم عليه السلام لما تقدم انه شاركه فيما يسلي عما وقع
ذكره عنهم من التعنتات في الفرقان ولما اختص به من مقارعة ابيه وقومه في الاوثان وهو اعظم ابا العرب لكون
ذلك حاملا لهم على تقليده في التوحيد كانوا لا ينفكون عن التقليد وزاجرا عن استعظام تسفيه ابايهم في عبادتها
وتغييره سبحانه للسياق قبل وبعد وتعبيره بقوله واتل مرجح للتقدير الاول في واذ من جعله اذكر وتغييره في
التعبير بها لسياق ما تقدم وما تاخر لتنبيه العرب على اتباعه لما لهم به من الخصوصية عليهم اي على هولا
المغترين بالاوثان المنكرين لرسالة البشر نبا ابرهيم اي خبره العظيم في مثل ذلك اذ اي حين قال لابيه وقومه
منبها لهم على ضلالهم ما اي اي شي تعبدون اي تواظبون على عبادته قالوا نعبد اصناما فنظل اي فيتسبب
عن عبادتنا لها انا نوقع حق العبادة بان نديم لها عاكفين اي مطيفين بها فخروا على سوال هولا في الجهل
بنفس العبادة وبظنهم مع ذلك انهم على طائل كبير وامر عظيم ظفروا به مع غفلة الخلق عنه كما دل عليه خطابهم
في هذا الكلام الذي كان يغني عنه كلمة واحدة وهذا هو الذي اوجب تفسير الظلول بمطلق الدوام وان كان معناه
الدوام بقيد النهار مع شيوع استعماله ايضا مطلقا نحو فظلت اعناقهم لها خاضعين ولما فهم عنهم هذه الرغبة

اخذ من عدهم فيها بطريق الاستفهام الذي لا انصف منه عن اوصاف نتيجة السوال الى الاعتراف بسلبها عنهم
مع علم كل عاقل اذا تعقل انه لا يصح رتبة الالهية مع فقد واحدة منها فكيف مع فقدها كلها قال هل يسمعونكم بمجرد
سماع ثم صور لهم حالهم ليعتنوا الفكر فيه فقال اذ تدعون اي ليكون ذلك مرجيا لهم لحصول نفع منهم في وقت ما
ولما كان الانسان قد يعكف على الشي وهو غير سامع لكن لنفعه له في نفسه اوضر لعدوه كالمنار مثلا وكان
محط حال العابد والداعي بالقصد الاول وبالذات جلب المنفعة النفع قال او ينفعونكم اي على العبادة كما ينفع
اقل شي يقتنونه او يضرون اي على الترك قالوا لا والله ليس عندهم شي من ذلك بل وجدنا اباءنا كذلك اي مثل فعلنا هذا
الفعل العالي الشان ثم صرحوا احالة اباءهم في نفوسهم تعظيما لامرهم فقالوا يفعلون اي فنحن نفعل كما فعلوا لانهم حقيقون
منا بان لا نخالفهم مع سبقهم لنا الى الوجود فهم ارصن منا عقولا واعظم تجربة فلولا انهم راوا ذلك حسنا ما واظبوا عليه
ولما وصلوا الى التقليد المحض الخالي عن ادنى نظر كما تفعل البهايم والطير في نسبها لاولها قال معرضا عن جواب كلامهم
بنقض اشارة الى انه ساقط لا يرتضيه من شم رايحة الرجولية افرايتم اي فتسبب عن قولكم هذا اني اقول لكم ارايتم
ما كنتم تعبدون من سواطبين على عبادتهم انتم واباوكم الاقدمون اي الذين هم اقدم ما يكون ولو الى ادم هل لهم وصف
غير ما اقررتم به من عدم السماع والنفع والضر فانهم اي فتسبب عن رويتكم ووصفكم لهم بما ذكرتم اني اخبركم اخبارا
موكدا انهم عدو لي باصبهم بالسوء وكل من عبدهم كما قال في الاية الاخري لقد كنتم انتم واباوكم في ضلال مبين اي
لكم ولما تعبدون من دون الله وتالله لاكيدن اصنامكم ولما كان في ابايهم الاقدمين من عبد الله قال الا رب العالمين
اي مدبر هذه الاكوان كلها كما قال موسي عليه السلام لان ذلك اشهر الاوصاف واظهرها ثم شرع يصفه بما هم به عالمون
من انه على الضد الاقصي من كل ما عليه اصنامهم فقال الذي ولما لم يكن احد يدعي الخلق لم يحتج الى ما يدل على الاختصاص
فقال خلقني اي اوجدني فتسبب عن تفرده بخلقي انه هو لا غيره يهدين لانه لا يعلم باطن المخلوق ويقدر على كمال التصرف فيه
غير خالقه والذي هو اي لا غيره يطعمني ويسقين ولو اراد لاعدم ما اكل وما اشرب او اصابني بافة لا استطيع معها
اكلا ولا شربا ولما كان المرض ضررا نزهه عن نسبته اليه بقوله واذا مرضت فهو اي وحده يشفين لا طبيب ولا
غيره وان تسببت انا في امراض نفسي ببرد او حر او طعام اتناوله او غير ذلك لانه قادر على ما يريد ولما كان الانسان
مطبوعا على الاجتهاد في حفظ حياته وبقاءه بحيث نسب فعل الموت اليه اعطاء الله القدرة فقال والذي يميتني اي
وان اجتهدت في دفع الموت ثم يحيين كما شفاني من المرض وان وصلت الى حد لا ارجي فيه ولم يات هنا بما يدل على الحصر
لانه لا مدعي للاحيا والاماتة الا ما ذكره سبحانه عن نمرود في سورة البقرة وان ابرهيم عليه السلام ابهته بما نعجز في الاتيان
صورة من سكان من الامكنة بلا شرط من روح ولا غيرها واذا عجز عن ذلك كان عجزه عن ايجاد صورة ابين فكيف اذا انضم
الي ذلك افادتها روحا او سلبها منها فصار ادعاوه لذلك مع القاطع المحسوس الذي ابهته عدما والله اعلم ولما ذكر
البعث ذكر ما يترتب عليه فقال والذي اطمع هضما لنفسه واطراحا لاعماله واشارة الى انها بالنسبة الى الحضرة
الاعظمية غير قادرة لها حق قدرها فان الطمع كما قال الحرالي في البقرة تعلق البال بالشي من غير تقدم سبب انتهي
فلذلك لم يعد له عملا ان يغفر اي يمحو ويستر لي خطيئتي اي تقصيري عن ان اقدره حق قدره فان الضعيف العاجز
لا يبلغ كل ما ينبغي من خدمة العلي الكبير وما فعله فهو باقداره سبحانه فلا صنع له في الحقيقة اصلا يوم الدين اي الجزاء
ولما اثني على الله تعالى بما هو اهله وختم بذكر هذا اليوم العظيم دعا بما ينجي من هوله فدل صنيعه على ان تقديم الثنا
على السوال امر مهم وله في الاجابة اثر عظيم فقال ملتفتا الى مقام المشاهدة اشارة الى ان الامر مهول وانه لا ينفذ

من حظ

من حظ الاعظمية القدرة لما طبعت عليه النفس من النقائص رب اي ايها المحسن الي هب لي حكما اي علما
متقنا بالعلم ولما كان الاعتماد انما هو على محض الكرم فان من نوقش الحساب عذب قال والحقني بالصالحين
اي الذين جعلتهم اعمة المتقين في الدنيا والاخرة ولما كان الصالح قد لا يظهر علمه قال واجعل لي لسان صدق
اي ثنا حسنا بما اظهرت مني من خصال الخير في الاخرين اي الناس الذين يوجدون بعدي الى يوم الدين لاكون
للمتقين في الدنيا والاخرة اماما فيكون لي مثل اجورهم فان من سن سنة حسنة كان له اجرها واجر من عمل بها الى
يوم القيمة وقد كان ذلك اجابة من الله تعالى لدعايه ومن اعظمه صل على محمد كما صليت على ابرهيم الخ ولما كانت
الجنة لا تنال الا بنعمة لا بشي من ذلك قال واجعلني اي مع ذلك كله بفضلك ورحمتك من ورثة جنة النعيم ولما
دعي لنفسه ثني باحق الخلق ببره فقال واغفر لابي ثم علل دعاه بقوله انه كان من الضالين والظاهر ان هذا كان
قبل معرفته تابيد شقاوته ولذلك قال ولا تخزني اي تهني بموته على ما يوجب دخوله النار يوم يبعثون اي هولا
المنكرون للبعث وكان هذا الدعا كان بحضورهم فزالانكار عليهم في عبادة الاصنام والظاهر ان تخصيص الدعا بابيه
لان امه كانت مسلمة كما ورد عن

فقد صح انه يقول يوم القيمة يا رب انك وعدتني ان لا تخزيني واي خزي اخزي من ابي الابعد فيبدل الله صورة ابيه صورة
ذيخ ثم يلقي به في النار كما رواه البخاري في غير موضع عن ابي هريرة رضي الله عنه وان الله تعالى يقول له اني حرمت الجنة
على الكافرين ولو كانت امه كافرة لسال فيها يوم لا ينفع اي احدا مال اي يفتدي به او يبذله لشافع او ناصر مقاهر
ولا بنون ينتصر بهم او ينتفعه الا من اتى الله اي في هذا الموطن بقلب سليم اي عن مرض يخرجه عن الفطرة الاولى التي
فطر الله عليها وهي الاسلام الذي راسه التوحيد كما تنتج البهيمة بهيمة جمعا ليس فيها من جدعا فان المال والبنون
ينفعانه بما تصرف فيهما من خير والظاهر ان قوله وازلفت اي قربت حال من او يبعثون الجنة للمتقين وعرف
اهل الموقف انها لهم خاصة تعجيلا لسرورهم وزيادة في شرفهم وبرزت اي كشفت كشفا عظيما الجحيم اي النار
الشديدة التاجج واصلها نار عظيمة في مهواة بعضها فوق بعض للغاوين اي الضالين الهالكين بحيث عرف
اهل الموقف انها لهم وقيل لهم تبكيتا وتنديما اين ما كنتم تعبدون اي في الدنيا من دون الله وكنتم تزعمون انهم يشفعون
لكم ويقربونكم شر هذا اليوم هل ينصرونكم فيمنعون عنكم ما يراد بكم او ينتصرون اي هم بالدفع عن انفسهم ولما تسبب
عن هذا التبريز والقول اظهار قدرته تع وعجزهم بقذفهم فيها قال فكبكبوا اي قلبوا وصرعوا ورموا سريعا بعد
هذا السوال اظهارا لعجزهم بالفعل حتي عن الجواب قبل الجواب فيها اي في مهواة الجحيم قلبا عنيفا متتابعا كثيرا بعضهم
في اثر بعض هم اي الاصنام وما شابهها مما عبد من الشياطين ونحوهم والغاوون اي الذين ضلوا بهم وجنود
ابليس من شياطين الانس والجن اجمعون ولما علم بهذا انهم لم يتمكنوا من قول في جواب استفهامهم توبيخا وكان
من المعلوم ان الانسان مطبوع على ان يقول في كل شي نوبه ما يشبه له ادراكه مما يري انه يبرد من غلته وينفع
من علته تشوف السامع الى معرفة قولهم بعد الكبكبة فاشير الى ذلك بقوله قالوا اي العبدة وهم فيها اي الجحيم
يختصمون اي مع المعبودات تالله اي الذي له جميع الكمال ان كنا لفي ضلال مبين اي ظاهر جدا لمن كان له قلب اذ
اي حين نسويكم في الرتبة برب العالمين اي الذي فطرهم ودبرهم حتي عبدناكم وما اضلنا اي عن الطريق البين
الا المجرمون اي العريقون في صفة الاجرام المقتضي لقطع كل ما ينبغي ان يوصل فما اي فتسبب عن ذلك انه ما
لنا اليوم وزادوا في تعميم النفي بزيادة الجار فقالوا من شافعين لانا صرفنا ما كان يجب علينا للذي الامر اليه من الامر

في له ولعله لم يفرد الشافع لانهم دخلوا في الشفاعة العظمى ولما كان الصديق قد لا يكون اهلا لان يشفع قالوا
تأسفا على اقل ما يمكن ولا صديق اي يصدق في ودنا لينفعل ما ينفعنا حميم اي قريب واصله المصافي الذي يحرقه
ما يحرقك لانا قاطعنا بذلك كل من له امر في هذا اليوم وافردتنا للتمني والاشارة الى انه في جحد انه او عداوة ولما
وقعوا في هذا الهلاك وانتفى عنهم الخلاص تسبب عن تمنيهم المحال فقالوا فلو ان لنا كرة اي رجعة الى الدنيا فنكون من
المؤمنين اي الذين صار الايمان لهم وصفا لازما فازلفت لهم الجنة ولما كان في هذه القصة اعظم زاجر عن الشرك
وامر بالايمان نبه على ذلك بقوله ان في ذلك اي الذي قصصناه من قول ابرهيم عليه السلام في اقامة البرهان على ابطال
الاوثان ونصب الدليل على انه لا حق الا الملك الجليل الديان وترغيبه وترهيبه وارشاده الى الزود في ايام المهلة لاية
اي عظيمة على بطلان الباطل وحقوق الحق وما اي والحال انه ما كان اكثرهم اي الذين شهدوا منه هذا الامر العظيم
والذين سمعوه عنه مؤمنين اي بحيث صار الايمان صفة لهم ثابتة وفي ذلك اعظم تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم
باعظم ابائه عليه السلام وان ربك اي المحسن اليك بارسالك وهداية الامة بك لهو العزيز اي القادر على ايقاع
النقمة بكل من خالفه حين يخالفه الرحيم اي الفاعل فعل الراحم من اكرامه العصاة مع ادرار النعم ودفع النقم وارسال
الرسل ونصب الشرايع لبيان ما يرضاه ليتبع وما يسخطه ليجتنب فلا يهلك الا بعد اقامة الحجة بايضاح المحجة ولما
اتم سبحانه قصة الاب الاعظم الاقرب اتبعها دلالة على وصفي العزة والرحمة قصة الاب الثاني مقدما لها على غيرها لما له
من القدم في الزمان اعلاما بان البلا قديما ولانها ادل على صفتي الرحمة والنقمة التي هي اثر العزة بطول الاملاء لهم على طول
مدتهم ثم تعميم النقمة مع كونهم جميع اهل الارض فقال كذبت قوم نوح وهم اهل الارض كلهم قبل اختلاف
الامم بتفرق اللغات المرسلين اي بتكذيبهم نوحا عليه السلام لانه اقام الدليل على نبوته بالمعجزة ومن كذب بمعجزة واحدة
فقد كذب بجميع المعجزات لتساوي اقدامها في الدلالة على صدق الرسول وقد سئل الحسن البصري رحمه الله عن ذلك
فقال من كذب واحدا من الرسل فقد كذب الكل لان الاخير جاء بما جاء به الاول حكاه عنه البغوي والقصد التسلية عن
التكذيب في كل قصة اذ اي حين قال لهم واشار الى نسبه فيهم بقوله اخوهم زيادة في تسلية هذا النبي الكريم
نوح واشار الى حسن ادبه واستجلابه برفقه ولينه بقوله الا تتقون ثم علل اهليته للامر عليهم بقوله اني لكم اي
مع كوني اخاكم يسوءني ما يسوؤكم ويسرني ما يسركم رسول اي من عند خالقكم فلا مندوحة عن ابلاغ ما امرت به امين
اي لا غش عندي كما تعلمون ولا خيانة في شي من الامانة فلذلك لا ابخل من ابلاغ جميع الرسالة ولما عرض عليهم التقوى
بالرفق وعلل ذلك بما ثبت به امرها تسبب عنه الجزم بالامر فقال فاتقوا الله اي مبادرين الى ذلك بتوجيه
لتحرز والاصل السعادة فتكونوا من اهل الجنة واطيعون اي فيما امركم لتحرزوا رتبة الكمال في ذلك فلا يمسكم
عذاب ولما انتفى ما تتهمني به فقال وما اسالكم عليه اي على هذا الحال الذي اتيتكم به واشار الى الاغراق
في النفي بقوله من اجر اي ليتطرق ان جعلت الدعا سببا له ثم اكد هذا النفي بقوله ان اجري اي في دعائي لكم الا على
رب العالمين اي الذي دبر جميع الخلائق ورباهم ولما انتفت التهمة تسبب عن انتفائها ايضا ما قدمه فاعاده
اعلاما بالاهتمام بذلك زيادة في شفقته عليهم فقال فاتقوا الله اي الذي حاز جميع صفات العظمة واطيعون
ولما اقام الدليل على نصحه وامانته اجابوا بما ينظر الى محض الدنيا كما اجاب من قال من اشراف العرب ما لهذا الرسول
الايات وقالوا لو طردت هؤلاء الضعفا رجونا ان نتبعك حتى نزل في ذلك ولا تطرد الذين يدعون ربهم ونحوها من
الايات بان قالوا انؤمن لك اي لاجل قولك هذا وما اتيتنا من اوصافك والحال انه قد اتبعك الارذلون

اي المبخوسون في الحال والمال والاحوال والافعال فيكون ايماننا بك سببا لاستوائنا معهم فلو طردتهم لم تكن
لنا عذر في التخلف عنك ولا مانع من اتباعك فكان ما نتنقبوا به من العرض الفاني مانعا لهم من السعادة الباقية واما
الضعفا فانكسار قلوبهم وخلوها عن شاغل موجب لاقبالها على الخير وقبولها له لان الله تعالى عند المنكسرة قلوبهم
فكان شان المستكبرين شان متحير كان اخر دونه بدرجة فاصبح فوقه بدرجة فانف من ان يرتقي الى درجته
لئلا يساويه ورضي لنفسه ان يكون دونه فاستخف عقله وما اكثر جهله ولما كانت الجواهر متساوية في انها
مخلوقات الله وانما تتشرف باثارها اشار الى انه انما يعتبر ما هو عليه الان من الاحوال الرفيعة والاوصاف
البديعة فلذلك قال وما اي واي شي علمي بما كانوا يعملون اي قبل ان يتبعوني اي ما لي والبحث عن ذلك انما لي ظاهرهم
الان وهو خير ظاهر ثم الا تشعرون ثم اكد انه لا يبحث عن بواطنهم بقوله ان اي ما حسابهم اي في الماضي والاتي الا على
ربي المحسن الي باتباعهم لي لكون لي مثل اجرهم المخفف عني ان يكلفني بحسابهم وتعرف بواطنهم لو تشعرون رأي
الفهيم لو كان لكم نوع شعور لعلمتم ذلك فلم تقولوا ما قلتم مما هو دائر على امور الدنيا فقط ولا نظر له الى يوم الحساب
ولما افهم قوله رد ما افهمه قولهم من طردهم صرح به في قوله وما اي ولست انا بطارد المؤمنين اي الذين صار الايمان
لهم وصفا راسخا فلم يرتدوا عنه لتطمع في ايمانكم ولا لغيره ثم علل ذلك بقوله ان اي ما انا الا نذير اي محذر لا وكيل
منقب على البواطن ولا متعنت على الاتباع مبين اوضح ما ارسلت به فلا ادع فيه لبسا ولما ايسهم مما ارادوا
من طرد اتباعه لما اعوزهم من اتباعه لو طردهم خداعا اقبلوا على التهديد بان قالوا لين لم تنته ثم سموه باسمه جفا
وقلة ادب فقالوا يا نوح لتكونن من المرجومين اي المقتولين ولا ينفعك اتباعك هولا الضعفا ولما ايس منهم
قال معرضا عن تهديدهم له صبرا واحتسابا لانه من لازم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر رب اي ايها المحسن الي
ولما كان الحال مقتضيا لان يصدق قوم لما له في نفسه من الامانة وبهم من القرابة وما اقام على ما دعاهم اليه
من الادلة مع ما له في نفسه من الوضوح اكد الاخبار بتكذيبهم اعلاما بوجوده وبانه تحققه منهم من غير شك فقال
ان قومي كذبون اي علانية لهم في اتباعي فافتح اي احكم بيني وبينهم فتحا اي حكما يكون لي فيه فرج وبهم من الضيق مخرج كما
فاهلك المبطلين ونجني ومن معي اي في الدين من المؤمنين مما تعذب به الكافرين ولما كان في اهلاكهم وانجايه من بديع
الصنع ما يجل عن الوصف ابرزه في مظهر العظمة فقال فانجيناه ومن معه اي ممن لا يخالفه في الدين في الفلك ولما كانت
سلامة المملوء جدا اغرب قال المشحون اي المملوء بمن حمل فيه من الناس والطير وساير الحيوان وما حمل من زادهم وما
يصلحهم ولما كان اغراقهم كلهم من الغرايب عظمه باداة البعد فقال ثم اغرقنا بعد اي بعد حمله الذي هو سبب انجايه
الباقين اي من بقي على الارض ولم يركب معه في السفينة ولما كان ذلك امرا باهرا عظمه بقوله ان في ذلك اي الامر
العظيم من الدعاء والامهال ثم الانجا والاهلاك لاية اي عظيمة لمن شاهد ذلك او سمع به على انا ننتقم من عصانا
وننجي من اطاعنا وانه لا امر لاحد معنا فيهديه الى الايمان ويحمله على الاستسلام والاذعان وما اي والحال انه ما
كان اكثرهم اي اكثر العالمين بذلك مؤمنين وقد كان ينبغي لهم اذ فاتهم الايمان بمحض الدليل ان يبادروا اليه ويركبوا
معه حين راوا اوايل العذاب او بعدان الجاهم الغرق وان ربك المحسن اليك بارسالك وتكثير اتباعك وتعظيم
اشياعك لهو العزيز اي القادر بعزته على كل من قسرهم على الطاعة واهلاكهم في اول اوقات المعصية الرحيم اي الذي
يخص من يشاء من عباده بخالص وداده ويرسل الى الضالين عن محجة العقل لغفته الرسل لبيان ما يحب وما يكره
فلا يهلك الا بعد البيان الشافي والابلاغ الوافي ولما كان كانه قيل ان هذا الامر هايل فما فعل من جاء بعدهم اجيب بقوله
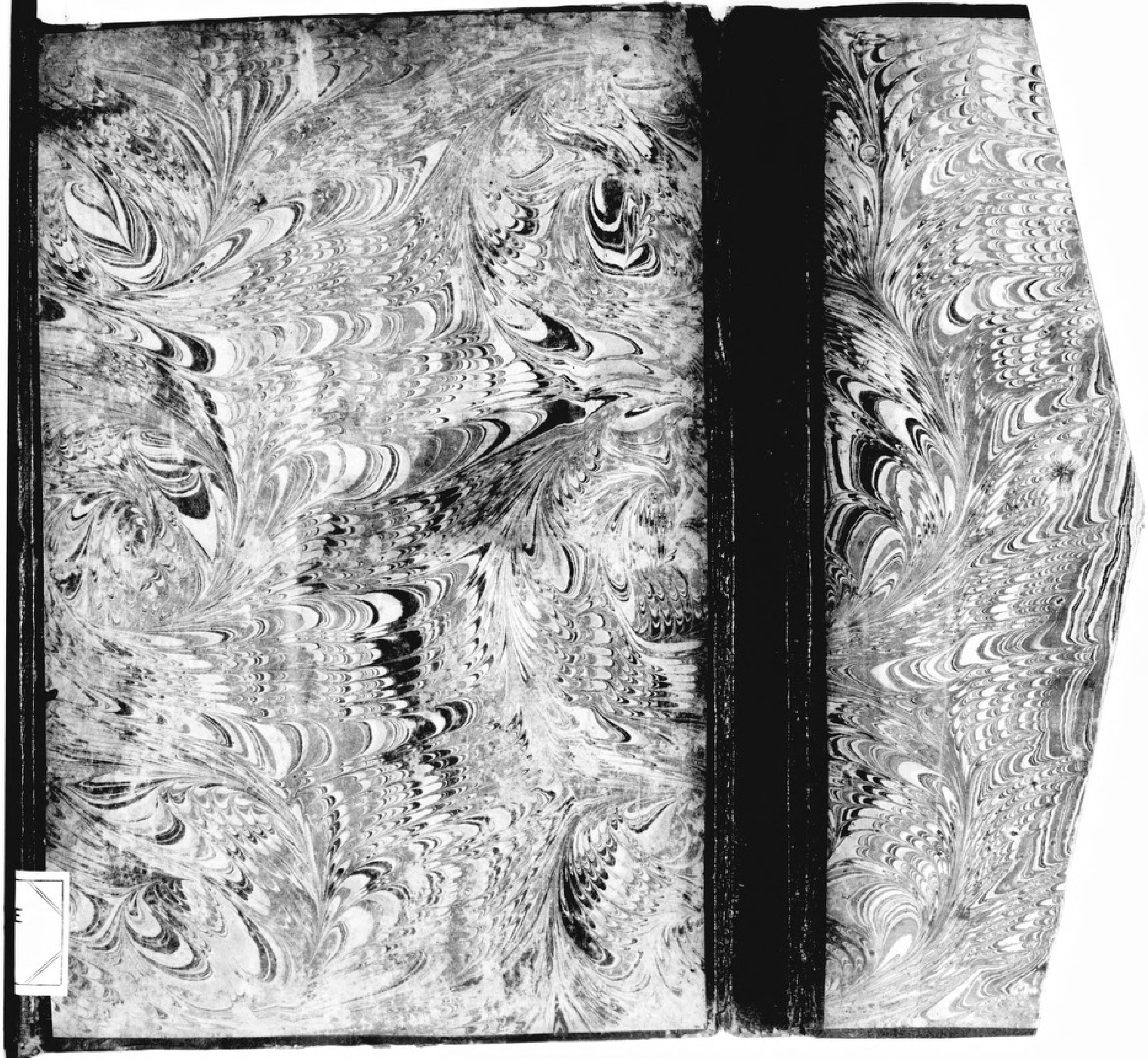
دلالة على الوصفين معا كذبت عاد اي تلك القبيلة التي مكن الله لها في الارض بعد قوم نوح المرسلين بالاعراض
عن معجزة هود عليه الصلاة والسلام ثم سلى هذا النبي الكريم بقوله اذ اي حين قال لهم اخوهم هود لم يتوقفوا في تكذيبه
ولم يتاخروا عن وقت دعايه لتامل ولا غيره وقد عرفوا صدق اخايه وعظيم نصحه ووفايه الا بصيغة العرض تاديبا معهم
تلطفا بهم ولينا لهم تتقون اي ربكم الذي خلقكم فتعبدوه وحده ولا تشركوا به ما لا يضر ولا ينفع ثم علل بقوله اني لكم
رسول اي فهو الذي حملني على ان اقول لكم ذلك امين اي لا اكتم عنكم شيئا مما امرت به ولا اخالف شيئا منه فاتقوا اي
فتسبب عن ذلك اني اقول لكم اتقوا الله الذي هو اعظم من كل شي واطيعون اي في كل ما امركم به من دوام تعظيمه وما
اي لان الرسول داع والحال اني ما اسالكم عليه اي الدعاء من اجر فتتهموني به ان اي ما اجري الا على رب العالمين ولما فرغ من الدعاء
الى الاصل وهو الايمان بالرسول والمرسل اتبعه انكار بعض ما هم عليه مما اوجبه الكفر واوجب الاشتغال به الثبات
على الغي فقال اتبنون بكل ريع اي مكان مرتفع قال ابو حيان وقال ابو عبيدة الريع ايضا الطريق اية اي علامة على
شدتكم لا على لو كان لهداية او نحوها لكفى بعض الارياع دون كلها ولما كان اقامة الدليل على توهم عند ذلك قليل
الجدوى عند الناس قال تعبثون ولما كان من يموت لا ينبغي له انكار الموت بفعل ولا قول قال وتتخذون مصانع اي
اشيا تصنعونها هي في احكامها بحيث تاكل الدهر قوة وثباتا فلا يبيد الا من حاله حال الراجي للخلود ولذلك قال
لعلكم تخلدون وهو معنى ما في البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما من تفسيرها بكانكم ولما بين ان علمهم على من يخاف
الموت اتبعه ما يدل على انهم لا يظنون الجزاء فقال واذا بطشتم اي باخذ في عقوبة بطشتم جبارين اي غير مبالين بشي
قال البغوي والجبار الذي يقتل ويضرب على الغضب ولما خوفهم بهذا الانكار عقاب الجبار تسبب عنه ان قال
فاتقوا الله واطيعون ولما كان ادكار الاحسان موجبا للاذعان قال مرغبا في الزيادة ومرهبا من الحرمان واتقوا
الذي امدكم اي جعل لكم مددا بما تعلمون اي ليس فيه نوع خفاء حتى تعذروا في الغفلة عن تقييده بالشكر ولما اجمل
فصل ليكون اكمل فقال امدكم بانعام اي تعينكم على الاعمال وتاكلون منها وتبيعون ولما قدم ما يقيم الاود اتبعه قوله
وبنين اي يعينونكم على ما تريدون عند العجز ثم اتبعه ما يحصل كمال العيش فقال وجنات اي بساتين وعيون
ولما كانوا في اعراضهم كانهم يقولون ما الذي سفيه قال اني اخاف عليكم اي لانكم قومي يسوءني ما يسوءكم ان تماديتم
على المعصية عذاب يوم عظيم وتعظيم اليوم ابلغ من تعظيم العذاب قالوا سوا علينا اوعظت اي خوفت وحذرت وكنت
علامة زمانك في ذلك بان يقول منه ما لم يقدر احد على مثله دل على ذلك قوله ام لم تكن من الواعظين اي متاهلا
لشي من رتبة الراسخين في الوعظ وهو كما قال البغوي كلام يلين القلب بذكر الوعد والوعيد والمعنى ان الامر مستو في
الحالتين فانا لا نطيعك في شي ثم عللوا ذلك بقولهم ان اي ما هذا اي الذي جيتنا به الا خلق الاولين اي كذبهم او ما
هذا الذي نحن فيه الا عادة الاولين في حياة ناس وموت اخرين وعافية قوم وبلاء اخرين وما نحن بمعذبين لانا اهل
قوة وشجاعة ونجدة وبراعة ولما تضمن هذا التكذيب سبب عنه قوله فكذبوه ثم سبب عنه قوله فاهلكناهم اي بما لنا من
العظمة التي لا تذكر عندها عظمتهم والقوة التي كانت قوتهم ان في ذلك اي الاهلاك في كل قرن للعاصين والانجاء
للطايعين لاية اي عظيمة لمن بعدهم على انه تحت فاعل ذلك وحده بسبب انه يحق الحق ويبطل الباطل وانه مع اوليايه
ومن كان معه لا يذل وعلى اعدايه ومن كان عليه لا يعز وما كان اكثرهم اي اكثر من كان بعدهم مومنين فلا تحزن انت على من اعرض
عن الايمان وان ربك اي المحسن اليك بارسالك وغيره من النعم لهو العزيز في انتقامه الرحيم في انعامه واكرامه واحسانه مع
عصيانه وكفرانه وارسال المنذرين وتاييدهم بالايات المعجزة لبيان الطريق الاقوم والمنهج الاسلم فلا يهلك الا بعد الاعذار